

رواية

هاروكي موراكامي

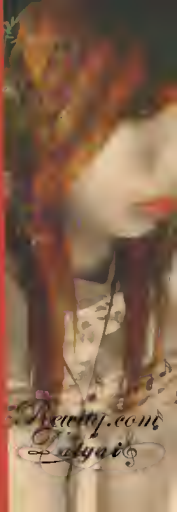
رقص...  
رقص...  
رقص...

رقص...  
رقص...  
رقص...

رقص...  
رقص...  
رقص...

ترجمة: أنور الشامي

المركز الثقافي العربي



newcity.com  
Lilya

## رقص ... رقص ... رقص ..

بين العائزات التي نعتز **عن** الواقع الاجتماعي، والحياة الواقعية المعاشة، يسير موراكامي في هذه الرواية. إنها حياة المجتمع الرأسمالي الحديث، حياة البحث عن الصداقة والحب والطعام، والاحتاجات الاستهلاكية التي تنامي. وأيضاً حياة الفردية والتمزق والعزلة حياة والذي هاكوي. الأم مصورة مخزفة، مائة مشهورة، ترك استنها وحدها، ومنها السفر إلى أماكن التصوير. والى عشاقها. والوالد ثري يعيش في عالم آخر ويسعده أن يجد شخصاً ينتم مائته، فيسمحه ليس فقط ما يريد، بل ما قد يشتهي

في حلقة هذه الرواية هناك دائماً الرجل المقتنع، مالك الحكمة وحافظ تاريخ تحولات البشر. هذا الرجل يكرر لفظ الرواية: يجب أن نرفض. أرفض معيذاً بذلك عن سطر الحياة المعاصرة.



كعادته، بدهشنا هاروكي موراكامي في قدرته على تصوير العالم الذي نعيشه، مراحاً بين العائزات وتحولات الواقع وهو ما سنرى أن رأياه في رواية كافكا على الشاطئ التي سنرى أن شرابها ولافت استحسان القراء.

Rewity.com  
Dalyai

المركز الثقافي العربي



الشارع الميناء - حي ب - 4004 (الضاحية)

ميراث - حي ب - 113/5158

www.dalyai.com

rewity@comcast.net



هاروڪي موراڪامي

رقص... رقص... رقص...

هاروكي موراكامي

رقص...  
رقص...  
رقص...

رواية

ترجمة: أنور الشامي



المركز الثقافي العربي

العنوان الأصلي للرواية :

Haruki Murakami

Dance Dance Dance

© Haruki Murakami, 1988

(1)

كثيراً ما يشترى لي فندق الدوتشين في أحلامي . وفي هذه الأحلام أجدني هناك عائلاً في بعض الأحداث المتواصلة . كل شيء حولي يقول إنني جزء من هذا الحلم المستمر .

وفندق الدوتشين هو فندق ينحدر من المألوف وذلك لضيقه الشديد الذي يجعله يبدو أشبه بجسر طويل ، بيد أنه جسر مغطى . جسر متعدد في الزمان إلى ما لا نهاية . وهناك أجدني داخله . لكن هنالك شخص آخر يبكي أحياناً .

أجد الفندق دائماً بحوطني من كل جانب . أستشعر نبضاته وحرارته . وفي أحلامي أجدني جزءاً منه .

أصحو من نومي ، ولكن أين أنا ؟ إنني حتى لا أفكر في ذلك ، سألت نفسي بالفعل ذلك السؤال : « أين أنا ؟ » وكأنني لم أكن أعلم : إنني موجود . في جبابي . وجودي هو مظهر من مظاهر العالم . لست أستذكر ولو لمرة واحدة أنه سبيل لي أن وافقت على هذه الأمور أو هذه الحالة أو مجموعة الأحداث هذه التي أظهر فيها . ربما تكون ثمة امرأة تنام إلى جوارتي . ولكن في معظم الأحوال أجدني وحيداً . ليس هناك سواي أنا والطريق السريع الذي يمتد مباشرة بمحاذاة شفتي وكذلك كأس (كان ما زال فيها خمسة مليترات من الوبسكي) وضوء الصبح

الكتاب

رفص ... رفص ... رفص ...

نألب

هاروكي موراكامي

ترجمة

أنور الشامي

الطبعة

الأولى ، 2011

التزقيم الدولي :

ISBN 978-9953-68-495-2

جميع الحقوق محفوظة

المركز الثقافي العربي

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء - المغرب

ص.ب : 4006 (سيفنا)

42 الشارع الملكي (الأحياس)

هاتف : 307651 - 522 303339

فاكس : 305726 - 522 212+

Email: markar@wanadoo.net.ma

بيروت - لبنان

ص.ب : 5158 - 113 الحمراء

شارع حادبارك - بناية المقدسي

هاتف : 01750507 - 01352826

فاكس : 01343701 - 961+

Email: eca\_esu\_bey@ yahoo.com

المغبر . أحياناً يكون الطقس ماطرأ . كنت إذا حدث ذلك، أؤثر البقاء في الفراش . أما إذا كان قد تبهى بعض الويسكي في الكأس فإنني أحسبه . وأنظر إلى قطرات المطر تساقط من حواف الأسقف وأنا أنكر في فندق الدولفين . وربما أنمذد على نحو هادئ . وهو ما يكنيني حتى أنبغ من أنني أنا نفسي ولست جزءاً من شيء آخر . بيد أن الإحساس بالحلم لم يكن بفارقني إلى حد يمكنني معه أن أقسم أن باستطاعتي أن أمد ذراعي والتمسه وأن ذلك الشيء الذي يحتويه سوف يتحرك . وكنت إذا أرهفت سمعي فنهاه إلي ذلك التسلسل البطيء . والحذر للأحداث على نحو شبه نساظ فطوات المياه في تجربة لغز الماء المعقد، خطوة وراء خطوة واحدة نلو أخرى . أصغي باننباء . ذلك حينما أسمع شخصاً يتحجب بصوت هادئ يكاد لا يسمع . صوت نشيج يأتي من مكان ما في الظلام . شخص ما يذرف الدمع من أجلي .

إن فندق الدولفين فندق حضبي ويوجد بالفعل في حي من أحياء سابورو . كنت قد أمضيت فيه أسبوعاً قبل عدة سنوات . لا بل دعني أكون دقيقاً في ذلك . قبل كم سنة كان ذلك؟ أربع سنوات . وحتى أكون أكثر دقة ، أربع سنوات ونصف . كنت ما أزال آنذاك في العشرينات من عمري . حينما نزلت بفندق الدولفين بصحبة امرأة كنت أعيش معها . وكانت هي من اختارت المكان حينما قالت «هذا هو المكان الذي سننزل به» . ولولاها لما وطأت قدمي أبداً مثل هذا المكان .

كان فندقاً صغيراً وقبيحاً . فطوال الوقت الذي أمضيناه هناك لا أعرف ما إذا كنا رأينا أي نزلآ آخرين . كان هناك شخصان يحومان أمام منطفة الاستقبال ولكن من يدري إن كانا يقضيان هناك؟ كما كانت هناك بعض المفاتيح غير موجودة في اللوحة الموجودة خلف مكتب الاستقبال وهو ما يجعلني أشخس أن ثمة نزلآ آخرين كانوا هناك .

بالرغم من أنهم لم يكونوا كثيرين . إنني أعني أنك إذا ما بُثث لافتة تشير إلى وجود فندق في مكان ما في مدينة كبرى ووضعت رضم هانف الغندقي في دليل الهاتف، فمن غير المنطقي أن تنقل بدون نزلآ على الإطلاق . ولكن إذا سلمنا بأنه كان هناك نزلآ آخرون غيرنا فقد كانوا صاعتين صحت القبور . لم نسمع لهم صوتاً قط، وكدنا لا نرى علامة على وجودهم باستثناء ترتيب المفاتيح على اللوحة التي كان بطراً عليها تغيير طفيف من يوم لآخر . هل كانوا مثل أشباح نوحف بمحاذاة حوائط الممرات وهم يجلسون لأنفسهم؟ كنا من وقت لآخر نسمع صوت خشخشة المصعد الكتيب ولكن ما إن يتوقف عن الحركة حتى يرين صمت قاتل من جديد على المكان .

إنه فندق بحوطه الغموض من كل جانب . يذغرني بالموت البيولوجي، وبانكاسة جبنة . إنه صنع غريب من أعمال الطبيعة التي ألقت بكائن في المسار الخطأ من دون أن يكون ثمة طريق للمودة .

إنه فندق تم تشييده وفيه عيب بالنباشة، شكل بنيم من أشكال الحياة ثرك يخين مرنمداً خلف سنار التاريخ، في الأرض التي نسبها الزمان<sup>(1)</sup> من دون أن يكون ثمة خطأ من أحد . ومن دون أن يكون ثمة من يلام على ذلك، ومن دون أن يكون ثمة من يندد ذلك .

ما كان ينبغي لهذا الفندق أن يُشيد حيث كان . كان هذا هو الخطأ الأول الذي جعل كل شيء آخر بأخذ منحى سيئاً . ناماً مثلما ينم تركيب زر على قميص بشكل خاطئ ولا تؤدي أي محاولة

(1) اسم القيلم تدور أحداث حول عرسين جنبيين الزواج بخرجان في رحلة بحرية في الكاريبي في مركب حاص لكن عاصفة تصيرهم وتلقي بهم في جزيرة عامسة فيها كائنات غريبة من بينها دبابصوات تأكل البشر وقد رأيت ترجمة اسم القيلم كما هو . من دون مزجوجين . كما هو في النص الأصلي إذ لا توجد أي إشارة إلى القيلم ، بل استخدمت الأحرف الكبيرة . (المنزحم)

لنصحیح الوضع إلا إلى فوضى - لا أقول أنيقة - وإنما مشيرة للإعجاب. فلا يوجد تفصيل وحيد يبدو في وضعه الصحيح. تطلّع نحو أي شيء في المكان وسوف تجد نفسك نهز رأسك بدرجات قليلة. ولكن ليس بدرجة يمكن أن تلحق بك أذى حقيقياً أو نزعلك نبدو غريباً. من يدوي؟ ربما نعتقد مثل هذا الاعوجاج في الأشياء (ولكن إذا تم ذلك، فلن نكون قادرأ أبداً على رؤية العالم مرة ثانية دون أن نجعل رأسك معوجاً).

ذلك هو فندق الدولفين الذي كان يفترق إلى السوية. فالاضطراب يتراكم بعضه فوق بعض حتى يتم الوصول إلى نقطة التشيع، القابعة في المستقبل غير البعيد جداً لبتم ابتلاعها في دوامة الزمن. فأي شخص يمكنه أن يدرك ذلك بلمحة واحدة إنه مكان يشير الشفقة والحزن مثل كلب أسود بثلاث قوائم وقد تبلل في أمطار ديسمبر. نعم إن الفنادق الباهظة على الكأبة موجودة في كل مكان، ولكن الدولفين كان فئة بذاته. بل إن فندق الدولفين يبعث على الأسى. لقد كان فندق الدولفين مأساوياً.

ومما لا ريب فيه أنه باستثناء هؤلاء الغفراء السذج الذين قادتهم الصدفة لأن ينزلوا به، فلن ينزل فيه أحد آخر بملء اختياره.

ثمة فرق شاسع بين حفيظة الفندق وبين اسمه (بالنسبة لي اسم الدولفين يوحي بحلولى من السكر الأبيض لفندق ومنتهج على بحر إيجة)، فلولا اللوحة التي تم نعلبقتها أمامه، لما تسنى لك أبداً أن تعرف أن هذا المبنى هو فندق. بل حتى باللوحة والشعار النحاسي المعلق على المدخل فإنه لا يكاد يشبه مدخلا لفندق.

لقد كان في واقع الأمر يشبه منحفاً. بيد أنه نوع غريب من المناحف التي قد ينسلل إليها الأشخاص من ذوي الفضول الغريب لمشاهدة المعروضات الغريبة.

والأمر الذي ليس بعيد عن الحقيقة بالفعل هو أن الفندق كان في جزء منه منحفاً بالفعل. ولكنني أتساءل هل ثمة من يرغب في الإقامة في مثل هذا الفندق؟ في بيت صغير نحول إلى مكان لحفظ اللخاثر الدينية، وشذت ممراته المقلعة بجلد الأغنام المخزّن والصوف المنعفن والوثائق المغطاة والصور التي بهت لونها؟ وكل ركن من أركانه مغلى بالأحلام المنهضة؟

أما الأثاث فقد كان مهترناً، فالطاولات غير مستفزة والأففال لا تعمل. وأرضيات العرف خشنة والمصابيح ضعيفة الإضاءة وأحواض الغسيل كانت تسرب المياه.

كانت ثمة خادمة بدنية تمشي في ردهانه بخطوات أشبه بخطى الفيل، وتسمل سعلاً يبعث على الملل وينذر بالشؤم. بينما كان صاحب الفندق وجلاً في أواسط عمره ترتسم في عينه علامات الحزن ويجلس دائماً خلف مكتب الاستقبال، وكان فاقداً لإصبعين. إنه من نوعية هؤلاء الأشخاص الذين توحى هبشتهم بأن لا شيء في هذا العالم يأخذ منحى صحيحاً بالنسبة إليهم. إنه نموذج حقيقي لتلك الروح التي أثقلت بسوه الحظ والإخفاق والهزيمة. حتى إنك لترغب في أن تضعه في صندوق زجاجي وتحمله إلى حصة علم الأحياء: «الإنسان الذي يدمر نفسه بنفسه». ولا يكاد أي شخص يرى هذا الرجل إلا ويشعر بأن قدراً كبيراً أو صغيراً من الإحباط قد لحق به، كما أن عدداً ليس بالقليل سينتابهم الغضب (فبعض الناس يتغضبون حينما تقع أعينهم على نماذج بشرية بائسة). إذا كان كل ذلك فمن الذي يرغب في الإقامة في هذا الفندق؟

بيد أننا أقمتنا هناك. وأذكر أنها قالت «هذا هو المكان الذي سننزل به». لكنها اخضت بعد ذلك. ظهرت ثم اخضت. إنه الرجل المقتنع هو الذي أبلفني بذلك حينما قال: المرأة غادرت بمفردها بعد

الظهيرة . بطريفة ما كان الرجل المثلث يعلم بذلك . علم أنه كان لزاماً عليها أن تغادر ، تماماً مثلما أعلم أنا الآن . كانت غايتها أن تأخذني إلى هناك . كما لو كان ذلك هو قدرها . مثل نهر فولتافا في تدفقه نحو مصبه في البحر . ومثل المطر في نزوله إلى الأرض .

حينما بدأت هذه الأحلام تتابني حول فندق الدولفين . كانت هي أول ما برز على خاطري . كانت تبحث عني . وإلا فلماذا يظهر لي الحلم نفسه المرة تلو المرة؟

إنها . . . ماذا كان اسمها؟ أمضيتنا شهوراً معاً ، بيد أنني لم أعرف لها اسماً أبداً . ما الذي كنت أعرفه عنها بالفعل؟ كانت تعمل لدى ناد للبلاتع الهوى . إنه ناد لأعضائه حصرياً . وكل شخص من غير ذوي المكانة الرتبعة ليس مرحباً به فيه . إذاً فقد كانت بائعة هوى لصفوة المجنم . ومع ذلك كانت تعمل في وظيفتين أخريين . أولاهما مدققة لغرية لدى دار نشر صغيرة ، لبضع ساعات في اليوم ، والثانية عارضة اكسسورات للآذان . ولذا فقد كانت منشغلة على الدوام . بالطبع لم تكن بلا اسم . وفي الواقع أنا على يقين أنها كانت تستخدم عدة أسماء . بيد أنه وفي الوقت نفسه ومن وجهة نظر عملية لم يكن لها اسم . فلم يكن لديها رخصة قيادة أو اشتراك في قطار ، أو بطاقات ائتمان . ومع أنها كانت تحمل معها مدونة صغيرة ، فحتى هذه كانت مكتوبة برموز تستعصي على القراءة . كان جلياً أنها لا تريد لأحد أن يعرف هويتها . فبلاتع الهوى وإن كان لهم أسماء فإنهم يعيشون في عالم لا يحتاج إلى معرفة ذلك .

إنني أكاد لا أعرف شيئاً عنها . مسقط رأسها أو عمرها الحقيقي ، تاريخ ميلادها ، تعليمها وضمها العائلي . كانت مثل تغيرات الطقس تظهر سريعاً من مكان ما ثم لا تلبث أن تتلاشى ولا تخلف وراءها سوى الذكرى .

بيد أن ذكرها الآن قد اكتست بحقيقة متجددة . حقيقة محسوسة . لقد كانت دائماً ترد على خاطري من خلال ذلك الشيء المعروف بفندق الدولفين . لم أرها أبداً إلا كجزء من فندق الدولفين . نعم لا شك في ذلك : إنها هي من نيكى من أجلي .

وفيما كنت أأحدق في المظرة فُكِّرت في ما يصبه أن يكون المرء جزءاً من شيء أو ينتمي إليه ، وأن يكون هنالك من يذرف الدمع من أجلي . من مكان سحيق ، سحيق جداً جداً . وأخيراً من حلم . ومهما حاولت ومهما أسرعت ، فلأنني لن أصل إليه .

لماذا يمكن أن يرغب أي شخص في البكاء من أجلي؟

لا بد أنها نناديني . من مكان ما في فندق الدولفين . وعلى ما يبدو ، ومن مكان ما في عقلي ، فإن فندق الدولفين هو أيضاً ما أبغني أنا . أن يؤخذ بي إلى هذا المشهد ، وأن أصبح جزءاً من ذلك المكان الغرائبي المشؤوم .

لكنه ليس أمراً هيناً أن أعود لفندق الدولفين ، ولا حتى أن أسفسر مجرد استفسار من الحجز فيه . ولا أن أسقط طائرة مجانية لأطير إلى سابورو فتحقق المهمة .

فالفندق ، كما أشرت ، هو حالة يندر ما هو مكانه . هو حالة على هيئة فندق . أن أعود لفندق الدولفين يعني أن أواجه شبح الماضي . وهذا الاحتمال في حد ذاته يبعث على الاكتئاب . لقد كان كل ما استطعت القيام به في خلال هذه السنوات الأربع هو أن أخلص نفسي من هذا الشبح الكئيب المخيف . فأن أعود إلى فندق الدولفين يعني أن أعود إلى كل ما تخلّصت منه في هدوء خلال هذه المدة . ليس معنى ذلك أن ما حفنته كان شيئاً عظيماً . لكنك عندما تنظر إليه نجده أقرب ما يكون إلى مخدر يبعث على راحة مؤقتة . نعم لقد بذلت قصارى جهدي . ومن خلال بعض المهارات تمكنت من صياغة



حالة من الانصال بالحفظة وبناء حياة جديدة قائمة على قيم رمزية .  
هل يتعين عليّ الآن أن أنخلي عنها؟

ولكن الأمر كله بدأ هناك . ولم يكن بالإمكان إنكار كل ذلك .  
ولذا فإن القصة كان ينبغي أن تبدأ من جديد هناك .

استلقت على السرير وأنا أحدى بالسقف وتنهدت تنهيدة عميقة .  
فكرت: هل عليّ أن أسلم؟ لكن فكرة الاستسلام لا نستطيع مني .  
هذا أمر خارج متناول يدك، يا صغيري . مهما كان ما نفكر فيه، فلن  
يكون بمقدورك أن نفاوم . لقد قضى الأمر .

## (2)

انطلقت إلى مدينة هوكابو في مهمة عمل كلفت بإنجازها . وعلى  
الرغم من أن العمل المعروض لم يكن فيه من الإثارة الكثير، إلا أنني  
لم أكن في وضعية نمكنتني من الاختيار . وعلى أنه حال كانت الأعمال  
التي نأبني لا تختلف كثيراً بعضها عن بعض بشكل عام . وسواء ساء  
الوضع أو حُسنه ، فإن المرء كلما ابتعد عن أوسط الأمور، فُلت أهمية  
الاختلاف النسبي بين أمر وآخر . والأمر نفسه ينطبق على طول  
الموجات: حينما نتجاوز نقطة معينة لا يمكنك أن نعرف أي من  
الموجتين المنجاورتين أعلى درجة في النغم حتى ينتهي بك الأمر لا  
إلى عدم قدرتك على التمييز بينهما فحسب، بل إلى عدم سماعهما  
بالمرء أيضاً .

كانت المهمة هي تقرير أكتبه حول: «الطعام الجيد في هاكوديت»  
لصالح مجلة نسائية . كان يتعين عليّ أنا والمصور أن نقوم بزيارة عدد  
من المطاعم لأكتب أنا التقرير فيما يمدني هو بالصورة . وذلك في  
خمس صفحات . إذا ثمة شخص ينبغي أن يكتب هذه الأشياء . والأمر  
نفسه يمكن أن يقال عن جمع الغمامة وجرف الثلج . لا بهم إن كنت  
نحبها أم لا . فالعمل عمل .

على مدى ثلاث سنوات ونصف السنة كنت أفدّم هذه المساهمة  
للمجتمع . جرف الثلج . لعلك تعرف الثلج الثغاني .

وبسبب بعض الظروف الفاهرة تركت مكتباً كنت أديره بالاشتراك مع صديق لي. وظللت على مدى نصف عام أكاد لا أعمل شيئاً، لم أكن أشعر بالرغبة في عمل أي شيء. وخلال الخريف الماضي، أُلِّمْتُ بي كافة أنواع المخطوب. مُلِّقْتُ من زوجتي. ومات أحد أصدقائي بطريقة غامضة للغاية. كما هجرنتي امرأة عشت معها من دون كلمة منها. التفتت شخصاً غريباً ووجدت نفسي عالقاً في بعض التطورات العربية. وحينما كان كل شيء قد زال، إذا بحالة جمود أعيق من أي شيء خبرته في حياتي. نغمرتني. وغُيِّمَتْ على شفتي حالة من العدم المدثر. على مدى سنة أشهر ظلمت حبس الشفة. لم أكن أعادها طوال اليوم إلا لشراء بعض احتياجاتي الضرورية اللازمة ليغاتي على قيد الحياة. كنت أخرج إلى المدينة مع ظهور أول خيوط الفجر وأسبر في شوارعها المهجورة، لكن ما إن تبدأ الشوارع في الامتلاء بالناس، حتى أرثد عائداً إلى الشفة للخلود إلى النوم.

ومع حلول المساء كنت أنهض من نومي لأعدّ شيئاً ما لتناوله ولإطعام القط. وبعدئذ أجلس على الأرض كعادتي وأفكر في ما حدث لي من وقائع محاولاً استكناه معناها. فأبعد ترقيب الأحداث، وأضح قائمة بالبدائل الممكنة وأفكر في صواب أو خطأ ما قمت به. وكان ذلك يستمر حتى يزوغ الفجر حينما أخرج وأهيم في الشوارع مرة أخرى.

على مدى نصف عام كان ذلك هو نظامي اليومي. ابتداء من يناير إلى يونيو 1979. لم أفراً خلالها كتاباً واحداً. لم أتصفح جريدة ولم أشاهد التلفزيون ولم أستمع للإذاعة. ولم أر أي شخص ولم أتحدث إلى أي شخص. ونادراً ما كنت أشرب. فلم أكن في مزاج عفلي بدعوني للشرب. لم يكن لدي أدنى فكرة عما يجري في العالم. وعمن أصبح مشهوراً أو عمن مات. لم يكن ذلك لمعجز مني

وإنما ببساطة لأنه لم يكن لدي رغبة في معرفة أي شيء. ومع ذلك كنت أدرك أن هناك أشياء تحدث من حولي. فالعالم لم يتوقف. كنت أشعر بذلك في جلدي حتى وأنا أجلس وحيداً في شفتي. وبالرغم من أن ذلك قلماً أرغمني على الاهتمام بما يحدث. فقد كان ذلك أشبه بفرقة هواة صامتة نمر بجاني.

وفي جلوسي على الأرض كنت أفوم باسترجاع الماضي في رأسي. وصما ببعث على الاستغراب أن ذلك ظل ديدني على مدى نصف سنة ولم أشعر بالسأم ولو مرة واحدة. لقد كان ما كنت في خضمه يبدو شاسعاً ويحمل أوجهاً كثيرة. كان شاسعاً ولكنه حفيظ. حفيظي للغاية، وهو السبب في أن هذه التجربة ظلت ماثلة أمامي مثل صرح مضى. في الليل. والمهم أن ذلك كان صريحاً بالنسبة لي. لقد كنت أدفق في الأحداث من كل زاوية ممكنة. وكنت أرى أنني قد دُمُرت بشدة. لم يكن للتدمير هبناً. كان الدم يتدفق بهدوء. وبعد فترة كان بعض الألم المبرح يزول، فيما يطفو البعض الآخر على السطح في وقت لاحق. ومع ذلك فإن نصف العام الذي أمضيته حبس شفتي لم يكن فترة نقاهة. كما لم يكن نوعاً من إنكار العالم الخارجي. كنت ببساطة أحتاج إلى وقت للوقوف على قدمي من جديد.

وحينما وفقت على قدمتي كنت أحاول تجنب التفكير في سؤال: إلى أين كنت متجهاً؟ سؤال كان ينبغي التفكير فيه برمته في وقت لاحق. كان الأهم لدي هو استعادة نوازني.

كنت نادراً ما أخطب القط.

وحينما يرن الهاتف كنت أدعه يرن.

فإذا فرغ الباب أحد كنت أنجاهله.

كان هناك القليل من الرسائل. اثنان منها من شريكَي السابق في المكتب الذي لم يكن يعلم أين أنا. وما الذي أنا بصدده. وكان فلماً

بشأني، هل كان ثمة ما يمكنه القيام به لمساعدتي؟ كان عمله يسير بشكل جيد، كما أن بعض المعارف الغدامي سألوا عني.

أما زوجتي السابقة فقد كتبت لطلب مني الاعتناء ببعض أمور العمل. ثم ذكرت لي بمصاد الزواج يشخص لا أعرفه وربما كان أخته أهدأ. وهذا يعني أنها انفصلت عن صديقي الذي ذهبت معه حينما ومع الطلاق ربما لم يكن مثيراً للدهشة أن يتصلا. فهو لم يكن عازف غيتار من النوع العظيم. كما لم يكن عطفاً كشخص. ولم أنهم أهدأ ما الذي أحسبها فيه، لكن على أي حال ليس هذا من شأني؟ أما بخصوصي فكتبت أنها غير قلقة علي. كتبت مثقنة أنتي سوف أكون على ما يرام مهما كان المسار الذي اختاره. لكنها أحسست بتعلقها حول الأشخاص الذين سوف أتعامل معهم. كنت أقرأ هذه الرسائل مرات قليلة ثم ألقى بها بعيداً.

وعلى ذلك المنوال مرت الشهور. ولم يكن الحال يمثل لي مشكلة. فقد كنت أدخر منه ما يكفي ولم أكن أشغل نفسي بها. كان الشتاء قد ولى وحل الربيع تقرير رائعة أرباح بل حتى قلقة الليل اختلعت.

وفي نهاية مايو مات قطي كبير فجأة وبسبب إندثار السيفطة ذات يوم فوجدته مكوماً على أرضية المطبخ وقد فارقت الحياة. ربما هو نفسه لم يدرك أن ذلك كان يحدث. فقد كان جسمه يهدأ وصلى وأصيب بحاجة أمس الحشوية. بيد أن البرق كان قد فارق حياته. إنه لا يمكنه أن يدرك أنه عاش أفضل حياة. فهو لم يحظ أبداً بحبيب حقيقي من أحد، كما يبدو أنه لم يحب أحداً أيضاً. كانت في عينه دائماً تلك النظرة القلقة: وماذا الآن؟ لا يمكنك أن ترى هذه النظرة تتكرر كثيراً لدى قط. ولكن على أي حال قد مات ولا شيء أكثر من ذلك. ربما ذلك هو أفضل شيء في الموت.

أدعيت جثته في كيس من البلاستيك، ووضعتها على المقعد الخلفي للسيارة وذهبت إلى متجر المعدات لشراء مجرفة. سعدت كثيراً في الطريق السريع. وهذا بشكل خاص حتى بلغت مجموعة من الأشجار. وبعداً من الطريق حشرت حفرة بعين هر ووضعت القط كبير في كيس الترسق لمثواه الأخير. ثم أهملت عليه التراب. شعرت بالأسى وأنا أودعه قائلاً له: هكذا هي الحياة. كانت الطيور تغرد طوال الوقت الذي كتبت أدفته فيه.

وما إن أتت الحفرة، حتى ألقيت بالمجرفة في صندوق السيارة ثم عدت إلى الطريق السريع. كنت تشعل مضاء السيارة وأنا في طريق العودة إلى طوكيو وذلك حينما كان رأي تشارلز يعني كلوهياً: قدرتي هو الخسوف. . . . والآن أنا أحسرك.

شعرت برغبة في البكاء. أحسباً بذكر شيء صغير أن يحفن النتيجة المرغوبة. أغلقت مذياع السيارة ودخلت إلى محطة خدمات. أزلت الطين عن يدي أولاً ثم توجهت إلى المطعم. لم أتناول سوى ثلاث الساندويش. لكنني شربت كوباً قهواً.

تساءلت: مني ما الذي يفعله كبير الآن؟ هناك في الظلمات، كان عدى التراب وقد يهال على الكيس يتروى في ذاتي. هكذا هي الدنيا يا صديقي تسير عليك ظلمة في علي.

جلست أحذني في الساندويش الذي لم أكمله على مدى ساعة حتى جاعتي تافله توندي رأيت بنسجياً وسالت بشيء من العصبية إن كان بإمكانها أن تلتقي الطين. وفكرت: هذا كل ما في الأمر. إذاً حان وقت العودة للمجتمع.

الأفلام. على مدى ثلاثة أشهر شاهدت الكثير منها. كنت أعاود الاتصال مع الحياة بشكل بطيء.

وفي مطلع الخريف أخذت الأمور تتغير. زادت طلبات العمل بشكل مثير. لم يكن جرس الهاتف يتوقف وكان صندوقي يريدي منخماً بالرسائل. التقيت أشخاصاً للحدث حول العمل وتناولت الغداء معهم. ووعودوني بمزيد من العمل.

السبب كان بسيطاً. لم أكن أبداً انتقائياً حول الأعمال التي أؤكف بها. كانت لدي رغبة في القيام بأي شيء. وكنت أسلم العمل في وفته، ولم أكن أشكو أبداً وكنت أكتب بشكل جيد. كنت دقيقاً. وبينما كان الآخرون يتلكأون كنت أكتب بشكل أمين. ولم أكن أبداً فظاً حتى حينما يكون الأجر منخفضاً. فإذا تليفنت مكالمة في الثانية والنصف فجزاً تطلب عشرين صفحة من النصوص (مثلاً حول مزاجها الساعات غير الرقمية أو جاذبية المرأة بعد سن الأربعين أو أجمل البقاع في هلسنكي بالرغم من أنني لم أذهب أبداً إلى هناك) مع حلول الساعة السادسة صباحاً، كنت أنهي منها في الخامسة والنصف. وإذا ما عاودوا الاتصال من أجل إعادة السباجة كنت أنجز ذلك بحلول السادسة. ولذلك كنت أحظى بسمعة جيدة.

وهو الأمر نفسه بالنسبة لعجرف التلوج. دهها تمرط وسرف أريك بعضاً من مهاراتي في أعمال الطرق. ولأنه لم تكن لدي ذرة طموح واحدة ولا أدنى مشغال من التطلعات، فقد كان شاغلي الوحيد أن أنم الأعمال بشكل منظم. وأحياناً أنسامل هل يمكن أن يثبت أن هذا ليس سبب شغالي في الحياة؟ بعدما بددت الكثير من الحير والورق بنفسى، من أكون أنا حتى أشكو من التبدد؟ إننا نعيش في مجتمع رأسمالي متقدم على أية حال. التبدد هو اسم اللعبة، مل هو فضيلتها العظمى. ويستنبه

(3)

لا يحتاج الأمر إلى كبير جهد حتى نعتز على عمل وسط وكام مجتمع رأسمالي متقدم. وهذا بالطبع، ما دمت لا تطلب المستحيل.

حينما كنت ما أزال أدير مكنتي، كنت أقوم بجزء من التحرير والكتابة، وأنيح لي أن أعرف على عدد قليل من العاملين في المجال. ولذا لم يكن الأمر يستلزم مني الكثير من التفسير عندما شرعت في العمل الحرّ بالقطعة كما أنني وعلى أي حال لم أكن بحاجة إلى الكثير من المال.

أحضرت دليل الهاتف الخاص بي وأجريت بعض المكالمات، وسألت عما إذا كانت هناك أي أعمال متاحة. فقلت إنني مستعد لتلقي بعض الأعمال. وعلى الفور تقريباً وحثت الأعمال ثأني. لم تكن مواد شائعة، إذ كانت غالبيتها مجرد حشو لرسائل إخبارية خاصة بالعلاقات العامة وكتيبات الشركات. وينظر: عملية يمكنتي القول إن نصف المواد التي كنت أكتبها كانت غير ذات معنى أو جدوى لأي أحد. مجرد مضيق للخشب وللحير. بيد أنني كنت أقوم بالعمل بشكل آلي ودونما تفكير. في البداية لم يكن عيب العمل بالكثير. ربما كنت أعمل لساعتين كل يوم. أما باقي الوقت فكنت أمضيه إما في النجوال في الشوارع أو مشاهدة فيلم. لقد شاهدت الكثير من

السياسيون «نحسينات في الاستهلاك المحلي». أما أنا فأسميها تبديداً بلا منزى إنه اختلاف في الرأي. لكنه لا يغير الطريقة التي نعيش بها. إذا لم تكن نروف لي، يمكنني الهجرة إلى بنغلادش أو السودان. ولأنني لست متحمساً للعيش في بنغلادش أو السودان، فغد واصلت العمل.

وخلال فترة قصيرة لم نعد أعمالي تنحصر على العلاقات العامة. فقد كُلفت بالكتابة لمجلات دورية. ولسبب ما كانت مجلات نسائية في معظمها، وبدأت أجري مقابلات وأعد تقارير قصيرة نحتاج إلى جهد جهيد. ولكن في واقع الأمر لم يكن العمل أفضل كثيراً من الرسائل الإخبارية الخاصة بالعلاقات العامة. وبسبب طبيعة هذه المجالات فمعظم الشخصيات التي علي أن أحاورها كانت تعمل في صناعة الترفيه. ومهما كانت أسئلتك فليس لديهم سوى الأجوبة المعلقة. يمكنك التنبؤ بإجاباتهم قبل أن توجه لهم السؤال. وفي أسوأ الحالات كان مدير أعمال هذه الشخصية أو تلك يصر على الإطلاق على الأسئلة مسبقاً. ولذلك كنت أجوز كل شيء بشكل مكنوب. وذات مرة سألت مطربة في السابعة عشرة من عمرها عن شيء لم يكن ضمن قائمة الأسئلة، وهو ما استدعى من مدير أعمالها التدخل: «ليس هذا ما اتفقتنا عليه. لا يتعين عليها الإجابة عن ذلك». كان ذلك بمثابة الركلة. ونعجبت ألا يمكن لهذه الفتاة أن تجيب عن سؤال: أي المشهور بعقب أكثر من دون أن يكون هذا المدير بجوارها. ومع ذلك كنت أبذل قصارى جهدي. قبل كل مقابلة، كنت أقوم بإعداد جيد في البيت من خلال تصفح المصادر المتاحة ومحاولة وضع أسئلة لم نخطر على بال الآخرين. وكنت أجهد نفسي حتى بناء الموضوع. لكن كل ذلك لم يكن يتألق أي تقدير خاص. فلم أنلق ولو مرة كلمة ثناء. كنت أفعل ذلك من أجل الانضباط الذاتي ولإعطاء أصابع يدي

ورأسي المعطلين جرعة عملية من العمل الزائد، وإن أمكن غير مؤذية.

إنه إعادة تأهيل اجتماعي.

بعد ذلك كانت أباي مزدحمة بالعمل أكثر من ذي قبل. لبس فقط بسبب مضاعفة عبء العمل المعتاد مرتين أو ثلاثة، ولكن أيضاً بسبب الأعمال المستعجلة. بلا شك كانت الأعمال التي لا تجد من يفهم بها، نجد طريقها إلي. كان دوري في هذه الدوائر أشبه بساحة إلقاء المهملات الواقعة على حافة المدينة. فأي شيء وخصوصاً إذا كان معقداً أو مؤلماً سوف يتم شده تحوي للتخلص منه.

بلغ حساب مدخراتي أرقاماً لم أر مثلها أبداً، فقد كنت مشغولاً إلى درجة نشغلني عن إنفاق أكثرها. ولذلك حينما عرض علي أحد معارفي صفقة جيدة تخلصت من سيارتي المصدعة واشترت سيارته «سوبارو ليون» المصنوعة قبل عام واحد فقط. لم نقطع أي أميال تذكر. كانت مزودة بسنبرو ومكيف هواء. بداية حفيضة بالنسبة لي. كما انتقلت إلى شقة في منطقة شيبويا<sup>(2)</sup> الأقرب إلى وسط المدينة. كانت أكثر ضوضاءً. فالطريق السريع يمر بحانب نافذتي مباشرة- ولكنك تعناد على ذلك.

نمت مع قليل من النساء اللاتي التقيتهن من خلال العمل.

إعادة تأهيل اجتماعي.

كانت لدي حاسة أميز بها مع أي النساء ينبغي أن أنام، وأيهن سأفكر على النوم معها، وأيهن لن أفكر. بل وحتى من التي لا يجب علي النوم معها. إنه ذكاء يكتسب مع التقدم بالعمر. كنت أعرف أيضاً

(2) شيبويا اسم منطقة تجارية تقع في وسط العاصمة اليابانية طوكيو لكن في النص الأصلي لا يذكر اسم طوكيو

منى أنهى العلاقة بشكل سلس ولطيف بحيث لا يتأذى أحد . الشيء الوحيد الذي كان مفقوداً هو مشاعر الحب العميق .

أعمق علاقة دخلت فيها كانت مع امرأة تعمل لدى شركة الهاتف . التقينا في حفل رأس السنة . كلانا كان مثلاً ، تبادلنا التكات وأحب كل منا الآخر ، وانتهى بنا الأمر في شغني . كان لها رأس جيد فوق كتفها وصافان رهينان . كنا نخرج معاً في سيارتي السوارو كانت نتصل بي كلما راق لها ، ونأتي إليّ فننسي اللبلة معاً . كانت فرص نجاح علاقتنا نكاد نكون معدومة . وعلى الرغم من أن كلانا كان يعلم أن علاقتنا لا يمكنها الذهاب لأبعد من ذلك ، فقد كنا نتفق بشكل ضمني على تجاهل حقائق الحياة . عشت لأول مرة أياماً من السلام لم أذوقها منذ زمن . كنا نبادل الحب وتكلم بلغة الهمس . كنت أطبخ لها وأقدم لها الهدايا في عيد ميلادها . كنا نذهب حيث موسيقى الجاز ونرناد حفلات عليّة القوم التي تُقدّم فيها الشواب . لم ننتجادل ولو مرة واحدة . كان كل منا يعرف تماماً ماذا يريد منه الآخر . ومع ذلك فقد انتهت العلاقة . توقفت ذات يوم كما لو أن الفيلم خرج عن الشريط .

نوك رحيلها لدي فراغاً أكثر مما نصورت . بل إنني لزممت مرة ثانية شغني لفترة من الزمن .

والمشكلة هي أنني لم أكن أريدها ، لم أكن أريدها حقاً . أحببتها وأحببت أن أكون معها . لقد أعادني إلى المشاعر السامية . ولكن المهم في الأمر هو أنني لم أشعر أبداً بالحاجة إليها . ولم نكد نمرّ ثلاثة أيام على خروجها من حياتي حتى أدركت تلك الحقيقة . إنما في نهاية الأمر ، كنت خلال الفترة التي أمضيتها إلى جولرها أحلّق في الهواء من مرط السعادة . لكنني وطوال الوقت الذي كنت أستمع وأنلّس فيه نهدتها ، كنت في واقع الأمر أرغب في شيء آخر .

استغرق الأمر مني أربع سنوات لأتمكن من إعادة بناء حياتي مرة أخرى على أرض صلبة . كنت أتم كل قطعة عمل تأتيني بعناية ، وبدأ الناس يشعرون أن بإمكانهم الاعتماد عليّ . بل أصبح القليل منهم ، وليس الكثير ، ودودين معي . إلا أن ذلك من دون شك لم يكن كافياً . لم يكن كافياً على الإطلاق . هنا أمضيت كل هذا الوقت محاولاً الوصول إلى سرعني الممهودة في الأداء وقد عدت فعلاً إلى حيث بدأت .

فلت في نفسي : إن سن الأربعة والثلاثين هي المربع رقم واحد . ماذا تفعل الآن؟

لم يكن يتعين عليّ التفكير ملياً في ذلك . كنت أعرف بالفعل . لقد كانت الإجابة نحوم فوق رأسي مثل سحابة سوداء كثيفة . كل ما كان عليّ عمله هو القيام بعمل معين بدلاً من تأجيله المرة تلو المرة . كان لا بد من الذهاب إلى فندق الدولفين . حيث بدأ كل شيء .

كان لا بد لي أحياناً أن أعثر عليها . تلك المرأة التي كانت أول من دثني على فندق الدولفين والتي كانت بائعة هوى للصفوة في عالمها الليلي المحاط بالأسرار . (هي طل ظروف غريبة أتيت لي أن أعرف اسم هذه المرأة التي كانت مجهولة الاسم في وقت لاحق . ولكن لأسباب العلامة وبالرغم من أن ذلك امرأ غير تقليدي فإني سوف أخبرك به الآن . استبجك عذراً على ذلك . اسمها كيكبي .) نعم كيكبي . كان المفتاح بحوزتها . كان لا بد لي من أن أستخدمها . إلى حياة معي تركتها بلا هودة . هل كان ذلك ممكناً؟ من كان بذري ، بيد أنه كان لا بد لي من المحاولة . ومن هذه اللحظة سوف نبداً دائرة جديدة .

حزمت حقائبي ، ضاعفت الوقت المبدول للانتهاء من الأعمال المعلقة ، ثم فعت بإلغاء الأعمال التي كنت حددت لها مواعيد في الشهر التالي ، كنت أقول إنني مغادر طوكيو في شأن عائلي ، تبرز من

ذلك محرران ولكن ماذا عساهما فاعلين؟ أنا لم أخيب ظنهما أبداً قبل ذلك، وأكثر من ذلك قد أخطرتهما مسبقاً للبحث عن بدائل ووسائل أخرى. وفي النهاية كان كل شيء على ما يرام بعدما أبلغتهما بأنني سأعود في غضون شهر.

بعدئذ أخذت الطائرة إلى هوكايدو. كان ذلك في بداية مارس 1983.

بالطبع لم ينته الشأن العائلي بأي شكل خلال الشهر.

(4)

استأجرت سيارة ليومين وقمت أنا والمصور بجولة حول هاكوديت وسط الثلوج لتفقد مطاعم المدينة.

أنا أجيد البحث وأتمتع بكفاءة ومنهجية عاليتين. إن الشيء الأهم في هذا النوع من الأعمال هو أن نتجهز لها ونضع برنامجاً. هذا هو المفتاح. حينما يتعلق الأمر بجمع المواد مسبقاً، فلا يمكنك أن تنفوق في هذا المجال على المؤسسات التي تجمع المعلومات عن الأشخاص. وعندما تصبح عضواً لديهم وتدفع الرسوم، سوف يبحثون لك عن كل شيء تقريباً. فإذا تصادف قيامك ببحث حول أماكن تناول الطعام في هاكوديت، فيمكنهم إجراء عملية بحث جيدة. إنهم يستخدمون نظام الاسترداد الخاص بالحاسب الآلي Main Frame، فيرتبون الأشياء على هيئة ملفات ويطبعون نسخاً ورقية، حتى إنهم يقومون بالتوصيل حتى عتبة البيت. أعترف أن التكلفة ليست رخيصة، ولكنها تستحق الكثير بسبب ما توفره من وقت.

وفوق ذلك أنا أقوم بنفسي بغلب من البحث عن المعلومات. فهناك غرف خاصة للأفراد في موضوعات الأسفار والرحلات، وهي مكتبات تقوم بجمع الصحف المحلية والمطبوعات الإقليمية. ومن بين كل هذه المصادر كنت أنتقي أفضلها ثم أعمل بهم للتأكد من ساعات

عملهم. ولأنني كثيراً ما قمت بذلك، فغد وفر ذلك عليّ الكثير من العناء داخل المكتب. كنت أقوم بعد ذلك بوضع خطة العمل وتحديد جدول كل يوم. أنظر في الخرائط وأضع علامات على الطرق التي سنسلكها، محاولاً تقليل الأمور غير البهيمية إلى الحد الأدنى.

ما إن وصلنا إلى هاكوديت حتى ذهبت أنا والمصور في جولة على المطاعم بالترتيب. كانوا حوالي ثلاثين مطعماً، تأخذ قضيتين - بما يكفي فقط لمعرفة الطعم، ثم نترك باقي الوجبة كما هي. تحسينات في الاستهلاك. كنا ما زلنا نعمل بشكل غير مكشوف في هذه المرحلة، ولذا لم نلصق أي صور. فقط بعد الخروج من المبنى أقوم أنا والمصور بالتفاهش حول الطعام وتقييمه على أساس سقم من واحد إلى عشرة. فإذا حاز على درجة مقبول، يظل على القائمة، وإلا يتم حذفه. كنا نفكر بشكل عام في إسقاط النصف على الأقل. وبالتالي مع ذلك كنا نقوم بنصف الصحف المحلية بحثاً عن قائمة الأماكن التي فائتاً، وربما اخترنا منها خمسة. ونذهب إلى هذه أيضاً ونستبعد التي دون المستوى. وحينئذ نكون قد وصلنا إلى القائمة النهائية. ثم اتصل بهم وأعطيتهم اسم المجلة وأبلغهم عن رغبتنا في إعداد تقرير صحفي عنهم - تقرير مصحوب بالصور. كل ذلك في نهارين. أما في المساء فكننت أمكت بالفندق لوضع النسخة الرئيسية. وفي اليوم التالي وبينما كان المصور يأخذ لقطات سريعة للطعام وصفت الموائد، كنت أنا أتحدث إلى أصحاب المطاعم. توفيراً للوقت. ولذلك يمكنني أن أسميها غنام في ثلاثة أيام. إحقاقاً للحق هناك آخرون يقومون بذلك في وقت أقل. ولكنهم لا يقومون بأي عمليات بحث. إنهم يعملون على حفة من أماكن الطعام المعروفة ويقومون بجولة سريعة عليها من دون أن يتناولوا أي طعام، ويكتبون تعليقات موجزة. هذا شأنهم وليس شأنني. وإذا جاز لي أن أكون

صريحاً صراحة مطلقة فإنني أشك في أن الكثير من الكتاب ينجحون من العناء مثلما أتجسم أنا في مرحلة إعداد التقرير الصحفي. إنه ذلك النوع من العمل الذي يمكن أن يكسرك إذا ما أخذته بجذبة أكثر من اللازم، وإلا فليس أمامك إلا التمرد وألا تقوم بعمل شيء تقريباً. وأسوأ ما في الأمر سواء كنت تأخذ بهجدياً أو لمجرد قتل الوقت فإن الفرق بالكاد سوف يظهر في المقالة النهائية. على السطح. في النقاط الدقيقة فحسب، يمكنك أن تتلمس علامات التميز.

إنني لا أشرح ذلك من قبل الفجر أو أي شيء

كنت أريد فقط أن تتبلور لديك فكرة عامة عن العمل ونوعية العقبات التي أتعامل معها.

وفي الليلة الثالثة أنني الكتابة.

أما اليوم الرابع فبترك خالياً من أي أعمال نحسباً لأي طارئ.

ولكن نظراً لأن العمل استكمل وليس لدينا أي شيء آخر، استأجرنا سيارة وذهبتنا في يوم للتزلج. في ذلك المساء، جلسنا لاحتساء الشراب مع وجبة طعام ساخن ولذلك. إنه يوم للاستجمام. حولت ما كتبه للمصور وهذا ما كان. انتهى دوري وأصبح العمل في يد شخص آخر.

ولكن قبل الذهاب إلى النوم في ذلك المساء، طلبت من خدمة الدليل الهاتفية في سابورو رقم هانف فندق الدولفين. لم يكن عليّ الانتظار طويلاً. جلست في الفراش وأنا أنتهد. حسناً على الأقل فإن فندق الدولفين لم يخف. لم أكن قلقاً بحسب ما أظن. لأنني لم أكن لأدهش لو أن مكاناً غريباً مثله قد اختفى. أخذت نفساً عميقاً، واتصلت بالرقم وعلى الفور أجاب شخص ما على الطرف الآخر. كما



لو أنهم كانوا في انتظار رنة الهاتف. ولذلك فقد جفئت على الفور في واقع الأمر.

ورد صوت فيه بهجة: «فندق الدولفين، مرحباً بكم!».

كانت فناء. فناء؟ ماذا بجري؟ لا أتذكر أن الفندق كان فيه فنيات.

لم أستوعب، ولذا فحسنت العنوان للتأكد من أنه هو. نعم إنه العنوان ذاته الذي كان لفندق الدولفين الذي عرفته. ربما كان الفندق قد وُظف بنت أخت صاحب الفندق أو شيئاً من هذا القبيل. ليس ثمة ما يبعث على الاستغراب بشدة من ذلك. أخبرتها أنني أوغب في تسجيل حجز.

أجاب: «شكراً جزيلاً سيدي. لحظة من فضلك وسأحوّلك إلى قسم الحجز لديها».

قسم الحجز لدينا؟! الآن اغتسلط الأمر عليّ حقاً. إنني لم أستوعب الأولى. ما الذي حدث لذلك الفندق القديم؟

«معتذراً عليّ جعلك تنتظر. هذا هو قسم الحجز. كيف يمكنني مساعدتك؟» كان الصوت هذه المرة لشاب. إنه صوت نوحى نعمته بالود والحبوبة، وبأن صاحبه شخص متمرس في الفندقة. وهو ما زاد من فضولي فضولاً.

طلبت غرفة مفردة ثلاث ليال. أعطته اسمي ووقم هاتفي في طوكيو.

«حسنًا سيدي. لديك ثلاث ليال تبدأ من الغد. غرفتك في انتظارك».

لم أجد ما أقوله حيال ذلك. لذا شكرته وأنتهت الاتصال وأنا نتملكني حائلة من الارتباك الكامل. أما كان يتعجب عليّ أن أطلب

تفسير؟ سوف يتضح كل شيء بمجرد وصولي إلى هناك. وعلى أي حال فانا لا يمكنني إلا أن أذهب. لم أكن أملك بديلاً.

طلبت من الاستعلامات تفحص مواعيد الفطارات المنجبة إلى صابورو. بعد ذلك طلبت من خدمة الغرف إرسال فنيّة من الويسكي وبعض الثلج وظللت أشاهد فيلمًا في آخر الليل على التلفزيون. قبلما لكلبت استنورد. لم ينسم كلنيت مرة واحدة، ولم يمتنعض. حاولت أن أضحك، لكن وجهه ظل خالبًا من التعبير. انتهى الفيلم وكنت قد انتهت من شرب الويسكي وحببتها أطفأت الأنوار ونمت مباشرة طوال الليل. هل انتابتي أي أحلام، لا أتذكر.

كل ما كنت أستطيع رؤيته من خلال نافذة فطار الصباح الباكر هو الثلج. كان يوماً ساطعاً وصافياً ولذا كان وهج النهار يبهّر البصر. لم أر أي مسافر غيري ينظر من النافذة. كانوا كلهم يعرفون كيف يبدو الثلج.

لم أذهب لتناول الإفطار، ولذا توجهت لعربة الطعام قبل الظهيرة بفيل. تناولت بعض المعجّة واحسيت البيرة. وفي قبائلي كان يجلس رجل في الخمسينات يرتدي بذلة وربطة عنق ويتناول ساندويتشاً من لحم الخنزير وبيرة. كانت هيئته نوحى بأنه مهندس ميكانيك وهذا هو ما كان بالفعل. ابنتوني بالحديث فأتلاً إنه كان يقوم بصيانة طائرات قوات الدفاع. ثم أخبرني كيف كانت المغاملات والغافقات السوفياتية تغزو مجالاً الجوي من دون أن يبدو عليه أنه متضايق بشدة من ذلك. لقد كان معبئاً أكثر بمدى نوفر طائرة الفاننوم إف 4 في استهلاك الوقود. ما هو مقدار الوقود الذي تستهلكه في كل طلعة، بأنه من تبديد. «لو أن اليابانيين هم من صنعوها لأمكنك الرهان على أنها كانت ستكون أفضل كفاءة. ودون أن يكون ذلك على حساب الأداء

أيضاً! ليس هناك ما يجعلنا لا نستطيع صنع مقالة متخففة التكلفة إذا ما أردنا ذلك.

كان ذلك بينما كنت أردد عبارات الحكمة بأن التهديد صار هو أعلى الغسائل التي يمكن للمرء أن يبلغها في المجتمع الرأسمالي المتقدم إن مجرد شراء اليابان لطائرات الفانتوم من أمريكا وتخصيمها لكميات هائلة من الوقود يعطي دفعة قوية لعجلة الاقتصاد العالمي وهذه الدفعة توقع الرأسمالية نحو مزيد من القوة. وإذا تم إنهاه كل أشكال التهديد، فسيحلّ هلع جماعي وسيتهاو الاقتصاد العالمي. إن التهديد هو وجود التناقضات والتناقضات تشطّ الاقتصاد والاقتصاد التشطّ يتجّ المزيد من التهديد.

على الرغم من أن المهندس أفرّ بذلك، إلا أن كونه كان طفلاً في زمن الحرب وتعين عليه أن يعيش في ظروف من الحرمان، فإنه لم يستطيع فهم ماذا يعني ذلك النظام الاجتماعي الجديد. وقال وهو يتصنع ابتسامة: «إنّ جبلنا ليس مثلكم أنتم الشباب. إننا لا نفهم مثل هذه التعقيدات التي لديكم».

لا يمكنني القول إنّي فهمت ذلك تماماً، ولكن لأنني لم أكن متحمساً لأن يمتد النقاش أكثر من ذلك، فقد التزمت الصمت. لا إنني لست معانداً على هذه الأمور، إنني فقط أدركها على ما هي عليه. ثمة قارفي حاسم بين هذين المقترحين. وكنت قد أنهيت لتوي عتني فاستأذنت منه وانصرفت.

نمت لثلاثين دقيقة ثم أمضيت باقي الرحلة في فرازة السيرة الذاتية لجاك لندن كنت اشتريت الكتاب بالقرب من محطة هاكوديت. مغارة بالبحاح الكبير والرومانسية في حياة الكاتب الأمريكي جاك لندن فقد يدا وجودي أشبه بقار يستد رأسه على حبة جوز فتأخذه غفوة من النوم حتى حلول الربيع. في الوقت الحالي كان هذا هو الوضع. ولكن

هكذا هي السيرة الذاتية. أقصد من ذا الذي سيقراً عن الحياة والأوقات الهادئة لشخص يعمل في مكنية يلدية كاوازاكي؟ بعبارة أخرى، إن ما تبحث عنه هو نوع من التوقيض عن ما تنجّشه.

حينما وصلت إلى سابورو قررت أن أنمشي إلى القنّدي. كان الطقس ممناً يعد الظهيرة ولم أكن أحمل سوى حقيبة كتب.

كانت الشوارع مغطاة بطبقة رقيقة من الثلج قهما كان المارة يبدقون النظر بمنية في أقدامهم. كان الهواء منعشاً. وكانت طالبات المدارس الثانوية يحدثن جلبة بأصواتهم ووجناتهم المحمرة تشع أنفاساً بيضاء يمكنك أن تكتيب بواسطتها نعلبات لرسوم الكاريكاتير. واصلت سيرتي بشمّل مسجلاً معالم المدينة. لقد مرت أربع سنوات ونصبت منذ آخر مرة كنت في سابورو. كانت السدة تبدو أطول من ذلك.

توقفت في مقهى على الطريق. كان كل شيء حولي طبعياً، أجواء المدينة العادية تسير بشكل عادي وكذلك الشؤون اليومية. كان المشاف بهمس كل منهم للأخر، ورجال الأعمال يفكرون في جدول الأعمال، وأطفال المدارس يخططون لرحلة التزلج التالية ويتناقشون حول أغنيات الألبوم الجديد لقرقة بوليس. كان ما يحدث يمكن أن يكون في أي مدينة في اليابان. يمكنك أن تجد المشهد نفسه في مغارة في يوكوهاما أو فوكوكا ولن يبدو أي شيء في غير مكانه. وعلى الرغم من كوني - أو بالأحرى لأنني كنت - أجلس هنا في هذا المقهى أحسني قهوتي وأشعر بوحدة اليانس، كنت أنا الوحيد الدخيل. لم يكن ثمة مكان لي هنا.

بالطبع وبالطريقة نفسها لم أكن أستطيع القول إنني أنتمي إلى طوكيو ومقاهيها. ولكني لم أضمّر أبداً بمثل هذه الوحدة هناك. يمكنني أن أحسني قهوتي وأقرأ كتابي وأمضي باقي النهار من دون أي

أفكار من نوع خاص وذلك كله لأنني كنت جزءاً من المشهد المعتاد .  
أما هنا فلم يكن نمة ما يربطني بأي شخص . والواقع هو أنه سوف  
يتعين عليّ إصلاح نفسي .

دفعتم الحساب وانصرفتم . ثم اتجهت صوب الفندق .

لم أكن أعرف الطريق تماماً ، وكان بداخلي بعض الشك في أنني  
ربما أضلّ الطريق إلى الفندق . لكن ذلك لم يحدث . وكيف لأي أحد  
أن يضلّ؟ لقد تحوّل الفندق إلى سيمفونية من الزجاج والصلب تمزج  
الفن بالمعمار وترتفع في السماء متلاكنة لئسة وعشرين طابقاً ، زينها  
أعلام الدول التي توفّر على واجهة الفندق ويحني البوابون في زيّهم  
الأنين سيارات الناكسي ، وكذلك مصعد زجاجي ينطلق لأعلى  
للوصول إلى مطعم فوق سطح الفندق . وكان مدخل الفندق يزيّنه  
عمود من المرمر نفّشت عليه عبارة :

### فندق الدولفين

نوفت هناك لما يزيد على عشرين ثانية فاغراً فمي ومحدّفاً  
بناظري في الفندق . ثم زفرت نفساً عميقاً وطويلاً كان يمكن أن يصل  
مباشرة وبسهولة إلى الغمر . لم تكن كلمة الاندهاش بقدرة على التعبير  
عما انتابني من شعور .

### (5)

لم يكن بإمكانني الوقوف محدّفاً بيّله في الواجهة إلى الأبد . مهما  
كان هذا المبني فالتنوان كان صحيحاً كما هو الاسم أيضاً . وعلى أي  
حال كان لديّ حيز ، ألبس صحبجاً؟ لبس عليّ إذأً إلا الدخول .

صعدت الطريق المزلق بلطف ودخلت من باب دوار من النحاس  
اللامع . كان البهو من الاتساع بما يكفي لأن يكون صالاً رياضية ، أما  
السقف فكان يرتفع بمقدار طابئين على الأقل . نمة حائط زجاجي كان  
يرتفع بارتفاع الفندق ومن خلاله يندفق ضوء الشمس الرائع بغزارة .  
كانت الأرضية قد غرست بمجموعة من الأرائك الفاخرة والتي ننخلها  
بعض أشجار الزينة . وكان الديكور العام يركّز على ثلاث لوحات  
زينية كبيرة . لم يكن لأي منها قبة فنية بارزة ولكنها كانت مثيرة  
للإعجاب ولو من ناحية حجمها فقط . وفي الناحية القصوى من البهو  
كان نمة بار فخم لطلب القهوة . إنه ذلك النوع من المكان الذي نطلب  
فيه سانتوينشاً فيحضررون لك أربع قطع صغيرة مرصوفة مثل بطاقات  
الانصال على صينية من الفضة تم نزيينها بشرائح من البطاطا  
والخضروات ، أضف إلى ذلك فنجاناً من القهوة ، وسوف تجد أنه  
يتعين عليك أن تدفع ما يكفي لشراء وجبة غداء كاملة لأسرة مفصدة  
تألف من أربعة أفراد .

كان اليهو بغض بالنزلاء . ثمة نشاط ما على ما يبدو كان يجري . هناك مجموعة من الرجال في أواسط أعمارهم ويمتلكون أثيقة بجلسون على الأرائك متقابلين ، يومنون برؤوسهم ويتسمون بسخاء . ثغورهم بارزة وسبقانهم منافعة بشكل منسق . هل ينتمون إلى مؤسسة ما؟ ربما أطباء أو أساندة جامعة؟ وحولهم كانت مجموعة من الفتيات - ربما كن جزءاً من الجمع نفسه - يتحلفن ويتحدثن بصوت هامس وهنّ في ثياب رسمية ، بعضهن كن يلبسن الكيمونو فيما لبست الأغربيات لباساً طويلاً يمتد حتى الأرض . كان هناك عدد قليل من الفريين أيضاً ، ناهيك عن بعض رجال أعمال يابانيين يبدّأهم السرداء وربطات عنق وحفائب أثيفة في أيديهم .

باختصار كانت الأعمال مزدهرة في فندق الدولفين الجديد .

ما كان لدينا هنا هو فندق أنفقت عليه أموال والأمن يحقق عوائد كاملة . ولكن كيف حدث ذلك بحق الجحيم؟ حسناً يمكنني أن أختن بالطبع . من خلال فباي ذات مرة بصياغة نشرة علاقات عامة لسلسلة فندقية ، فإني أعرف العملية برمتها . قبل تشييد فندق بهذا الحجم ، يقرم شخص ما أولاً بتحديد التكاليف الخاصة بكل جانب من جوانب المشروع بالتفصيل ، ثم يتم استدعاء المستشارين ويتم إدخال كافة المعلومات في حواسيبهم الآلية من أجل دراسة شاملة . يؤخذ كل شيء في الاعتبار بما في ذلك سعر الجملة وحجم أوراق الحمام التي تُستهلك . ثم يتم تعيين بعض الطلبة للقيام بجولة في المدينة - ساپورو في هذه الحالة - للقيام بمسح للسوق . يستقون الشبان والشابات في الشوارع ويسألونهم عن عدد حفلات الزفاف التي يتوقعون حضورها كل عام . لعلك أدركت ما حدث . إن الغلبل يتم تركه بدون دراسة ، كل ذلك لتفليل عنصر المخاطرة .

لذلك ففد بذل فريق مشروع فندق الدولفين جهوداً مضنية على

مدى شهر كثيرة لرسم خطة هي أدق ما يكون . اشتروا الأرض وجمعوا الموظفين وحصلوا على مساحات إعلانية براقفة . إذا كان الحال هو كل ما يحتاج إليه الأمر - ولأنهم كانوا مفتنعين بأنهم سيستردونه - فلن يكون ثمة نهاية للأموال التي سبصونها فيه . إنه عمل كبير يجري بحسب نظام مدروس .

والآن فإن الشركات التي يمكنها البدء في مثل هذه المشروعات الكبيرة هي تلك الشركات المتدمجة الضخمة . وذلك لأنه حتى بعد استبعاد المخاطر ، بطل احتمال وجود بعض عناصر عدم اليقين المتخفية فائماً في الخفاء وهو الأمر الذي يمكن فقط للاعب كبير أن يستوعبه .

وحتى أكون أميناً ، فإن فندق الدولفين الجديد لم يكن اختياري . أو على الأقل وفي الظروف العادية وإذا كان عليّ أن أختار مكاناً لأقيم فيه ، فإني لم أكن لأختار فندقاً مثل هذا الفندق . فأسعاره مرتفعة جداً .

توجهت إلى مكتب الاستقبال وأعطيت اسمي ، فرحبت بي فتيات ثلاث كن يرتدين سترات زرقاء فاتحة وعلى وجوههن ترنس إمبسامات تشبه تلك التي تراها في إعلانات معجون الأسنان . لا بد أن التدريب على الإمبسامات قد تم نضمينه في رأس المال الذي أنفق . كنّ ثلاثهن بشنوراهن الناصعة البيضاء وبسريجات شعورهن الأنيقة في بهو الاستقبال يستحقن أن تُنقط لهن الصور . ومن بين الثلاث كانت إحداهن ترتدي نظارة تناسيبها بشكل جميل . حينما خفّطت نحوي استتموت بدفعة من الراحة حقاً . كانت أجملهن وأكثرهن قبولاً . ثمة شيء في تعبيرات وجوهها لمس لديّ وتراً ، شيء فيه تجسيد لروح الفندق . بل كنت أتوقع أنها ربما تحمل في يدها عصا سحرية ، كما لو كانت في فيلم من أفلام ديزني لاند ، فنخرج كرات من الثلج .

من الصعب للغاية أن نحبس أنفاسك ونواصل الابتسام. جرب ذلك إن لم تكن تصدقني.

وقالت ثانية: «أسف جداً». ولكن هل يمكنك الانتظار للحظة؟ ثم دلفت إلى باب لغرفة ثم بعد الدقائق تلك ومعها رجل في الأربعين من عمره يرتدي بدلة سوداء. كان مظهره يوحي بأنه شخص فندقي حقيقي. لقد التقت الكثيرين منهم خلال عملي. إنهم كانوا متشككين لديها بعض أوشعرون ابتساماً مختلفة جاهزة للاستخدام لدى كل ظرف من الظروف المتنوعة. فمن الابتسام الهادئة والودودة عبر العابسة إلى الابتسام المرضع المعوجة من الرضا. إنهم ينحكمون في ترسانة الابتسامات كلها من خلال الأرقام مثل نواصي الغولف لبعض الضربات.

فالي وهو يطلق ابتساماً مترسقة المني نحوي مصحوبة بانحناء مهذبة من رأسه: «هل يمكنني أن أساعدك إذا سمحت؟» لكنه ما إن لاحظ ملاسي حتى تراجع ابتسامته سريعاً ثلاث درجات. كنت أردي جاكيتاً زاهياً صلباً بالفراء ما أزرار «كيت هارينج» في منطقة الصدر وقبعة مصاوية وينتلاً قبة الكثير من الجيوب وحذاء عجل. كلها كانت قطع من الملابس العملية والجسدية لكنها لم تكن تتلاءم مع بهو مثل هذا القنقل. ليس ثمة خطأ مني، بل مجرد اختلاف في نمط الحياة.

قال بشكل واضح: «اعتقد أن لديك سؤالاً بشأن فندقنا؟» وضعت يدي على محاولة الاستقبال وكررت استشاري.

ومر الرجل ساعة حيكي مارس التي ألبسها بذات الغلق المجرد من المشاعر التي ربما يوجهها طبيب يطير نحو قطة تهشم مخلبها.

ثم استعاد هدوءه ليتكلم وقال: «هل لي أن أسأل لماذا نرغب في

ولكن بدلاً من العصا السحرية، استخدمت حاسوباً حيث طبعت اسمي ورقم بطاقة الائتمان الخاصة بي بشكل سريع وتحققت من البيانات الموجودة على الشاشة لديها. ثم سلمتني البطاقة الممغنطة للغرفة رقم 1523. ابتسمت وأنا أتأكد منها قبل الفندق. سألتها: متى افتتح الفندق؟ أكتويير أجابت بشكل تلقائي «قريباً» إنه في الشهر الخامس من التشغيل الآن.

«هل تعلمين؟» قلت وأنا أنصع بابتسامي، «إنني أكاد أنذكر مقداراً صغيراً يحمل ابتساماً مشابهة كان في هذه البقعة قبل عدد قليل من السنوات. هل لديك أي فكرة عما حدث له؟».

شاب ابتسامتها انزعاج خفيف، وانتشرت موجات هادئة عبر تقاسيم وجهها كما لو أن قنبلة من البيرة الغيت في نبع مقدس. وبمرور الوقت هدأت هذه التموجات لتصبح ابتسامتها المصطنعة أقل بهجة مما كانت عليه. لاحظت هذه التغيرات باهتمام بالغ. هل يبدو أن عقيرتي تسع يسأل عما إذا كانت التقنية التي تخلصت منها ذات غطاء فضي أو ذهبي.

أجابت بتهوية من السؤل وهي تحرك جسر نظارتها بيبائها فائلة: «حسناً الآن». لقد كان ذلك قبل أن نرفع أجوابك لكافانني حفيظة لا أستطيع...

نوقشت عن الكلام. اضطررت أن تستأنف الكلام ولكنها لم تفعل.

وقالت: «أسف جداً» مرت ثوان. شعرت بانجذاب نحوها. أردت أن ألمس نظارتي أيضاً غير أنني لم أكن أرغب في أي نظارات. وقلت: «آه. حسناً. إذاً هل ثمة من يمكنك سؤاله؟».

حبست أنفاسها لثيرة وهي تفكر في الأمر. تلاشت الابتسامه.

معرفة ما حدث للفندق السابق؟ إذا لم يكن لديك مانع في أن أسألك طبعاً؟»

شرحت ذلك كأبسط ما يكون: قبل عدد من السنوات كنت أقيم في فندق الدولفين القديم وحدث أن تعرفت على المالك. والآن وبعد مضي سنوات ما أنا ذا أزرر المكان فلذا بكل شيء. قد تغير تماماً. وهو ما جعلني أتساءل عما أُلِمَّ بالرجل العجوز؟

أوما الرجل وفد اكتسى وجهه بعلامات الانتباه.

وقال وهو ينقي كلماته بعناية: «بكل صدق إنني لست مطلعاً تماماً على التفاصيل بشكل تام. لكن ما أفهمه عن تاريخ هذا الفندق هو أن شركائنا لشنوت المكان الذي كان يوجد فيه فندق الدولفين السابق وشهدت مكانه ما نراه الآن أمامنا. وكما ترى فقد تم الاحتفاظ بالاسم لكل النيات والأغراض ولكن اسمح لي بأن أؤكد لك أن الإدارة منفصلة تماماً ولا يوجد أي شيء يربطها بسابقتها».

- إذا لماذا نحتفظون بالاسم؟

- اسمحك عزراً، يؤسفني حقاً القول إنني لا أعلم...

- أظن أنك لن يكون لديك فكرة عن أين يمكنني العثور على المالك السابق؟

أجاب وهو يتقل إلى الأبنسامة رقم 16: «آسف، ولكن لا، ليس لدي فكرة...»

- هل هناك أي شخص آخر يمكنني سؤاله؟ شخص ربما يعرف؟

أجاب الرجل وهو يمد رقبته قليلاً: «نظراً لأنك مصمم، فلإننا جميعاً هنا مجرد موظفين وعليه فلإننا غير معينين تماماً بأي شيء. حدث قبل افتتاح هذا المبنى الحالي للعمل. ولذلك يؤسفني أن أقول إنه إذا

كان شخص مثلك يرغب في معرفة شيء معين فلن يجد غير أقل القليل في الواقع...»

لا ريب أن ما قاله مفهوم، ولكن نمة شيء لاح بخاطري. شيء مصطنع وغير طبيعي تبين من خلال إجابات كل من الفتاة والرجل الصارم الذي يجيب عن أسئلتي الآن. صحيح أنه لا يمكنني أن أضع أصبعي على شيء محدد، ولكنني أيضاً لا يمكنني استماعة ذلك. ما هلك إلا أن تجري نصيبك من المقابلات مع الشخصيات ومسوف تكتسب هذه الحاسة السادسة، فتعرف من خلال نغمة الصوت أن شخصاً ما يخفي شيئاً ما، ومن خلال تعابيره يمكن أن تعرف أنه يكذب. ليس لدي أدلة حقبية نمكنتني من مواصلة ذلك. مجرد شعور حدسي بأن هناك أكثر مما قيل.

رغم ذلك كان واضحاً أن لا فائدة من الضغط عليهما أكثر من ذلك. شكرت الرجل، فاعتذر مني ثم انسحب. بعدما نلاشت بذلك السوداء من أمامي، سألت الفتاة عن الوجبات وخدمة الغرف وأفاضت في إجاباتها. وفيما كانت تجيب كنت أحقد في عينيها مباشرة. عينا جميلتان. أقسم أنني كنت أرى فيهما أشياء وأشياء. ولكنها كانت حينما نلتقي عيناها بعيني بحمز رجوها خجلاً. وهو ما جعلني أنجذب إليها أكثر. لكن لماذا كان ذلك؟ هل لأن روح الفندق كانت تسكنها؟ على أية حال، شكرتها وانصرفت ثم أخذت المصعد إلى الطابق الذي أنزل فيه.

كانت الغرفة رقم 1523 غرفة جيدة. فمساحة كل من السرير والحمام أكبر بكثير من أن يكونا لشخص واحد. كما تم تزويد الحمام مجموعة متكاملة من الشاي ومرطبات الشعر وكريمات ما بعد لحلاقة بالإضافة إلى رداء الحمام. وكانت التلاجة منعلنة حتى آخرها

برجيات الطعام الخفيفة. وثمة طاولة تسع للكتابة والكثير من أدوات الكتابة والمعلقات. كانت خزانة الملابس كبيرة، والسجادة سمكية. خلعت معطفي وحذائي ورحت أتصفح دليل الفندق. يا له من فندق! لم يخلوا بأي شيء.

يمثل فندق الدولفين تطوراً جديداً بالكلية في المنطقة السكنية في وسط المدينة. مزود بأحدث أسباب الراحة وخدمات متواصلة على مدى أربع وعشرين ساعة. تتميز غرف ضيوفنا بالرحابة والفخامة. وتحتوي على مجموعة من المنتجات وبقعة المستوى ويسودها جو يبعث على الراحة، ومشاعر نبعث على الدفء المنزلي. مساحة احتياطية ذات وجه إنساني. كان ذلك ما قرأته في دليل الفندق. بكلمات أخرى لقد أنفقوا أموالاً طائلة ولذلك كانت الأسعار مرتفعة.

لقد تبين بالفعل أنه فندق رفيع المستوى. مساحة واسعة مع مركز للتسوق في الطابق السفلي، وحمام سباحة داخلي ومارونا وصالون لإكساب البشرة اللون البرونزي. ملاعب تنس وناد صحي مزود بمدرسين وأجهزة تمارين، قاعات مؤتمرات مجهزة بوسائل الترجمة الفورية، وخمسة مطاعم وثلاث قاعات للآنتظار، بل وحتى مقهى يعمل حتى آخر الليل. ناهيك عن خدمة سيارات الليموزين فضلاً عن تجهيزات أخرى متاحة لجميع النزلاء. كل ما يخطر ببالك سوف تجد أنهم فكروا فيه. هل خطر ببالك مهيط طائرة مروحية؟

تجهيزات ذكية وديكور وصل حالة من الكمال والإتقان.

ولكن ماذا عن المجموعة التجارية التي كانت تملك هذا الفندق وتديره؟ قرأت الدليل من البداية حتى النهاية مرة ثانية. ليس ثمة ذكر على الإطلاق للإدارة. أمر غريب بدون مبالغة. لم يكن متصوراً إلا أن سلسلة فنادق ذات خبرة واسعة يمكنها أن تدير مثل هذا الفندق

رفيع المستوى. وأي مشروع بهذا الحجم سيحرص على وضع علامته في كل مكان وينتجز كل فرصة للترويج لسلسلة فنادقه الكاملة. حينما تفهم في فندق من سلسلة فنادق «برنس» فلا بد أن يذكر الدليل كل فنادق السلسلة في اليابان. هذا هو المعمود.

ويعتد ذلك كان السؤال ما زال قائماً، لماذا يرغب فندق من هذه الفئة أن يقبل اسم فندق أشبه بسلسلة مهملات مثل فندق الدولفين القديم؟

لم أتمكن من الوصول ولو حتى إلى معلومة صغيرة نفيد في الإجابة عن ذلك السؤال.

ألقيت بالدليل فوق الطاولة، واستلقيت على الأريكة رافعاً قدمي لأعلى، ونظرت إلى خارج نافذة الطابق الخامس عشر حيث أقيم. كل ما كنت أستطيع رؤيته هو سماء زرقاء. شعرت كما لو أنني أحلق في السماء.

كل هذا كان جميلاً، ولكنني كنت أفنقد البار القديم سبباً السمة. كان هناك الكثير الذي يمكنني رؤيته من تلك النوافذ.

وقع الأقدام على الثلج الذائب في الشوارع بتردد صدهاء. لقد ذاب الثلج، وبالتالي لم يكن المشي تجربة سيئة على الإطلاق. كان الجو ما زال صحواً وصافياً. حتى أكوام الثلج المتراكم في كل الزوايا بدت ذات أثر سحر حينما تنعكس عليها أسواء أعمدة الإنارة في الشوارع.

لقد تغيرت المنطقة بشكل ملحوظ عما كانت عليه في الأيام القديمة. بالطبع هذه الأيام القديمة لم يمض عليها إلا أربع سنوات فقط. كما قلت، فإن معظم الأماكن التي ترددت إليها كانت تقريباً كما هي. كانت الأجواء المحلية هي نفسها أيضاً، ولكن علامات التغيير كانت تنتشر في كل مكان. أنشئت متاجر، واللوحات التي تشير إلى عملية التطوير القادمة كانت مثبته. بنات ضخمه كانت قيد الإنشاء. مطاعم البرغر والمتاجر المتخصصة في تصميم الملابس وصلات بيع السيارات الأوروبية ومقهى حديث يوجد بداخله ساحة من أشجار عيد الميلاد- ظهرت كل أنواع المؤسسات الجديدة واحدة بعد أخرى، مُهمشة بذلك الكتل السكنية القديمة ذات الثلاثة طوابق التي نبتت على الكآبة، وكذا المطاعم الرخيصة التي زينت مداخلها بالستائر السوداء التقليدية القديمة ومحلات الحلوى حيث تنام الفطعة بجوار الموقد. كان الخليط الغريب من أنماط الحياة يمثل عرضاً مؤقتاً للتعايش، تماماً مثلما هو الحال مع فم طفل صغير وقد بدأت الأسنان الجديدة تظهر فيه. أحد البنوك فتح فرعاً جديداً، وبما بسبب عملية التمويل الرأسمالي التي شيد من خلالها فندق الدولفين القديم. قم بتشبيد فندق بهذه الضخامة في منطقة عادية جداً ومهملة إلى حد ما وسنجد أن التوازن قد اختل. تدفق الناس يتغير، والمكان يبدأ في الظهور، وأسعار الأراضي ترتفع.

أو ربما كانت التغيرات أكثر تراكمية. فالثورة لم يشعلها فقط فندق الدولفين الجديد وحده، وإنما كانت مرحلة من التغيرات الهائلة

(6)

قمتُ بجولة بالفندق لمشاهدة ما يستحق المشاهدة به. تفقدت المطاعم والردعات، وألقيت نظرة على حمام السباحة والسونا والنادي الصحي وملاعب التنس، واشتريت كتابين من مركز التسوق. عبرت بهو الفندق ثم توجهت إلى مركز الألعاب ولعبت بعض الجولات من لعبة الطاولة. واستغرق ذلك كله فترة ما بعد الظهر. كان الفندق بالفعل أشبه بمركز للترفيه والتسلية. حقاً إن العالم مليء بطرق ووسائل إضاعة الوقت.

بعد ذلك غادرت الفندق لألقي نظرة على المنطقة حوله. وفيما كنت أسير في الشوارع مع انتراب الساعات الأولى من المساء بدأت أذكر معالم المدينة تدريجياً. أذكر أنني حينما كنت أقسم في فندق الدولفين القديم كنت أطلع هذه المنطقة بشكل دائم وروتيرة تبعث على الكآبة. ولم يكن في فندق الدولفين القديم قاعة لتناول الطعام، وحتى لو كان فيه أشك أنني كنت سأقبل لتناول الطعام هناك، ولذلك كنت أنا وكيكي دائماً نتوجه إلى مكان قريب لتناول طعامنا. والآن شعرت بالرغبة في زيارة منطقة قديمة وشعرت بالرضا بمجرد أنني نجولت حول المنطقة وحصلت على بعض المشاهد المألوفة.

حينما غابت الشمس عن الأفق، شعرت ببرودة في الهواء. كان



التي طرأت على الهيئة التحنية للمنطقة، فقد كان ثمة برامج عمرانية طويلة المدى يجري تنفيذها على سبيل المثال.

ذهبت إلى حانة صغيرة نذكرتها، واحتسيت بعض الشراب وناولت بعض الطعام هناك. كان المكان متسخاً، صاخباً ورخيصاً. إنه أشبه بثقب في حائط أبحث عنه دائماً حينما بتعين علي تناول الطعام في الخارج. فأماكن مثل هذه نشعرني بالراحة ولا نشعرني أبداً بالوحدة. يمكنني الحديث إلى نفسي من دون أن يسمعي أحده أو أباه لي أحد.

بعد أن تناولت الطعام شعرت بالرغبة في المزيد. ولذا طلبت بعضاً من شراب الساكي. وبينما كان الشراب الدافئ يسري في أوصالي، خطر ببالي السؤال: ماذا أفعل هنا بحق الجحيم؟ فندق الدولفين الذي كنت أقصده لم يعد له وجود. لم يكن بهم ما الذي أبحث عنه. فالمكان لم يعد له وجود. إنه لم يتلاق فحسب، بل حل محله هذا الفندق الأحمق الذي يعتمد على التقنية العالية مثل حرب النجوم. يبدو أنني وصلت متأخراً للغاية. أحلامي بشأن ما كان فندق الدولفين ليست أكثر من أحلامي بكبكي التي خرجت من الباب ولم تعد منذ مدة طويلة. ربما كان هناك شخص بيكي من أجلي. ولكن كل ذلك نلاشي. ولم يبق أي شيء. ماذا عمالك أن تجد هناك أبها الصغير؟

فكرت: لقد فلننا. أو ربما أنني ففرت فاهي وفلننا لنفسي: لم يبق شيء هنا. ولا حتى شيء واحد بقي لك.

زعمت شغني بشدة وحذفت في قنينة صلصة الصويا الموجودة على المائدة.

إذا قدر لك أن تعيش وحيداً لفترة من الزمن، فسوف تعتاد التحديق في أشياء مختلفة. تتحدث إلى نفسك أحياناً، تتناول الطعام

في مناطق مزدحمة. تطور علاقة حميمة مع سبارتك السريارو المستعملة. إنك بطء ولكن بثبات سوف تصبح شيئاً من الماضي.

غادرت الحانة وتوجهت إلى الفندق. مشيت مسافة قصيرة نوعاً ما، لكن لم يكن صعباً أن أعود إلى طريق العودة. لم يكن علي سوى النظر لأعلى حتى أرى فندق الدولفين الجديد جاثماً على كل شيء آخر. مثل الملوك الثلاثة الذين اعتدوا بالنجم في طريقهم إلى القدس أو بيت لحم أو أبهما كان، توجهت مباشرة إلى الوجهة الجاذبة الرئيسية.

بعد أن أخذت حماماً جففت شعري، حذفت في أفق مدينة سابورو. حينما كنت أقوم في فندق الدولفين القديم ألم يكن هنالك بناء لمكتب صغير خارج نافذتي؟ أي نوع من المكاتب، لم أفهم ذلك أبداً، لكنها كانت شركة وكان الناس هناك دائم الانشغال. لقد كان ذلك هو ما أطل عليه يوماً بعد يوم. ما الذي جرى لهذه الشركة؟ لقد كانت هناك امرأة جميلة نعل هناك. نرى أين هي الآن؟

لم يكن لدي ما أعمله لذلك رحلت أذرع الغرفة جثة وذعاباً قبل أن أقوم بتشغيل التلفزيون. كان هو نفسه الحفل القديم الذي بيعت على الاشتراكية. لبس حفلاً أصلياً بل حتى بيعت على التفتير. كان زائماً ومضطرباً. ولكن كونه مضطرباً جعله غير صادم بشكل كامل. لو لم أغلق التلفزيون، لشعرت يقيناً أنني أشاهد نتائج لعملية نفير حفيظة.

ارتديت بعض الملابس وصعدت إلى ردهة في الطابق السادس والعشرين. جلست بجوار البار وطلبت فودكا وصودا بالليمون. كان أحد حوايط البار عبارة عن نافذة وفرت إطلالة بانورامية أسرة على سابورو في الليل. إنها مدينة أشباح حرب النجوم.

إضافة إلى كان هناك فقط ثلاثة زبائن آخرين. رجلان في أوسط عمرهما بنحلاتان همساً على مائدة خلفية. ويبدو من خلال الموقف

أنهما يتحدثان عن أمور على قدر عال جداً من الأهمية. مؤامرة لاغتيال الشربير داوت فاده في فيلم حرب النجوم. وكانت تجلس إلى مائدة أخرى إلى اليمن سيها مباشرة فتلقه تراويع عكرها ما بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من العمر وتضع على أذنها جهاز «وكمان» وتضع بعض الشراب من خلال ماصة. كانت طفلة جميلة. شعرها الطويل يعلو النعومة كان يندلي مثل الحرير على حافة المائدة. كانت تنفر بأصابعها على المائدة بالتناغم مع إيقاع الصوت الذي تسمعه. كانت أصابعها الطويلة ترك انطباعاً أكثر طفولية من أي شيء آخر بها. ليس لأنها كانت تحاول الظهور بمظهر الكبار. وليس لأنها متعجزة أو راقية في الاختلاف وإنما لأنها كانت متطوعة.

ولكن في الواقع لم تكن الطفلة تنظر بحسب أي شيء. فهي تميز عابثة بكل ما يحيط بها. كانت تريد نطقاً من الجبر كنزوة رياضية بفضاء وكل تركيبها مع الموسيقى. وأحياناً تحرك شفنها لتردد بعض المقاطع.

تطوع النادل من نمس وقال وكأنه يعتذر عن وجوه الطفلة «عصير ليمون» إلى الطفلة في انتظار والديها.

وأجبت مختللاً ذهني: «ليمون». من المؤكد أنك حينما تذهب إلى بار فندق بعد العاشرة ليلاً، فأنت لا تتوقع أن تجد طفلة صغيرة تجلس بمفردها ومعهما مشروب و«كمان». ولكن لولا أن النادل شرح لي الموضوع، لما استطعت ربما أن أرى شيئاً غير طبيعي، فالطفلة كانت تبدو جزءاً من المكان.

طلبت شرباً آخر وتجادبت أطراف الحديث لفترة قصيرة مع النادل. عن الطقس والمناظر وأمور أخرى. ويعتقد وبرياطة جاش سألته: من المؤكد أن هذا المكان تغير كثيراً، أليس كذلك؟ وهو ما استطع النادل إزاءه إهانة إهانة وأقر أنه حتى وقت قريب كان يعمل في

فندق بطوكيو وبالتالي فإنه لا يكاد يعرف شيئاً عن سابورو. وهنا دخل فزيل آخر منها محادثتنا غير المحببة.

احسنت أربع كلوس من نيويورك والعودة. كان بإمكانني أن أشرب أي عدد أصلي بيدني فروت النوف. كانت الطفلة ما زالت في مقعدنا مسبة بالكمان. ذاب الثلج في كوبها ولم تكن والدتها قد ظهرت، وهو ما بدا أنها لم تلحظه. ولكن حينما نهضت من أمام المائدة ومضت لثانية أو اثنتين وهي تبسم أو ربما كان ذلك مجرد وعشة اعترت شفنها. ولكن بالنسبة لي بدا أنها ابتسمت. وهو الأمر - أعرف أنه يبدو غريباً - الذي صابني حقاً. شعرت كما لو أن الاختيار قد رفع عنك. شعرت بأن بركة من الطاقة سرت في أوصالي، وبدا لي أن جسي قد ارضع لأعلى بضعة ستيرات.

محلياً بشار أكثر من مرة. أحدثت المعصم وعدت إلى غرفتي. ابتسمت من طفلة في الثانية عشرة. كيف يمكن شيء في مثل هذه البراءة أن يحوطني من الغلغل هذه القوة كان يمكن أن تكون اهتي.

وماذا عن فكرة «جنيسيس» Genesis بآه من اسم أحقق لعلامة تجارية.

ولكن لأن الطفلة ترددي مثل هذه الكلمة الرقيقة فقد بدا الاسم وإلى حد ما مزيماً. جنيسيس (سفر التكوين<sup>(3)</sup>).

(3) جنيسيس: هذه الكلمة تعني المبدأات تحمل اسم التكوين حيث وُلدت فصاة طيبة آدم وحواء وبدأت عالم «البناء» الملابس كتنجئة للخطيئة الأولى لآدم وحواء، فكان الراوي يريد أن يهتم منطفاً بين حطية آدم وحواء التي وودت في سفر التكوين وأحدثها إرتداء الملابس. وليس الطفلة يوكي لملابس تحمل اسم السفر نفسه الذي وودت فيه فصاة الخطيئة. لكن المؤلف الذي يبدو مساةً من علامة تجارية للملابس تحمل هذا الاسم، لنج نلجها بعيداً جداً واكتفى بالكلمة معزولة كما نرونها.

استلقيت على السرير من دون أن أخلع حذائي. أغمضت عيني وجاءني صورة الطفلة. وُكمان. أصابع بيضاء تنفر على سطح المائدة. جنبيس. الثلج الذائب. جنبيس.

مع إغماسي لعيني كان باستطاعتي أن أشعر بالشراب وهو يسري في داخلي. خلعت حذاء العمل ووضعت عني ملابس عتيقة وغمرت نفسي تحت الغطاء. كنت متعباً للغاية، ثعلماً إلى أقصى حد، حتى إنني لم أكن قادراً على الشعور كثيراً بأي شيء. انتظرت أن تقول لي المرأة: «إني إلى جوارى: «شربنا كثيراً جداً، أليس كذلك؟» ولكن لم يدر مثل هذا الحوار.

جنبيس.

مددت يدي لأطفئ ضوء الغرفة. هل ستأخذني أحلامي إلى فندق الدولفين؟ نساءت في هذه الظلمة.

حينما استيقظت الصباح التالي، انتابني شعور بالخواء البائس. لا أحلام ولا فنادق. عدم.

كانت فردنا الحذاء عند مؤخرة السرير حيث وقفنا. كما لو كانتا كلبين صغيرين متعبين.

خارج نافذتي كانت السماء تبدو منخفضة وزمادية اللون. يبدو أن الثلج هو الذي أضاف إلي شعوري بالإعباء. كانت الساعة السابعة وخمسة دقائق. أمسكت بالريموت كنترول وشاهدت أخبار الصباح وأنا ممدد على السرير. كان هناك شيء عن انتخابات مقبلة. بعد خمس عشرة دقيقة نهضت من السرير وذهبت إلى الحمام للاستحمام وحلافة ذهني وأنا أدنأد على لحن المقدمة الموسيقية لأوبرا «زواج فبجارو» كوسيلة لإيقاظ نفسي. أم تراها كانت المقدمة الموسيقية

لأوبرا الناي السحري<sup>(4)</sup>؟ حاولت أن أقدح زناد فكري لكنني لم أستطع تحديد ذلك. جرحنت ذهني أثناء الحلاقة وقطعت رؤاً من أزرار النميس. كانت إلهامات اليوم غير مشجعة.

عند الإفطار رأيت الطفلة الصغيرة التي سبق أن رأيتها في البار، لكنها كانت تجلس مع امرأة ظننت أنها أمها. كانت ترتدي الكتزة الرياضية نفسها ولكن على الأكل لم تكن تحمل وُكمان. لم تكذب ثلثس خبزها أو البيض المخفوق. وبدت عليها علامات السأم وهي تشرب الشاي. كانت أمها امرأة شابة في أوائل الأربعينات. شعرها ملفوف على هيئة كعكة مشدودة وحاجبها كانا ناعماً مثل حاجبي ابنتها، ورشيقة، ذات أنف جمبل، وترتدي معطفاً بني اللون بدا أنه كشمير فوق قميص أبيض. كانت في ملابسها حسنة الئندام. ملابس تناسب امرأة أعادت أن تكون محط أنباء الآخرين. كانت تبدو عليها علامات السأم من العالم من خلال الطريقة التي كانت تضع بها الزبدة على خبزها المحمص.

أثناء مروري بجانب مائدتهما، رمقتني الطفلة ثم ابتسمت. ابتسامة أكثر وضوحاً من ابتسامة الليلة السابقة. ابتسامة لا تخطأها العين.

تناولت إفطاري بمفردي وحاولت أن أفكر ولكن بعد هذه الابتسامة لم أستطع أن أركز. لا بهم ما الذي خطر ببالي، كانت الأفكار تتداخل في رأسي بشكل غير مجد. في النهاية حدثت بناظرتي في علة التوابل ولم أفكر في أي شيء على الإطلاق.

(4) أعمال أوبرالية لمونارت.

(7)

لم يكن لديّ ما أفعله، ولم يكن ثمة ما يجب أن أفعله، ولم يكن ثمة ما أريد أن أفعله. فطعنت كل هذه الطريق من أجل فندق الدولفين، بيد أن فندق الدولفين الذي أردته قد تلاشى من على وجه الأرض. فماذا أفعل؟

نزلت إلى بهو الفندق، وزرعت نفسي في إحدى الأرائك الوثيرة وحاولت أن أعد برنامجاً لليوم. هل يجب عليّ أن أخرج لمشاهدة المناطق الساحلية؟ وإلى أين؟ وماذا عن مشاهدة فيلم سينما؟ لا لم يكن هناك ما أريد أن أراه؟ وهل طعنت كل هذه المسافات إلى سابورو لمشاهدة فيلم؟ إذاً ماذا أفعل؟ لا شيء يمكن فعله.

فلت في نفسي: حسناً، إنه صالون الحلافة. لم أكن قد ذهبت إلى حلاق منذ شهر، وكنت بحاجة إلى الحلافة. نعم إن تلك طريقة جيدة للاستفادة من وقت الفراغ. إذا لم يكن لديك أي شيء أفضل يمكنك فعله، فاذهب إلى الحلاق.

ولذلك مشيت نحو صالون الحلافة في الفندق وكلّني أمل أنه سيكون مزدحماً وأنه سيعين عليّ انتظار دوري. ولكن كان المكان خالياً وعلى الفور وجدت نفسي على مضعد الحلاق. كانت هناك لوحات تجريدية معلقة على الحوائط الزرقاء الرمادية وكذلك معزوفة

لجناك روشيه كانت تناسب بهدوء ونعومة من مكبرات الصوت المركزية. لم يكن يشبه أي صالون حلافة ذهبت إليه من قبل - يمكنك بالكاد أن نسبه صالون حلافة. أما الأمر الثاني الذي نعرفه، هو أنهم سوف يشغلون أغنيات غريغورية في الحمامات ومعزوفات الموسيقار ويوشي ساكامونو في غرف الانتظار. كان الرجل الذي حلّق لي شعري شاباً لم يكّد يكمل العشرين. حينما ذكرت أمامه أن فندقاً صغيراً هنا كان يحمل الاسم نفسه كانت إجابته بسؤال: «حقاً؟ أصبح ذلك؟» لم يكن يعرف الكثير عن سابورو أبشاً. كان لطيفاً. يرندي قميصاً من ثصمب Men's Bigie. ومع ذلك كان ماهراً في حلافة الشعر ولذا غادرت المكان وأنا راض كل الرضا.

ماذا بعد؟

نظراً لانقياوي إلى أي أخبارات أخرى عدت أدراجي إلى أريكتي في البهو وبحثت أشاهد المنظر. كانت موظفة الاستقبال ذات النظارة التي تكلمت معها أمس نفث خلف مكتب الاستقبال. بدت متوترة. هل كان وجودي بطلن إشارات بداخلها؟

من غير المحتمل ذلك. دفت الساعة الحادية عشرة. وفنت الغداء. توجهت للخارج وأنا أدور في المكان محاولاً التفكير في ما ينماش مع حالتي المزاجية. ولكني لم أكن جائعاً ولم يجذبني أي مكان. ولأنني كنت أقفز إلى الإرادة، فقد نجولت في المكان من أجل بعض السباغيني والسّلطة. ثم بعد ذلك البيرة. كانت السماء ننذر بنسافط الثلوج. لكن لم يكن ثمة ندفة من الثلج يمكن رؤيتها. كانت السماء صليّة وغير متحركة. مثل جزيرة لابونا في رحلات جيليفر حيث كانت السماء جائئة على المدينة. كل شيء بدا أنه مغطى باللون الرمادي. حتى حينما أعود بالذاكرة للوراء، أجد وجباني رمادية. هذا اليوم ليس للاكتاكو الجبدة.

في النهاية استغللت سبابة أجرة وذهبت إلى متجر في وسط المدينة. اشترت حذاء وملابس داخلية ويطاريات جديدة وفرشاة أسنان وفلاما أطفال. اشترت ساندويش لوجبة خفيفة لتناولها في وقت متأخر من الليل وفنتي براندي. لم أكن أحتاج إلى أي من هذه المواد. كنت فقط أنسوف، لمجرد قتل الوقت. أضعت ساعتين.

ثم مشيت في الشوارع الكبيرة وأنا أنظر في النوافذ وليس لي وجه معين. وحينما شمت ذلك دللت إلى مفهى حيث قرأت في كتاب للكاتب الأمريكي الشهير جاك لندن أثناء احسنائي للقهوة. وقبل أن يمر وقت طويل كان المساء بغرب. الحديث عن العمل. وفنل الوقت ليس بالأمر الهين.

حينما عدت إلى الفندق وأثناء مروري بمكتب الاستقبال ون على مسامعي اسمي. لقد كان الصوت لموظفة الاستقبال ذات النظارة. أشارت إليّ بالافتراب من أحد طرفي طاولة الاستقبال والذي كان بالفعل قسم استئجار السيارات حيث كانت توجد الكتيبات المعروضة. لم يكن أحد سواها على الطاولة آنذاك.

عشت بغلم بين أصابعها لبرهة وقالت: «لدي شيء أود إخبارك به ولكن لا أدري كيف أفعله». كان واضحاً أنها غير معادة على هذا النوع من الأشياء.

وبدأت: «من فضلك سامحي. ولكن يمين علينا أن نتظاهر بأننا نتحدث عن استئجار سيارة». ثم نظرت نظرة سريعة بطرف عيناها صوب مكتب الاستقبال. «الإدارة صارمة معنا. بفترض أن لا نتحدث إلى الزلاء بشكل شخصي».

قلت: «حسنًا. سوف أسألك عن أسعار السيارات وأنت نجيبين بما نودين قوله. لا شيء شخصي».

قالت مرة ثانية وفد علت وجهها حمرة الخجل: «سامحي. إنهم صارمون جداً في المنسك بقواعد العمل هنا». ابتسمت. «نظارتك لائحة عليك جداً».

قلت: «نبدن حملة للغاية بهذه النظارة. جميلة للغاية». لمست إطار النظارة ثم نظفت حنجرتها بشكل عصبي. استعادت هدوءها وقالت: «هناك شيء كنت أود أن أسألك عنه، إنه أمر خاص».

لو كان بامتناعني، لرثت على رأسها لأهدئها، ولكن بدلاً من ذلك ظلت صامتة ونظرت في عيناها.

قالت بصوت ناعم: «إنه ما سألت عنه ليلة أمس. هل تذكر، عن فندق كان هنا يحمل الاسم نفسه الذي يحمله هذا الفندق. كيف كان ذلك الفندق؟ أعني هل كان فندقاً عادياً؟».

أسكتت بكتيبي لتأجير السيارات وتصرفت كما لو كنت أنصفحه. «هذا يتوقف على ماذا نعتن بكلمة «عادي»؟».

ضغطت على أطراف باقتها ونظفت حنجرتها مرة ثانية. «من الصعب أن أحدد ذلك بالضبط، ولكن هل كان ثمة شيء غريب حول هذا الفندق؟ لا يمكنني أن أزيح ذلك عن تفكري».

كانت عيناها جميلتين ولكنها جادة. تماماً مثلما كنت أنذكرها. احمرت خجلاً مرة أخرى.

– أظن أنني لا أعرف ماذا تقصدين، ولكني متأكد أن الأمر يحتاج إلى وقت أطول للحديث عنه ولا يمكننا أن نكملة هنا. إنك نبدن مشغولة جداً.

نظرت بطرف عيناها إلى موظفة الاستقبال الأخرى، ثم عضت

على شفتها السفلى عضه خفيفة. وبعد لحظة من التردد قالت :  
«حسناً، هل يمكنك مقابلي بعد انتهائي من العمل؟».

- متى ذلك؟

- أنهى عملي في الثامنة. ولكن لا يمكننا أن نلتقي قريباً من  
هنا. قوانين الفندق. يجب أن يكون ذلك في مكان بعيد عن هنا.  
- حددني المكان. لا يهمني مهما بَعُدَ، سوف أكون هناك.

أطرفت لبرهة أخرى من الزمن. ثم خطت اسماً لمكان ورسمت  
لي خريطة. «سوف أكون هناك في الثامنة والنصف».

دست الورقة في جيبه.

والآن كان دورها قد حان للنظر نحوها. وقالت : «أمل ألا نظن  
أنني غريبة. هذه هي المرة الأولى التي أقوم فيها بشيء مثل هذا. لم  
يسين لي أن خالفت أي قواعد من قبل. ولكن هذه المرة لا أعلم ما  
الذي يمكنني عمله غير ذلك. سوف أشرح لك كل شيء لاحقاً».

قلت : «لا، لا أظن أنك غريبة. لا تقلقي. لست ذلك الشخص  
السيئ جداً. ربما لا أكون الشخص الذي يحبه كل العالم، ولكني  
أحاول ألا أضايق الناس».

عيشث بقليل بين أصابعها مرة أخرى وهي غير متأكدة كيف  
تستوعب ذلك. ثم ابتسمت ابتسامة غير واضحة، وحركت جسر  
نظارتها لأعلى، وقالت : «حسناً. لاحقاً». ثم انحنى لتحذاء جادة  
قبل أن تعود إلى مكانها وراء مكتب الاستقبال. بدت ساحرة الجمال  
وإن كانت قلقة قليلاً.

صعدت إلى غرفتي وسحبت قنينة بيرة من التلاجة لأطعم حدة  
ساندويش اللحم المشوي الذي تناولته في المتجر. حسناً الآن لدينا  
على الأقل خلة عمل. ربما تكون سرعتنا بطيئة، لكننا نسير. ولكن  
إلى أين؟

أخذت حماماً وحلقت ذفني، وعسلت أسناني. في هدوء  
وصمت ومن دون أي ضجيج. ثم وقفت أمام المرآة ونفحصت  
ملامحي بشكل لم أفعله منذ زمن. لبس ثمة اكتشافات ضخمة. لم  
أشعر بأي ارتفاع في شعاعتي، إنه الوجه القديم نفسه الذي كان  
ولعماً.

غادرت غرفتي في الساعة والنصف واستقلت سيارة أجرة.  
فحصت السائق الخريطة التي أظهرتها له ثم أوماً من دون أن ينطق  
بكلمة حتى بلغنا المكان. قطعت المسافة بألف ين وشيء. كان باراً  
صغيراً في بناءة من خمسة طوابق. أول ما قابلني لدى الباب هو  
صوت دافئ لإحدى النجيليات القديمة لعازف الساكسوفون الأمريكي  
جيرري موليغان.

أخذت مقعداً عند طاولة البار واستمعت إلى المعزوفة الموسيقية.  
حتى الثامنة وخمس وأربعين دقيقة لم تكن قد ظهرت بعد. لم أبال  
بهلاك كثيراً. فالبار كان مريحاً كثيراً وكنت قد أصبحت حينذاك محترفاً  
في قتل الوقت. أخذت أرتشف شرابي وحينما انتهت منه طلبت آخر.  
وراحت أتأمل في منغزة السجائر.

في التاسعة وخمس دقائق دُلِّت إلى البار.

قالت وهي مرتبكة : «آسف. لقد نلحقت الأشياء علي في  
اللحظات الأخيرة» كما أن بدليتي أنت متأخرة».

قلت : «لا عليك. كان الأمر على ما يرام هنا. كان علي أن أقتل  
الوقت على أية حال».

بناء على اقتراح منها انتقلنا إلى طاولة في مؤخرة المكان. جلسنا  
بينما كانت تخلع فقاظها وغطاء الرأس ومعطفها. كانت ترتدي تحفة  
تنورة من الصوف ذات لون أخضر داكن وفميصاً أصفر خفيفاً وهو ما

كشف لي عن نضاريس كبيرة دهشت أنني لم ألاحظها قبل ذلك . وكانت تضع حلق أذن صغيراً جداً من الذهب .

طلبت شراب كوكيتل بلودي ماري . وحينما جاء الشراب كانت ترشف منه وهي مزودة بالوليد جريئة أخرى من الوليسكي الخاص بي ، ثم أخذت لي رشعة أخرى من بلودي ماري . كنت أستهني ببعض التناقض .

وأخيراً ، أخرجت زنتي عميقة ، ربما كانت أطول مما أردت هي ، كما كانت تنظر إلي بفضيلة . سألتها : « هل عملك صعب ؟ »

قالت : نعم . مرهق للغاية . ما زلت غير معقدة عليه . فالفندق لم يفتح إلا منذ وقت قريب والإدارة بجن جنونها لأبسط الأشياء .

سكنت ذراعيها ووضعتها على الطاولة . كانت تضع خاتماً واحداً في خنصرها . خاتماً عادياً من الفضة خالياً من أي بهرجات .

وبدأت : « عن فندق الدولفين القديم . ولكن مهلاً . سمعت أنك كاتب في مجلة أو شيء من هذا القبيل ؟ »

قلت مسجلاً : « مجلة ؟ عمّ تتكلمين ؟ »

قالت : « ممن ما سمعته » .

توقفت عن الكلام . وعضت على شفتيها وجعلت في نقطة على الحائط .

ثم استأنفت : « أواجهنا بعض المشاكل ذات مرة . ولذا فإن الإدارة بجن جنونها من وسائل الإعلام . هل تعرف ، رغم أن أرض الفندق قد تم شراؤها بالكامل . لكن إذا تسرب الكثير من ذلك لوسائل الإعلام ، فيمكن أن ينسب في معاداة للفندق . الصورة السيئة يمكن أن تدمر المشروع » .

- هل سبق أن كتب عنه شيء ؟ -

- ذات مرة في مجلة أسبوعية منذ فترة . كانت هناك تلميحاًت إلى معاملات غير نظيفة . ثم وعن الاستبعاد بعضاً من الباكوزا أو بعض عصابات البكس . لكن من غفلة عن الاستغناء عن الذين يقاومون القضاء من هذا القبيل » .

وأظن أن فندق الدولفين القديم كانت استعادته وسط هذه المشاكل ؟

هزت كتفها ورشفت رشقة أخرى : « لم أدهش لذلك . وإلا لما تصرف معك البشير بهذه العصبية حينما استفسرت عن الفندق القديم . أقصد أنك على ما يبدو لمست وزناً حقيقياً لديه تقريباً . ليست لدي أي تفاصيل . لكني سمعت ذات مرة اسم الدولفين في سياق حديث عن فندق قديم من شخص ما »

- شخص ما ؟

- واحد من أصحاب البلات السوداء <sup>(5)</sup>

- أصحاب البلات السوداء ؟

قلت : « لا أعرف لكن ما عدا ذلك لم نسمي أي شيء عن فندق الدولفين القديم ؟ »

هزت رأسها وراحت تجث بخاتمتها وقالت همساً : « إنني مزعومة . التي مزعومة هناك إنني . . . ليست أدري ماذا أفعل » .

- مزعومة ؟ بسبب العجالات ؟

(5) يبدو أن المقصود رجال العصابات أو رجال الأعمال أو حراسهم الشخصيين الذين يحرصون على ارتداء البلات السوداء ويمشون الرعية في قلوب الآخرين ، خاصة أن العبارة وردت في سياق الحديث عما يُعرف بعصابات الباكوزا .

هزت رأسها ثم عقلت بشفتها على حافة كوبها. «لا لبس ذلك. لبس للمجلات أي صلة بذلك. لو أن شيئاً تم نشره ما الذي يعتني في ذلك؟ ربما تستشيط الإدارة غضباً بسبب ذلك، ولكن ليس هذا هو ما أتحدث عنه. إنه المكان كله. القندق برقته. أعني أنه كان هناك دائماً شيء غريب حوله. شيء مستغرب. شيء غير مألوف»

نوقشت عن الكلام ولادقت بالصمت. كنت قد أنهيت اللويسكي، ولذا طلبت كأسين آخرين لكليتا.

حاولت أن استحثها على الكلام: «ماذا تعنين بغير مألوف؟ هل تقصدين شيئاً محدداً؟»

قالت بحدّة: «الباطح أفصد. لقد وقعت أشياء ولكن من الصعب أن أجد الكلمات التي نصف ذلك. ولذا لم أخبر أي مخلوق عنها. أعني أن ما شعرت به كان حقيقياً بالفعل، ولكن إذا حاولت أن أشرحه في كلمات فإن الكلمات نخوثني».

- إذا هل ذلك بشيه حلماً حقيقياً؟

- ولكن ذلك لم يكن حلماً. الأحلام تتلاشى بعد فترة. لكن هذا الشيء لم يتلاش. إنه باقى دائماً كما هو. إنه حقيقي ودائماً قائم هناك، مثل أمام عيني.

لم أكن أدري ماذا أقول.

«حسناً، إليك هذا ما حدث». قالت وهي تشرب البيلودي ماري ونسح شفتيها بمبتدليل.

«كان ذلك في يناير. مطلع يناير. مباشرة بعد بداية السنة الجديدة. كنت أعمل في متاوية ليلية متأخرة؛ وأنا لا أحب هذه المتاوية بشكل عام. ولكن كان دوري في ذلك اليوم. على أية حال لم أنه من عملي قبل منتصف الليل. حينما نعمل حتى وقت متأخر مثل ذلك،

لأنهم يوقرون لك سيارة أجرة لأن القطارات تكون قد توقفت. بعد أن أخرجت ملاهسي. فذكرت كتاباً تركته في استراحة الموظفين. عثت أنه يمكنني الانتظار لليوم التالي. لكن الفناء الذي كنت سأشاركها السيارة لم تكن قد انتهت من عملها بعده. ولذا قررت الذهاب لإحضاره. أخذت المصعد الخاص بالموظفين وضططت على زر الطابق السادس عشر حيث توجد استراحة الموظفين وباقي المراقق الخاصة بهم. فهناك تمضي استراحة القهوة وكثيراً ما نذهب إلى هناك.

«على أي حال كنت في المصعد وانفتح الباب وخرجت منه كالعادة. لم أفكر في أي شيء. مما فعلت. إنه شيء. نفعله طوال الوقت. اليس كذلك؟ خرجت من المصعد، كان تمر في طبعياً مثل أكثر الأشياء طبيعية في العالم. أظن أنني كنت أفكر في شيء ما، لا أذكر ماذا كان. ربما كنت أضع يدي في جيبتي. كنت في الردهة حينما لاحظت أن كل شيء حولي قد استحال إلى ظلام دامس. أعني تماماً مثل اللون الأسود الداكن. التفت فإذا بباب المصعد قد أغلق. أول شيء خطروني كان أن انقطاعاً وقع في التيار الكهربائي. ولكن ذلك مستحيل. ففي القندق مولد كهربائي للطرز، وفي حال حصول انقطاع في التيار الكهربائي فإنه يعمل بشكل تلقائي. لقد تلقينا جلسات تدريجية حول ذلك ولذا قلنا أعرف. يفترض أن ليس هناك ما يسمى انقطاع تيار كهربائي. وحتى لو صح احتمال الواحد إلى مليون بأن خطأ قتيماً حدث للمولد الكهربائي. فإن مصابيح طوارئ الغرف من المفترض أن تنبئ. ما أود أن أقوله هو أنه لم يكن من المفترض أن ينحول المكان إلى ظلام دامس أبداً. كان يجب أن أرى المصابيح الخضراء عبر الردهة.

«ولكن المكان كله نحول إلى ظلام دامس. كل ما كان باستطاعتي رؤيته هو مقابيح المصعد واللوحة الرقمية الحمراء التي



نشير إلى الطابق الذي يوجد فيه المصعد. ولذا كان أول شيء فعلته هو أن ضغطت على مفاتيح استدعاء المصعد لكنه واصل نزوله للطوابق السفلى. لم أعرف ماذا عليّ أن أفعل، حينئذٍ ولسبب ما فررت أن ألقي نظرة حول المكان. كنت فزعة حقاً، ولكنني أيضاً شعرت بضيق شديد.

«ما فكرت فيه هو أن خلافاً لأصاب الوظائف الأساسية للفندق. خلل ميكانيكي أو إداري أو شيء آخر. وهذا يعني نعرضنا لمزيد من المضايقات من الإدارة وإيقاف الإجازات، وكافة أنواع المضايقات الأخرى. ولذا كنت كلياً فكت في ما يحدث أشعر بمزيد من الضيق. لكن ضيقي كان قد تجاوز شعوري بالخوف. وهكذا قررت أن ألقي نظرة حول المكان. مشيت خطوتين أو ثلاث فإذا بشيء غريب حقاً. أعني أنني لم أكن أستطيع سماع وقع قدمي. لم يكن ثمة صوت على الإطلاق. وبدت الأرضية غريبة وليست مثل السجاد المعتاد. كان الملبس صلباً. ثم كان الهواء أيضاً يبدو مختلفاً. كان... كان عفنًا. لبس مثل هواء الفندق على الإطلاق. فالحواء مكيف بشكل كامل في فندقنا والإدارة شديدة الحرص على ذلك لأنه هواء ليس مثل هواء أنظمة التكييف العادية. يفترض أن الهواء هنا هواء ذو جودة معينة وليس مثل هواء الفنادق الأخرى الذي تنزع منه الرطوبة حتى يصيب أنفك بالجفاف. هوائنا مثل الهواء الطبيعي. ولذا كان الهواء العفن بالنسبة لي صدمة حقيقية. وكانت رائحته توحي بأنه هواء قديم كأنك تذهب لزيارة جدك في الريف وتفتح مخزن العائلة القديم، شبيه بذلك. راكد وعفن.

«لنفت حولي فإذا بمفاتيح استدعاء المصعد قد انطفأت أيضاً. لم أستطع أن أرى شيئاً. انطفأ كل شيء بشكل كامل وهو ما أفرغني حقاً. أعني أنني أصبحت بمفردي في عتمة كاملة وكان السكون حولي

مطبق. مطبق. لم يكن ثمة صوت واحد. أمر متبر للاستغراب. حتى إذا انقطع التيار الكهربائي فعلى الأقل سنسمع شخصاً واحداً ينادي. وهذا في وقت كان الفندق ممكناً تقريباً بالنزلاء. ويمكن أن يحدث الكثير من الأشخاص ضجة. لكن ذلك لم يحدث هذه المرة.

ومل النادل بالشراب وراح كل منا يرتشف من كأسه. وضعت هي شرابها وأعدت ضبط نظارتها.

- هل ناعتني حتى الآن؟

قلت: «نعم أتابعك بشدة».

- كنت في الطابق السادس عشر. المكان عتمة حالكه. هناك رائحة غريبة. سكون تام. شيء متبر للاستغراب يحدث.

تنهّدت تنهيدة. «لا أعرف إن كان ذلك جيداً أم سيئاً، لكنني لست ذلك الشخص الجبان. على الأقل أظن أنني شجاعة جداً. لست من النوعية التي تصرخ بأعلى صوتها حينما ينقطع التيار الكهربائي. نعم شعرت بالفرح لكنني لم أفقد السيطرة على أعصابي. أنهم أنه يضيئي عليك أن تتفحص الأشياء. ولذا بدأت أتلمس طريقي في الرعدة المظلمة».

- في أي اتجاه؟

قالت وهي ترفع يدها اليمنى: «إلى اليمين. كنت أنحس طريقي بمحاذاة الحائط ببطء شديد وبعد قليل انعطفت مع الرعدة نحو اليمين مرة ثانية. بعد ذلك استطعت أن أرى أمامي شعاع ضوء خافت. خافت جداً مثل ضوء شمعة تنسرب من بعدد جداً. كان أول ما جال بخاطري هو أن شخصاً ما عثر على بعض شموع الطوارئ وأضاءها. واصلت السير، وحينما أصبحت أكثر فرباً، رأيت ضوءاً يأتي من غرفة قد ترك بابها موارياً. كان الباب غريباً جداً أيضاً. لم

يسين أن رأيت مثل هذا الباب القديم في الفندق . وفنت هناك أمامه ،  
لا أدري ماذا أفعل بعد ذلك . وماذا لو أن شخصاً كان بالداخل؟ ماذا  
لو أن شخصاً غريباً قد خرج منه؟ وما الذي كان يفعله مثل هذا الباب  
هنا في الأسفل؟

لذا نقرت على الباب نفراً خفيفاً خفيفاً جداً . بل لم تكن نقرة  
على الإطلاق ، لكننا مع ذلك أحدثت صوتاً عالياً ، ربما لأن الصمت  
كان بهيم على الرعدة بشكل مطين . على أي حال ، لم يكن هناك من  
محبب . انشظرت عشر ثوان وفي غضون هذه الثواني كنت قد  
نجمدت . لم يكن لدي أدنى فكرة عما سأفعله . عندئذ سمعت هذه  
الضوضاء المكنومة . أشبه بضوضاء صادرة عن شخص يرتدي ملابس  
ثقيلة ثم كان وقع أقدام . متباطئة للغاية ، وزاحفة كما لو كان يلبس  
شبهياً أو شيئاً من هذا القبيل . كان وقع الأقدام يقترب من الباب شيئاً  
فشيئاً .

كانت تحرق في الفراغ وتهز برأسها .

«كان ذلك حينما بدأ يملكني الشعور بالفزع ، كأن نكون هذه  
الخطى ليست لبشر . لست أدري كيف وصلت لهذا الاستنتاج . وهنا  
التابتي مشاعر افشعر لها بذني فالقدم البشرية لا تحطو بهذه الطريقة .  
وشزت الفشعريرة في جسمي حتى بلغت عمودي الفقري . إنني أعني  
كل ما أقول . أخذت أركض . لم ألتفت حتى إلى أين أنا ذاهبة . أغلب  
ظني أنني وفعت أرضاً مرة أو مرتين . ربما كان ذلك بسبب أن جواربي  
تمزقت . هذه الجزئية لا أذكرها جيداً . كل ما أذكره هو أنني ركضت .  
وأنني شعرت بالهلع . ماذا لو أن المصعد معطل؟ لهج لساني بالحمدة  
حينما وصلت هناك أخيراً ووجدت مفاتيح الاستدعاء ومصباح الطوابق  
مضبباً . كان المصعد في الطابق الأرضي . وحت أضغط بشكل متكرر

على مفتاح الاستدعاء وبدأ المصعد في الصعود . ولكن بشكل أبطأ من  
المعتاد . في واقع الأمر كان بطيئاً بشكل لا يصدق . مثل اثنان . . .  
ثلاثة . . . أربعة . . . كنت أردد متوسلة : نعال ، أسرع ، نعال . ولكن  
ذلك لم يوت أدنى فائدة . استغرق ذلك زمناً . هذا الأمر وكان شخصاً  
ما يعوق حركته» .

أخرجت نفساً عميقاً ثم رشّفت من شرايها مرة أخرى . عيشت مرة  
ثانية بخاتمها ولكن لمدة أطول .

انظرلها حتى تكمل . توفقت الموسيقى وسمع شخص يضحك .  
«كان باستطاعني سماع وقع أقدام نرجرج ونقترب شيئاً فشيئاً  
وتتحرك نحاهي . شعرت بالهلع . شعرت بهلع لم أشعر بمثله طول  
حياتي . شعرت بأن معدتي قد انفطشت بشدة وارتفعت إلى حلقي .  
كان جسمي يتصبب عرقاً ولكنني كنت أشعر بالبرد . افشعر بذني .  
المصعد لم يكن قد اقترب بأي حال . السابع . . . الثامن . . .  
التاسع . . . ووقع الأقدام ما زال قادمًا» .

توفقت العشرين أو ثلاثين ثانية . ومرة ثانية أدارت خاتمها دورات  
إضافية قلبية ، كما لو كانت تقريباً تدير موجة مذيع . صودف أن امرأة  
كانت عند طاولة البار قالت شيئاً استدعى ضحكة أخرى من وفيقها .  
تمنيت لو يسرع أحد ويشغل نسجلاً من التسجيلات .

تحدثت بجمود : «لا يمكنني حقاً أن أصف كيف كنت أشعر .  
عليك فقط أن تمر بذلك لتعرفه» .

— ثم ماذا حدث بعد ذلك؟

قالت وهي تهز كتفها : «شيء الذي عرفته لاحقاً هو أن المصعد  
كان هناك . فتح الباب واستطعت رؤية ذلك الضوء اللطيف المألوف .

خارت قدماي بالفعل. كان جسمي كله يرتعش ولكنني تمكنت من الضغط على زر بهو الفندق. حينما وصل إلى هناك أظن أنني أصبت الجميع بالفرح. كنت شاحبة اللون وفاقة للقعدة على التلحق. كانت فراتسي ترتعد. انقلب المدير مني وهزني وقال: «ماذا حدث؟» حاولت إخباره بما حدث من غرائب في الطابق السادس عشر لكنني كنت ما زلت ألهث. فاطمني المدير في منتصف حكايته واستدعى أحد موظفي الفندق من الرجال وذهب ثلاثتنا إلى الطابق السادس عشر. فقط للتأكد مما هناك. لكن كل شيء كان طبيعياً إلى حد الإنفان. كل المصاييح تضيء المكان، لا روائح قديمة وكل شيء كان كما هو دائماً وكما يجب أن يكون. ذهبت إلى استراحة الموظفين وسألنا شخصاً نواجه هناك إن كان قد أحس شيئاً مما حدث لكنه أقسم إنه كان مسبقاً طوال الوقت وإن الكهرباء لم تنقطع. وبعدئذ سرنا في الطابق السادس عشر من أوله إلى آخره فقط لنطمئن. لم نجد أي شيء خارج المالكوف. كان يبدو أنني وقعت تحت تأثير مس أو سحر أو شيء.

عدنا لأسفل واصطحبني المدير إلى مكتبه. كنت متأكدة أنه سيصرخ في وجهي ولكنه حتى لم يغضب. طلب مني أن أقف عليه ما حدث مرة ثانية ولكن بتفاصيل أكثر. شرحت له كل شيء بأقصى ما أستطيع من وضوح من البداية وحتى الخطأ التي تعقبني. شعرت بأنني حمقاء. كنت متأكدة أنه سوف يسخر مني ويقول إن تلك الأشياء كلها محض خيال.

لكنه لم يسخر أو يضحك. بل بدت عليه جدية تامة. وقال: «يجب ألا نخبري أحداً بما حصل». كان يتحدث بلطف شديد. يبدو أن ثمة خللاً قد وقع، ولكننا يجب ألا نزعج الموظفين الآخرين. لذا دعينا نضع كل ذلك طي الكتمان. واسمح لي أن أقول لك إن هذا

المدير ليس من النوع الذي ينكلم بلطف. إنه مستعد لأن يطلق العنان لغضبه في أي لحظة. كان يبدو أنني ربما لم أكن أول من يتحدث معه عن ذلك.

جلست صامتة الآن.

- ولكن ألم نسمعي أي شخص يتحدث عن أشياء من هذا القبيل؟ نجارب غريبة، أو أحداث غير مألوفة، أو أي شيء غامض؟ وماذا عن الشائعات؟

فكرت لبرهة ثم هزت رأسي. «لا. لا شيء من ذلك بحسب علمي. لكن ثمة شيء يبعث على الاستغراب حقاً في المكان. الطريقة التي تفاعل بها المدير حينما أخبرت بما حدث والحوارات الهامسة التي تدور طوال الوقت. لا يمكنني أن أشرح الأمر بأفضل من ذلك ولكن ثمة شيء في الأمر. إنه لا يشبه الفندق الذي عملت فيه قبل ذلك على الإطلاق. بالطبع لم يكن فندقاً كبيراً مثل هذا وكانت الأشياء تختلف بعض الشيء عن هناك ولكن هذا الفندق مختلف حقاً. هذا الفندق فيه حكاية الشيخ الخاصة به - ربما يكون لكل فندق حكاية شيخ، ولكن يمكننا أن نسخر منها جميعاً. أما هنا فالأمر يختلف تماماً. لا أحد يسخر. ولذلك فهي مخيفة أكثر. فمثلاً لو أن المدير صنع مما حدث ثكنة أو حتى صرخ في وجهي، لما بدا الأمر غريباً بهذا الشكل. ولكنك اعتقدت أن خللاً أو شيئاً ما قد وقع».

أغمضت عينيها ونظرت إلى الكأس في يدها.

سألنا: «هل ذهبت إلى الطابق السادس عشر مرة ثانية؟»

قالت: «مرات كثيرة - ما زال جزءاً من مكان عملي. أذهب إلى هناك حينما يتعين عليّ ذلك أحببت ذلك أم لا. غير أنني أذهب أثناء النهار فقط. لا أذهب إلى هناك أبداً في الليل مهما كان. لم أرغب

أبدأ في المرور بمثل ذلك مرة ثانية. ولذا لا أعمل في مناوبة الليل.  
بل حتى أخبرت وتبسي بذلك.

- ولم نذكرني ما حدث لأحد أبداً.

هزت رأسها فوراً. «كما قلت لك، هذه هي المرة الأولى. لم  
يكن أحد ليصدقني على أية حال. أخبرتك بذلك لأنني ظننت أنك  
رجاءاً لديك تفسير لحكاية الطابق السادس عشر».

- أيا.

حدثت في شكل عام. «حسناً، على الأقل أنت تعرف شيئاً عن  
فندق الدولفين القديم وكنت تريد أن تسمع لماذا حدث له. لم يكن  
أمامي إلا أن يحدثني الأمل في أنك ربما تعرف شيئاً حول ما سررت  
به».

قلت بعد برهة: «لا، مجردة. كنت متخفصاً في الفندق. فتدق  
الدولفين القديم كان مكاناً صغيراً ولم يكن مشهوراً جداً. كان مجرد  
فندق عادي».

بالطبع لم أعتقد ولو للحظة أن فندق الدولفين كان مجرد فندق  
عادي، ولكنني لم أشأ فتح حلبة الديدان هذه.

- ولكنك بهذا اليوم حينما سألتك عن فندق الدولفين القديم قلت  
إنها قصة طويلة. ماذا عجب بذلك؟

قلت: «هذا أمر شخصي. إذا بدأت فيه سأحذف لمواضيع  
أخرى على أي حال. أعتقد أن ذلك له أي صلة بما قصصت علي  
الآن».

بدأت عليها علامات الإحباط. وعدت شفها السفلى وهي تحدثني  
في يديها.

قلت: «معذرة لعدم نمكني من مساعدتك خصوصاً بعد كل ما  
نجسمت من أجل أن تخبرني بهذا».

- لا عليك. هذا ليس خطأك. ما زلت أشعر بمرور لأنني  
استطعت أن أخبرك بما حدث. حينما نحتفظ بكل هذه الأشياء  
لنفسك، فإنها تبدأ بالتآكل منك.

- «نعم يجب أن أخبرني هذه الصغرة. إن لم تقصلي فإنها  
تتراكم داخل. أشك». ثم رسمت بالونة متفوخة جداً بذراعي. «ما  
كنت بصمت وهي تعبت بخاتمتها مرة أخرى، نخلعه من  
إصبعها ثم نعيد».

وقالت بصوت خافت دون أن ترفع أصبعها عن أصابعها: «فل  
لي، هل تصدق قصتي هذه؟ بخصوص الطابق السادس عشر وكل  
ذلك؟».

قلت: «بالطبع أصدقها».

- جفاً؟ لكنه شيء غريب، ألا تعتقد ذلك؟

- ربما كان ذلك، ولكن الأشياء الغريبة تحدث. أعرف ذلك  
جيداً. لهذا أنا أصدقك. كل ذلك يعني في مكان ما على ما أظن.  
أطرفت للدفقة. «إذا حل مررت بتجارب مشابهة؟».

- نعم، أجل أظن مررت.

سألت: «هل كنت متخففة؟».

أجبت: «لا، لم تكن مثل تجربتك. لا، ما أعبه هو أن الأشياء  
تجسد بشي الطوف. هي...». ولكن لسبب لم أفهم حقاً  
الكلمات في خلوتي. كما لو أن شخصاً قد اخترع خط الهاتف من  
مكانه. رشفت رشقة من الويسكي وحاولت مرة ثانية. المسك، لا  
أعرف كيف أعتبر عن ذلك. ولكن من المؤكد أنني رأيت نصبي من  
الأشياء التي لا تصدق. ولذا فانا مستعد تماماً لتصدق ما أخبرني به.  
لا أعتقد أنك اختلصت القصة».

مقرث لأعلى وابستمث. كانت انسامة طيعة وليست من حزمة  
الانسامات المعلقة. وقالت: «لا أعرف لماذا؟ ولكنني شعرت بارتياح  
حينما تكلمت معك. في العادة أنا خجولة جداً. من الصعب عليّ حقاً  
أن أتحدث إلى الناس، ولكن معك الأمر مختلف».

ضحكت: «ربما ثمة شيء بجمعنا».

لم تعرف كيف ترد على تلك الملاحظة وفي النهاية لم تقل أي  
شيء. بدلاً من ذلك تنهدت. ثم سألتني: «هل ترغب في تناول شيء  
من الطعام؟ فجأة شعرت بجوع شديد».

عرضت عليها أن أصحابها إلى مكان نتناول فيه وجبة كاملة،  
ولكنها قالت إن وجبة خفيفة ستكوني

طلبنا بهتراً وواصلنا الكلام ونحن نأكل، حول العمل في الفندق،  
والحياة في سايبورو، وعن نفسها. بعد المدرسة الثانوية التحقت  
بمدرسة فندقية لسنتين، ثم عملت في فندق بطوكيو على مدى سنتين  
حينما تقدمت لوظيفة في إعلان عن فندق الدولفين الجديد. كانت في  
الثالث والعشرين. كان الانتقال إلى سايبورو في مصلحتها، فوالداها  
كانا يديران باراً قريباً من أساهيكافا التي تبعد 120 كيلومتراً عنها.

قالت: «إنه بار معروف إلى حد ما. كانا فيه منذ فترة طويلة».

سألناها: «إذاً بعد الانتهاء من عملك هنا هل ستولدين إدارة عمل  
الأمرة؟».

قالت وهي ترفع جسر نظارتها: «ليس بالضرورة. لم أصل  
بتفكيرني إلى هذا الحد. إنني فقط أحب العمل الفندقي. حيث  
الأشخاص بأنون ويفهمون ثم يغادرون وكل ذلك. أشعر بالارتياح  
حينما أكون في خضم كل ذلك. إنه يريحني. على أي حال هذه هي  
البينة التي نشأت فيها».

قلت: «إذاً هذا هو السبب».

- السبب في ماذا؟

- السبب في أنك وأنت وافقة في الاستقبال تبدين وكأنك روح  
الفندق.

ضحكت: «روح الفندق؟ يا له من شيء لطيف ما تقوله. ليني  
حقاً أستطيع أن أكون مثلما تقول».

رددت على الانسامة قائلاً: «أنا متأكد أنه يمكنك أن تكوني إذا  
كان ذلك هو ما تريدين».

أطرقت لفترة، ثم طلبت أن تسمع قصتي.

«ليست شائعة جداً». اعتذرت منها ولكنها ظلت على رغبها في  
سماعها. لذا أعطيتها تقريراً مختصراً: «في الرابعة والثلاثين، مطلق،  
كاتب لموضوعات غريبة، فالد لسيارة سوبارو مستعملة. لا شيء  
جديداً».

لكنها ظلت على فضولها حول عملي. لذا أخبرتها عن مغابلاتي  
مع النجمات المغمورات، وعن مقالتي عن الفنادق في هاكوديت.

قالت منهجة: «يبدو أنه عمل منع».

- متع ليست هي الكلمة. الكتابة نفسها ليست بالأمر الكبير.  
أعني أنني أحب الكتابة. إنها حتى تساعدني على الاستجمام. ولكن  
المحتوى ما هو إلا صغر حقيقي. وفي حقيقة الأمر دون مغزى.

- ماذا نمنى؟

- أعني أن تقومي على سبيل المثال بجولة على خمسة عشر  
مطعماً في يوم واحد وتأكلين من كل طبق فدرأ صغيراً وتتركين الباقي  
كما هو. هل تظنين أن لذلك معنى؟

- ولكنك لا تستطيع أن تأكل كل شيء، أليس كذلك؟

- بالطبع لا يمكنني. وإلا سوف أفزع ميتاً في ثلاثة أيام إن فعلت. وسبطن كل واحد أنني كنت أحمق. ولن أحصل على أي تعاطف كان.

قالت: «إذا أي خيار كان أمامك؟»

- لست أدري. من خلال الطريقة التي أراها بها، هي أشبه بجرف الثلوج. نزيله لأن شخصاً ما لا بد أن يفعل ذلك، وليس لأنه ممتع.

أطرفت: «جرف الثلوج، هه؟»

قلت: «نعم. لعلك تعرفين الثلوج الشاففة».

شرينا كثيراً. لا أذكر مقدار ما شريناه، ولكن الساعة كانت تجاوزت الحادية عشرة حينما نظرت في ساعتها وقالت إن لديها نوبة عمل في الصباح الباكر. دفعْتُ الحساب ثم خرجنا وسط الثلوج المنساقطة. عرضت عليها أن أوصلها بسيارة الأجرة التي سئلتني إلى مكان إقامتها الذي كان بعد عشر دقائق. لم يكن الثلج كثيفاً ولكن الطريق كان زلغاً ومنغلقاً بالثلج، أمسكت بذراعي بشدة ونحن نسير صوب موقف سيارات الأجرة. أعتقد أنها كانت تلمة إلى حد كبير.

سألناها ونحن نسير بشكل حذر: «هل تعرفين المغالة التي كشفت النفاذ عن الطريقة التي شُيِّد بها الفندق؟ هل ما زلت تذكرين اسم المجلة؟ هل تذكرين متى نشرت المغالة؟»

قالت على الفور: «أنا متأكدة أنها كانت في الخريف الماضي. لم أر المغالة بنفسني. ولذا لا يمكنني أن أقول حقاً ماذا كان محتواها».

وقفنا لخمس دقائق وسط ندف الثلج المتطاير في انتظار سيارة، فيما كانت هي تتعلق بذراعي.

قالت: «متد زمن لم أشعر بمثل ما أشعر به الآن من ارتياح».

لقد خامرني أنا أيضاً الشعور ذاته. ربما كان ثمة شيء مشترك يجمعنا معاً.

داخل السيارة لم نتحدث عن شيء بعينه. تحدثنا عن الثلج والصفيح، عن ساعات عملها، عن أشياء في طوكيو. وهو ما جعلني أسأل ماذا سبحدث بعد ذلك. دفعة صغيرة وربما أمكنتني النوم معها<sup>(6)</sup>. كان باستطاعتي أن أسننر ذلك. بالطبع لم يكن بمقدوري الجزم بأنها نرغب في النوم معي. ولكنني فهمت أنها لن تمنع في ذلك. يمكنني أن أرى ذلك في عينيها، في الطريقة التي تنفّس بها، في الطريقة التي كانت تتكلم بها، بل حتى في حركات يديها. وبالطبع كنت أعرف أنني لن أمتنع عن النوم معها. وربما لن نكون ثمة تعقيدات تحول دون ذلك أيضاً. بيد أنه وبطريقة ما خائني عزمي. ظلت فكرة جاذبيتها عالقة في ذهني. كانت تصغرني بعشر سنوات، غير مستفرة بعض الشيء. كانت قد شربت كثيراً حتى إنها لم تستطع أن نمشي بشكل مستقيم. سوف أكون أشبه بمن يدخل رهاناً بأوراق لعب ثم التلاعب فيها. هذا ليس عدلاً.

ولكن إلى أي مدى هو سلطان الجاذبية على الجنس؟ إذا كانت الجاذبية عي ما تبحث عنه، فسوف نكون جبانك الجنسية مثيرة مثلما هو الطحلبل حينما ينمو في حوض زجاجي.

(6) استخدم الراوي لفظة «فنام مع» للإشارة إلى المضاجعة وممارسة الجنس في جميع السياقات ولم يستخدم أي كلمة أخرى موافقة لهذا المعنى، ربما جاز أن نترجم إلى «مضاجعة» لكنني آثرت أن ألزم بالأصل إلا إن العبارة يمكن أن تفهم بلغة المعنى في اللغة العربية أيضاً ولا يمكن أن تنصرف إلى أي معنى آخر غير ممارسة الجنس والفعل المستخدم دائماً هو to sleep with. (الترجم)

صوت المغفل .

ظل الجدال يحتدم في رأسي بينما كان السائق ينعطف نحو البناية الخرسانية البسيطة التي نضم شقتها، لكنها أنهت هذا الاحتمام بشكل واضح حينما قالت : «إني أعيش مع أخني الصغرى».

لم بعد ثمة دافع أو رغبة في مزيد من التفكير حول الموضوع . شعرت بالفعل ببعض الراحة .

ولكنها وهي تغادر السيارة سألتني ما إذا كنت أرغب في مرافقتها حتى باب الشقة . «ربما لا يوجد ما يدعو للقلق» ، قالت متأسفة . «ولكن من حين لآخر وفي الأوقات المتأخرة ، أجد رجلاً غريباً في الردهة» ، طلبت من السائق الانتظار لدقائق قليلة ثم صحبنا وذراعي في ذراعها وصعدنا معاً الطريق المغطى بالثلوج ، صعدنا فابقين من السلالم حتى وصلنا إلى باب شقتها رقم 306 . فتحت حقيبتها اليدوية وراحت تبحث بيدها عن المفتاح ، ثم ابتمست ابتسامة مشوبة بالقلق وشكرتني لفصلها وقتاً طويلاً معي . طمأنيتها قائلاً : «أنا كذلك» .

فتحت الباب ثم أعادت المفتاح إلى حقيبتها . شمع صدى طرقي حفيفتها وهي نزهة . ثم رمقني بنظرة مباشرة . في عينيها كنت أرى مسألة رياضية تستعصي على الحل . كانت مترددة ولم تكن تعرف بأي طريقة تريد أن تقول وداعاً . كان باستطاعتي أن أرى ذلك . مستنداً بيدي إلى الحائط ، انتظرت أن تصل إلى قرار ، لكن ذلك بدا غير وشيك .

قلت : «تصبحين على خير . تحياتي إلى شقيقك» .

على مدى أربع أو خمس ثواني زمت شفتيها ، ثم همست قائلة : «ما فلك عن عيني مع شقيقتي ليس صحباً . في الواقع إنني بمفردي» .

قلت : «أعرف ذلك» .

اعتري وجهها احمرار بطيء . «كيف عرفت؟» .

- لا يمكنني أن أقول كيف . لكنني عرفت .

- إنك مسنحيل ، هل تعرف ذلك؟

كان السائق ينصفج جريدة رياضية حينما عدت إلى السيارة . بدت عليه علامات الدهشة حينما رأيته مرة ثانية خلفه في السيارة أطلب منه أن يقفني إلى فندق الدولتين .

قال يابأسامة بلهاء : «هل حقاً متعود؟ من طاهر الأمور كنت متأكد أنك سوف تدفع الأجرة وتدعني أذهب . هذا ما يحدث عادة» .

- تراهن على ذلك .

- لو أنك مارست عملي هذا طوال المدة التي مارسته أنا فيها ، لما خاب حدسك أبداً تقريباً .

قلت : «حينما نمارس هذا العمل طوال هذه المدة ، فمن المحتمل أن يخيب حدسك بعض المرات . هذا هو قانون الاحتمالات» .

أجاب وهو مرتبك بعض الشيء : «أظن ذلك . ولكن ما زال أمراً غريباً . هل في صديقك؟» .

قلت : «ربما ذلك . ربما ذلك» .

عدت إلى غرفتي ، أخذت حماماً قبل الذهاب إلى الفراش . كان ذلك حينما بدأت أشعر بالندم على ما فعلت ، أو بالأحرى على ما لم أفعله . ولكنني سرعان ما ذهبت في نوم عميق . فعادة لا ندوم نوبات الندم لدي طويلاً .

كان أول ما فعلته في الصباح هو أن اتصلت بقسم الاستقبال ومددت إقامتي لثلاثة أيام أخرى . لم يكن الوقت موسماً سياحياً . لذا فقد سرهم ذلك .

بعد ذلك اشترت صحيفة وتوجهت خارجاً إلى محل «دانكن دوناتس» وتناولت كعكتين مع كوبين كبيرين من القهوة. عادة ما يسام المرء من إفطار الفندق بعد يوم واحد. إن دانكن دوناتس هو الحل الأمثل. فهو رخيص ويمكنك الحصول على أكثر من كوب قهوة. ثم أخذت سيارة تاكسي وطلبت من السائق أن يقطني إلى أكبر مكتبة في سابورو. بحثت عن الأعداد السابقة من المجلة التي يفترض أن مغالطة حول فندق الدولفين نشرت فيها ووجدتها في العدد الصادر في العشرين من أكتوبر. فتمت بتصوير المغالطة، وأخذتها معي إلى مفهى قُرب لقراءتها.

كانت المغالطة وعلى أقل تقدير مريكة. كان عليّ أن أقرأها مرات ومرات فبل أن أنمكن من فهم ما يدور. لقد حاول الصحافي يكل جهده أن يكتب موضوعاً مباشراً، ولكن جهده هذا لم يكن شيئاً أمام التعقيدات التي تملكت التفاصيل. لك أن تتحدث عما بين السطور والتأني. يلزمك أن تجلس أمامها قبل استكشاف خلاصتها العامة. كان العنوان: «عمليات أرض سابورو: آباء سوداء وراء التطوير العمراني». ومعها صورة جوية لفندق الدولفين الجديد الذي كان في حالة شبه مكتملة البناء.

كانت المغالطة بشكل عام كما يلي: قامت أطراف معينة بشراء قطعة أرض كبيرة في أحد أحياء مدينة سابورو. على مدى عامين ظلت أسماء أصحاب قطعة الأرض يتم تداولها تحت السطح وبطرق خفية وملثوية. كانت أسعار الأراضي قد اشتهلت بلا سبب واضح. من دون أي شيء آخر يُعتمد عليه، بدأ الصحافي تحقيقه. كان ما عثر عليه من معلومات كما يلي: تم شراء الأراضي من قبل شركات متنوعة، كانت في معظمها شركات موجودة على الورق فقط. كانت الشركات مسجلة بشكل كامل، وتدفع الضرائب ولكن بلا مكاتب أو

موظفين. هذه الشركات الوهمية كانت مرتبطة مع شركات وهمية أخرى. بصرف النظر عن بكونون، فإن تعاملهم مع ملكية الأرض كان أمراً يارعاً حقاً. فطعم أرض تم شراؤها بعشرين مليون ين ثم بيعت بعشرين مليوناً، والشئ اللاحق لذلك أن تعرف أنها بيعت مرة أخرى بمئتي مليون ين. إذا واصلت تعقب ممتلكات كل شركة من هذه الشركات الوهمية من خلال هذه المتاعه من الثروات المنشايكة، فسوف تجد أنها جميعها تنتهي في المكان نفسه: شركة B. INDUSTRIES. «بي للصناعات» وهي لاعب يحظى ببعض الشهرة في عالم العقارات. الآن شركة بي للصناعات هي شركة حفية ولها مكاتب كبيرة وحديثة في حي أكازاكا في طوكيو. وحدث أن شركة B. INDUSTRIES وبشكل غير معروف على المستوى العام، كانت مرتبطة بشركة A. ENTERPRISE وهي اتحاد شركات ضخمة بشمل خطوط سكك حديد وسلسلة فنادق وشركة إنتاج سيمائي وخدمات طعام ومتاجر كبرى، ومجلات... وكل شيء آخر بدأ من وكالات الانشمان إلى شركات التأمين. وكانت A. ENTERPRISE ترتبط بعلاقات مباشرة مع بعض الدوائر السياسية وهو ما دفع الصحافي إلى متابعة هذا الخطب في تحفته أكثر. وهذا يبين كيف اكتشف أمراً أكثر إثارة، وهو أن متطعة سابورو التي كانت شركة B. INDUSTRIES منهكة ومهتمة بالشراء فيها مخصصة لتنفيذ مشروعات ضخمة لإعادة التطوير. كانت الخطط قد تم وضعها بالفعل لبناء أنفاق ونقل المكاتب الحكومية إلى المنطقة. كان يفترض أن يأتي الجزء الأعظم من تمويل مشروعات البنية التحتية من الداخل. ويبدو أن الإدارات الحكومية على مستوى الدولة والبلدية والحي قد عملت معاً على عملية التخطيط وأقرت برنامجاً شاملاً لعملية التقسيم العمراني للمناطق والميزانية وحجم التطوير. ولكن



ما إن ترفع هذا الغطاء حتى يتضح لك أن كل متر مربع من مواقع إعادة التطوير قد تم الاستحواذ عليه بشكل منهج على مدى السنوات الفلبيلة الماضية. ثمة شخص كان يسرب المعلومات إلى A. ENTERPRISE. وطبق ذلك كإستراتيجية سرية موجودة حتى قبل أن تتم الصاعقة النهائية لخطط إعادة التطوير. وهو ما يوضح أيضاً، ومن وجهة سياسية، أن الخطط النهائية كانت أمراً واقعاً ربما منذ البداية الأولى لكل خطة.

ومن هنا حصل فندق الدولفين الصورة. لقد كان هو رأس الحرية في عملية الاستحواذ السرية على العقارات. ففندق الدولفين يتنقل مقلداً فخماً من الطراز الأول. ونحن ثم يمكن لشركة A. ENTERPRISE أن تنشئ مكاتب في هذه السمجة المعمارية المشيدة من الكرم والمزهر كفاعلة محلية لأعمالها. كان المكان منارة وبرج مراقبة ورمزاً مشهوراً للتطوير. وكذلك، مركز استقطاب يمكنه أن يعيد توجيه تدفق الناس في البحر. كان كل شيء يسير حسب ما هو مرسوم له في الخطط شديدة التعقيد.

هذه هي الرأسمالية المتقدمة بالتسبب لك في اللامبالية الذي يقوم بأقصى قدر من الاستثمار الرأسمالي يحصل على أقصى قدر من المعلومات المهمة وذلك لكي ينجي أقصى قدر يشتبه من الأرباح بأقصى كفاءة لرأس المال، من دون أن يظرف لأحد جفن. إنه مجرد جزء من كيفية توجيه رأس المال هذه الأيام. إنك تطلب أكبر عائد على رأس المال الذي وضعت، فالتسبب الذي يقدم على شراء سيارة مستعملة يعني بأن يركل الإطارات ويحصى ما تحت الغطاء الأمامية، كذلك يعني اتحاد الشركات الذي يستثمر مئة مليار ين بأحد التفاصيل حول المكان الذي سببها إليه رأس المال، وعادة ما يقوم بقليل من التلاعب. ليس هناك أي علاقة بين ذلك وبين التزامة، في ظل وجود

هذا النوع من الأموال المتاحة من يمكنه أن يجلس صامتاً للتفكير في أمور نجرية مثل تلك؟

بل إنهم أحياناً كانوا يرغبون الناس على البيع. فمثلاً، إذا افترضنا أن شخصاً ما يريد أن يبيع، ولكن صاحب متجر أجهزة حويل. هنا يخرج أولاد أفضاظ من محابيتهم ليحفظ الشركات الكبرى بصلات معهم، ويمكنك العراصة على أنهم يضعون كل الأشخاص بدءاً من السياسيين والبرلمانيين ونجوم الغناء وحتى عصابات ياكوزا تحت نفوذهم. لذا فإنهم يكنفون بالاتصال بهؤلاء الأولاد الذين يأتون بسيوف الساموراي. ولا تتحمس الشرطة كثيراً لمواجهة أمور كهذه خصوصاً أنها تعرف أن الترتيبات قد اتت بالفعل في مستويات عليا. ليس ذلك فساداً حتى. تلك هي الكيفية التي يعمل بها النظام. ذلك هو الاستثمار الرأسمالي. لا شك أن هذا النوع من الأشياء ليس بجديد على العصر الحديث. إن كل ما حدث قبل ذلك ليس شيئاً مغايراً بالتفاصيل الدقيقة والهوة المحضة وهشاشة الشبكة العنكبوتية لرأسمالية اليوم. إنها أجهزة الحواسيب العملاقة التي جعلت كل ذلك ممكناً، مع وجود قدراتهم على الإلقاء، كما على اجتذاب كل العوامل وكل الظروف على وجه الأرض للعمل لحساباتهم الصافية. لقد تدفقت الرأسمالية المتقدمة على نفسها وليس من المبالغ في شيء أن تقول إن المعاملات العالية قد أصبحت عملياً نشاطاً دينياً. نوع جديد من التصرف. بعد فيها الناس المال ويعشقون في حالة التور التي على رأسه ويركعون أمام أسلحة سيارات البورش وقطع الأراضي في طوكيو. يعبسون كل شيء. ترمز إليهم سيارات البورش اللامعة. إنها مادة الخرافة الوحيدة الباقية في العالم.

إنها رأسمالية آخر الأيام. شئت أم أبيت، إنها المجتمع الذي نعيش فيه. حتى معايير الصواب والخطأ تم تفسيهما وأصبحت أكثر

نعقيداً. داخل الخير يوجد خير مسابر للعصر وآخر غير مسابر للعصر والأمر نفسه بالنسبة للشر. وضمن الخير المسابر للعصر هناك الرسمي وغير الرسمي، هناك الفضفاض وهناك المتحرر وهناك العصري، وهناك المتعالي. خلطت من هذا وذاك. مثلما نلّس جاكيت مبسوتي مشمولاً وحذاء بوليني أسود لامعاً. يمكنك الآن أن نستمتع بهجين من الأخلاقيات. إنه الطريق الذي يتجه صوبه العالم، فحنى الفلسفة أخذت تبدو أكثر وأكثر شبيهاً بإدارة الأعمال.

على الرغم من أنني لم أكن اعنيها كذلك وفذاك. فإن الأشياء كانت أكثر بساطة في 1969. كل ما كان يعين عليك عمله للتعبير عن نفسك هو أن ترشش شرطه مكافحة الشغب بالحجارة. ولكن مع تعقيدات هذه الأيام، من يمكنه أن يرشش الحجارة؟ من يمكنه أن ينحدي الغاز المسيل للدموع؟ لقد تم التلاعب بكل الأشياء، وأصبحت مرتبطة بالشبكة الهائلة لرأس المال، ومن وراء هذه الشبكة توجد شبكة أخرى. لا أحد يتجه لأي مكان. ارشش حجراً وسوف نجدته يرتد مباشرة إليك.

كان الصحافي قد كرس الكثير من جهده لاغتناء أثر الخيط في مفاثه. لكن وعلى الرغم من غضبه أو بالأحرى بسبب غضبه، افترقت المقالة بشكل بشير المساؤل إلى الفاعلية. لم تكن صرخته صرخة حاشد؛ يبدو أنه فقط لم يكن مدركاً أن شيئاً من كل ذلك هو موضع اتهام. كانت حالة طبيعية. طبيعة نظام اليوم والمعرفة العامة. وهذا هو السبب في أن أحداً لم يكن يبالي. إذا استطاعت المصالح الرأسمالية الضخمة الحصول على المعلومات بشكل غير قانوني واستحوذت على الممتلكات واستصدرت عدداً من القرارات السياسية، ثم حصلت على الصفقة بجعل عصابات الهاكوزا تنزع منهجراً صغيراً للأحذية تحت التهديد هنا، أو ربما شرب صاحب فندق صغير هناك،

فما الضرر في ذلك؟ تلك هي الحياة؛ يا صديقي. إن رجال الزمن نظل تجري من تحت أقدامنا. لم نعد نفث حيث كنا نفث قبل ذلك. لقد بذل الصحافي كل ما بوسعه. كانت المقالة جيدة من الناحية البحثية، وزاعرة بالسخط المحق، ولكنها كانت بشكل مبهوس منه غير مسايمة.

طويتها، ووضعها في جيبي، ثم شربت كوباً آخر من القهوة. خطر بيالي صاحب فندق الدولفين القديم. ذلك الشخص العائر الحظ الذي ظل الانهزام جائماً عليه منذ ميلاده. كان من المستحيل عليه أن يسابر هذا الزمن وهذا العصر.

«إنه غير مسابر للعصر»، قلت بصوت عالٍ.

ومفني إحدى التادلات بنظرة مزعجة.

أخذت سيارة أجرة وعدت إلى الفندق.

أبقيت الكرة في الهواء : ليس الآن .

كنا على وشك الانتهاء من هذا الحوار المذهّب والمشارع .

- «اسمع» ، قلت مختبراً مجرى الحوار «هناك معروف أرجو»  
منك» . كنت قد أسدبته معروفاً قبل وقت طويل . أنا وهو كنا نذكر .  
وإلا فلأنني لست من هؤلاء الذين يطلبون المساعدة من الناس .

- «بالناكيد» ، قال بدون أي رسميات .

سألته : «هل تذكر حينما عملنا معاً على النشرة الصحفية الخاصة  
بالسلسلة الفندقية؟ ربما قبل خمس سنوات مضت؟» .

- نعم أذكر ذلك .

- قل لي هل ما زلت تحتفظ بأي اتصالات حية هناك؟

أطرق لبرهة . «لا يمكنني القول إنها تتحرك . ولكنها حية ما  
دامت هناك حبة» . ليس من المستحيل تدفنتها إذا لزم الأمر» .

- هناك فتى كان يعرف الكثير عما يدور في الصناعة . لا  
يحضرني اسمه . كان شاباً نحيلاً ويرتدي دائماً قبعة غريبة . هل تعتقد  
أن بإمكانك الاتصال به؟

- أعتقد ذلك . ما الذي تريد أن تعرفه؟

فدمت له تقريراً موجزاً عن التحقيق الصحفي الذي كشف بعض  
الحقائق عن الدولفين . دُونَ تاريخ نشر الموضوع . ثم أخبرته عن  
فندق الدولفين القديم الصغير الذي كان هنا قبل الظهور المتوحش  
للدولفين الحالي وقلت له أود أن أعرف المزيد عن الأشياء التالية :  
أولاً ، لماذا احتفظ الفندق الجديد باسم الفندق القديم؟ ثانياً ، ماذا كان  
مصير صاحب الفندق القديم؟ وأخيراً ، هل هناك أي تطورات جديدة  
طلعت على سطح الفضيحة؟

دُونَ كل ما قلت ثم أعاد قراءته عليّ عبر الهاتف .

(8)

من غرفتي اتصلت بشريكى السابق في طوكيو . كان على الطرف  
الأخر من الهاتف شخص لم أكن أعرفه سألني عن اسمي ، قبل أن  
يحيلني لشخص آخر سألني عن اسمي هو الآخر ، وأخيراً جاءني  
شريكى السابق على الهاتف . بدا مشغولاً . كان قد مر قرابة العام على  
آخر مرة تحدثنا فيها . ليس لأنني كنت أنحاشاً عن قصد ، وإنما  
بسبب أنه لم يكن لدي ما أتكلّم معه بشأنه . كنت دائماً أحبه وما  
زلت . ولكن في واقع الأمر كان شريكى السابق بالنسبة لي (كما كنت  
بالنسبة له) «أرضاً منسية» . مرة ثانية ، هذا لا يعني أن كلا منا قد دفع  
بالآخر إلى ذلك الموقع . فقط كل منا سلك مساراً منفصلاً ويبدو أن  
المسارين لم يتقاطعا ، لا أكثر ولا أقل .

سألته : كيف حالكم؟

قال : جيد بما يكفي

أخبرته أنني في سابورو . سألني إن كان الجو بارداً هناك .

أجبت : نعم إنه بارد .

كان سؤالى التالي : كيف يسير العمل؟

أجاب بكلمة واحدة : مشغول .

حان دوره للسؤال : هل تتلجج هناك؟

- هل هذا هو كل شيء؟

قلت: «هذا يكفي».

- سوف أرى ماذا يمكنك فعله اليوم، ما هو رقمك هناك؟

أعطيت رقمي.

- «سأحدث معك لاحقاً». قال ووضع السماعة.

اتصلت بخدمة الغرف وطلبت ساندويتشاً تناولته وأنا أحضري كوباً من البيرة، حينما لا يكون لديك ما تفعله، فإنك لا تفعل شيئاً بانتباه.

في السابعة والنصف اتصل شريكى السابق

قال: «لقد عثرت على الفتى».

- هل واجهت الكثير من الصعاب؟

- «بعضاً منها». قال بعد توقف قصير كشف أن الصعوبات كانت

جمعة. «دعني أستعرض كل شيء معك. أظن أنه يمكنك القول إن

الغطاء كان مغلفاً على هذه وإحكام شديد. بل ليس مغلفاً فقط. إنما

كان مسقراً بالمسامير ومحفوظاً بعمد في قبو معلق. لم يكن متاحاً

لأحد الوصول إليها. إنها «فضية ثم إعلانها». ليس ثمة ما يمكن

النشيط فيه على الإطلاق. يبدو أنه كانت هناك بعض المخالفات

الصغيرة في بعض الإدارات الحكومية أو البلدية. لا شيء ذا أهمية،

مجرد تعجيرات طفيفة كما يقولون. لا أحد يعرف أكثر من ذلك.

مكتب المدعي العام تحزى الأمر لكنه لم يصل إلى أي شيء بجرم

أحد. الكثير من الخطوط تجري خلال هذه العملية. مادة تثير الشهية.

كان من الصعب أن تستخرج أي شيء من أي شخص».

- اهتمامي بالموضوع هو اهتمام شخصي. لن أسبب مناعب

لأي أحد.

- هذا هو ما فلتة بالضبط للفتى.

ممسكاً بالسماعة مددت ذراعي إلى التلاجة وأخرجت فتية أخرى

من البيرة وصيبت منها في كوب.

قال لي شريكى السابق: «على الرغم من أنني سوف أبعد مثل

والذلك، فإن لدي كلمات قليلة أرجو أن نعيها: إذا كنت ستتحري

الأمر، فستلحق بنفسك الأذى. هذا الأمر على ما يبدو كبير، كبير

تناولت غداء خفيفاً في مفهى في الفندق، ثم ذهبت إلى البهو

ورأيت الفتاة ذات النظارة خلف مكتب الاستقبال. انتحيت جانباً في

معدد بأحد أركان البهو وأنا أرفبها. كانت منهمكة في عملها وبدأ أنها

لم تنبه لوجودي. أو ربما انتبهت ولكنها تحاول أن تبدو طبيعية. لم

يكن بعيني ذلك بحسب ما أظن. أحببت رؤيتها هناك. وفلت في

نفسى: كان بإمكانى أن أنام معها لو أردت.

هناك أوقات أجدي بحاجة إلى الحديث مع نفسى بهذا الشكل.

بعدما نشبعت من رؤيتها، أخذت المصعد وعدت إلى غرفتي

وفرات كتاباً. كانت السماء في الخارج مليدة بالغيوم وهو ما جعلني

أشعر كما لو كنت أعيش فوق مسرح ضعيف الإضاءة. لم أكن أعرف

منى سوف يعاود شريكى السابق الاتصال ولذلك لم أبدأ الخروج وهو

الأمر الذي لم يترك لي غير القليل لفعله: القراءة. انتبهت من كتاب

جاك لندن ومن ثم بدأت بكتاب «الحرب الأهلية الأسبانية».

كان يوماً أشبه بفيديو بطيء الحركة في وقت الفسق. يوم عادي.

راح لون السماء الرمادي يختلط بالأسود في بطة حتى تماهى مع الليل

أخيراً. مجرد ملمح آخر من ملامح الاكتئاب. كما لو أنه لا يوجد غير

لونين في العالم الرمادي والأسود يتقدمان ويتراجعان فيما بينهما بشكل

منظم.

جداً. لست أدري ماذا وجدت هناك، لكن لو كنت مكانك لما ذهبتُ  
بعيداً فيه. فكر في سنك ومكانك، ينبغي عليك أن تعيش ما بقي لك  
من حياة في جو أكثر سلاماً. لكن ليس معنى ذلك أنني النموذج  
الأمثل».

قلت: «إذاً تعرفه».

سعل، فيما رشفت رشفة من البيرة.

– بخصوص صاحب فندق الدولفين القديم، يبدو أن الرجل لم  
يذعن حتى آخر لحظة وهو ما جلب عليه الكثير من الأسى. كان  
ينبغي أن يخرج من ذلك، لكن ببساطة لم يقبل أن يخرج. لم يستطع  
أن يقرأ الصورة الكبرى.

قلت: «كان من هؤلاء الأشخاص شديدي التصليب».

– نعرض للعواقب السيئة للمشروع. مجموعة من عصابات  
الباكوزا انتقلت إلى الفندق وعاشت يوماً رياضياً فيه. ليس هناك أسوأ  
من أن تخالف القانون. عقدوا محكمة في البهو وكانوا يتحدثون كل  
شخص بمشي بالمكان. هل فهمت قصدي؟ وما زال الرجل يغط في  
نوم عميق.

قلت: «يمكنني تفهم ذلك». كان صاحب فندق الدولفين ممن  
ذاقوا البؤس بكل ألوانه. لذا لم تكن هذه المحنة الضئيلة لتقضى  
مضجعه.

– وفي النهاية خرج الدولفين بأعرب عرض ممكن. أخبرهم  
الرجل بأنه سوف يحزم أمتعته بشرط واحد. ولعلك نعرف أي شرط  
كان؟

قلت: «ليس لدي دليل».

– خمن. . . فني هذا الإجابة عن أسئلتك الأخرى.

قلت: «بشرط أن يُبفوا على اسم فندق الدولفين. هل هو  
ذلك؟».

قال: «نعم! تلك كانت الشروط وذلك هو ما وافق عليه  
المشتركون».

– ولكن، لماذا؟

– إنه ليس اسماً سيئاً. فندق الدولفين اسم جيد بما يكفي.

قلت: «حسناً. أظن ذلك».

– الأكثر من ذلك أن هذا الفندق كان من المفترض أن يكون  
الفندق الرئيسي في سلسلة جديدة من الفنادق التي كانت تخطط لها  
A. ENTERPRISE. فنادق فخمة، ولبست من نوعية الدرجة  
المتوسطة التي اعتادوا عليها. ولم يكن لديهم بعد اسم للسلسلة.

– ومن هنا كانت سلسلة فنادق الدولفين.

– حسناً. سلسلة تنافس سلسلة فنادق الهيلتون وحياة العالميتين.

كررت الاسم مرة ثانية: «سلسلة فنادق الدولفين».

ترأت ثم واه وحلم ثم فتحه. «إذاً ماذا حدث لصاحب فندق  
الدولفين القديم؟».

– من يلدي؟

رشفت رشفة أخرى من البيرة وحككت أذني بطرف قلبي.

– حينما غادر أعطوه مبلغاً جيداً من المال يمكنه أن يفعل به أي  
شيء. ولكن ليس ثمة سبيل لتعقب أثره. كان مجرد لاعب صغير ومر  
مروء.

– أظن ذلك.

قال شريكى السابق: «هذا كل ما استطعت أن أكتشفه. لا شيء  
أكثر من ذلك. هل ذلك بكفك؟».

قلت : «شكراً . لقد أبدت لي مساعدة كبيرة» .  
نظف حنجرته .

سألت : «هل دفعت مالا في سبيل ذلك ؟» .

قال : «لا . سوف اشري لثني حذاء . ثم أحضبه إلى أحد نوادي حي جيتزا ثم اتبع له أجرة السيارة التي ستفله إلى منزله . هذا ليس كثيرا . كما أتس الأمر . يمكنني وضعها في حساب المصروفات على أي حال . كل شيء يمكن حسبه بهذه الطريقة . دائما ما يطلب مني محاسبي أن أنفق أكثر . لذا لا أنفق بشأن ذلك . إذا ما سألوك الرغبة في أي وقت للذهاب إلى ناديني حي جيتزا فأخبرني بذلك . سوف أنكفل بكل شيء . ونذكر أنك لم تذهب مسافراً إلى أي من تلك الأماكن» .

- ولكن ما الجاذبية في نادي جيتزا ؟

قال : «شباب وقصات . كميات لطيفة من مخاضات الفرائب لدي» .

- لماذا لا نذهب معاً ؟

قال وهو يبدو شاملاً للغاية : «لقد فعلت ، لم يكن ذلك سدة معة طويلة» .

وقع كل منا الآخر ووضعنا التماصات .

رحبت ألكم في شايي السابق . كان في عري نفسه ولكن كان يمسره كرش . نجد كل أنواع الأدوية في مكتبه . كان منجوقاً بالفعل بشأن من فاز بالانتخابات ، فلما على تعليم أطفاله . دائم الشجار مع زوجته ، ولكنه كان رب أسرة حقيقياً . بالتأكيد كانت لديه نقاط ضعف ، فكان معروفاً بينهم الكبير للشراب ولكنه مع ذلك كان بهجته

في عمله ، كما أنه من هؤلاء الأشخاص المستفيدين بكل ما تعني الكلمة .

بدأ تعاوننا مباشرة بعد الكلية وسار ذلك بشكل جيد . أسسنا مكتباً صغيراً للترجمة كنت غير متأكد من نجاحي . لم يكن كل منا الصديق المحبوب للآخر . لكن كونا شراكة جيدة بما يكفي . كنا نلغني كل يوم . لم يحدث أبداً أن نشب بيننا شجار . كان هادئاً ومهذباً وأنا لم أكن من هؤلاء الذين يهون المشاحنات . كنا نختلف أحياناً ، ومع ذلك يمكننا من مواصلة العمل معاً على أساس الاحترام المتبادل . ولكن حينها وقع ما لم يكن بالحسبان ، انفصلنا ، ربما في الوقت المناسب أيضاً . لكنه بدأ العمل مرة ثانية . وأدار الإنفاق والمصروفات بشكل ربما أفضل مما كان عليه الأمر حين كنا معاً . تركت الشركة ووظفت طامع عمل جديداً ناعماً . حتى على المستوى النفسي بدأ أنه أصبح أكثر استقراراً .

والأمر الأكثر احتمالاً أنني كنت سبب المشاكل . وربما كان لي تأثير غير صحي عليه . وهو ما يعين على تفسير النحس الذي طرأ على أوضاعه بعد أن تركته . كان يتوجه إلى موظفيه ويطلبهم للحصول على أفضل ما لديهم ، ويلقي التيكات السخيفة مع المرأة التي تمسك بالدفانر ، ويصحب عملاءه طامعاً إلى نوادي الجيتزا . مهما نقل ذلك علي نفسه . ولو أنني ظلمت معه ، فلربما كان ذلك حبيباً في جعله أكثر نوتراً بشكل لا يمكنه من القيام بذلك . كان دائماً يحب حساباً رأيي فيه ، ولقاء بشأن ما سأل . إنه من هذه النوعية من الأشخاص . وعلى الرغم من كل ذلك فإني لم أكن في الحقيقة أغير ما يقوم به اهتماماً كبيراً .

حسناً إنه الآن مسؤول عن نفسه في كل شيء .

ولذلك حينما تركته ، لم يكن خائفاً من التصرف بشكل ناضج .

في التاسعة صباحاً رن جرس الهاتف. لم أكن أنتظر أي مكالمات. لم يكن أحد سوى شريكى السابق يعرف أنني هنا. لذا لم أستوعب صوت الجرس في البداية. لم أرفع السماعة إلا بعد أربع دقائق.

- كنت نرفني اليوم وأنا في بهو الفندق، أليس كذلك؟ جاء صوت صديقي موظفة الاستقبال. لم يبد أنها غاضبة، ولكنها لم تكن سعيدة تماماً أيضاً. كان صوتها خالياً من أي غموض. أجبت: «نعم كنت أرفك».

ساد صمت

- لا أحب أن يرفني الناس وأنا في عملي. إن ذلك بشير أعصابي ويجعلني أرتكب الأخطاء. شعرت بأن عيبك كانتا مسأطين علي طوال الوقت.

قلت: «آسف. لن أصدق فيك مرة ثانية. كنت أرفك فقط لمنع نفسي الكفة. لم أكن أظن أن ذلك سوف يؤثر إلى هذا الحد. من الآن فصاعداً سأكون أكثر حرصاً. من أين تتصلين؟»

أجابني: «من المنزل. إنني على وشك أن أخذ حماماً قبل أن أذهب إلى الفراش. لقد مدت إقامتك، أليس كذلك؟»

- آه، لقد تم إرجاء المهلة قليلاً من الوقت.

ساد صمت قصير مرة ثانية.

سألت: «هل تعتقد أن نورتي كان مبالغاً فيه؟»

قلت: «لا أعرف. إنه أمر يختلف من شخص لآخر. ولكن على أي حال أعتقد ألا أصدق مرة ثانية. لا أريد أن أخرب عليك عملك».

أطوقت ليرة، ثم تمنى كل منا للأخر يوماً هاتئاً.

وضعت السماعة، وأخذت حماماً وتمددت على أريكة ورحبت

أفراً حتى الحادية عشرة والنصف. ثم أوندت ملاهي وخرجت إلى الردهة. وأخذت أمشي جيئةً وذهاباً. كانت الردهة أشبه بمناخة. في الطرف الفضي منها كان يوجد مصعد موظفي الفندق، كان محجوباً بعض الشيء عن الرؤية، بجوار سلم الطوارئ. إذا نتيت لوحات الإشارات إلى أرقام غرف النزلاء فسوف تصل إلى مصعد مكتوب عليه «للأمتعة فقط». وقفت أمامه ولاحظت أنه منوقف في الطابق الأرضي. يبدو أن لا أحد يستعمله. كانت نتيت من سماعات السف مفاطع موسيقية لأغنية «لايف إز بلو» "Love Is Blue" الشهيرة للموسيقار الفرنسي بول موريات.

ضغطت الزر. تحرك المصعد وبدأ في الصعود. كانت الشاشة تسجل الطابقين - 2، 1، 3، 4، 5، 6 - ببطء، ولكنها كانت تتقدم بلبات على إيقاع الموسيقى. إذا تبين أن شخصاً ما داخل المصعد يمكنني أن أدعي عدم المعرفة. إنه خطأ يقع فيه النزلاء طوال الوقت. 11، 12، 13، ويصعد بثبات. تراجعبت خطوة للخلف ودست يدي في جيبي وانتظرت الباب حتى يفتح.

15- توقف المصعد. كانت هناك لحظة توقف ولم يصدر أي صوت، ثم انفتح الباب. كان المصعد خالياً.

صمت مطبق في المكان. فارق شاسع بينه وبين الضجيج والصفير الخريب في الفندق القديم. دلفت إلى داخل المصعد وضغطت على الرقم 16. اتغلخ الباب دون أي صوت مرة ثانية، شعرت بحركة خفيفة قبل أن يفتح الباب. الطابق السادس عشر. كان ساطعاً ومضاء بشكل كامل، وما زالت الموسيقى تندفق "Love Is Blue" من السف. لا ظلام ولا روائح عفنة. قطعت الطابق مشياً من بدايته حتى نهايته. تبين أن له نصميم الطابق الخامس عشر نفسه. الردهات الملثوية نفسها. الترتيب اللامتناهي نفسه لغرف النزلاء،

الفجوة نفسها الخاصة بتلاجات بيع المشروبات، المصاعد الخاصة بالترلاء نفسها.

كان السجاد أحمر داكناً، ذا وبر كثيف وناعم. لا يمكنك حتى أن تسمع وقع خطواتك. في الواقع كان كل شيء في حالة من الصمت الرهيب. لم يكن هناك سوى معزوفة "A Summer Place" ربما ليبرسي فيث. بعد أن وصلت للنهائية استندت للخلف ومشيت حتى منتصف الردهة إلى حيث مصاعد النزلاء ونزلت إلى الطابق الخامس عشر. ثم كروت الخطوات نفسها مرة ثانية. مصعد الموظفين إلى الطابق السادس عشر حيث كان كما كان من قبل، طبعي بشكل تام وجيد الإضاءة. وما زالت "A Summer Place" تسمع.

توفقت عن ذلك، وذهبت إلى الطابق الخامس عشر مرة أخرى واحتسبت رشفتين من البراندي وأويت إلى الفراش.

عند الفجر، نحول الأسود مرة أخرى إلى الرمادي. كانت الثلوج تتساقط. وفكرت، ماذا يمكنني أن أفعل اليوم؟

كالعادة لم يكن ثمة ما يمكنني عمله.

منبت نحت الثلج إلى دائكن دوناتس وأنا أمضغ بعض الكعك. ونصفت جريدة الصباح وأنا أحسني قهروني. فرأت مقالة حول الانتخابات المحلية قراءة سريعة. مروت خلال قوائم الأفلام السينمائية. لم يكن بها شيء أرغب في مشاهدته، ولكن كان ثمة فيلم واحد يشارك فيه أحد زملائي السابقين في المدرسة الثانوية. فيلم عن القتل النفسي لدى المراهقين، اسمه: «حب من طرف واحد» بين ممثلة شابة واعدة ومطرب شاب واعد. يمكنني أن أخمن نوعية الدور الذي سيلعبه زميل دراستي الثانوية: مدّوس شاب وسيم وذكي، طويل ورشيق ورياضي، الفتيات يذبن أمامه. بالطبع كانت الفناء البطلة فد وقعت في غرامه. لذا فهي تمضي الأحد في إعداد الكعك ثم تأخذه

إليه في شفته. ولكن كان هناك فتى آخر بهنّم بأمرها ويسمى إليها. فتى متوسط، خجول إلى حد ما، .. تمطي. يمكنني أن أحكي القلم دون مشاهدته.

حينما أصبح زميل دراستي ممثلاً، ذهبت لمشاهدة أفلامه الأولى القليلة، مدفوعاً إلى حد ما بالفضول. ولكن سرعان ما لم أعد أهتم بالأمر. فكل فيلم هو استنباط تام من القالب نفسه، وكل دور لعبه كان هو الدور نفسه: «طويل، وسيم، رياضي، نظيف، غالباً يكون طالباً في البداية ثم يصبح لاحقاً مدرساً أو طبيباً أو رجل أعمال شاباً من الصفوة، نعشفه جميع الفتيات اللاتي يُحِبُّنَّ به. كانت له أسنان منمقة وابتسامة ساحرة. دمت الأخلاق. ومع ذلك فإن أفلامه ليست بالقبعة التي تجعلك ترغب في دفع النقود لمشاهدتها. والآن لست ذلك المنكبر الذي يذهب فقط لمشاهدة أفلام فيليني أو ناركوفسكي. لست ذلك على الإطلاق. ولكن أفلام هذا الرجل كانت هي الأسوأ. إنتاج منخفض الميزانية، يقوم على قصص مكررة وحوار متواضع، أفلام يمكنك الفرل إن المخرجين أنفسهم لم يهتموا بها.

وعلى الرغم من أن زميلي في حياته الواقعية كان يشبه كثيراً الأدوار التي لعبها فإنه كان لطيفاً بما فيه الكفاية ولكن من كان يعرف بالفعل أي شيء عنه؟ كنا في الفصل الدراسي نفسه خلال الصف الأول من المدرسة الثانوية وذات مرة اشتركتنا في الطاولة نفسها في المعمل أثناء إحدى التجارب العلمية. كنا صديقين. ولكن حتى في ذلك الوقت كان لطيفاً لدرجة تجعله غير واقعي - تماماً هو في أفلامه. كانت الفتيات بالفعل يقفن في حبه. فإذا تكلم معهن كانت أعينهن تغورق. وإذا أشعل أنبوبة اللهب في المعمل بيديه الرقيقين، كان كما لو أنه حفل افتتاح الألعاب الأولمبية. لكن أباً من الفتيات لم تكن تلحظ أنني موجود.



فاتحة الزرفة. لم تنتظر حتى أفتح الباب بشكل أوسع، إذ تسلسل داخل الغرفة مثل شبح وأرصدت الباب.

قالت بسرعة: «إذا اكتشفوا وجودي هنا فسيم فصلني. إنها سياسة الفندق».

جالست بناظرها في الغرفة ثم جلست على الأريكة، وهي نشد طرف ثنورها نحو ركبتيها، ثم نهضت تنهيدة. وقالت: «إنه وقت هسراحتي الآن».

سألتها: «ماحتسي بعضاً من البيرة الآن، هل نرغبين في شرب هي؟».

- لا. شكرأ. لبس لذي كثير من الوقت. لقد أغلقت على قسك الباب طوال النهار، أليس كذلك؟

قلت: «لم يكن لدي شيء محبب أعمله. إنني فقط أشتت الساعات بالقراءة ومشاهدة التلوج».

- ما هذا الكتاب؟

- إنه حول الحرب الأهلية الأسبانية. تاريخها بالكامل من بدايته حتى النهاية. مليء بالغزو واللمز. لا شك أن الحرب الأهلية الأسبانية كانت زاخرة بالإباحتات التاريخية.

قاطعتني: «اسمع، لا نفهم ذلك خطأ».

سألت: «ما هو الذي لا أنهمه خطأ؟».

ساد صمت للحظات.

سألها: «هل نعين مجيئك لغرفني؟».

- آ، نعم.

جلست على حافة السرير والبيرة في يدي. «لا داعي للفلق. لا أنكر أنني دهشت لرؤيتك تغيب على باب غرفتي. لكنها الدهشة السارة. إنني مبهت بمثل هذه الصحة. لقد كان يومي مملاً للغاية».

كانت علامانه الدراسة جيداً أيضاً، دائماً يأتي في المركز الأول أو الثاني في الفصل. لطيف، مخلص وودود. لم يكن بهم نوع الملابس التي يرتديها، فهو يبدو دائماً أنيقاً ونظيفاً. بل حتى حينما كان ينزل كان ثمة شيء أثبت يحيط به. بالكاد يمكن أن يبدو رجلاً أنيقاً وهو ينزل. بالطبع كان جيداً في الرياضات ونشطاً في المدرسة. كانت تدور شائعات حول علاقة بينه وبين أشهر الفتيات في الفصل، ولكن أحداً لم يتأكد من ذلك. كل المدرسين كانوا يعتبرونه عظيماً، وفي يوم اجتماع أولياء الأمور كانت جميع الأمهات يفتنن به أيضاً. كان ناعماً ذلك النوع. رغم ذلك، وكما قلت، كان أمراً صعباً أن تعرف كيف كان يفكر هذا الشخص.

حيناه كانت تقريباً مستقاة من الأفلام السينمائية.

ما الذي يجعلني أدفع نفودي للذهاب لمشاهدة فيلم كهذا؟

ألفيت بالصحيفة في سلة القمامة وعدت إلى الفندق تحت التلوج. حينما دخلت إلى بهو الفندق نظلت نحو مكتب الاستقبال لكن صديقتي لم تكن هناك. توجهت إلى زاوية ألعاب الفيديو ولعبت دورتين من لعبة باكمان وجالاسي. أرهفت أعصابي. ألعاب مثل تلك تستخرج العدوانية من داخل الأشخاص. ولكنها تفل الوقت.

بعد ذلك عدت إلى غرفتي ورحت أقرأ.

كان يوماً يستحيل أن نفهمه. حينما شئت من القراءة، رحت أنظر من النافذة إلى التلوج. ظلت تثلج طوال اليوم. وجدته أمراً بشير في الإلهام أن نظل السماء تثلج بهذا الشكل. في الثانية عشرة: نزلت إلى المطبخ للغداء. ثم عدت إلى غرفتي ورحت أقرأ وأأمل التلوج.

ولكن مع ذلك، لم يكن هذا اليوم كله خسارة. في الساعة الرابعة وفيما كنت ممدداً على السرير وأنا أقرأ سمعت طرفة على الباب. كانت صديقتي موطئة الاستقبال نفث هناك بنظارتها وسترتها

وقفت وفي وسط الغرفة . خلعت سترتها وعلفتها بعناية على ظهر كورسي حتى لا تتجمد . ثم مشيت باتجاهي عند حافة السرير وجلست . ساقاها كانتا متوازيتين ببناسق . من دون السترة بدت عزلاء وغير محصنة . طوفتها بذراعي فيما أراحت هي رأسها على كتفي . كان فميصها قد نم كيه بعناية وتنبعث منه رائحة عطرة . مكثنا على هذه الوضعية خمس دقائق . أنا أطوقها بذراعي فحسب ، وهي تجلس هناك مسندة رأسها على كتفي ، معصية عينها ، تنفس ببطء ، تقريباً كما لو كانت نائمة . في الخارج واصلت الثلوج تساقطها ، دون نهاية ، تتبلع كل صوت .

كانت متعبة . كانت تحتاج إلى شجرة نام عليها ، وكنت أنا أقرب غصن لها . أدركت الأمر . بدا من غير المعقول ومن غير العدل أن امرأة في شبابها وجمالها الغضّ يجب أن تكون مرهقة إلى هذا الحد . بالطبع لم يكن الأمر غير معقول أو غير عادل . فالإرهاق لا يأبه لسن أو جمال . مثل الأمطار والزلازل والبرد والفيضانات .

رفعت رأسها عن كتفي ، ووقفت منتعبة ، ولبست سترتها . مشيت باتجاه الأريكة وجلست وراحت تداعب خاتمها في إصبعها الصغير . حينما ارتدت زبي الفندقي بدت صارمة ومنحظة . ظللت جالساً على حافة السرير .

بدأت : « هل تذكرين تلك التجربة العجيبة التي مررت بها في الطابق السادس عشر . هل فعلت أي شيء . معين أو هل كان شيء خارج عن المألوف ؟ مثلاً قبل أن تدخل المصعد ، أو أثناء صعودك فيه ؟ »

رفعت رأسها مستغربة . « دعني أتذكر . لا ، لا أظن ذلك . ولكنني لا أستطيع حقاً أن أتذكر . »

- ألم يكن شيء إيجاباً بأي شيء غريب ؟

هزت كتفها وقالت : « كل شيء كان كما هو . لم يكن شيء مستغرب على الإطلاق . وفعلتُ كل ركوبي المصعد طبيعياً بشكل تام ، ولكن ما إن فتح الباب حتى نحول كل شيء إلى عتمة حالكة السواد . هذا هو كل ما في الأمر . »

قلت : « أفهم ذلك . ما رأيك في تناول العشاء في الخارج معاً ؟ » هزت رأسها . « أسفة . لدي أعمال أخرى الليلة . »

- وماذا عن الغد ؟

- يجب أن أذهب إلى نادي السباحة غداً .

قلت ميتسماً : « نادي سباحة ؟ هل تعرفين أن المصريين القدماء كانت لديهم نوايا للسباحة ؟ »

قلت : « لا . ولكنني أجد تصديق ذلك أمراً صعباً للغاية ، أليس كذلك ؟ »

- بل إنها الحقيقة . لقد توصلت إلى ذلك من خلال بعض البحوث التي أجريتها مرة . شرحت لها . كان ذلك عيلة من سجل الحقائق غير المفيدة الذي لدي .

نظرت في ساعتها ثم نهضت واقفة . وقالت : « حسناً ، شكراً . » وانسلت خارجة من الباب بالهدوء نفسه الذي دخلت به . أخيراً فهمت شيئاً من هذا اليوم . تركتني أنساءل كيف كان المصريون القدماء يملأون أوقاتهم ، وما عي المباحج القليلة التي كانوا يستمتعون بها وهم يسلكون طريقهم المرهق نحو الصوت . نعلم السباحة ، وتحشيط الموميאות . ومجموع إنجازات كل ذلك نسمة حضارة .

وهي حمامات مجهزة بمدربي سباحة محبوبين ووسيعين، مثل زميل فراسني نجم السيشما، يرددون عبارات مثل: «رائع، سموك، ربما فقط يمكنك أن تمد ذراعك اليمنى قليلاً للأمام حتى ينسنى لك السباحة».

كانت مياه النيل ورفاء رقة السماء والشمس باطحة، والجنود يمدحون. والرياح ربما لصع النماصيح والعامه من الناس. لا شك أنه كان هناك أمراء ولكن ماذا عن الأميرات؟ هل كان يسمح للنساء بتعلم السباحة؟ كيوپاترا مثلاً. في إمام شهايا الأولى كانت تشبه جرودي فوستر. هل كانت سقنغ في غرام زميل دراسني، مدرب السباحة؟ أغلب الظن نعم. ذلك هو الصب الذي من أجله كان يوجد هناك.

لا بد أن يتنجح أحد فليماً مثل ذلك. وأنا مثلاً سوف أدفع لمشاهدته.

لا، لا يمكن أن يكون مدرب الرياضة من عائلة فقيرة. بل سيكون ابن ملك إسرائيل أو آشور، أو أي مكان مشابه. ثم أسره في معركة وجر إلى مصر كسبي. ولكنه لم يفك مثقال ذرة من دماله خليفه وطيب طباعه حتى لو كان عبداً. وهذا هو ما يميزه عن نشارلون هوسون أو هيرك دوغلاس. إن أساتذة البصاء تلمح حيناً ينسم وهو يتبول بشكل أسفرطي. ثم يفك عنى ضفني النيل مصحكاً بشفارة ذات أربعة أوتار مستعزجاً في صوف أغنية «زوك أهولا بيببي»<sup>(76)</sup> لا شك أنه هو الشخص الوحيد الذي يمكنه أداء هذا الدور.

بعد ذلك وفي يوم من الأيام شواقد مرور الفرعون وحاشيته، كان ملوب السباحة بالخروج بحبل مجدلاً تقطع العشاش حينما يأتي مركباً يثقل في الماء. من دون أدنى تردد غطس في النهر وسبح بشكل

(76) أغنية شهيرة لإفيس بريسلي.

(9)

بحلول الحادية عشرة من تلك الليلة كنت قد انتهيت من كل ما يمكنك عمله لقد قممت على أفضل وجه. قلمت أطفالتي، أخذت حماماً، نظفت أذني، بل حتى شاهدت الأخبار على التلفزيون. فمت ببعض نمازين الجلوس والوقوف وتمددت، تناولت العشاء، انتهيت من قراءة الكتاب. لكن لم تكن لدي رغبة في العاس. فكرت في أن أنفخص مصعد الموظفین مرة أخرى ولكن كان الوقت مبكراً على ذلك. كان علي الانتظار حتى يتصف الليل ونخف حركة الموظفین القادومين والمغادرين.

في النهاية قررت الصعود إلى غرفة الانتظار في الطابق السادس والعشرين. راحت أرتشف بهتاء من كأس المايوتش فيما كنت أهدق بشكل مباشر في خطوط اللوامات البيضاء التي ترسم في الفراغ. رحت أتكر في المصيرين القدماء محاولاً أن أتخيل نوعية الحياة التي كانوا يعيشونها. ومن هم الأشخاص الذين كانوا يعضون إلى نادي السباحة؟ لا شك أنهم كانوا من عائلة الفرعون والأشخاص الأرستقراطيين والطبقات العليا. كان المصريون القدماء مسافرين للموضة وهواة للسباحة. ربما كان لديهم جزء خاص بهم من النيل أو أنهم شيدوا حمامات خاصة لتعلم حركات الأيدي الأنيقة.

ولكن جودي فوستر كليبواترا هي التي وقعت في غرامه .

كما وقع هو أيضاً في حبها .

لكنه لم يكن الوحيد الذي افنتن بجودي كليبواترا . هناك أمير عربي أسود ينحرف شوقاً لها ، إنه بحبها حباً شديداً حتى إن مجرد طوافها بخياله يجعله يرفص . إن الدور مفضل على فباس ما بكل جاكسون . لقد عبر الرمال العربية للوصول إلى مصر من أجل حبها . إننا نراه يرفص حول نيران معسكر الغافلة ويدق الطبله ويغني «بيلي جين» . كانت عيناه نللمعان تحت ضوء النجوم . كان ذلك بالطبع يستلزم مواجهة كبيرة بين ما بكل وزميل دراسني مدزب السباحة . منافسة بين عشاق .

كنت قد ذهبت إلى هذا الحد ، حينما جاءني النادل وقال : معذرة حان وقت الإغلاق . كانت الثانية عشرة ونصف ، كنت آخر الزبائن في غرفة الانتظار ، كانت الأكواب قد تم نجميعها بواسطة الفوط ، وانتهى النادل نفرياً من عملية التنظيف . هل كنت أهذي بكل هذا الهراء طوال هذا الوقت؟ يا لي من أبله! وقمت على الفانورة وشربت آخر ما نبقى من المارتيني وخرجت وأنا أتمسح طريقي إلى المصعد ويدي في جيبي .

هل كانت جودي كليبواترا ما زالت غير مسموح لها بالزواج من شقيقها الأصغر؟ كان السيناريو الذي نلخه له متواله الخاص . لم يكن بحفدوري النخلص من هذه الأفكار . نواصل تدفق المشاهد . شغيفها الأصغر الكسول والمنحرف . والأن من سيكون الأجدى بالدور؟ وودي آلان؟ أعطني فسخة من الوقت . هذا ليس كوميدياً . لا نحتاج إلى مهرج بلاط يخلق النكات الممجوجة ، ويضرب رأسه بقطعة من الملاط البلاستيك .

رائع وأنفذ طفلة صغيرة وسبق التماسيح إليها وعاد إلى الشاطئ . فعل كل ذلك بجمال أخاذ . بالجمال نفسه الذي كان يشعل به أنبوية الذهب في المعمل أثناء حصه العلوم . أعجب ألفرون به إعجاباً عظيماً وفكر أن يأتي بهذا الشاب ليطلع أمرائي السباحة . فقد ثبت أن مدرب السباحة السابق بعضى الأوامر ومن ثم ألغى في غياهب السجن قبل أسبوع . وهكذا أصبح زميل دراسني مدرب السباحة الملكي . وهو محبوب حتى إن كل شخص بعشفه . وفي الليل كانت وصيفات بلاط الفرعون يسارعن لدهن أجسادهن بالزيوت والمطور قبل أن يذهبن إلى فراشه . كان كل الأمراء والأميرات يخلصون له إخلاصاً تلاماً .

كما لو كان المنهد معططاً من فيلم Bathing Beauty ، أو The King and I . انخرط زميل دراسني والأمراء والأميرات في سباحة إيفاعية احتفالاً بعيد ميلاد الفرعون . كان الفرعون مبهجاً ، وهو ما وقع من أسهم الشاب أكثر . إنه نموذج للتواضع . يتشم الانسامه نفسها وينبزل بأنافة حينما ننام إحدى وصيفات البلاط في فواشه ، يمضي ساعة كاملة في المداعبة ويجعلها طوال الوقت في حالة من التشوة ، ثم بعد ذلك يمسح على شعرها ويقول : «إنك أفضلهن» . إنه شخص جيد .

للحظة ما حاولت أن أنخيل النوم مع سيدة مصرية من سيدات البلاط ولكن الصورة كانت نستعصي . وكلما أرغمتها ، نحول كل شيء إلى فيلم «كليبواترا» الذي أنتجته فوكس ألفرن العشرين . ملحمي للغة . إليزابيث نابلود وريشارد بهرنون ، وريكس هاريسون . كانت الإمامه وهن بعشن مشهداً من مشاهد النعزي في سينما هوليبود بيشترنهن المدهونة بزيت الزيتون وسبقانهن الطويلة بحركن مراوح طوبلة فوق إليزابيث نابلود التي كانت تأخذ أوضاعاً فائنة حتى تغوي زميل دراسني . وهي خصلة في المرأة المصرية . فائنة الرجال .

سوف نعود لموضوع الشقيق لاحقاً. يجب أن نَسند دور الفرعون إلى لورنس أوليفيه. فائماً كان يشكو من صداع نصفي ويضغط بأصابعه على جانبي رأسه. يلقي بكلِّ مَنْ يستثير أعصابه في غياهب السجون أو يرغمه على السباحة في النيل مع التماسيح. ذكي، قاسي ومشدود الأعصاب. يفأ أعين الناس ويلقي بالفراة في الصحراء.

آه وفريق التمثيل وفريق التمثيل، وحينئذ وصل المصعد. افتتح الباب بصمت نام لم أراه من قبل. دخلت وضغطت على الرقم 15. وعدت إلى الفيلم المصري الخاص بي. ليس لأنني كنت أريد ذلك حقاً، ولكن لم يكن بمقدوري إيقافه.

تغير المشهد إلى خلاة وصحراء. غير معروفة للجميع. في كهف في البرية يعيش نبي اعتزل العالم، فقد نبذ من المجتمع بقرار من الفرعون. وبرغم أن عينيه قد اقتلعتا فقد قطع مسيرة معجزة وطويلة عبر الصحراء. كان يتدثر بلباس من صوف الغنم ليقيه من الشمس الحارقة. إنه يسكن في ظلام داس وبقات على الجراد والحشائش البرية. يمتلك بصيرة نافذة ويقرأ المستقبل. يرى سقوط الفرعون ومرحلة الفسق في مصر وعالم يغير قواعده.

إنه الرجل المُقنع، أعتمد ذلك. الرجل المُقنع؟

انفتح باب المصعد دون صوت وخرجت منه دون تفكير. الرجل المُقنع؟ في مصر القديمة؟ أليس كل ذلك مسخاً بلا معنى على أمة حال؟ فكرت في هذه الأشياء وأنا واقف ويدي في جيبتي في ظلام داس.

ظلام داس؟

حينئذ فقط لاحظت الانعدام التام للضوء. ولا ذرة واحدة من الضوء. حينما أغلق باب المصعد خلفي، ألقيت نفسي غارقاً في عتمة

سوداء. لم أكن أستطيع رؤية بدي. صوت الموسيقى الذي كان ينبعث في الفندق قد تلاشى أيضاً. لم يعد هناك "Love Is Blue" أو "A Summer Place". وأصبح الهواء بارداً وعفناً.

كنت أقف هناك وحيداً ومدحوراً في حالة من العدم التام.

الغلاب. وكان ذلك سيحدث فرقاً! أخرجت يدني من جيبي ومددتها محاولاً نلمس حائط. وجدت واحداً لكنه كان زلقاً وبارداً جداً، لا يشبه أبداً حائطاً تتوقع أن تجده في فندق الدولفين مكيف الهواء. الأمر بات سهلاً الآن. يمكنك فهم كل شيء.

إذاً، هذا هو ما حدث بالضبط مع صديقي موظفة الاستقبال. إنني فقط أعيد اقتفاء خطواتها. لا داعي للفرح. لقد نجت وسأنجو أنا أيضاً. هدي من روعك وافعل ما فعلت هي. لا بد أن ثمة شيئاً غريباً يجري هنا الآن. ربما له علاقة بي؟ أو بفندق الدولفين القديم؟ هذا هو السبب الذي جئت من أجله إلى هنا، أليس كذلك؟ نعم. إذاً تحرك وأتم الأمر. هل أنت فزع؟ لا شك في ذلك.

كنت فزعاً، فقدت القدرة على التفكير. شعرت بأنني عريان ألقي به في خضم موجات عنيفة من السواد الكثيف التي تهاجمني مثل الأسماك النعبانية العمياء. غمرني شعور بالعجز. كان قميصي مبللاً بالعرق البارد، وكان حلقتي خشناً وجافاً.

أين كنت بحق الجحيم؟ لم أكن هنا، في فندق الدولفين، هذا ما أنا متأكد منه. لقد عبرت خطأ ودخلت منه إلى الجحيم حيث المطهر. أغمضت عيني ورحمت أنفسي بعمق.

أعرف أنه يبدو سخيفاً، لكنني وجدت نفسي أشتاق إلى "Love Is Blue". صوت الموسيقى، أي موسيقى، سوف يمنحني قوة. كنت سارضي بأغان لريتشارد كلايدومان، أو لوس إنديوس تاباجاريس، أو خوسيه فيليسانو، أو خوليو أغليسياس، أو سرجيو مندس، أو بأي شيء آخر.

(10)

كان الغلام حالك السواد.

لم أستطع تمييز شكل أو جسم. لم أستطع حتى أن أرى جسمي. لم أستطع فهم أي شيء عن أي شيء مما كان هناك. كنت في قلب فراغ أسود هائل.

تضاملتُ حتى أصبحت مجرد فكرة. لحمي تحلل، وتبدد قوامي. كنت أصبح في الفضاء. تحررت من جسدي، لم يكن لي أي أخبار للذهاب إلى أي مكان آخر. كنت هائماً في الفراغ. في مكان ما عبر الخط اللطيف الذي يفصل الكابوس عن الحقيقة.

كنت واقفاً. لكن لم أستطع أن أتحرك. شعرت بأن شللاً قد أصاب ذراعي وقدمني. كنت في فاع البحر حيث الضبط كتبف وساحق وطاق. كان صمت رهيب يضغط على طبلتي أذني. كان ظلاماً حالكاً بلا هودة. لا يمكن جعله أقل عنمة بأي حال من الأحوال. كان عصياً على الاختراق. ظلمات بعضها فوق بعض.

دون وعي مني فتشت في جيبي. في جيبي الأيمن كانت محفظتي وعلاقة المفاتيح وفي الأيسر كان مفتاح الغرفة الإلكتروني والمندبل وبعض النقود. كل ذلك بات الآن عديم الجدوى. لو أنني لم أفلح عن التدخين الآن، لكنني على الأقل أحمل معي قداحة أو بعض أعواد

ولكن عقلي تحول إلى صفحة بيضاء. هل بسبب الخوف؟ هل يمكن للخوف أن ينسلل إلى فراخ؟ كان ما بكل جاكسون يرقص حول نيران المعسكر وهو يغني بآلته «الرق»: «بيلي جين». كانت الإبل مبهجة بالأغنية.

لا بد أنني أصبحت مشوشاً بعض الشيء.

لا بد أنني أصبحت مشوشاً بعض الشيء.

كان ذلك على ما يبدو أشبه بصوت يتردد صده داخل رأسي. صدى داخل رأسي.

أخذت نفساً عميقاً آخر وحاولت طرد هذه الصور العسبة من عقلي.

ناهيت وحاولت أن أسندبر ناحية الجمين وفراخاي ممدودنان. ولكن سافتي لم تتحركا وكأنهما لبسنا ساقى. ولم نسنجب أي من العضلات أو الأعصاب أيضاً. كنت أرسل الإشارات لكن شيئاً لم يحدث. كنت غارفاً في ظلام ذائب. أدركت أنني وقعت في فخ، وقدت القدرة على الحركة.

كان الظلام ممتداً بلا نهاية. وثمة قوة تدفعني صوب مركز الأرض. لن أطفو على السطح مرة ثانية أبداً. فكر في شيء آخر يا صغيري. فكر وإلا فإن الخوف سوف يهلك كل كيانك. ماذا عن سبناريو ذلك الفيلم المصري؟ أين كنا؟ يدخل الرجل المُقنع. ينفل من الصحاري الواسعة إلى قصر فرعون. كانت الأبراج اللامعة تتلألا بكنوز أفريقيا. العبيد النوبيون يشنشرون في كل مكان. الفرعون، هوالمركز المحوري. موسيقى مكيلوس روزا. الفرعون غاضب. ثمة شيء فاسد في دولة مصر. أشتم رائحة مؤامرة في القصر. أشعر بها في عظامي. يجب علي أن أعيد الأمور إلى نصابها.

خطوت للأمام بحذر، أنفل قدماً واحدة في كل مرة. كان ذلك حينما خطر بيالي السؤال. ماذا كان بوسع صديقتي موظفة الاستقبال أن تفعل؟ أمر مذهل! أن يُلقَى بها في حفرة مجتونة خالكة الظلمة ثم تتمكن من تفحص كل شيء بنفسها.

والآن هي ترندي الملابس السوداء الخاصة بسباغات السباحة ونؤدي قفزاتها في النادي. ومن هناك سوى زميل دراسي نجم السينما. إنني متأكد أنها افتتحت به لدى رؤيته. إنه يقدم لها إرشادات حول مد الذراع اليمنى أثناء السباحة. إنها نحدث فيه وعيناها تتوهجان بالإثارة. وفي تلك اللحظة نسلت إلى فراشه. أشعر بالانسحاق. لا يمكن أن أدع ذلك يحدث. إنها لا تعرف أي شيء. نعم إنه لطيف وعطوف. إنه يقول كلمات ممسولة ويجعلها تبلغ حالة النشوة. ولكن ذلك بطل ضمن حدود الرقة والعطف. إن ذلك مجرد مداعبة.

انعطفت الردة نحو اليمين.

نملاً متلماً قالت.

إنها في الفراش مع زميل دراسي. إنه يجرداها من ملابسها برقة مقدفاً عبارات الثناء على كل جزء من أجزاء جسدها. وهو مخلص. عظيم، فقط عظيم. ولكن غضباً ما بدأ شيئاً فشيئاً يستمر في داخلي. إن ذلك خطأ!

انعطفت الردة إلى اليمين.

انعطفت لليمين متحسباً لطريقي بمحاذاة الحائط. بعيداً لاح بصيص من ضوء خافت. كما لو كان قد تم تصفيتها عبر طبقات وطبقات من الشجب.

تماماً مظلمة قالت.

كان زميل دراستي يُقبلها في كل أنحاء جسدها. بتؤدة ومهارة

من خلف رفيتها إلى كتبها حتى نهديها. زاوية الكاميرا تظهر وجهه وظهرها. ثم تدور الكاميرا فنظهر وجهها. ولكنها ليست صديقتي موظفة الاستقبال، لا. إنها كيكبي. صديقتي بائعة الهوى للكيار وصاحبة أجمل أذنين في العالم والتي ذهبت معي إلى فندق الدولفين القديم أول مرة. كيكبي التي اخضعت دون كلمة منها، ودون أن نترك أثراً. وهي هنا تنام مع زميل دراستي.

إنه مشهد حقيقي من فيلم حقيقي. كل لفظة تم إخراجها حسب الخطة. بل ربما، بحسب الخطة، أكثر مما ينبغي. يبدو مشهداً في غاية الابتذال. إنها يتبادلان الحب داخل شقة حيث تلعب الأنوار من خلال الستائر. كيكبي. ما الذي فعله هنا؟

لا بد أن ثمة خللاً قد أصاب الزمان والمكان.

واصلت المشي نحو بصيص الضوء. فيما كانت قدماي نخطوان، ثلاث الصورة التي كانت في رأسي.

زوت. اختفت

واصلت السير بمحاذاة الحائط. توقف تفكيرتي. انصب تركيزي على تحريك قدمي إلى الأمام. بحذر ولكن بيقين. بدأ الضوء الخافت الذي أمامي يتسرب ويتشرب من داخل الباب. لكنني لم أكن قد عرفت بعد أين أنا. وبالكاد أستطيع أن أقول إنه باب. إنه لا يشبه أي شيء رأيته حينما فمت بجولتي قبل ذلك. على الباب توجد لوحة معدنية محفور عليها رقم. لا أستطيع قراءة الرقم. الجو مظلم. واللوحة باعثة اللون. ولكنني على الأقل أعرف أن هذا ليس فندق الدولفين الجديذ. الأبواب مختلفة. والهواء كذلك. تلك الرائحة، ما هي؟ مثل رائحة الصحف القديمة. كان الضوء يتأرجح من وقت لوقت. ضوء شمعة.

لاحت بفكري صديقتي موظفة الاستقبال مرة أخرى. كان ينبغي أن أنام معها حينما أتبحت لي الفرصة. من بدوي إن كنت سأعود للعالم الحقيقي مرة ثانية؟ هل سأحصل على فرصة أخرى لرويتها؟ شعرت بالغيرة من العالم الحقيقي ونادي السباحة. أو ربما أنني لم أكن غيوراً. ربما كانت مسألة ندم، إحساس متفجع ومشو بالندم على الرغم من أنه قد بنين أثني، حتى وأنا غارق في هذه الظلمة، كنت أشعر بالغيرة. كان ذلك منذ سنوات. لقد نسيت ماذا يعني أن تشعر بالغيرة. إنه شعور خاص. وبما كنت أشعر بالغيرة الآن. وبما. ولكن من نادي سباحة؟

هذا غباء.

ازدهدنها. بدت مثل مضرب غولف معدني ينقر طيلة. هل كان ذلك لعباً؟

ثم حدث اعتزاز غريب، نصف صوت. كان يجب أن أطرق الباب. هذا صحيح، مثلما قالت هي. استجمعت شجاعتي فخرجت مني نقرة خفيفة. شيء لم أكن بالضرورة أريد أن يُسمع. ولكنه أحدث صوتاً هائلاً ومدوياً. بارد وثقيل كالموت. حبست أنفاسي.

ساد صمت. تماماً مثلما حدث معها. كم استمر ذلك، لا أذكر. ربما كانت خمس ثوان، ربما كانت دقيقة. لم يكن الوقت ثابتاً. كان يندبذب، يندمدد، ينكمش. أم أنه أنا من كان يتلذذب، يتمدد، وينكمش في الصمت؟ كنت ملفوفاً بين طيات الزمن، مثل صورة منعكسة في مرآة بيت العجائب.

ثم كان ذلك الصوت. خشناً وعالياً. شيء يبرز من الأرضية. ثم خفى أقدام. تنجّه نحوي. زحف شيشب. شيء، ما لكنه ليس بشيء.



مطلما قالت هي - شي، من حقيقة أخرى - حقيقة كانت موجودة هنا لم يكن من معر. لم أتحرك. حُرقي كان يتعصب فوق ظهري. لكن بينما كانت الحصى تدنو مني شيئاً فشيئاً، كانت مغاوفي سوداً بشكل لا يُفسر. قلت لنفسي، الأمر على ما يرام. مهما كان، فإنه لا يتذر بشر. أفركت أن لا شيء يستدعي الخوف. بإمكانتي أن أدهم يحدث.

شعرت بالدوخة مع الانزيمات الدفاعية. أمسكت بشدة بقبضة الباب، أخمضت عيني، حبست أنفاسي. إنك على ما يرام، إنك بخير. شعرت بدقات قلب مدوية وسط الظلمة. كانت دقائق قلبي خسرنتي، كنت حراً معها. لم يكن هناك ما أعلمه. كل شيء كان على اتصال.

نوفنت حصى الأقدام. كانت قد دنت مني. كانت حبيبي معصمين. إنها في سبيلها للتجمع. أدركت أنني كنت على اتصال بهذا السكان. سفك البيل وسيدات البلاط التزيينات اللاتي تعرض منهن روائح المعطر وكينكي وفنادق الدولفين وموسيقى الروك إندي رول، كل شيء، كل شيء، كل شيء. ثم وقع إصبعي داخلني للزمن والشكل الجسدي. صرر لديهم، صوت لديهم. أصوات قديمة.

وأنت أنتظر. أنا بانتظارك منذ زمن. نملأه عرفك لمن كان الصوت من دون أن أفتح عيني.

## (11)

جلس كل منا في مواجهة الآخر ونحن نتحدث عبر مائدة صغيرة. كانت المائدة لجمعة جداً، مستديرة، ونوسطها شبعة واحداً. كانت الشبعة ممتدة فوق طين فحان صغير. ذلك هو كل الأثاث في الغرفة. لم يكن فيها أي مفاد. كنا مجلس على كرتين من الكتب.

إنها غرفة الرجل الشفع

فسيقة ومليئة بالكراكيب. المحاريط والسلف نوحى بفندق الدولتين القديم، لكنه مع ذلك لم يكن القندق القديم. في الطرف الأقصى من الحرفة كانت توجد نافذة مغلقة بأنواع غريبة من الداخل. منفذة منذ زمن طويل، هذا إن كانت المسامير الصدئة والخراب الرمادي الذي يتحلل الأرواح البشرية يمكن أن يكون دليلاً على ذلك. كانت الحرفة أشبه بصندوق مستطيل الشكل. لا أبواب. لا خزائن للملابس. لا حمام. لا سرير. لا أنه كان ينم على الأرض متدثراً بزي النوم

لم يكن فيها منسج يكتبني للعلمي فيها. كانت الأرضية مغطاة بالكتبت والصحف القديمة التي اصغر لونها والألبومات الملونة بالقصاصات. بعضها كانت قد أكلته الحشرات واتحل من أعلمته

كانت كلها على ما يبدو تدور حول تاريخ الأغنام في هوكابندو . ربما جاءت كلها من أرشيف فندق الدولفين القديم . غرفة مراجع الأغنام التي كان والد صاحب الفندق ، أستاذ الأغنام ، يفضل العيش فيها كثيراً . ترى ماذا حدث له ؟

نظر إلي الرجل المُقنَّع من خلال لبس الشمعة المتفطع . إلى الخلف منه كان ظله الهائل المحجم جاثماً فوق حائط يبعث على الكآبة .

- «منذ زمن طويل لم تأت إلى هنا . دعنا نرى إن كان جسمك قد نحف أم ماذا؟» تحدث من وراء قناعه .

- نعم ربما فقدت بعض الوزن .

- إذا أخبرنا كيف حال العالم في الخارج؟ إننا لا نحصل على كثير من الأخبار .

وضعت ساقاً على ساق وهززت رأسي . «كما هو أبداً . لا شيء ، جديراً بالذكر . كل شيء أصبح أكثر تعقيداً . كل شيء يصبح أكثر تسارعاً . لا ، لا جديد حقاً» .

أوما الرجل المُقنَّع . «ألم تتدلع الحرب التالية بعد؟» .

أي الحروب كانت آخر الحروب بالنسبة للرجل المُقنَّع؟ لم أكن متأكداً . رفلت له : «ليس بعد» .

قال دون أن تتغير لهجته وبعد أن فرد يديه التي يضعها في ففاض : «ولكنها عاجلاً أو آجلاً سوف تقع . يحسن بك أن تأخذ حذرك . الحرب قادمة . لا احتمال آخر . احفظ كلماتنا . لا يمكنني أن أثق بالناس . لن يفعلوا أي شيء مفيد . سوف يبتلونك في كل مرة . سوف يقتل بعضهم بعضاً . سوف يبتلون الجميع» .

كان معظم الصوف الذي يرتديه الرجل المُقنَّع متسخاً ، كان

الصوف متيبساً ومشحماً . بدا قناعه أيضاً سيئاً مثل شيء تم نرفعه بشكل منسرع . لم تكن الإضاءة الضعيفة في الغرفة الرطبة مساعداً ، وربما كانت ذاكرتي مخبطة ، ولكنها لم تكن الملابس وحدها هي المتهترئة . بل كان الرجل المُقنَّع أيضاً مهترئاً . كان قد انكمش عما كان عليه منذ آخر مرة رأيته فيها قبل أربع سنوات . أصبح تنفسه أكثر صعوبة وأكثر إزعاجاً للاذن مثل أبوية تم سدها .

قال الرجل المُقنَّع : «ظننت أنك ستصل قبل ذلك . كنا في انتظارك طوال ذلك الوقت . في أثناء ذلك وصل شخص آخر . كنا نظنه أنت ولكنه لم يكن أنت . ما رأيك في ذلك؟ هل أنت مجرد شخص جاء بتجول هنا؟ لكن على أية حال كنت أنتظر قبل ذلك» .

هزرت كتفي . «كنت دائماً أعتقد أنني سوف أعود . كنت أعرف أنني يجب ، لكنني لم أتمكن من تجميعه . كنت أحلم به . أحلم بفندق الدولفين ، أفصداً . كنت أحلم به طوال الوقت . ولكن الأمر احتاج بعض الوقت حتى أقرر العودة» .

- هل حاولت أن تربحه من عقلك؟

قلت : «نعم» أظن ذلك . ثم نظرت إلى يدي في ضوء الشمعة الذي كان يخفق خففاً . كان هناك تيار من الهواء يأتي من مكان ما .

- في اليد ظننت أنني يجب أن أحاول نسيان ما يمكنني نسيانه . كنت أريد حياة متفصلة تماماً عن هذا المكان .

- بسبب أن صديقك مات؟

- نعم بسبب أن صديقتي ماتت .

قال الرجل المُقنَّع : «ولكنك رجعت» .

قلت : «نعم رجعت . لم أستطع أن أزيح هذا المكان من عقلي . كلما حاولت أن أنسى ، يظهر لي شيء آخر . لذا لم يكن يهم إذا كنت

أحبه أم لا . كنت أعرف أنني أنتمي إلى هذا المكان . لم أكن أعرف ماذا يعني ذلك أيضاً . في أحلامي عن هذا المكان كنت جزءاً من كل شيء . ثمة شخص كان يبكي من أجلي هنا . شخص ما كان يريدني . لهذا رجعت . لكن أي مكان هذا؟

نظر الرجل المُفتنع إلى وجهي نظرة حادة وهز رأسه . «يوسفني أننا لا نعرف الكثير . إنه كبير حقاً ، مظلم حقاً . كل ما نعرفه هو هذه الغرفة . أما ما وراء ذلك فلا نعرف شيئاً . ولكن على أية حال أنت هنا . لا بد أنه استغرق منك وقتاً حتى نعثر على سبيلك إلى هنا . سبيل نواها نحن على الأمل . . . . . نوقف الرجل المُفتنع لبرهة ليجتر . «ربما ثمة شخص يبكي من أجلك في أرجاء هذا المكان . شخص كان يعرف ، يعرف أنك قادم إلى هنا على أية حال . مثل طائر عائد إلى عش . . . ولكن دعنا نضعها بشكل مختلف . لو أنك لم تعد إلى هنا ، لما كان هذا المكان قد وُجد . ضغط الرجل المُفتنع على يديه . كان ظله على الحائط يضخم كل إيماءة بشكل كبير ، وكان شبحاً مظلماً يتأهب للإمساك بي من أعلى .

مثل طائر يعود إلى العش؟ حسناً إن ذلك هو شعوري نفسه . ربما كانت حباتي تتبع هذا المسار المجهول للعالم طوال الوقت . قال الرجل المُفتنع : «إذاً الآن حان دورك . أخبرنا عن نفسك . هنا عالمك . لا داعي للرسبات ، خذ وقتك . قل ما تشاء .

في ضوء خافت ومُحدق في الظل المنعكس على الحائط ، رحت أروي قصة حياتي . كانت طويلة للغاية ، ولكن ببطء مثل تلج يذوب . فصصت كل الأحداث . كيف استطعت أن أدمع نفسي . لكن لم أتمكن أبداً من الذهاب إلى أي مكان . لم أذهب إلى أي مكان ، لكنني كنت أكبر بالرغم من ذلك . كيف أنه لم يلمسني أي شيء . وأنني لم ألمس أي شيء . كيف فقدت الطريق نحو ما بهم . كيف كنت أعمل

مثل الأحق من أجل أشياء لم توجد . كيف كنت أفقد الشكل . الأنسجة كانت تتصلب وتقسو من الداخل . كان ذلك بفزعني . كيف استطعت أن أقيم الاتصال مع هذا المكان . هذا المكان لا أعرفه ولكن كان لدي هذا الشعور بأنني كنت جزءاً منه . هذا المكان الذي ربما عرفت بالفطرة أنني أنتمي إليه . . . .

كان الرجل المُفتنع بصعي لكل ما أقول دون أن ينس بكلمة . بل حتى ربما كان نائماً . ولكن حينما انتهيت من كلامي فتح عينيه ونحدث بصوت خافت . «لا تغفل . إنك حقاً جزء من هنا . كنت دائماً وستكون . كل شيء يبدأ هنا وينتهي هنا . هذا هو مثواك . إنه العقدة . العقدة التي نصل كل شيء» .

- كل شيء؟

- كل شيء . الأشياء التي فقدناها . الأشياء التي ستفقدنا . كل شيء . هنا همزة الوصل بين كل شيء .

رحت أفكر في ذلك . لم أفهم أي شيء منه . كانت كلماته شديدة الغموض وغير واضحة . كان عليّ أن أجعله يفسرها لي . بيد أنه كان قد انتهى من الكلام . هل كان ذلك يعني أن التفسير مستحيل؟ هز رأسه الصورية في صمت . اهتز الظل على الحائط . كان من الضخامة إلى حد جعلني أظن أن الحائط سوف ينهار .

طمأنني : «سوف تفهمها لاحقاً . قريباً جداً سوف تفهمها . حينما يحين الوقت ، سوف تفهم» .

قلت : «ولكن أخبرني شيئاً واحداً إذاً . لماذا أصر صاحب فندق الدولفين على أن يحمل الفندق الجديد الاسم نفسه؟» .

قال الرجل المُفتنع : «فعل ذلك من أجلك . كان عليهم أن يحافظوا على الاسم حتى نرجع إليه . وإلا لما كنت هنا الآن . تغيرت

النهاية ولكن فندق الدولفين بقي. مثلما قلنا، إن كل شيء هنا. لقد كنا في انتظارك».

لم أستطع تجنب الضحك. «من أجلي؟ اسموا هذا المكان فندق الدولفين فقط من أجلي؟»

- أهذا أمر غريب جداً؟

هزئت رأسي. «لا، ليس غريباً، بل مدهل. إنه غير متوقع بالمرء، يبدو أنه غير حقيقي».

قال الرجل المُقنّع بصوت خافت: «آه، إنه حقيقي. حقيقي مثلما في لوحة فندق الدولفين حفيضة. كيف تريد أن يكون حقيقياً؟»

نقر بأصابعه على المائدة واهتز لهب الشمعة. «إننا حقاً هنا. كنا في انتظارك. قمنا بالترتيبات. فكرنا في كل شيء. كل شيء، حتى يمكنك أن تعيد الاتصال مع كل شخص».

حدثت في لهب الشمعة المتراقص. كان ذلك فوق قدرتي على التصديق. «لم أنهم ذلك. لماذا تتجشمون كل هذه المتاعب؟ ومن أجلي؟»

قال الرجل المُقنّع بلا عاطفة: «هذا عالمك. لا تفكر كثيراً في ذلك. إذا كنت تبحث عنه، فهو هنا. المكان تم إعداده هناك من أجلك. على نحو خاص. وعملنا باجتهاد حتى يمكننا أن نعيدك إلى هنا. للحيلولة دون أن تنفطر الأشياء. وللحيلولة بينك وبين النسيان».

- إذاً هل أنا حقاً جزء من شيء هنا؟

كرر الرجل المُقنّع: «بالطبع إنك تنتمي إلى هنا. كل شخص هنا معنا. هذا عالمك».

- إذاً من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟

قال باسمًا: «نحن الرجل المُقنّع. ألا تدرك؟ إننا نرتدي قناع

الغنم ونعيش في عالم لا يمكن أن يراه البشر. تمت مطاردتنا حتى دخلنا الغابة منذ زمن طويل. ومن طويل جداً. نكاد لا نذكر ماذا كنا قبل ذلك. ولكن منذ ذلك الوقت كنا دائماً بعيدين عن الرؤية. أمر من السهل أن نفعله، إذا كان ذلك هو ما نريده. ثم جئنا إلى هنا، للعناية بالمكان. إنه مكان ما خارج العناصر. الغابات فيها حيوانات مفترسة. هل تفهم ما أفصده؟»

قلت: «بالأكيد».

- إننا نصل الأشياء بعضها ببعض. ذلك هو ما نفعله. مثل لوحة مفاتيح نصل بين الأشياء. هذه هي العقدة. ونحن نعقدنا. نحن همزة الوصل. لا نريد أن تفكك الأشياء، لذلك نقوم بربط العقدة. ذلك هو واجبنا. واجب لوحة المفاتيح. أنت تبحث عنه، ونحن نوصلك، فتحصل عليه. هل حصلت عليه؟

قلت: «نوعاً ما».

استأنف الرجل المُقنّع: «لذلك أنت بحاجة إلينا. وإلا فلن تكون هنا. وستفقد الأشياء، وستضل الطريق. ولن يكتمل اتصالك. سوف ترتبك إذا فقدت الاتصال. ولكن هنا ترتبط كل الأشياء معاً».

فكرت في ما قال. «ربما تكون على صواب. كما نقول إنني أشعر بالضيق، والحبيرة والارتباك. لست مرتبطاً بأي شيء. هنا هو المكان الوحيد الذي أشعر بالرغبة في الانتماء إليه». انتهيت وأنا أصدق في يدي تحت ضوء الشمعة. «ولكن الشيء الآخر، الشخص الذي أسمعه يهكي في أحلامي، هل هو موصول بهذا المكان؟ أظن أنني أستشعر وجوده. هل تعلم أنني، لو استطعت، أريد أن أبداً من حيث توقفت قبل سنوات. وهذا هو ما أحتاج إليك هنا من أجله».

كان الرجل المُقنّع صامتاً. بدا أنه ليس لديه المزيد ليقوله. خيم

- نعم، ولكن أين سيدعتي ذلك؟

قال الرجل المُقنع: «كما قلنا، سوف نعمل ما بمقدورنا. نحاول أن نعيد وصلك بما تريد، بيد أنه لا يمكننا أن نفعل ذلك وحدنا. يجب أن نساعد من بجانبك أيضاً. الاكتفاء بالجلوس لن ينفذ، والتفكير من حقك ذلك».

إذاً ماذا يجب عليّ أن أفعل؟

قال الرجل المُقنع: «ارقص. يجب أن ترقص. ما دامت الموسيقى تعزف، يجب أن ترقص. لا تفكر حتى في السبب، إذا شرعت في التفكير فسوف تتوقف فداك، إذا توقفت فداك، فسوف تتعطل نحن. إذا تعطلنا نحن، فسوف تتعطل أنت. لذا لا تفكر في شيء، مهما بدا ذلك حمقاً، يجب أن تواصل العزف. يجب أن نمرّن جسمك، يجب أن تتحلل ما قست برفعه. يجب أن نستخدم كل ما لديك. نعلم أنك متعب، متعب وحالف. هذا يحدث لكل شخص، حسناً؟ فقد لا تدح قدميك تتوقفاً».

نظرت إلى أعلى مرة أخرى وأثارت إحدى في الظل على الحائط. واصل الرجل المُقنع: «الرقص من كل شيء. ارقص بأقصى ما لديك من قوة، ارقص حتى يظل كل شيء يتنور. إذا فعلت ذلك، فلربما استطعنا أن نفعل شيئاً من أجلك. يجب أن ترقص ما دامت الموسيقى تعزف».

صاحت رجاء الصديق في حلقها، ارقص ما دامت الموسيقى تعزف.

- مهلاً، ما هذا العالم الذي لا نفتحاً نتحدث عنه؟ أنت تقول إنني إذا توقفت في مكان، فسوف أجزّ من ذلك العالم لهذا العالم، أو شيء من هذا القبيل. ولكن ليس هذا العالم مخلوقاً من أجلي؟ ألم

الصمت بشكل كثيف كما لو كنا هويماً إلى قاع حفرة ذات قرو سحق. جسم فوق حتى ثبت أفكاري تحت جاذبيته. من حين لحين كانت الشعة تتراصف. صوّب الرجل المُقنع تحديقته نحو اللهب، وما زال الصمت متواصلاً لم يقطعه شيء. ثم مطّو رفع الرجل المُقنع عينيه نحوي.

قال الرجل المُقنع: «إننا جميعاً نفعل ما بوسعنا. بالرغم من أنه نستخدم فيه العمر. أمل أن يظل لدينا المبدأ داخلنا. سوف نحاول، ولكن لا ضمانات، لا وعود بأنك ستكون سعيداً، كان وهو ممسك ببعض الصفوف يبحث عن الكلمات: «لا يمكننا الاكتفاء بالقول. في ذلك العالم الآخر ربما لا يكون هناك أي مكان، ولا حتى مكان لك. بدأت نبدو ثابتاً للغاية. ثابتاً بشكل لا يمكن تخيلته. إننا لم نكن صغيراً على أية حال».

- إذاً أين سيدعتي ذلك؟

- فددت الكثير من الأشياء. فددت الكثير من الأشياء الشبيهة. ليس بسبب شعاع من أحد ولكن في كل مرة نفقد شيئاً، نفقد جزءاً كاملاً من الأشياء. والآن لسنا إلا لمعاداً يجب عليك أن فدهب ونفعل ذلك؟

- لست أدري.

- من الصعب أن تفعل شيئاً مغايراً. إنه فذلك، أو شيء شبيه بالقد، ميول.

- ميول؟

- ميول. لديك ميول. لذا حتى إذا أتيت لك أن تعيد كل شيء مرة أخرى، حياتك كلها، فإن ميولك تجعلك تفعل نفس ما فعلت دائماً وأبداً.

يوجد من أجلي أنا؟ إذا أبن المشكلة؟ ألم نفل إن هذا المكان يوجد فعلاً؟

هز الرجل المُنْفَع رأسه. أما ظله ففقد هز إعصاراً. «الأمر يختلف هنا. لست مستعداً، لست مستعداً للمجيء إلى هنا. هنا مظلم للغاية وكبير للغاية. من الصعب أن نفسره. كما قلنا، إننا لا نعرف الكثير. ولكنه حقيقي، ما نقوله أنت ونحن هنا حقيقي. بيد أنه ليس الحقيقة الوحيدة. توجد الكثير من الحقائق هناك. وقع اختبارنا على هذه فقط لأننا لا نحب الحرب. ولم يكن لدينا ما نخسره. ولكنك ما زلت تمتلك الدفء. فهنا الجو بارد ولا يمكن احتماله. ولا شيء، هُفَوات عليه. ليس هذا المكان مكانك».

لم يكد الرجل المُنْفَع يذكر البرد حتى لاحظت درجة الحرارة في الغرفة، فدمست بداي في جيبي وأنا أرعد.

سألني الرجل المُنْفَع: «إنك تشعر به، أليس كذلك؟»  
أومأت: «نعم».

خذوني الرجل المُنْفَع: «الوقت ينفد. كلما مر الوقت، أصبح الجو أكثر برودة. بحسن بك أن نذهب».

- مهلاً، أمر أخير. اعتقد أنك كنت موجوداً كل هذا الوقت لكنني لم أكن أراك. ظلك فقط كان في كل مكان. إنك نوع مما هو دائماً هناك.

رسم الرجل المُنْفَع شكلاً غير محدد بأصابعه. «هذا صحيح، نحن نصف أشباح، نحن في مرحلة بين بين».

قلت: «لكنني ما زلت في حيرة. هنا يمكنني رؤية وجهك وجسمك بوضوح. لم أكن أستطيع قبل ذلك، ولكن الآن يمكنني. لماذا؟»

نتم بصوت خافت: «لقد فقدت كثيراً جداً لدرجة يمكنك الآن من رؤيتنا».

- «هل تفقد...؟» ونأهبت قبل أن أسأل السؤال الكبير: «هل هذا هو عالم الموتى؟».

أجاب: «لا». آمال كنفه وهو يُخرج نفساً. «أنت ونحن نعيش مرة ثانية ننفس. ننكلم».

- لم أفهم قصدك.

قال: «ارقص. هذه هي الطريقة الوحيدة. كنت أتمنى لو استطعت أن نفسر الأمور بشكل أفضل. ولكننا أخبرناك بكل ما نستطيع. ارقص. لا تفكر. ارقص. ارقص بأقصى ما أوتيت، كما لو أن حباتك تتوقف على ذلك. يجب أن نرقص».

كان ثمة هبوط في درجات الحرارة. بدا أنني فجأة نذكرت هذه الفشعريرة. برد يخترق العظام، برد رطب. منذ زمن طويل ومن مكان بعيد. ولكن أين؟ أصعب عقلي بالشلل. ثابت ومتصلب.

استحسني الرجل المُنْفَع: «بحسن بك أن نذهب. سوف نتجمد إن مكثت هنا. ولكن إن كنت بحاجة إليها، فنحن هنا. إنك نعرف أين تجدنا».

اصطحبني الرجل المُنْفَع إلى خارج الغرفة لدى انعطافة الردة، وهو يجر قدميه وراءه، محدثين صوتاً زاحفاً. نوادعنا. لم ننصافح أو نستخدم أيّاً من التحيات الخاصة. فقط وداعاً، وحينئذ انصرفنا في الظلمة. عاد هو إلى غرفته الصغيرة فيما واصلت أنا نحو المصعد. ضغطت على مفتاح الاستدعاء. حينما وصل المصعد، ففتح الباب دون صوت. غمرني ضوء ساطع بلغ الردة. دخلت وأنا أُلقي بثقلي نحو الحائط. أغلق الباب. لم أتحرك.

حدثت نفسي، ماذا جرى؟ لم أجد جواباً. كان عقلي فراغاً هائلاً. فراغاً بلا منتهى. كما قال الرجل المُتلع، كنت متعباً وفزعاً. ووحيداً. وضائعاً.

قال الرجل المُتلع: «يجب أن نرفض».

قلت في خاطري: «يجب أن نرفض».

كررت بصوت عالٍ: «يجب أن نرفض».

ضغطت على زر الطابق الخامس عشر.

حينما وصل المصعد إلى هناك. استقبلني موسيقى «مون ريفر» تنساب من مكبرات الصوت المثبتة في السفن. العالم الحفيفي الذي ربما لن أشعر بالسعادة فيه أبداً أو أصل فيه إلى مكان أبداً.

نظرت في ساعتي. وقت العود: الثالثة وعشرين دقيقة فجراً. فكرت، إذا الآن. ورده عقلي، إذا الآن إذا الآن إذا الآن إذا الآن إذا الآن إذا الآن . . .

## (12)

عدت إلى غرفتي وجهزت الحمام. نجردت من ملابس، ثم غمرت نفسي في الماء الساخن. ولكن مما يبعث على الاستغراب هو أنني لم أشعر بالدفء. ظل جسمي مفرطاً من البرد، ولم ينفع جلوسي في الماء الساخن إلا أن جعلني أوجف أكثر وأكثر. فكرت في أن أبقى في حوض الماء حتى تتوقف الرجفة، ولكن قبل حدوث ذلك كان البخار قد جعلني أشعر بالدوار ولذا خرجت. ألصقت جبهي في مواجهة النافذة لأصفي ذهني، ثم صبيت لنفسي كاساً من البراندي التي أزدردتها جرعة واحدة قبل أن ألقي بنفسي على السرير. كنت أريد أن أنام ورأسي خالي من أي أثر للتفكير، لكن لم يكن لي مثل هذا الحظ. نمددت على السرير، وأنا في حالة من الوعي لا يمكن السيطرة عليها. في النهاية طلع الصبح ثقبلاً ومليئاً بالغبور. لم تكن تثلج ولكن سحياً كثيفة كانت نملأ السماء حتى اكتمت المدينة كلها باللون الرمادي. كان كل ما أراه رمادياً. مستنقع مغطى بالأرواح الغارقة.

لم يكن التفكير هو ما حرمني النوم. لم أكن أفكر على الإطلاق. كنت مرهقاً لدرجة لا أستطيع معها التفكير. لولا أن ذلك الركن الصلب من رأسي يصر على دفع نفسي للذروة النشاط. كنت

أشعر بالنوتر والعصبية كما لو كنت أحاول فراءة لوحات المحطات وأنا أطل من قطار سريع. ها هي محطة نفترب. كانت الحروف باهنة. تكاد نقرأ شيئاً ولكن السرعة كانت هائلة بما لا يسمح بذلك. نحاول مرة ثانية حينما ندخل المحطة التالية في مجال الرؤية، ولكنك نتجاوزها قبل أن نخرج بأي شيء. ثم كانت المحطة التالية ... في وسط اللامكان. كان القطار يطلق صافره. عالية وخارقة.

طللت على هذه الحال حتى التاسعة حينما نهضت من السرير. خلعت ذفتي، ولكن كان علي أن أكرر لنفسني: أنا أحلن الآن كي أخرج من هذه الحال. ارتديت ملابس ومشطت شعري ونزلت فاصداً مطعم الفندق. جلست إلى مائدة بالقرب من النافذة وطلبت فهوة وخبزاً محضاً. استغرق الأمر دهرأ حتى انتهت من الخبز الذي بدا طعمه أشبه بضمادة من الكثبان وكان مادباً بسبب السماء. كانت السماء تنذر بنهاية العالم. احتسيت فهوتي وقرأت قائمة الطعام ثم أعدت قراءتها مرات ومرات. كان رأسي صلباً للغاية. لا شيء يتم تسجيله. القطار يواصل السرعة. والصافرة تدوي. شعرت كأنني قطعة جافة من معجون الأسنان. كان الناس جميعهم من حولي يلتهمون فطورهم، يحركون قهوتهم، ويدهنون بالزبدة خبزهم، ويقطعون لحم الخنزير والبيض. كان صوت الأطباق والملاعق والسكاكين والشوك يُسمع بشكل واضح. مثل مرآب قطارات.

تذكرت الرجل المُفزع. إنه يوجد في هذه اللحظة. في مكان ما، في طبة صغيرة من الزمكان<sup>(8)</sup> في هذا الفندق. نعم، كان هنا. وكان يحاول أن يخبرني بشيء. ولكن دون جدوى. لم أتمكن من قراءته.

(8) الزمان في تحدیده لمكان الرجل المزعج يستحدم ما يُعرف بالبعد الرابع الذي يجمع بين الزمان والمكان وقد ترجمتها بهذه الصيغة الزمكان.

كنت أسرع بصورة لا يمكن معها تسجيل الرسالة. كان رأسي ثقیلاً إلى درجة لا يمكنني معها أن أفهم معاني الكلمات. كنت أستطيع أن أقرأ فقط ما لا يتحرك. أ- إفطار كونستانتال، عصائر (خياراك من البرفقال أو الغريب فروت أو الطماطم)، وغيز محمص أو ...

كان هناك شخص يتحدث إلي. يطلب إجابتي. ولكن من؟ رفعت رأسي فإذا به النادل. مهتم في زيه الأبيض، يحمل فتجان فهوة بكثا يديه كمن يحمل درعاً تذكارية بلطولة. «هل ترغب في مزيد من القهوة سيدي؟» سألني بأدب. هرزت رأسي. انصرف عني هو فبما نهضت أنا لمغادرة المطعم. وغلقت ساحة القطارات ورائتي.

عدت إلى غرفتي. أخذت حماماً آخر. لم أكن أرئف هذه المرة. أرغيت جسمي لمدة طويلة في الحوض وذلك لإزالة النبیس من مفاصلي الصلبة. أصبح بإمكانني تحريك أصابعي بحرية مرة ثانية. نعم ها هو جسمي على ما يرام. نعم أنا هنا الآن. عدت إلى غرفة حفيقة وفي حوض حقيقي. لست على متن قطار سريع. لا صوت صافرات ينتهي إلى سمعي. لا حاجة إلى فراءة أسماء المحطات. لا حاجة إلى التفكير على الإطلاق.

ما إن انتهت من الحمام حتى تمددت في السرير. كانت العاشرة والنصف. أمر عظيم. فكرت في التخلص من النوم والخروج لأخذ جولة في المدينة، ولكن قبل ذلك غلبني النوم. كانت أنوار المسرح قد خفتت وأظلم كل شيء فجأة. حدث ذلك في لمح البصر. حتى يمكنني تذكر تلك اللحظة التي استغرقت فيها في النوم. كما لو أن غوريلا عملاقة رمادة اللون قد تسللت إلى الغرفة وضربتني فوق رأسي بمطرقة ثقيلة. ضربة نفذت الوعي على أثرها.

كان نومي ثقیلاً وجامداً. معتمداً لدرجة لا ترى أي شيء فيه. لا موسبني في الخلفية. لا موسبني «مون ريفر» ولا «لاف إز بلو».





- كل شخص يقول إنه لن يفعل، ولكن في النهاية كلهم يفعلون ذلك.

قلت: «ربما يفعل كل شخص ذلك، بيد أنني لا أفعل».

أطرقْتُ نفكري في الأمر ثم وضعت أصابعها على جانبي رأسها كما لو كانت تتحقق من النتائج الذهنية. «حسناً، أظن أنك ربما لن تفعل. تبدو مختلفاً عن الآخرين».

أضفتُ: «على أية حال أشعر بالنعاس الشديد الآن».

نهضت واقفة ثم خلعت سترتها ذات اللون الأزرق الفاتح وعلفتها بعباية على ظهر كرسي مثلما فعلت في المرة السابقة. لكنها لم تجلس بجوارِي هذه المرة. مشيت باتجاه النافذة ووقفت نهدق في السماء. ربما فوجئت حينما وجدنتي على هذه الحال من التعب الشديد ولا أرندي غير رداء الحمام- لكن لا يمكن أن نملك كل شيء. إنني لا أحصل عيني من مجرد أن أبدو عظيمًا طوال الوقت.

قلت قاطعاً الصوت: «اسمعي، لم أخبرك عن ذلك من قبل، لكن أظن أن هناك صفات قليلة مشتركة نجتمعنا».

فالت من دون أي عاطفة: «حفا؟ مثل ماذا؟».

أجبت: «مثل سـ»، ولكن في تلك اللحظة انقطع الإرسال الذهني لدي. لم أستطع التفكير في أي شيء. لم أستطع أن أجد الكلمات. ربما كان ذلك مجرد شعور. ولكنه كان شعوراً مشتركاً بيننا، حتى وإن كان شعوراً غير واضح، لكنه على الأقل يعني شيئاً. يكفي أن أعرف ذلك.

استمرت: «لا أعرف. يجب علي أن أعيد ترتيب أفكاري. طريق للجنون. يجب أن أنظم أولاً ثم أتحقق ثانياً».

«آه، ذلك أمر هام»، قالتها وهي تنظر نحو النافذة. على الرغم

من أن صوتها لم ينع من أي سخريّة على الإطلاق، فإنه لم يكن بوحى أيضاً بنغمة الحماسة.

تمددت على السرير وأسندت رأسي على مقدمة السرير وأنا ألاحظها. ذلك القميص الأبيض الخالي من التجاعيد. والتنورة الضيقة ذات اللون الأزرق الداكن. الجواربان بكشمان عن ساقها. كانت تبدو رمادية اللون مثل صورة قديمة. كان ذلك رائعاً بالفعل. شعرت كما لو أن اتصالاً حدث بيني وبين شيء ما. الشيء التالي الذي عرفته هو أنني أحسست بانتصاب. ليس شيئاً. سماء رمادية، إرهابي، في الثالثة بعد الظهر.

واصلتُ النظر إليها. حتى حينما استدارت ورأيتني أنظر نحوها، لم أحوّل ناظري.

سألت: «لماذا تحدث في هكذا؟».

قلت: «أشعر بالغيرة من نادي السباحة الذي نذهبين إليه».

هزت رأسها ثم انفرجت أساريرها عن ابتسامة: «يا لك من شخص غريب، هل تعرف ذلك؟».

قلت: «لست غريباً. بل مرتبكاً. أنا بحاجة لأن أعيد ترتيب أفكاري».

اقتربت مني ونحسست جهني.

فالت: «حسناً، لا توجد حتى. إنك بحاجة إلى فسط من النوم. أحلام سعيدة».

كنت أريدها أن تمكث معي هنا. بجوارِي على السرير أثناء نومي. بيد أنني كنت أعرف أن ذلك مستحيل. لذا لم أفعل أي شيء. وشاهدتها وهي ترتدي سترتها بلونها الأزرق الفاتح ثم تغادر. وعندئذ دخلت الغوريلا رمادية اللون مرة ثانية إلى الغرفة حاملة مطرقة قوية.

رحلت أخيراً: «حسناً، إنني مستغرق في النوم على أبة حال». ولكن لم أكد أنبس بكلمة حتى هوت عليّ بضربة أخرى.  
 ثمة شخص يسأل: «ما العدد الذي يأتي بعد 25؟» أجبت: «71».  
 وقالت الغوريلا الرمادية: «إنه غائب عن الوعي». فكرت: «ها للعجب. نضربني بهذه القوة ولا أدخل في إغماء؟» غمرني الظلام مرة أخرى.

### (13)

ثمة حاجة إلى المُقدِّد. كانت التاسعة مساءً. كنت أتناول العشاء بمفردي، بعدما استيقظت من نوم عميق في الثامنة. نهضت من النوم وشعرت بيقظة مفاجئة، مثلما استغرقت في النوم فجأة. لم تكن ثمة منطقة وسطى بين النوم واليقظة. وبدأ أن رأسي قد عاد إلى وضعية الشنيل. كانت آثار ضربات الغوريلا على الجمجمة قد تلاشت. لم أكن أشعر بدوار أو كسل ولم أشعر بأي وجعة. تذكرت كل شيء بوضوح كامل. شعرت بشبهة مفتوحة. كنت جائعاً للغاية. لذا ذهبت إلى البار الذي ذهبت إليه في الليلة الأولى وتناولت بعض اللقيمات مع الشراب. شراب، وسك مشوي، وخضروات مسلوقة، وحساء وبطاطس. كان المكان مزدحماً وعبقاً بالدخان والروائح والطببخ. وكان كل شخص يصيح بجاره.

فكرت، ثمة حاجة إلى تنظيم ذلك.

هل ثمة حاجة إلى المُقدِّد؟ سألت نفسي في خضم الغوضى. استحضرت الكلمات بهدوء إلى شفتي: ما عليك إلا أن تسعى وسوف يقوم الرجل المُفتح بتدبير الاتصال.

لا أذهي أنني فهمت ما قاله بشكل كامل. كانت كلماته مجازية ورمزية إلى حد كبير. ولكن ربما كان ذلك النوع من الأشباه التي

يتعين عليك التعبير عنها بشكل مجازي. أكاد ألا أصدق أن الرجل الشفيع اختار التحدث إليّ بهذه الطريقة لمجرد التسلية. ربما كانت هي الطريقة الوحيدة.

من خلال ذلك العالم الذي يعيش فيه الرجل المُقْتَنع - وعبر لوحة المفاتيح الخاصة به - يتم وصل كافة أنواع الأشياء. لقد قال إن بعض التوصيلات أدت إلى ارتباك. لأنني فقدت السبيل نحو ما أريد. إذاً هل كانت كل ووابلي غير ذات معنى؟

كنت أشرب وأنا أحقد في منفعة السجائر التي أمامي.

ماذا حدث لكبكجي؟ كنت أشعر بوجودها بقوة في أحلامي. إنها هي من استدعني إلى هنا. كانت بحاجة إليّ. كانت السبب الذي من أجله جئت إلى فندق الدولفين. ولكن ما زال يجب عليّ أن أسمع صونها. انقطعت رسالتها، كما لو أن شخصاً قد انتزع السلك.

لماذا يبدو كل شيء شديد الغموض هكذا؟

ربما كانت الخطوط متداخلة. كان عليّ أن استوضح ما كانت تريد مني. أن أطلب مساعدة الرجل الشفيع وأن أصل بين الأشياء خطوات خطوة. مهما كانت الصورة خارج البؤرة. كان يجب عليّ أن أفكك كل الأسلاك المتداخلة بصبر. أفككتها ثم أربطها جميعاً معاً. كان عليّ استرداد عالمي.

ولكن من أين أبدأ؟ ليس ثمة مفتاح واحد. كنت متبطحاً أمام جدار عال. كان كل شيء، مثل امرأة لمساء. لا سبيل لأن تمسك يدك وتقبض على الأشياء. كنت على وشك أن أفقد قدرتي على التمييز.

دفعت الفانورة وغادرت. كانت ندف كبيرة من الثلج تتساقط من السماء. لم تكن قد وصلت إلى الأرض بعد. ولكن صوت المدينة كان مختلفاً بسبب الثلج. مشيت بنشاط حول البناية حتى أفين من أثر

الشراب. من أين أبدأ؟ وإلى أين أذهب؟ لم أكن أعرف. شعرت بأن صدأ يملؤني بشدة. وحبذاً هكذا. سوف أجعل نفسي غير ذي جدوى تدريجياً. عظيم. عظيم. من أين أبدأ؟ أه. صدقتي موزغة الاستقبال؟ كانت تبدو جميلة. كنت أعياها. كنت أشعر بأن وابطاً يجمعنا معاً. كان بإمكانني أن أنام معها لو حاولت. ولكن ماذا بعد؟ إلى أين كنت سوف أنتجه من هناك؟ ربما ليس هناك وجهه. مجرد شيء آخر سوف أفقده. لست أدري ماذا أريد. وإذا كانت هذه هي الحالة، وكما قالت زوجتي السابقة. سوف الحزن الأذى بالناس.

فمست بجولة أخرى حول البناية. كان الثلج يتساقط بهدوء. يعلق بمعطفني للحظات قصيرة ثم يخنفي. حاولت أن أعيد ترتيب أفكارني. كان الناس يسبرون بمخازني، يخرجون دغناً أبيض في الهواء. كان الجو بارداً للغاية حتى شعرت بأن وجهي يؤولمني. واصلت الطواف حول البناية، وواصلت محاولة التفكير. عُلِفْتُ كلمات زوجتي السابقة في رأسي مثل اللعنة. سبقة لأنها كانت حفيظة. لقد أذبت كل شخص. إذاً ظلت هكذا، سوف أفقدهم هم أيضاً.

«أذهب وعش فوق سطح القمر» كانت تلك آخر كلمات نفوخت بها صدقتي قبل وحييلها. لاه إنها ليست راحلة، إنها عائدة. كانت تتحدى في عودتها إلى العالم الكبير والسيّ والحقيقي. عندئذ تأتي كبكجي. نعم! كبكجي يجب أن نكون هي النموذج. ولكن رسالتها تلاشت في منتصف الطريق. إذاً من أين أبدأ.

أغمضت عيني وأنا أحاول العثور على جواب. ولكن في رأسي لم يكن ثمة أحد. لا رجل مفتعاً لا نورس، لا غوريلا رمادية. أجلس وحيداً في غرفة خالصة شامعة بعدما هجرني الجميع. لا أحد

يمكنه أن يقدم ليّ الجواب . سوف أجلس وأكبر في السن حتى أذوي  
في تلك الغرفة . لا رقص هنا . أمر محزون جداً .  
لماذا لم أتمكن من قراءة أسماء المحطات؟  
كان الجواب سبائيني عند الظهيرة الثالثة . كالعادة من دون سابق  
إنذار ، ومن حيث لا أدري . مثل غوريلا تضرب فوق رأسي بشدة .

(14)

كان أمراً غريباً ، ولكنه ليس غريباً إلى ذلك الحد على ما أظن .  
حينما ألقيت بنفسي على السرير في منتصف الليل ، غرقت على الفور  
في نوم عميق . لم أستيقظ قبل الثامنة صباحاً . وفي الثامنة بالضبط  
وكما لو أنني استدرت دورة كاملة . شعرت بالراحة والجوع . لذا عدت  
إلى دانكن دوناتس ومنه ذهبت للتجول في المدينة . كانت الشوارع  
زلفة وصلبة ، وكانت الثلوج الناعمة مثل ريش يهوي في هدوء . كما  
في دائماً كانت السماء ملبدة بالغيوم . لم يكن الطقس أبداً هو الأنسب  
لجولة بلا متاعب حول المدينة ، ولكن الخروج كان مفيداً لمعنوياتي .  
كانت برودة الجو تزيد نشاطي ونصفي ذهني .

بعد ساعة عدت أدراجي إلى الفندق . وجدت صديقتي موظفة  
الاستقبال في عملها مع زميلة لها منشغلة مع أحد الزلاء . كانت  
صديقتي تتحدث في الهاتف وعلى وجهها ترسم ابتسامة مصطنعة  
وتعيت بقلم بين أصابعها دون أن تشعر بذلك . سرت نحوها وانتظرت  
حتى انتهت من مكالمتها .

دمقتني بنظرة لوم ، ولكنها لم تسمح لها بأن تعوق ابتسامتها التي  
اصطنعتها بجرّافية وإتقان . سألتني بأدب : «كيف يمكنني أن  
أساعدك؟» .

نظفت حنجرتي وقلت : «معلّمة» ، ولكنني سمعت أن فتاتين قد

نمرضنا ليلة أمس لهجوم مأساوي من تمساح في نادي السباحة. هل تعرفين أي شيء عن هذا الخير؟»

- «حسناً. لا يعرف المرء أبداً عن هذه الأشياء، أليس كذلك؟» أجابت وكانت ابتسامتها المصطنعة والدقيقة قد نجمت. احمرت وجنتاها قليلاً، كما كانت فتحتا أنفها قد تمددت. «لا يمكنني القول إنني أعرف أي شيء عن ذلك سيدي. معذرة ولكن هل أنت متأكد أن هذه هي القصة التي سمعتها؟»

- «كان التمساح ضحماً بحسب جميع الآراء ويساوي في حجمه شاحنة فولفو كبيرة. لقد جاء محلقاً في ضوء السماء، وحطم الزجاج في كل مكان، والنهم الثناتين في قطعة واحدة. ثم تناول نصف نخلة كتحفة. كنت أود أن أعرف ما إذا كان ذلك المخلوق طليقاً أم لا. هل تعتقدين أن الخروج أمر آمن الآن؟»

لكنها قاطعتني من دون أن تغبر أبداً من تعبيرات وجهها فائتة: «معذرة سيدي، ولكن يمكنك إبلاغ الشرطة بتفكك سيدي. أنا متأكدة أن بإمكانهم أن يوفروا لك أخباراً عن آخر التطورات بخصوص هذا الحادث. هناك مركز شرطة ليس بعيداً من هنا. يمكنك محاولة السؤال هناك.»

قلت: «شكراً لك. هذا ما سأفعله. أمني لك حظاً سعيداً.»

قالت بيرود وهي تضبط نظارتها: «العفو سيدي.»

لم يمر وقت على عودتي إلى غرفتي حتى اتصلت بي.

- «هل يمكن أن تخبرني ماذا كنت تريد من وراء كل ذلك؟»

لم تفلح رغم نعمتها الهادئة في إخفاء غضبها. «ما كان ينبغي أن نفعل أي شيء لافت للانتباه خلال ساعات عملي. ألم أطلب منك ذلك من قبل؟ إنني أكوه مثل هذه المزاح السخيف حينما أكون في العمل.»

قلت معنقاً: «كنت فقط أريد التحدث إليك. كنت أريد أن أسمع صوتك. كانت تكتة سخيفة. آسف. كنت فقط أريد أن أنقي السلام. حقيقة لم أقصد أن أضايك.»

- «إن هذا يضايقتي يشدة. أخبرتك بذلك. حينما أكون في العمل أكون متوترة. لذا رجاء لا تفعل أي شيء مثل ذلك مرة أخرى. لقد وعدت أبقياً ألا تحدث في.»

- «لم أكن أحقق. كنت فقط أحاول التحدث إليك.»

- «حسناً، من الآن فصاعداً لا أرغب في حديث مثل ذلك. رجاء»

- «أعذك. أعذك. لا حديث. لا تحديق ولا حديث. سوف أكون صامتاً مثل الغرائث. ولكن دعيني أنتهز فرصة أنك على الهاتف. هل لديك وقت هذا المساء؟ أم أن لديك دروس تعلق جبال اللبلة؟»

سمعت صوت ضحكة جافة، نصفها صمت ثم وضعت السماعة.

انتظرت ثلاثين دقيقة ولكنها لم تعاود الاتصال. لقد أقصبتها. أحياناً لا يميز الناس حينما أمزح وحينما أكون جاداً. ولأنني لم يكن لدي ما هو أفضل لعمله، خرجت أتمشى مرة أخرى. إن حالفني الحظ، ربما أجد شيئاً جديداً. على أية حال كانت فكرة الخروج تروفتي أكثر من مجرد الجلوس من دون فعل أي شيء.

تشبثت لساعة ولم أزد إلا شعوراً بالبرد. ظلت التلوج تتساقط. في الثانية عشرة ونصف دخلت إلى أحد مطاعم ماكдонаلد لتناول بيرغر بالجين وكوكا ومطاطا مقلية. لم أعرف حتى لماذا، لأسباب غائبة عتي أجد نفسي أحياناً ألتهم هذا الطعام. ربما كان تركيبي

الاجسماني مبرمجاً على تناول هذا الطعام «الجانك» عالي السعرات قليل القيمة الغذائية. ربما كنت أحتاج إلى راحة اليوم.

بعد ماكدونالد تمسبت ثلاثين دقيقة أخرى. لكنني لم أعر على أي اكتشافات تثير الاهتمام. زاد تساقط الثلوج. كانت العاصفة تزداد قوة. أغلقت معطفي حتى الرقبة طوال الطريق وغطيت أنفي بفلتنسوتي. لكن مع ذلك كنت أشعر بالبرد. وكان لا بد أن أفضي حاجتي. ما الذي يجعلني أخرج في يوم كهذا وأشرب الكوكاك؟ استطلعت المكان بحثاً عن مكان فيه حمام يمكنني أن أنضي فيه حاجتي. ولم أجد سوى دار سينما. منشأة مئة حفاة. ولكن كان يجب أن يكون لديهم حمام. وربما كان الجو دافئاً هناك. لم لا؟ لدي من الوقت ما أقله على أية حال. ولكن ما الذي كانوا يعرضونه؟ فيلمان محليان أحدهما كان «حب من طرف واحد». هذا الفيلم من بطولة زميل دراستي السابق. حسناً.

بعدما فظيت حاجتي تماماً، اشتريت قهوة ساخنة وأخذتها ودخلت صالة العرض. كان المكان وكما توقعت خالياً من الجمهور ودافئاً. مرت ثلاثون دقيقة من الفيلم لكن لم يبد أنه ينحرك نحو حبكة معقدة. كان زميل دراستي يلعب دور مدرس علم أحياء طويل ووسيم، وفنى أحلام فتاة شابة. وربما كانت مفضونة به. بل ويغنى عليها لمجرد رؤيته. وبالطبع كان هناك شخص آخر - الذي كان يقوم بالمبارزة بعيدان الخيزران في وقت الفراغ - وكان بهيم بها حياً. يا له من فيلم سيئ. كان بإمكانني أن أولف مثل هذا الفيلم.

لكن ومع ذلك كان عليّ أن أفر بأن زميل دراستي الذي كان اسمه الحفيقي ريوشي جوناندا، ليس تماماً هو الشخص الذي يبهج الفتيات. لذا فقد أعطني في الفيلم اسماً بوحى بالحوية ولعب دوره بالغلب من التعقيد. لا أثر لأي ماض مضطرب. أو جراح. ربما كان

طالباً رجعيماً أو تسبب في جعل فتاة تحمل ثم هجرها - ولكن هذا أفضل من لا شيء. من وقت لآخر كان الفيلم يحتوي على المشاهد التي تعود بالزمن للوراء (فلاش باك) - مثل لقطة تصويره حينما كان طالباً في جامعة طوكيو.

على أية حال لعب جوناندا دوره حتى النهاية. ولكن الفيلم كان مثيراً للسخرة ومخرجه يفتخر إلى أي موهبة، والسيناريو صيبانياً لدرجة مخرجة وسلسلة لا نهاية لها من المشاهد المتلاحقة التي لا معنى لها واللقطات المقربة على الفتاة، وكان كل ذلك يشير إلى أن جوناندا محكوم عليه بالفشل من البداية. ومهما كان مقدار التمثيل الحفيقي الذي أداه، فلا يمكنك احتمال مشاهدته.

ثم وفي مشهد من المشاهد، بنام جوناندا في فراشه في شقته صباح الأحد مع امرأة حينما تدخل عليه الفتاة المغنونة بحبه وهي تحمل بعض الكعك الذي صنعت في البيت أو شيئاً من هذا القبيل. كان جوناندا حميمياً للغاية ومخلصاً في الفراش، وقريباً مما تخيلت. يا له من جنس ممنع جداً. وربما تنبث من تحت إبطيه رائحة عطرة. كان شعره غير مشذب بشكل يدغدغ الحواس. إنه يمسد ظهر المرأة. وهي عارية. نذرو الكاميرا حتى تغرب منها. وفجأة يظهر وجهها — إنها كيكي!

تجمدت في مفعدتي. يمكنني أن أسمع صوت زجاجة فارغة تتدحرج بين صفى المقاعد. مسنحبل! هذه هي الصورة نفسها التي رأيتها في الدفعة المظلمة في فندق الدرفلين. جوناندا بنام معنا! كان ذلك حينما أدركت أننا جميعاً متصلون.

كان هذا هو المشهد الوحيد الذي يظهر فيه كيكي. صباح الأحد في الفراش مع جوناندا. كان جوناندا قد ذهب إلى بار لبلبة السبت، واصطحبها من هناك معه إلى شقته. ثم ينضاجعان مرة أخرى في

الصباح . كان ذلك حينما دخلت نلمبذته المثيعة بحبه وهي الفتاة البطلة . كان قد نسي إقفال الباب . ذلك هو كل المشهد . كيكي لا تنفوه بغير سطر واحد . وهو سطر كرهه للغاية . وهو يسير هكذا :  
كيكي :

ما الذي يحدث هنا؟

بعد أن ركضت الفتاة من المكان مصدومة بينما جوتاندا في حالة من الذهول . يأتي هذا السطر الذي نغولوه كيكي .

لم أكن حتى متأكداً ما إذا كان ذلك صورتها . لم تكن ذكرياتي عنها واضحة جداً . كما لم تكن المكبرات في صالة العرض ذات صوت حاد . يمكنني مع ذلك تذكر جسمها . شكل ظهرها . ملمس عنفها . نهديها ناعمي الملمس . نعم كانت هي تماماً . جلست هناك منسمرأ في مقعدي ومحدفاً في الشاشة . لم يكن ممكناً أن يمتد المشهد لأكثر من دقيقتين . كيكي في عناق مع جوتاندا . إنها تتدفق مع مداعباته . ونغمض عينيهما في حالة من البهجة وشغافها ترتجفان قليلاً . تخرج نهيدة قصيرة . لا يمكنني الجزم إن كانت تمثل أم لا - ولكن لنفترض أنها كانت تمثل . فهذا فيلم على أية حال . لبس يعني ذلك أنني أعتمد للحظة أن كيكي يمكنها أن تمثل .

لنفترض أن كيكي لم تكن تمثل . إذن ذلك يعني أنها كانت تتجاذب مع ممارسة جوتاندا . ولكن إذا كانت تمثل فهذا يعني أنها لم تكن المرأة التي عرفناها . لم تكن تؤمن بالتمثيل . لم تكن مخلوقة للتمثيل . ولكن في كلا الحالتين كنت أحترق بنار الغيرة .

في البداية نادي سباحة . والآن فيلم غبي . هل كانت لدي القدرة على أن أغاو من أي شيء؟ هل كان ذلك علامة جيدة؟

تفتح الفتاة البطلة الباب الآن . نفع عينها على الجسدين العاريين

وهما يتعانقان . نحبس أنفاسهما . نغمض عينيهما . نستدير وننظر تاركة المكان .

انتابت جوتاندا الدهشة . كيكي تقول : «ما الذي يحدث هنا؟» الكاميرا تقترب من وجه جوتاندا الذي يأت عليه علامات الصدمة . ثم يتلاشى المشهد بشكل تدريجي .

باستثناء ذلك الدور الصغير . لم تظهر كيكي في أي مشهد آخر . ناهيك عن الحكمة الغبية . كانت عيناي مسلطين على الشاشة وعرفت أنها لم تكن في أي مكان بها . كان من المفترض أن تكون محطاة ليلية واحدة لجوتاندا . وشاهدة على مشهد واحد سريع الزوال في حواء جوتاندا قبل أن تخفي للأبد . كان ذلك هو دورها . نفس ما قامت به معي . فجأة هي هناك . نرى ما يمكن رؤيته هناك . ثم بعد ذلك ترحل .

انتهى الفيلم . أضبت الأضواء . تم تشغيل الموسيقى . ظلمت في مقعدي مشدوهاً أمام الشاشة الفارغة البيضاء . هل كان ذلك واقعاً أم خيالاً؟ انتهى الفيلم . بيد أنني لم أفهمه . ما الذي كانت تفعله كيكي في فيلم سينمائي؟ ومع جوتاندا؟ إنه أمر عبي . لا بد أنني مخطئ . لقد فمت بتوصيلة خطأ . لا بد أن نداعلاً حدث في الأسلاك في مكان ما . بأي طريقة أخرى يمكنني أن أشرح ذلك؟

فمض بجولة أخرى حول المكان بعد مغادرتي السينما . كنت أفكر طوال الوقت في كيكي . شعرت بأنها تهمس في أذني : «ما الذي يحدث هنا؟» .

لا بد أنها كانت هي . لا يمكن أن يكون هنالك خطأ في الأمر . كانت لها تكشيرة الوجه نفسها حينما أمارس الجنس معها . وكانت شغافها ترتجفان بالطريقة نفسها . هكذا كانت تنهد . لم يكن ذلك تمثيلاً . مستحيل . أما هذه المرة فذلك مشهد من فيلم سينمائي .



أمر لا يمكن فهمه .

كنت كلما مشيت نَفْلًا نَفْتِي بذاكرتي . ربما كان الفيلم السينمائي نفسه نوعاً من الهلوسة .

بعد ساعة ونصف عدت إلى دار السينما نفسها . وشاهدت فيلم «حب من طرف واحد» مرة أخرى من البداية . صباح الأحد جوتاندا يمارس الجنس مع امرأة . ظهر المرأة في مواجهة الكاميرا . الكاميرا تدور . ثم يظهر وجه المرأة . إنها كيكي . شيء واضح وضوح الشمس . تدخل الفتاة البطلة . نحس أنفاسها . تغمض عينيها . ثم نهول . جوتاندا مرتبك وفي حالة من الذهول . كيكي : «ما الذي يحدث هنا؟» ثم اختفاء .

الأحداث نفسها بالتفصيل .

شاهدته مرة ثانية وما زلت غير قادر على التصديق . على الإطلاق . لا بد أن خطأ ما وقع هنا . لماذا تنام كيكي مع جوتاندا؟ في اليوم التالي ذهبت إلى السينما مرة أخرى . وجلست لمشاهدة فيلم «حب من طرف واحد» مرة أخرى انتظراً لذلك المشهد . كنت قلقاً ومتعجباً . أخيراً جاء المشهد . صباح الأحد جوتاندا يمارس الحب مع امرأة . ظهر المرأة إلى الكاميرا . تدور الكاميرا في المكان . ثم يظهر وجه المرأة . إنها كيكي . واضحة وضوح الشمس . تدخل الفتاة البطلة . نحس أنفاسها . تغمض عينيها . نهول من المكان . جوتاندا مرتبك ومذهول . كيكي : «ما الذي يحدث هنا؟» اختفاء . هناك في الظلام تهتد تنهيدة عميقة .

نعم . نعم . لقد فزت . هذا حقيقي . لا خطأ في الأمر . إننا متصلون .

(15)

عدت إلى مفعدي وضمت كَفِّي لأعطي بهما وجهي وسألت نفسي السؤال المعتاد : ماذا يمكنني أن أفعل؟ إنه السؤال نفسه . ولكني الآن أدركت أنني بحاجة لأن أعيد التفكير في الأشياء بهدوء ورباطة جأش . بحاجة لأن أعيد ترتيب الأشياء . بحاجة لأن أعيد ضبط الاتصالات المتشابكة .

نمة شيء . هنا كان مربكاً . هذا ما لا شك فيه . نمة شيء مفقود . كيكي وجوتاندا وأنا كنا كلنا متصلين من خلال حزمة متشابكة من الأسلاك . ولكن لماذا؟ كان يجب علي أن أفهم هذا الاشتباك .

كان يجب علي أن استعيد إحساسي بالحقيقة . ولكن ربما لم تكن الاتصالات مرتبطة متداخلة ، وربما كان كل ذلك نواصلاً جديداً وليس له أي صلة بما سبق تماماً . لكن ما زال علي أن أفكك الخبوط المتداخلة . حتى أتجنب تقطيع أي منها .

هنا كنت أنا المتنازع . كان يجب علي الاستمرار في الحركة . لم أكن أستطيع التوقف . يجب أن أرقص . بخفة على قدمي حتى يظل كل شيء . بدور .

قال الرجل المُقنع : يجب أن ترقص .

وسمعت صدى ذلك في عقلي : يجب أن ترقص .

حان الوقت لعودتي إلى طوكيو. لم بعد هناك داع لبقائي هنا.  
لقد استغفرت فندق الدولفين الغرض منه. بمجرد عودتي إلى طوكيو  
سوف يكون لدي الكثير من العقد التي عليّ تفكيكها.

قمت بضغط هندامي وغادرت المسرح. كانت الثلوج تتساقط  
يكثافاً أكبر من قبل، حتى كادت تحجب طريق العودة. المدينة كلها  
تجمدت حتى صارت مثل جثة وكانت كل زاوية فيها تبعث على  
الاكتئاب.

مع عودتي إلى الفندق، اتصلت بالخطوط الجوية أول نيبون  
وحجزت تذكرة سفر إلى طوكيو هذا المساء.

«بسبب الثلوج هناك احتمال كبير لتأخير الرحلة أو حتى إلغائها».  
هكذا أخبرتني موظفة الحجز. لم آبه لذلك. كنت قد عازمت على  
العودة وكلما عدت سبكرأ إلى طوكيو كان ذلك أفضل. ثم حازمت  
حقائبي ونزلت حتى أصفي حسابي في الفندق. نصادف ذلك مع نوبة  
عمل صديقتي موظفة الاسقبال، ألمحت إليها برغبتي في التحدث  
إليها عند طارئة تأجير السيارات.

قلت لها: «نمة عمل طارئ حدث وبينمين عليّ العودة إلى  
طوكيو».

قالت بابتسامة مصطنعة: «شكراً جزيلاً، ونرجو أن تعود مرة  
ثانية». ثرى هل يمكن أن تكون قد شعرت بالضيق كوني لم أخطرهما  
إلا قبل المغادرة بقليل؟

قلت: «أنا في العودة قريباً. عندما أعود سوف نذهب معاً للعشاء  
ونتكلم. هناك الكثير أريد أن أخبرك به. لكن لدي أشياء يجب ضبطها  
في طوكيو أولاً. وبمجرد الانتهاء منها سوف أعود. هناك شيء خاص  
بهذا المكان لكن لا أعرف كيف أعبر عنه. لذا عاجلاً أو آجلاً سوف  
أعود إلى هنا مرة أخرى».

قالت متشككة بعض الشيء. «بمعم».

كررت ولكن بشكل أكثر إيجابية. «بمعم. أنا متأكد من أن ما  
أفوله يبدو غير صادق».

قالت دون أن تتأثر ملامح وجهها: «لا مطلقاً. لا يمكن للمرء أن  
يتأكد من أشياء قبل حدوثها بشهور كثيرة جداً».

قلت بلهجة يذت صادقة كما أردتها: «لن يطول ذلك لشهور  
كثيرة جداً. سوف نلتقي ثانية. أشعر حقاً بأن ثمة شيئاً خاصاً بجمعنا  
معاً أيضاً. الا نشعرين بذلك؟».

وضعت قلمها على الطاولة كنوع من الرد. «واظن أنك ستخبرني  
أنك حجزت على أول رحلة مقادرة؟».

«آه، نعم. لقد رتبت ذلك. في حال أقلمت الرحلة. ولكن في  
ظل هذا الغفس ربما لن نلتق في الموعد».

«حسناً إذا كنت ستغادر على الرحلة القادمة فإن لدي طلباً».  
- بالطبع.

«هناك طفلة عمرها ثلاث عشرة سنة يجب عليها أن تعود إلى  
طوكيو. اضطرت أمها للمغادرة فجأة في مهمة عمل وتركت الطفلة في  
الفندق هنا بمفردها. أدرك أنها مهمة شاقة ولكن هل يمكن أن نصحب  
الطفلة معك إلى طوكيو؟ لديها الكثير من الأمتعة وأخشى أن أرسلها  
بمفردها على طائرة».

قلت: «حقيقة لا أفهم. ألا تريه سلوكاً غريباً أن تذهب أم إلى  
مكان ما وتخلّف طفلتها وراءها في فندق؟».

هزت صديقتي كتفها: «ربما. لكنها تعمل في الوسط الفني.  
مصورة مشهورة. ويمكن أن تكون شاذة الطباع. فكرة لاحت لها  
فغادرت. لقد نسبت تماماً شأن الطفلة. ثم بعد ذلك تلقينا اتصالاً منها

يبلغنا بأن ابنتها في مكان ما بالفندق وتطلب أن نبعدها إلى طوكيو على متن إحدى رحلات الطيران إلى هناك. هذا كل ما في الأمر».

- ألا ينبغي أن تأتي بنفسها وتأخذ الطفلة.

- هذا ليس من شأني. بالإضافة إلى أنها ذهبت إلى كاتماندو في مهمة عمل وقالت إنها سوف تكون مشغولة لأسبوع آخر. إنها مشهورة للغاية وضييفة دائمة في الفندق، كيف لي أن أنافسها؟ قالت لي إذا استطعت أن أوصل ابنتها إلى المطار فيمكنها أن تعود باقي الطريق بنفسها. ربما كان ذلك صحبياً، ولكن البنت ما زالت طفلة. وإذا ما أصابها مكرره فسوف تكون مسؤوليتنا.

قلت بعدما لاحظت بخاطري فكرة: «حسناً، هل هي طفلة ذات شعر طويل وترتدي كشرة ووك أند رول ونضع واكمان، اليس كذلك؟».

- نعم بالضبط. كيف عرفت ذلك؟

- يا لها من عائلة غريبة؟

بدأت صديقتي بالإجراءات على الفور. اتصلت بشركة الخطوط الجوية «إيه إن إيه» وحجزت مقعداً للفئة على رحلتي. اتصلت بالفئة وأبلغتها أن شخصاً ما هي تعرفه سوف يصحبها في طريق العودة إلى طوكيو وأن عليها أن تحزم أمتعتها على الفور. اتصلت بحامل الحفائب وأرسلته إلى غرفة الفناء لحمل حقائبها. واستدعت خادمة الليموزين في الفندق. لم أستطع إخفاء إعجابي.

- قلت لك إنني أحب عملي. إنني مخلوقة له.

- ولكن لو أن شخصاً عرضك لبعض الصعوبات في العمل لسوف تتوقفين.

ضربت بقلتها على الطاولة. «هذا أمر آخر، هناك فرق. لا أحب أن أكون موضع سخرة».

قلت: «لا أفصد ذلك. من فضلك صدقيني. كنت فقط أحاول المزاح معك. لم أفصد أي إساءة فعلاً. إنني أحاول المزاح فقط لأنني بحاجة إلى بعض الترويح».

زمت شفتيها فلبلاً ونظرت إليّ نظرة مباشرة. نظرة شخص يستطلع أرضاً منخفضة من على قمة تل بعدما تراجعت مياه الفيضانات. ثم تكلمت بصوت كان أنشبه بتنهيده. «بالمناسبة هل يمكنني أن أطلب منك بطاقتك الترفيهية إذا سمحت؟ كإجراء احترازي بالطبع، لعلك ترى كيف أنني أعهد بطفلة صغيرة لرعايتك».

همست: «كإجراء احترازي». ثم أخرجت من جيبتي بطاقة ترفيهية وقدمتها لها. نظراً لغيبتها فإني أحمل معي بطاقات ترفيهية. نظراً لغيبتها أخبرني الكثير من الناس عن مدى أهميتها في تسهيل الأعمال. نظرت إلى بطاقة التعريف الخاصة بي كما لو كانت منفقة. ثم كان عليّ أن أحاول: «وهل يمكنني أن أعرف ما هو اسمك؟».

قالت وهي ترفع نظراتها بإصبعها الوسطى: «وبما في المرة القادمة. إذا التفتنا ثانية».

قلت: «بالطبع سوف نلتقي».

ناعمة وهادئة مثل قمر جديد، علت وجهها ابتسامة.

بعد عشر دقائق ظهر حامل الحفائب والفئة في بهو الفندق. كان حامل الحفائب يحمل حقيبتين ساسونائيت من الحجم الكبير. كل واحدة تسع راعي أغنام ألماني بالغا وهو رافق. وتعتبر كبيرة على فناء في الثالثة عشرة من عمرها أن توجه بها بنفسها إلى المطار. كانت ترتدي بنطالاً من الجيز الضيق وتتعل حذاء رياضي وكانت الكتزة التي ترتديها في هذا اليوم مكتوباً عليها TALKING HEADS. وفوق ذلك كانت ترتدي فراء يبدو أنه مرفغ الثمن. كان هناك الإحساس الشفاف

نفسه حولها. كان جمالها من ذلك النوع المرفف. لديها توازن يصعب جداً أن يتم الحفاظ عليه.

لم يكن TALKING HEADS اسماً سلباً لفرقة موسيقية.

رغم أنني الفتاة بطيرة غير عادية. لم أجسم ولكنها وضعت حاجبها ثم استدارت نحو صديقتي موطنة الاستقبال ذات النظارة.

قالت لها صديقتي: «لا تتلقي، إنه شخص جيد».

فقلت: «لست سيئاً كما يبدو علي».

بدلت إلي الفتاة مرة ثانية ثم أومأت برأسها كما لو كانت تبدي موافقتها.

ثم تابعت صديقتي: «أؤكد لك أن الرحلة ستكون ممتعة. إن هذا الرجل المجهز يقول تكاتت مضحك».

كشفت: «رجل عجوز».

واستطردت من دون أن أعبرني أي اهتمام. إنه يلقى من وقت لآخر بالكلمات اللطيفة. إنه خفاً رجل ذمهم معنا نحن السيدات.

وفوق كل ذلك إنه صديقتي. ولذلك سوف نكرين بخير معه».

اتجهت كليهما صوب سيرة المهرجين أمام مدخل الفندق. ثم تبعتهما، وأنا أشعر بأن كرامتي قد أسيئت. في حيث نام.

كان الطفس سيئاً للغاية. وكان الطريق المؤدي للمطار قد امتلأ بالتلويح المتعاقبة حتى بات أشبه بالقارة القطبية.

سألت الفتاة: «ما اسمك؟».

حدثت الفتاة في ثم هزت رأسها. «لحظة من فضلك». وراحت تنظر حولها كما لو كانت تبحث عن شيء مفقود، ولكن لم يكن هناك ما يمكن رؤيته غير العاصفة الثلجية في الخارج.

وقالت: «يوكي» (أي تلوج).

هل يمكنك أن تقول مرة ثانية؟

همست: «إنه اسمي».

ثم أعاديت جهنم الوكمان من جيبها ووضعت السماعات في أذنيها. وخلال المسافة المتبينة إلى المطار لم تعرني حتى النظرة.

اسمها تلوج، يا له من اسم. يا لها من شخصية ساحرة ملته بالروح الاجتماعية. ربما كان يجب عليها على الأقل أن تعطيني واحداً من علكاتها في كل مرة أتناول واحدة. ليس معنى ذلك أنني كنت أرغب في واحدة، ولكن ألم تسمع من الأدب؟ كانت تلك العلكة تجعلني أشعر أنني أستقل منها الشهادة نفسها على الأقل.

جلست في مقعدتي وأنا أعد الدقائق وبعضاً مني.

فقط لاحقاً علمت أنه «يوكي» كان بالفعل هو اسمها. تذكرت حينما كنت في مثل سنها. كنت معتاداً على جميع تسجيلات أغاني البوب بغضني. كنت أمتلك حوالي 145 من هذه التسجيلات. كنت معتاداً على سماعها يوماً بعد يوم، وأحفظ كلماتها عن ظهر قلب.

أحفظ تلك الكلمات التي يمكن أن يحفظها الأطفال. ودائماً ما تكون تلك الأبيات هي الأكثر عبثية والأكثر اعتقاداً للكسبي. أبيات مثل: قصة صينية في هونغ كونغ القليلة تنتظر عودتي.

تركبت يوكي في غرفة الانتظار. ذهبت لشراء تذكريتي السفر. كانت الرحلة متأخرة ساعة عن موعد الإقلاع. ولكن موظفة صرف التذاكر قالت إنها ربما تناخرو أكثر من ذلك. وقالت: «هذه بطاقة

البائعات التي تنفع في المطار. مستوى الرؤية الآن سيئ للغاية».

سألته: «هل تعني أن الطقس سوف يتحسن؟».

قالت غير عابثة: «هذا ما نقوله التوفعات. ولكن ربما يأخذ ذلك

بعض الوقت». يبدو أنه كان عليها أن ترد هاتين الجملتين مثات المرات بشكل يكفي لإحباط الجميع.  
عدت إلى بوكي بالأخبار. رمفتني بشيء من الازدراء دون أن تنبس بكلمة.

قلت: «من بدري متى سنصعد الطائرة. لا داعي للتسجيل الآن. ربما نكون كارثة أن نحاول استعادة حفاتنا مرة ثانية».  
مرة ثانية لم تنبس بكلمة. معهما كان ما أقوله.  
- أعلن أن ليس أماناً غير الانتظار. ليس أمراً مسلماً أن نعلق في المطار لساعات.

ثم سألتها: «هل تناولت بعض الطعام؟»  
أومات برأسها.

- ما رأيك في الذهاب إلى المقهى؟ يمكننا أن نشترى شيئاً نشره. أي شيء تريدينه.  
نظرت إلي نظرة من لا يعرف عما أتكلم. كانت نمتلك مخزوناً كاملاً من تعبيرات الوجه.

قلت وأنا أنهض واقفاً: «حسناً لنذهب» ورحنا ندفع حفاتنا السامسونايت أماناً.

كان المقهى بغض برواده. فجميع الرحلات إلى سابورو متأخرة عن مواعدها. بدوا جميعهم في حالة من الاستياء والغضب. طلبت ساندويتشاً وفهوه. أما بوكي فطلبت شوكولاتة ساخنة.

- كم المدة التي أمضيها بالفندق؟ يجب على المرأة أن يحاول أن يكون متحضرًا.

بعد برهة من التفكير، خرجت منها أخيراً إجابة مباشرة وحقيقية: «عشرة أيام».

- ومتى غادرت أمك؟

نظرت خارج النافذة نحو الثلوج فلبلاً ثم قالت: «قبل ثلاثة أيام».

شعرت كما لو أننا بدأنا تدريباً على تعلم الإنجليزية للمبتدئين.

- إذن هل مدرستك كانت في إجازة طول هذا الوقت؟

كان ذلك السؤال هو الخدعة. لكنها قالت بحدّة: «لا لم تكن مدرستي في إجازة كل هذا الوقت. لا نحاول استدرأجي». ثم أخرجت الوُكمان من جيها ووضعت الساعات في أذنيها.

انتهيت من الفهوه ورحت أنصفح الجريدة. هل كل أنثى في هذا العالم خلقت لتكون سبباً في شقاقي؟ هل هو مجرد حظ أم أنه خطأ في شخصيتي؟

لو كان لي أن أختار، لاخترت أن يكون ذلك مجرد حظ. طويت الجريدة وأخرجت كتاب The Sound and the Fury. وكذلك رواية لويليام فولكنر وفليب كي ديك أيضاً.

حينما أجدني محاسراً بأرهاب غير مبرر فأنتي دائماً ما أجد فيهم شيئاً يربطني بهم. لذلك السبب فأنتي دائماً أحمل رواية لمثل هذه الأوقات.

ذهبت بوكي إلى الحمام. وبعد أن عادت استبدلت البطارية في جهاز الوُكمان. وبعد ثلاثين دقيقة جاء الإعلان عن الرحلة. تم تأجيل الرحلة المنجبة إلى طوكيو أربع ساعات بسبب استمرار حالة عدم وضوح الرؤية. أمر عظيم. عظيم. إذن مزيداً من معاناة الجلوس هنا.

انظر إلى الجانب المبهج للأشياء. فلت في نفسي محاولاً أن أشجع نفسي. استخدم قوة التفكير الإيجابي. امنح نفسك خمس دقائق للتفكير في كيف يمكنك أن تحوّل موقفاً تعسباً لمصلحتك

وسرف بضيء ذلك المصباح الصغير. ربما سوف بضيء. وربما لا بضيء مرة أخرى. ولكن لا بد من شيء بهزم الجلوس ويقتل الوقت في خضم هذه الضوضاء. وهذه القاعة المعبأة بالدخان. طلبت من بوكي أن ينزل مكانها فيما ذهبت أنا إلى غرفة الانتظار. ذهبت إلى مكتب تأجير سيارات وقامت الموظفة خلف الطاولة باستكمال الأوراق الخاصة باستئجار سيارة تويوتا كورولا مزودة بنظام سترير. وأوصلتني حافلة صغيرة إلى باحة السيارات حيث نسلمت مفتاح سيارة ذات إطارات جديدة مجهزة للسير وسط الثلوج. عدت إلى المطار في السيارة وذهبت لإحضار بوكي من المنفى. «دعنا نذهب في جولة بالسيارة لمدة ثلاث ساعات».

- وسط عاصفة ثلجية مثل هذه؟ ما الذي يمكننا رؤيته؟ وأين سنذهب على أية حال؟

فلت: «لن نذهب إلى أي مكان. فقط جولة. والسيارة فيها سترير ويمكنك أن تشغلي الموسيقى بأعلى صوت تريدته. هذا أفضل لأذنك بدلاً من الاستماع لهذا الوُكمان».

هزت رأسها كما لو كانت تقول لي إنني أمزح. لكنها ومع ذلك، وحينما هممت بالغلام، قامت هي أيضاً.

وضعت حفاثتها في صندوق السيارة ثم فدت السيارة وسط الثلوج لا أروي على وجهه معبنة. تناولت بوكي شريط كاسيت من جيبها ووضعت في الاستريو حيث كان دافيد باوي يغني. وتلا، قبل كوليتز، جيفرسون ستار شيب، نوماس دولبي، توم بيبي، تومسون نوبنز، أيجي بوب، بانانا راما. كلها أغنيات تلائم ذوق فناة مراعاة.

ثم جاء بول ماكارتني ومايكل جاكسون.

كانت مشاحنا السيارة تعملان بأقصى قدرة لإزاحة ندف الثلج

المنسافطة فوق زجاج السيارة. كان الطريق خالياً إلا من عدد قليل من السيارات، بل تقريباً لم يكن هناك سيارات في الحقيقة. كنا نشعر بالدفء داخل السيارة ونحن نستمع لموسيقى الروك. اتخبطنا في ذلك على مدى تسعين دقيقة. ما إن لاحظت شريط الكاسيت الذي استمرته من مكتب تأجير السيارات حتى ابتدرتني سائلة: «ما هذا؟».

فلت: «أغنية قديمة».

- ضعه في الاستريو.

- لا أضمن لك أنك ستهببه.

- حسناً، لقد كنت أستمع للشرائط نفسها طوال العشرة أيام الماضية.

لم أكد أضغط على زر التشغيل حتى صرح سام كوك بأغنية «عالم رائع». لا أعرف كثيراً عن التاريخ، لكن سام قُتل حينما كنت في الصف التاسع. ثم جاء بعده بادي هولي، ومات في نطح طائرة، ثم كان بوبي دارين، ورحل أيضاً، ثم جاء ألفيس بريسلي. كلهم ماتوا ورحلوا وكنت أغني مع كل منهم كل أغانيهم.

وقالت بوكي متدعشة: «إنك تحفظ كلمات الأغاني حقاً».

فلت: «ومن لا يحفظها؟ كنت مهووساً بموسيقى الروك تماماً مثلما أنت الآن. كنت معانداً على التسمير بجوار الراديو كل يوم. كنت أنفق كل مخصصاتي العالية على شراء التسجيلات. وكنت أعتمد أن الروك أند رول هي أفضل شيء، خلق في هذا العالم».

- والآن؟

- ما زلت أستمع أحياناً. أحب الاستماع للبعض منها. ولكنني لا أستمع بانصات، ولم أعد أحفظ أبداً من كلمات هذه الأغاني. لم تعد تؤثر في كما كانت من قبل.

- كيف ذلك؟ كيف ذلك؟ أخيراً.

قلت: «بعد كل ذلك الوقت ربما أصبحت أعتقد أن من الصعب إيجاد أغنيات جيدة حقاً أو حتى أي أشياء جيدة. فقد نستمتع للراديو على مدى ساعة كاملة، ولا تجذب سوى أغنية واحدة جيدة فيها. باقي الأغنيات عبارة عن تسجيلات هابطة مصيرها للزوال. ولكن في ذلك الوقت لم أكن أفكر فيها، وكان مجرد الاستماع لها بولّد إحساساً عظيماً. لم يكن يهمني ما هي. كنت صغيراً. كنت أعيش حالة حب. وحينما نكونين صغيرة يمكنك أن ترتبطي بأي شيء. حتى لو كان سخيفاً. هل نفهمين ما أقصد؟»

- نوعاً ما.

ونوالت الأغنيات وكنت أردد مع الجوقة.

سألت بوكي: «هل تشعرين بالملل؟»

أجابت: «ليس كثيراً».

قلت: «ليس كثيراً على الإطلاق».

سألت: «والآن بعدما لم تعد صغيراً، أما زلت تقع في الحب؟»

كان السؤال يحتاج مني إلى تفكير. قلت في نهاية الأمر: «سؤال

صعب. هل لديك فني نحيب؟»

فألت بحسم: «لا. ولكن من المؤكد أن هناك كثيرين ينزلون

إلي».

قلت: «أعرف ما نقصدين».

- أفضل الاستماع إلى الموسيقى فقط.

- أعرف ما نقصدين.

فألت متدهشة: «نعرف؟»

قلت: «نعم أعرف. بعض الناس يستمّون ذلك هروباً. أنا أعيش

حياتي. وأنت تعيشين حياتك. إذا كنت صريحة بخصوص ما تريد، حيث يمكنك أن تعيشي بأي طريقة تفضلينها. لا أبه لهما يقول الناس. هذه هي الطريقة التي كنت أنظر بها إلى الأشياء حينما كنت في سنك وأعتقد أن هذه هي الطريقة التي أنظر بها إلى الأشياء الآن. هل يعني ذلك أنني توقفت عن التطور؟ أم أنني كنتُ على صواب كل هذه السنوات؟ ما زلت في انتظار الإجابة عن ذلك السؤال».

واصلت الذئنة مع مقاطع الأغنيات. كانت كميات هائلة من الطلوع قد تراكمت على الجانب الأيسر من الطريق.

علقت بوكي: «هل أخبرك أحد من قبل أنك مختلف؟»

كان جوابي: «ربما».

- هل أنت متزوج؟

- كنت متزوجاً.

- إذا أنت غير متزوج الآن؟

- هذا صحيح

- لماذا؟

- زوجني تركتني.

- حقاً ما تقول؟

- نعم حقاً. ذهبت لتعيش مع شخص آخر.

- لكن أظن أنني بإمكاناتي تفهم ما كانت عليه مشاعر زوجتك.

- ماذا نقصدين؟

هزت كتفها دون أن تقول أي شيء. ولم أحاول أن أستفسر عن

المزيد.

سألت بعد برهة: «هل ترغب في علكة؟»

- لا شكراً.

كنا نحن الاثنين الآن نندندن مع فرقة «بينش بويز».  
كانت حدة نفاط الثلوج قد بدأت تخف. توجهنا نحو المطار،  
سلمنا مفاتيح السيارة إلى مكتب تأجير السيارات. سجلنا التذاكر  
والحافلات، وبعد ثلاثين دقيقة كنا عند البوابة.

وأخيراً أفلعت الطائرة بعد تأخير خمس ساعات. راحت بوكي  
في نوم عميق بمجرد إقلاع الطائرة. كانت جميلة وهي تمام بجانبني.  
نبدو مميزة وبها رقة وهشاشة. جاءت المضيفة الجوية بالمشروبات  
ونظرت نحو بوكي ثم ابتسمت ابتسامة عريضة نحوي. كان علي أن  
أبتسم أيضاً. طلبت «جين ونونيك». وأثناء شربي، فكرت في كيكبي.  
ظل المشهد يلوح أمامي المرة تلو المرة. كيكبي وجوناندا في الفراش  
بمبارسان الحب. الكاميرا تدور حولهما. وفي هناك نقول: «ما الذي  
يحدث هنا؟».

حفاً ما الذي يحدث هنا؟

(16)

بعد أن نسلمنا حفاتنا في مطار هنيذا أخبرني بوكي عن مكان  
إقامتها. هاكوني.

قلت: «هذه مسافة طويلة للغاية من هنا». كانت الساعة قد  
تجاوزت الثامنة مساءً وحتى إذا وجدت سيارة أجرة لنقلها فسبكون  
الإرهاق قد نال منها وقت وصولها هناك. «هل تعرفين أي شخص في  
طوكيو؟ صديق أو قريب؟».

- لا أحد من هؤلاء، ولكن لدينا شقة في أكازاكا. إنها شقة  
صغيرة ولكن أُمي تستخدمها حينما تأتي للمدينة. يمكنني الإقامة  
هناك. لا أحد يشغلها الآن.

- أليس لديك أي أفراد عائلة، بالإضافة إلى أمك؟

أجابت بوكي: «لا، أُمي وأنا فقط».

قلت: «ممم» عائلة غير عادية. ولكن أي شأن لي أنا بهكذا  
أمر. «ما رأيك لو ذهبنا إلى بيتي أولاً؟ حيث يمكننا تناول العشاء في  
مكان ما. ثم بعد ذلك سافروم بتوصيلك إلى شقتك في أكازاكا. هل  
هذا مناسب؟».

- كما نشاء.

أخذنا سيارة أجرة إلى شقتي في شيبويا حيث غيرت ملابسني التي



جنت بها من هوكايدو. ثم ركبنا سيارتي السوارو وسرنا بها خمس عشرة دقيقة إلى مطعم إيطالي كنت أحياناً أذهب إليه. يمكنك أن نستيقظها مهنة. إنني أعرف كيف أجد الأماكن التي تقدم طعاماً جيداً.

أخبرتها: «إنه مثل تلك الخنازير في فرنسا يتم تدريبها لكي تفرح حينما تعثر على الفطريات».

«ألا تحب عملك؟»

«لا. وما الذي يجعلني أحبه؟ إنه عمل غير ذي معنى. أبحث عن مطعم جيد. أكتب عنه مقالة بسيطة. أذهب هنا، أخرج هذا. ما أهمية ذلك؟ لماذا لا يترك الناس يديهم حيث يشارون ويطلبون ما يرغبون؟ لماذا يحتاجون إلى شخص يخبرهم بذلك؟ ما هي فائدة الألباني؟ ثم بعد أن أكتب ويكسب المطعم الشهرة، يخوف الاهتمام بكيفية طهي الطعام أو الخدمة. إن ذلك هو ما يحدث دائماً. معادلة العرض والطلب ثم التلاعب بها. إنه أنا الذي فعل ذلك. إنني أقوم بذلك للترويض للأشياء وينشك أنيق ولطيف وأعرض على ما هو نقي ونظيف ثم إن بعد ذلك وقد علام الروث. ولكن ذلك هو ما يستتبه الناس المعلومات. وحينما ننزاع كل شيء من الروث من كل مكان في البيئة المحيطة فهذا ما يسميه معلومات محسنة. صحيح أنها محاولة للتأثير عليك، ولكن ذلك هو ما أقوم به.

فكرت إلى عبر البهامة كما لو كانت ينظر إلى كائن من فصيلة نادوز في حديقة الحيوان.

قالت: «ولكنك ما زلت تقوم بهذا العمل».

أجبت: «إنها وظيفتي». عندئذ تنبهت فجأة أنني مع طفلة في الثالثة عشرة. عظيم. ما الذي كنت أفعله الآن؟ تحدثت بمنزل هذه

الحماقات إلى فتاة لم تبلغ نصف عمري. ثم قلت: «دعينا نذهب. إن الوقت يتأخر بنا. سأفلك إلى شفتك».

ركبنا السوارو. أمصكت بوكي بأحد أسنمة الكاسيت وقامت بنشغله. كانت أشواخ عذبة وكنا وصلنا إلى أكازاكا في وقت فاسح.

قلت: «حسناً، هل يمكنك أن تديني على الطريق».

أجبت: «لا لن أدلك».

قلت: «ماذا؟»

قالت: «من أدلك. لا أود الذهاب للبيت الآن».

حاولت أن أفقها: «أفيني الوقت تجاوز العاشرة. لقد كان يوماً طويلاً وشاقاً وأنا محب للراحة».

بدأ أن ذلك قد أثر عليها قليلاً. كانت عتيقة. اكتفت بالجلوس في مقعدنا والتحدث في، فيما كنت أحاول أن أجعل عيني على الطريق. لم يكن ثمة عاطفة على الإطلاق في نظرتها. ولكنها مع ذلك جعلني أشعر بالذنب. بعد بضع استدارات لتتفر من نافذة السيارة.

بدأت: «لا أشعر بالرغبة في النوم على أي حال فيما تنصلي فيسوف أكون وحيداً تماماً. لذا أود أن تظل تنمود وأنا أسمع الموسيقى».

قلت لأمر بي وأسي: «حسناً. سوف نتجول بالسيارة لساعة واحدة. بعداً سوف نذهب إلى البيت لتسقي. انفضا؟».

قالت بوكي: «انفضا».

جئنا بالسيارة حول طوكيو، والموسيقى تصدح من الأسنوب. بسبب أننا نترك أنفسنا لملئ هذه الأشياء فإن الهواء يملوث وطيفة

الأوزون تخرق ومستويات التلوث تزداد، والتاس بصيحات سريعة العقب، كما أن مواردها الطبيعية تنضب بشكل مطرد.

سألها: «هل أمك في كاتماندو الآن؟»

أجاب دون اهتمام: «نعم».

- إذن ستظلين بممردك حتى عودتها؟

- لدينا خادمة في هاون.

- آه. هل هذا الموقف يكرر دائماً؟

- نغصد أنها تسافر ونتركني؟ نعم وبشكل دائم. العمل هو الشيء الوحيد الذي تفكر فيه أمي. لكن هذا لا يعني أنها نتمتع أن تكون ضيعة أو شيئاً من هذا. هذه هي طبيعتها. إنها لا تفكر إلا في نفسها. أحبباً تنسى أنني موجودة في المكان الذي أنا فيه. مثلما تنسى مظللتها. إنني فقط أسقط منها سهراً. فإذا خطر لها السفر إلى كاتماندو فإنها تسافر على الفور. ثم نعتذر لاحقاً. ولكن بعد ذلك يكرر الشيء نفسه في المرة التالية. أخذتني فجأة إلى هوكايدو وقد سرني تلك في البداية. لكنها تركتني طوال الوقت وحيدة في غرفتي. كانت نادراً ما تعود للفتنني وكنت عادة أتناول طعامي بمفردي. لكنني اعتدت على ذلك. أظن أنني لا أنتظر منها أكثر من ذلك. نقول إنها سوف تعود خلال أسبوع. ولكن ربما تسافر من كاتماندو إلى مكان آخر.

سألت: «ما هو اسم أمك؟»

لم أسمع عنها قبل ذلك.

فالت: «اسم شهرتها هو أمي. أمطار. لذلك أنا بوكي. ثلوج.

غياه. أليس كذلك؟ ولكن تلك هي فكرتها عن روح المرح».

- بالطبع سمعت عن أمي. ومن لم يسمع؟ إنها ربما أشهر مصورة سينمائية في الدولة. كانت مشهورة ولكنها هي نفسها لم تظهر

في الإعلام أبداً. إنها حريصة على عدم الظهور في وسائل الإعلام وعدم لفت الانتباه. كانت لا تقبل إلا العمل الذي تحبه. معروفة بفرائنها. صورها معروفة بأنها تدخنك وترسخ في ذهنك.

قلت: «إذا والدك هو الروائي هيراكو ماكيورا؟»

هزت بوكي كتفها: «إنه ليس ذلك الشخص السيئ. ولكنه غير موهوب».

قبل سنوات قرأت له روايتين من بواكير رواياته ومجموعة من قصصه القصيرة. كانت جيدة للغاية. كتابته مبدعة ووجهة نظره جديدة. وهو الأمر الذي جعلها الأفضل مبيعاً. كان معشوق المجمع الأدبي. كان يظهر في التلفزيون وفي كل المجالات، وبعبارة رآه في المشهد الاجتماعي يكامله. ثم تزوج من مصورة وأعدت عرفت باسم أمي. تلك كانت قمة مجده. بعد ذلك كان الهبوط. فلم يكتب أي شيء ذي قيمة. كان كتاباه اللاحقان أو الثلاثة نكته. لقد انتقدها النقاد بشدة ولم تحف أي مبيعات.

إذا ماكيورا قد مر بنحول. من روايتي سأج إلى رائد طلبعي فجاء. لقد أقام ماكيورا أسلوبه على النموذج الفرنسي المعروف باسم «الموجة الجديدة»، البلاغات من أجل البلاغات. رعب حقيقي. نمكن من كسب عدد قليل من النقاد الحمقى الذين لديهم ضعف أمام مثل هذه الادعاءات. ولكن بعد عامين من تكراره لنفسه، ستم منه حتى هؤلاء. موهبته نالست، ولكنه أصر مثل كلب كان فحلاً ذات يوم، وما زال يشم ذيل كل كلبة في المنطقة. في تلك الأثناء وقع الطلاق بينه وبين أمي. أو حتى أكون أكثر دقة أمي هي التي خلعت. هكذا كانت على الأقل الكهنة التي تناولت بها وسائل الإعلام الحدث.

ولكن مع ذلك لم تكن هذه هي نهاية هيراكو ماكيورا. في

مطلع السبعينيات افتحم مجالاً جديداً هو الكتابة في أدب الرحلات كمغامر من نمط خاص. وداعاً للرائد الطليعي، الوقت هو وقت العمل والمغامرة. زار الأماكن الغربية والمحظورة في أركان الأرض الأربعة. أكل اللحم النيئ مع الاسكيمو، وعاش مع الأقزام، واخترق معسكرات العصابات في جبال الأنديز. أثار الشكوك حول أدباء معزولين وشخصيات مرموقة أغلقت على نفسها المكتبات. وهو الأمر الذي لم يكن سيئاً في البداية، ولكن بعد عشر سنوات بدأت كتاباته تضعف. على أي حال لم نعد نعيش في عصر الرحالة بريطاني ليفنجستون وأموندسون. لم تعد المغامرات تمثل ذلك النوع من الشغف الذي ألفه الناس، ولكن أسلوب ماكيمورا ظل كما كان ملتبساً بالغرور.

وأعم شيء أن هذه المغامرات لم تعد مغامرات حقيقية. وأصبح يصحب معه حاشية من المُعْجَبِينَ والمحروين والمصورين. وأحياناً كان الثقلزون يشارك ويصبح هناك العشرات من رُعاة البرامج ينفاطرون عليه. وقبل أن يمر وقت طويل كان كل شخص لديه رقم هاتفه.

ربما لم يكن شخصاً سيئاً. ولكن ومثلما قالت ابنته لم يكن موهوباً.

لم نفل المزيد عن والد بوكي. كان واضحاً أنها لم تكن نريد الحديث عنه. اعتذرت لها عن جعله مادة لتحديثنا.

ظللتنا صامتين واسمعنا للموسيقى. كنت أسبك المفود وعيناي على أسواء سيارة التي إم دهبلي الزرقاء التي أمامي. وكانت بوكي تدق بحدائهما مع أغنية سولومون بريك وهي تشاهد المناظر التي نمر.

نظفت بوكي بعد فترة: «إنني أحب هذه السيارة، ما هو نوعها؟»

قلت: «سويارو. اشتريتها مستعملة من صديق. لا ينظر إليها الكثير من الناس مرتين».

- لا أعرف الكثير عن السيارات ولكني أحب الطريفة التي نبدو عليها.

- إن ذلك ربما لأنني أغدق عليها الدفء والعاطفة.

- وهذا هو ما يجعلها جميلة وملبنة بالود؟

شرحت لها: «نأغم بين كلبنا».

- ماذا؟

- السيارة وأنا صديقان. كل منا يساعد الآخر. أنا أدخل فضاءها وأفوم باهتزازات جيدة. وهو ما يخلق أجواء جيدة. والسيارة تدرك ذلك. وهو ما يشعرني بالارتياح، كما يشعر السيارة.

- هل يمكن لأنة أن تشعر بالارتياح؟

- ألا تعرفين ذلك؟ لا تسأليني كيف. الآلات يمكنها أن نفرح كما يمكنها أن تغضب. ليس لدي تفسير منطقي لذلك. لكني أعرف ذلك من خلال الخبرة.

- هل تعني أن الآلات مثل البشر؟

هزرت رأسي. «لا ليس مثل البشر. مع الآلات يكون الشعور أكثر تحديداً. لا يذهب إلى أبعد من ذلك. مع البشر الأمر يختلف. الشعور دائم التغير. مثلما هي الحال حينما تحبين شخصاً ما، فإن الحب دائماً ما يعنونه تحولات أو تذبذبات. إنه دائماً محل سؤال، فينضخم أو يتلاشى أو يُجْعَد أو يُجْرَح. والأمر المهم هنا هو أنه لا يمكنك أن تفعل أي شيء حياله، لا يمكنك التحكم فيه. لكن مع سيارتي السويارو الأمر غير معقد كثيراً».

أطرفت بوكي بفكر في ذلك بعض الوقت . وسألت : «ولكن ألم يصل ذلك إلى زوجتك؟ ألم تعرف كيف كان شعورها؟» .

قلت : «لا أظن . أو ربما كانت لها وجهة نظر مغايرة حول الأمر . لذا كانت النتيجة أن انفصلنا . ربما كان ذهابها للعيش مع شخص آخر أهون عليها من تغيير تصوراتها» .

- إذن فأنت لم تنجح في الحفاظ على علاقة ودبة معها مثلما نجحت مع سيارتك السوبرأو؟  
- بالضبط .

سألني فجأة : «وماذا عني أنا؟» .

- ماذا عنك؟ أنا بالكاد أعرفك .

كنت أشعر بأنها تحقد فيّ مرة ثانية . مزيداً من ذلك وسوف تطيع قبلة على عذّي الأيسر . استسلمتُ . «من بين جميع النساء اللاتي خرجت معهن ربما أنت أنظفهن» . قلت وعيناي مركزتان على الطريق . «لا ليس ربما بل دون شك وبشكل مطلق أنت أنظفهن . لو أنني كنتُ في الخامسة عشرة لوقعت في حبك . ولكنني في الرابعة والثلاثين ولا أقع في الحب بسهولة كبيرة الآن . لا أريد أن أنعرض لمزيد من الجراح . لذلك فإن الأمر أكثر أماناً مع السوبرأو . اغفنا؟» .

نظرت بوكي إليّ نظرة ذاهلة . «يا لك من شخص غريب» . كان هذا كل ما استطاعت قوله . وهو ما جعلني أشعر كما لو كنت حثالة البشرية . ربما لم تكن الغفاء تفقد أي شيء . بما قالت ، ولكنها سددت لي ضربة قوية .

عند الساعة الحادية عشرة والربع عدنا إلى أكازاكا .

التزمت بوكي بالجزء الخاص بها من الاتفاق وقالت لي كيف أصل إلى الشقة . كانت شقة صغيرة مبنية بالطوب الأحمر وتقع في

شارع خلفي هادئ بالقرب من ضريح نوجي . اتجهت صوب البناية .  
فالت قبل أن تفتح باب السيارة : «ماذا عن النقود وكل شيء آخر ، الطائفة والعشاء وكل شيء» . . . .

- أجرة الطائفة يمكن أن ننظر لحين عودة أمك . أما الباقي فهو على حسابي . لا تقلقي بشأنه . أنا لست إنجليزيّاً .

هزت بوكي كتفها ولم تقل أي شيء . ثم خرجت وألقت بقطعة من العلكة في زهرية تقليدية للنباتات .

إلى اللغاء . أخرجت بطاقة تعريف من حافتي .

- قدمي هذه إلى أمك لدى عودتها وفي الوقت نفسه يمكنك الاتصال على هذا الرقم إذا احتجت إلى أي شيء . دعيني أعرف إن كان بإمكانك أن أساعدك .

انزعت البطاقة التعريفية وحدقت فيها لبرهة ثم دسها في جيب معطفها .

أخرجتُ حقائبها الثقيلة من السيارة . وأخذنا المصعد إلى الطابق الرابع . فتحت بوكي الباب وأدخلت أنا الحفائب . كان ستدير مكوناً من غرفة نوم ومطبخ وحمام . كانت شقة جديدة ونظيفة وأنيقة مثل صالة عرض ، مزودة بكل الآلات والأجهزة . كلها تنم عن ذوق وغالبية الثمن ولا تبدو عليها علامات الاستخدام .

وقالت بوكي حينما رأيته أنفحص المكان : «أمي لا تستخدم هذا المكان إلا نادراً . لديها ستدير قريب وعادة ما تقيم هناك حينما تأتي إلى طوكيو . ننام هناك وتأكّل هناك . إنها تأتي إلى هنا حينما لا يكون لديها عمل» .

قلت : «أنهم ذلك» . سيدة مشغولة .

علفت بوكي معطفها ذا الفراء وقامت بتشغيل المدفأة . ثم

أخرجت سبجارة من عليّة سجاد فبرجتنا سليمز وأشعلتها بحركة ماهرة من أصابعها. لا يمكنني القول إنّي توقفت كثيراً أمام فناء في الثالثة عشرة نددخن. ولكن مع ذلك كان ثمة شيء يجذب في الفيالتر الرفيع الذي نمنسكه بين شففتها المتناسفتين ورموشها الكثيفة. إنها صورة منقّنة الجمال. لقد عثرت على نحفة فنية. لو كنت في الخامسة عشرة الآن، لكنت حتماً وقعت في حبها. صورنها نأخذني للوراء سنوات.

- هل نرغب في بعض القهوة؟

هزّزت رأسي. «شكراً، لكن الوقت متأخر. علمي أن أذهب إلى شفتي».

وضعت بوكي سبجانها في المنفضة وصحيتي إلى الباب.

- تخذي حذوك من السبجارة والمدفأة؛ قبل أن تنامي.

أجابت: «حاضر يا أبي».

ما إن وصلت أخيراً إلى شفتي حتى ارتفعت فوق الأريكة ومعني فتيحة من البهيرة. نظرت في رسائل بريدي. لم يكن بها سوى رسائل عمل وفواتير. كنت أشعر بأنني شبه ميت ولم أكن أرغب في عمل أي شيء. فقد كنت متوتراً ومتخفماً بالأدوية إلى حدّ بمعنى من النوم. يا له من يوم!

كم يوماً أمضيتها في سابورو؟ كانت الصور نختلط وتنداخل داخل رأسي وتزاحم عليّ أثناء نومي. كانت السماء رمادية ومدلهمة. ننظر بأحداث ولقاءات. لقاء مع موظفة الاستقبال ذات النظارة. مكالمة هاتفية مع شريكي السابق لتكوين خلفية عن فندق الدولفين. حديث مع الرجل المُثَقَّف. فلم سينامي بعرض جوناثان وكبكي. فرفة البيش بوز وفناء ذات الأعوام الثلاثة عشر وأنا.

إذن ما مجموع كل ذلك من الأيام؟

ذهبت إلى المطبخ وأعددت لنفسني كأساً من الويسكي بالإضافة إلى بعض البسكويت.

ما الذي يحدث هنا؟ تردد صدى سؤال كبكي في رأسي. كانت الكاميرا تدور. وأصابع جوناثان الماهرة تمسّد ظهرها بلطف. بحثا عن الممر البحري المفقود منذ زمن طويل.

ما الذي يحدث هنا؟ كنت أشعر بأننيك نام. تبادل الحب وصبرات السوارو المستعطفة كانا شيئين مختلفين. أليس كذلك؟ كنت أشعر بالعبوة من أصابع جوناثان. نرى هل أطفأت بوكي سبجانها؟ هل أطفأت المدفأة؟ حاضر يا أبي. أنت فلنأ. لا نغف على الإطلاق. هل حُكِم عليّ بأن أنعفن وأن أظل أهذي لنفسي على هذه الشاكلة في مطربة المجتمع الرأسمالي المعتدم؟

دع ذلك للغد. كل شيء.

فمت بتنظيف أسناني، وليست ببجاني ثم احتسبت ما كان قد تبقى من ويسكي في الكأس. ما إن أويت إلى فراشي حتى رن جرس الهاتف. في أول الأمر حدثت فقط في ذلك الشيء الذي يرن في وسط الغرفة قبل أن أرفع السماعة في نهاية الأمر.

كانت بوكي على الطرف الآخر: «أطفأت المدفأة، وأطفأت سبجاتي. كل شيء على ما يرام. هل ستنام بسهولة الآن؟».

أجبت: «نعم، شكراً لك».

قالت: «نصبح على خير إذا».

قلت: «تصبحين على خير».

قالت: «مهلاً» لقد رأيت ذلك الرجل صاحب فنّاع صوف الخروف في فندق سابورو. أليس كذلك؟».

جسدت على السرير ممسكاً بالهاتف نحو صدري كما لو كنت أدفع بيضة ناعمة منشفة.

- لا يمكنك أن تخذعني. أعرف أنك رأيته. عرفت ذلك الآن. سألتها: «هل رأيت الرجل المُفتع؟».

تجنبتي بوكي السؤال قائلة: «يمكننا التحدث عن ذلك لاحقاً. في المرة القادمة، اتفقا؟ لقد تحدثنا كثيراً. أشعر بنعب شديد الآن». ثم وضعت السماعة مباشرة.

كنت أشعر بالكم في جانبي رأسي. ذهبت إلى المطبخ وصبيت لنفسي كأساً أخرى من الويسكي. سرت ارتعاشة في كل أنحاء جسمي. كان كل شيء يهتز من تحتي. إن كل شيء متصل، هكذا قال الرجل المُفتع.

متصل.

كانت كل أنواع الاتصال الغريبة قد راحت تتلافي معاً.

(17)

اتكأت على الحوض في المطبخ وازدردت الويسكي. ماذا علي أن أفعل؟ كيف عرفت بوكي عن الرجل المُفتع؟ هل يجب أن أعبد الاتصال بها؟ ولكنني كنت مرهقاً للغاية. كان يوماً طويلاً. ربما يجب علي الانتظار حتى تتصل هي. هل أعرف رقم هاتفها؟

صعدت إلى السرير ورحت أهدق في الهاتف. يساورني شعور بأن بوكي سوف تتصل. إن لم تكن بوكي، فسوف يكون شخصاً آخر. في أوقات مثل هذه، يصبح الهاتف قنبلة موقوتة. لا أحد يعلم متى سوف تنفجر. ولكنها تدق محملة بكل الإمكانات. إذا نظرت إلى الهاتف باعتباره شيئاً، فسوف نجد له ذلك الشكل الغريب حقاً. في الظروف العادية لا يمكنك أن تلاحظ ذلك أبداً ولكن إن حدثت فيه وقتاً كافياً فسوف تلاحظ غرابية شكله الشديدة. إن الهاتف إما أن يبدو كما لو كان ينحرف ليقول شيئاً أو أنه يشمر بالغضب كونه محبوساً داخل شكله. فكرة نقبة لكنها محبوسة داخل جسم غبي. ذلك هو الهاتف.

والآن الشركة المشغلة للهاتف. كل هذه الخطوط تتجمع معاً. الخطوط تنتشر من هذه الغرفة لتصل إلى كل مكان. تصلني بكل شخص ويأتي شخص. بإمكانني حتى الاتصال بالاسكا إن شئت. أو

تندق الدولقيين أو زوجتي السابقة. إمكانات لا محدودة. وكلها مرتبطة معاً من خلال لوحة شركة الهاتف. يتم عمل ذلك من خلال الكمبيوتر هذه الأيام بالطبع. يتم تحويلها إلى سلاسل من الأرقام ثم يتم بثها عبر أسلاك الهاتف إلى كابلات نحت الأرض أو اتقاق تحت البحار أو أقمار صناعية للاتصال لتجد طريقها إلينا في نهاية الأمر.

ولكن بصرف النظر عن مدى تقدم النظام. وبصرف النظر عن دفته، فإنه وما لم تكن لدينا إرادة التواصل قلن يكون هناك اتصال. بل وحتى لو افترضنا وجود الإرادة فإن هناك أوقاتاً مثل الوقت الحالي حينما لا نعرف رقم الطرف الآخر. أو حتى لو عرقنا الرقم فسوف نصل برقم خطأ. إننا كائنات غير معصومة ولا نتوب عن الأخطاء. ولكن افترض أننا أزلنا هذه العقيات، افترض أنني تمكنت من الوصول إلى بروكي. يمكننا أن نتدزج دائماً بقولها: «لا أشعر برغبة في الحديث الآن، إلى اللغاة». ثم نضع الهاتف. نهاية المحادثة قبل أن نبدأ. أنحدث عن نواصل من طرف واحد.

في الواقع كان الهاتف يبدو مستأزاً.

إنه أو دعنا نشير إليه بالضمير المؤنث: هي. إنها تبدو غاضبة من الأسباب غير البشينة وغير الكاملة التي من الضروري أن يرتكز عليها الاتصال الإرادي. إنها غير متفتة بالمرءة وغاية هي التعسف والسلبية.

اتكأت على وسادتي وأنا أشاهد غصيب الهاتف. نمرين بلا طائل تماماً. إنه ليس خططي، كان ذلك على ما يبدو هو ما يقوله لي الهاتف. حسناً هذا تواصل. تواصل غير متقن ومتعسف وسلبى الأسف من أجل الفكرة غير التنفية تماماً. ولكنني لا ألام على ذلك أيضاً. ربما يقول الهاتف ذلك لكل الأشخاص. إن مجرد أن تكون جزءاً من هذه الأجواء التي أعيش فيها هو ما يجعله سريع التعقب

وهو الأمر الذي يجعلني أشعر بالمسؤولية. كما لو أنني أساعد وأشجع كل هذه التواقص.

ولتأخذ زوجتي السابقة مثلاً. كانت تكتفي بالجلوس هناك ومن دون أن تنيس بكلمة تجعلني هنا في مكاتي. كنت أحبها. أمضيت أوقاتاً سعيدة معاً حقاً. سافرتنا معاً. تبادلنا الحب مئات المرات. ضحكنا كثيراً. ولكنها كانت ناملتي بازدواه. أثناء الليل عادة ما تكون وفقة ولكنها عتيده. كما لو كانت نعاقتني على نقصي وسلبيني ونسكي بأفكارتي.

عرفت ما الذي يتأكلها. كنا متفاهمين بشكل جيده ولكن الفكرة الذهنية التي كانت تلاحقها كانت في مكان آخر غير ذلك الذي أنا فيه. كانت تريد نوعاً من الاستقلالية في التواصل. مشهد يفود فيه البطل الذي يحمل اسم «تواصل» الحشود نحو ثورة بيضاء بلا دماء وحبث ترفرف الأعلام البيضاء. وذلك حتى يتبلغ الكمال التواقص ويصبحوا شيئاً واحداً. بالنسبة لي فإن الحب هو فكرة طاهرة نشت صياغتها في الجسد ربما بشكل فلق. ولكن عليها أن تتصل بمكان ما على الرغم من الطبقات والانعطافات في الكابلات نحت الأرض. إنه شيء غير منفذ بالمرءة. أحياناً تتداخل الخطوط. أو تحصل على رقم خطأ. ولكن ذلك ليس بجريرة أحد. إنه دائماً مثل ذلك، ما دمنا في هذا الشكل الجسدي. إنه مسألة ميداً.

شرحت لها ذلك المرة تلو المرة.

لكنها خرجت في يوم من الأيام.

وإلا فإنني ضخمت التواقص والعيوب وساعدتها على الخروج.

تظرت نحو الهاتف وأنا أستبعد تلك المشاهد التي كنت أتمم قتها مع زوجتي. على مدى الأشهر الثلاثة التي سبقت رحيلها لم ترعب

أبدًا في النوم معي ولو لمرة واحدة. لأنها كانت تنام مع الرجل الآخر. في ذلك الوقت لم يكن لدي أي فكرة عن ذلك.

وقالت: «معتزة عزيزي، ولكن لماذا لا تذهب وتنام مع امرأة أخرى؟ لن أجن إذا حدث ذلك». كنت أعتقد أنها تمزح. ولكنها كانت جادة. أخبرتها أنني لا أرغب في النوم مع امرأة سواها وكنت صادقاً. لكنها كانت تريد مني أن أفعل. وحينئذ يمكننا إعادة التفكير في الأمور من هذه الزاوية.

في النهاية لم أتم مع أي امرأة. لست مفرطاً في الالتزام، ولكني لا أذهب للنوم مع النساء فقط كي أفكر بعمق في الأشياء. إذا نمت مع امرأة فإنني أفعل ذلك لأني أرغب في ذلك.

لم يمر وقت طويل بعد ذلك حتى رحلت عني. ولكن لتفترض أنني ذهبت ونمت مع امرأة مثلاً أرادت لي، هل كان ذلك سيئاً عن الرجل؟ هل كانت تؤمن حقاً بأن ذلك سوف يضع نواصلنا على أرضيات أكثر استقلالية بعض الشيء؟ أمر مثير للشفرة.

كان الليل قد انتصف ولكن الضجيج القادم من الطريق السريع لم يهدأ بأي شكل. بين الحين والآخر كانت دواجة بخارية نحدث ضجيجاً أثناء مرورها. كان الزجاج المضاد للصوت يقلل من حدّة الضوضاء ولكن لبس بشكل كبير. كان الوضع على ما يرام هناك بالخارج، ضد حباتي، ويفهمني. بحصرني ضمن هذه القطعة من الأرض.

شعرت بالسأم من النظر نحو الهاتف فأغمضت عيني. وبمجرد أن فعلت ذلك كان الانسلاخ الذي كنت أنتظره قد ملأ الفراغ في صمت. بمهارة فائقة وبسرعة كبيرة. غلبني النوم.

بعد أن تناولت الفطور فلبت في دلب الهاتف بحثاً عن رقم

شخص كنت ألقا إليه حينما أحتاج إلى إجراء مقابلات مع النجوم الشباب. كانت الساعة العاشرة صباحاً حينما اتصلت به، لذا كان طبيعياً أن يكون نائماً. هذه هي طبيعة الوسط السينمائي وصناعة الترفيه. اعتذرت له أولاً ثم أخبرته بأنني أريد العثور على جوثاندا. تبرّم وتذمّر لكنه في النهاية جاءني بالمطلوب. جاءني برفم مؤسسة جوثاندا، شركة إنتاج متوسطة الحجم تعمل في مجال الترفيه.

اتصلت بالرفم ووصلت إلى مديره على الهاتف. قلت له إنني كاتب في مجلة وأريد الحديث مع جوثاندا. سألتني إن كنت أريد كتابة مقالة عنه؟ قلت لا. إنه أمر شخصي. لبس بالضيظ. الأمر شخصي. شخصي بأي شكل؟ حسناً لقد ضوّد أنّني كنت زميله في المدرسة الثانوية وأرغب في مقابلة له أمر عاجل. حسناً سوف يقوم بإبصال الرسالة. قلت له لا. يجب أن أتحدث إلى جوثاندا مباشرة.

أصردت قائلاً: «لكن هذا أمر هام للغاية. لذا أرجو أن نكون عطفياً بما يكفي وأن توصلني به. إنني متأكد أنه يمكنني رد الجميل على المستوى المهني».

فكر المدير في اقتراحي. بالطبع كانت كذبة. لم يكن لدي أي خطوط يمكنني شدّها. كل علاقتي بالصحافة هي إجراء المقابلات التي أكثف بها وحسب. مراسل عظيم. لكن المدير لم يكن يعرف ذلك.

قال: «هل أتت متأكد أن ذلك ليس بهدف التغطية الصحفية؟ لأن كل ما يتعلق بوسائل الإعلام يجب أن يمر من خلالي».

- لا، هذا الأمر شخصي مئة بالمئة.

طلب مني الرجل رفاً، وقال «زميل دراسة الثانوية؟» وهو يخرج تنهبة. «سوف يتصل بك اليوم أو غداً، إن كانت له رغبة في ذلك».



قلت: «بالطبع».

تناهب الرجل ووضع السماعة. لا يمكنني أن ألوّه. لقد كانت الساعة العاشرة ونصف صباحاً.

اتجهت بسيارتي إلى أوياما للنسوق في سوبر ماركت Fancy Schmancy. حينما أوفنت سيارتي السويارو بين سيارات ساب ومرسيدس في المرائب شعرت كما لو كنت أعرض نفس القضيحة. لا شك أنني أستمع بالنسوق في كينوكونيا. ربما لا تصد، ذلك، ولكن الخس الذي نشتره من هناك يدوم أطول من ذلك الذي نشتره من أي مكان آخر. لا نسألني لماذا. ربما يقومون بلف الخسر بعدما يفلقون أبوابهم في نهاية اليوم ويقومون بإجراء تدرجات خاصة له. هذا لن يدهشني. فهذه رأسمالية متقدمة على أية حال.

حينما عدت إلى البيت لم يكن هناك أي رسائل على الآلة. لم ينصل بي أحد، وضعت الخضرولات التي اشتريتها. هبت لمشاهدة فيلم «حب من طرف واحد» مرة أخرى. كانت هذه هي المرة الرابعة. لا يمكنني مشاهدته. كنت أركز فقط على المشهد الهام محاولاً الإمساك بكل التفاصيل.

لم يتغير أي شيء. إنه صباح الأحد. كل شيء كان يسبح في ضوء يوم الأحد الهادئ. كانت ستائر الشاذة مرفوعة. ظهر امرأة عارٍ. أصابع رجل مداعبة. لوحة زيتية على الحائط للرسم لوكوريجيزر. زجاجة من الويسكي الاسكونلاندي على المائدة جوار الفراش. كوبان، منفضة سجائر وجهاز استريو. زهرية ورد، «لايس تم خلعها على الأرض. بأفة من زهرة الربيع. الكاميرا تدور، إنها كيكبي. أغمضت عيني بشكل لا إرادي. ثم فتحتهما. جرتان دعائهما. بشكل لطيف وناعم. قلت وبصوت عال: «مستحيل». ومعني طفل يجلس على بعد أربعة مقاعد مني. دخلت الفتاة البطلة في كادر الكاميرا.

شعرها مصفف على شكل ذيل الحصان. ترتدي بنطالاً من الجينز وتنتعل حذاء رياضي أحمر من نوع «أيداس». نحمل بين يديها وعاء فيه بعض الكمك. دخلت إلى الغرفة مياشرة ثم خرجت مسرعة. جوثاندا يبدو عليه الذهول. يجلس في الفراش ويحدق بعينين نصف مغمضتين في الضوء وهو يتابع القناة بنظراته. كيكبي تضع يدها على كتفه، كليانها مفعمة بكل نعب الدنيا. «ما الذي يحدث هنا؟».

بعدما غادرت دار السينما، تجولت في شوارع شيبويا.

كنت أثنى طريقي وسط أعداد هائلة من أطفال المدارس بينما كان خاطري معلق بأصابع جوثاندا الرقيقة المهذبة وهي نداعب ظهر كيكبي. سرت بانجاء هاراجوكو. ثم بعد ذلك إلى سنداجايا وراه الأستاذ الرياضي وعبر أوياما بولفارد سرت بانجاء المغاير ومن ثم إلى متحف نيزو. مررت بمغفي فبجارو ثم إلى كينوكونيا ثم إلى بناية جنتان عودة إلى محطة شيبويا. كان الوقت نذ ناخر. من أعلى النل كان بإمكانني أن أرى. حينما عدت إلى شغني كان المصباح الأحمر في آلة الرود الخاصة بي بومض. أشعلت نور الغرفة وخلعت معطفي وسحبت زجاجة من البيرة من الثلاجة. جلست على السرير وارنشتت رشفة ثم ضغطت على زر تشغيل آلة الرود.

- آه، منذ زمن طويل لم نلني.

كان الصوت لجوثاندا.

كانت بوكي . سألتها : «من أين تتصلين؟» .

فالت : «أكاناكا . ما رأيك في الخروج في جولة في المدينة بالسبارة؟» .

قلت : «معذرة» لا يمكنني ذلك اليوم . إنني في انتظار مكالمة عمل هامة . ما رأيك في أن نحدد وقتاً آخر؟ ولكن قبل ذلك لدي سؤال . حينما نحددنا أمس فلن أتك رأيك رجلاً في بلدة مصنوعة من صوف الأغنام . هل يمكنك أن تحدثيني أكثر عن ذلك؟ أرغب في معرفة ذلك» .

قالت : «ما رأيك في أن نحدد وقتاً آخر؟» ثم وضعت السماعة وأغلقت الخط .

كنت أمضغ بعض الكرفس وأنا أنكر في ما سأتناول على العشاء . فكرت في إعداد طبق من السباغيتي . كان لدي كتاب في تعليم الطهي . فرأت الطريقة وبدأت في الإعداد .

كان الماء الخاص بالسباغيتي على وشك الغليان حينما رن الهاتف . أطفأت الغاز وأسرعت للرد على الهاتف .

كان جوناثاندا . «مرحى مرحى . منذ زمن . كيف حالك؟» .

قلت : «على ما يرام . بحسب ما أظن» .

قال لهاكاً : «إذا ما الخبر؟ أعبرني مديري أن لديك أمراً عاجلاً . أمل ألا يكون علينا أن نقوم بنشر شريط ضفدع مرة ثانية» .

«لا ، لا شيء من ذلك . أعرف أن هذه المكالمة مفاجئة . ولكنني فقط أردت أن أطلب منك شيئاً . اعذرني أعرف أنك مشغول . على أية حال ربما يبدو ذلك غريباً بعض الشيء» . ولكن -

فأعطني جوناثاندا قائلاً : «اسمع» هل أنت مشغول الآن؟» .

- لا ، مطلقاً . كنت على وشك تجهيز العشاء .

(18)

«آه منذ زمن طويل» .

جاء صوت جوناثاندا واضحاً وقوياً . لا هو السريع ولا يلبطي . لا هو بالجهوري ولا هو بالهامس . ليس متوتراً ولا هو مسرّع بشكل مبالغ فيه . إنه صوت مثالي . أدركت أنه جوناثاندا في ثانية . إنه ليس من الأصوات التي ننساها بمجرد سماعها . ولم يكن هناك أوضح من وجهه الباسم إلا أسنانه البيضاء المتلافة وأنفه المنحوت بدقة . في الواقع لم يسبق لي أن أشرت صوت جوناثاندا أدنى اهتمام من قبل . بل لا يمكنني حتى أن أذكره . ولكنه في هذه المرة ارتطم بشكل لا إرادي في داخل جمجمتي ثم ارتد إلي مباشرة حياً مثل دقات الجرس في ليلة هادئة . أمر مذهش .

قال : «سأكون في البيت الليلة ، لذا يمكنك الاتصال . وعلى أية حال أنا لا أذهب للنوم قبل طلوع الصباح» . ثم كرر رقم هاتفه في البيت مرتين .

دوّنت الرقم ثم اتصلتُ به . عند الرنة السادسة ، بدأت آلة الرد تعمل . كان صوت امرأة يقول : «إنني بالخارج الآن . يمكنك إن شئت أن تترك رسالة» . نركتُ اسمي وقلت إنني سوف أكون موجوداً في البيت طول المساء . كم هو معقد العالم الذي نعيش فيه . وضعت السماعة ودلقت إلى المطبخ حينما رن الهاتف .

- حسناً، ماذا عن العشاء بالخارج؟ كنت لتؤي أفكار في البحث عن شخص يشاركني العشاء. لعلك تعرف ذلك، لا شيء يحلو مذاقه حينما نأكله وحيداً.

- بالتأكيد، لكنني لم أكن أقصد ذلك. فاصبر إن فعلت إنني انصلت بشكركم.

- لا عليك. إننا جميعاً نجوع سواء أحببنا ذلك أو لم نحب وعلى المرء أن يتناول الطعام. أنا لا أفرض نفسي عليك للأكل على حسابك. إذاً دعنا نخرج لتناول وجبة جيدة والحديث عن أيام زمان. لم أرك منذ وقت طويل. إنني متأكد أن أراك. أمل ألا أكون أقحم نفسي. أم تراهي أفضل ذلك؟

- كيف نفعل ذلك؟ أنا الذي انصل بك ويريد أن يتحدث معك.

- حينئذ سوف أرك عليك لأصحبك أين تقيم؟  
أخبرته عن مكان شقتي.

- ليست بعيدة عن هنا. ربما أصل إليك بعد عشرين دقيقة استعد. لا أعرف ماذا تفعل، لكنني جائع جداً.

قلت: «سأكون في انتظارك». وصعدت الساعية.

ما هي أيام زمان التي يمكن لجوتاندا أن يتحدث عنها؟ لم يكن قريبين في تلك الفترة. لقد كان في الفصل المدلل اللامع، أما أنا فلم أكن شيئاً مذكوراً. إنها حتى معجزة أنه تذكر من أكون.

حصلت قفسي وأوتيت أكثر الملابس البائسة لدي في خزانة الملابس؛ قميص مخطط باللون البرتقالي، وسروة كلفن كلابس ووشة.

عنى أرماني (كانت هدبة من إحدى خليلاتي) وبطال من الجيتز وحذاء رياضي جديد من ياماها. لم أتناول الطعام أبداً قبل ذلك مع نجم سينمائي. ماذا يفترض أن يلبس المرء على أية حال؟

بعد عشرين دقيقة، رن جرس الباب. كان سائق جوتاندا الذي أخبرني بكل أدب أن جوتاندا موجود في الأسفل. كان بركب سيارة مرسيدس فضية اللون في شكل وحجم مركب آلي. كان الزجاج فضياً أيضاً بحيث لا يمكنك أن تراهي ما بالداخل. ففتح السائق الباب بشكل محتشم وكبر فدخلت السيارة فإذا بجوتاندا في الداخل استقبلني بابتسامة وقال: «هذه زمن طويل. لقد كانت أياماً لم يمضت»، ولكنني كنت سعيداً.

قلت: «لقد كانت أياماً ليس كذلك؟».

كان يرتدي ملابس عادية ولكن الطريقة التي كان يرتديها بها كانت مثقفة. نظر إلى طقم ملابسي وعلني أولاً: «متى الأنافة؟»

قلت: «أشكرك».

- تماماً مثل نجم سينمائي. ليست أسخراً، إنني فقط أفرح. ضحكنا معاً وهو الأمر الذي أفرحاً من الأمر خاف.

نظرنا نظرة متحصنة في داخل السيارة.

قال: «ليست سيئة. ليس كذلك؟» الوكالة تسمح لي باستخدامها كلما شئت ذلك. ومعها السائق بهذه الطريقة لا توجد حوادث أو سبابة نحن نأخذ الشراب. الأمان أولاً إنهم سيصلوننا كذلك».

قلت: «أمر مفهوم».

- ولكن لو كان الأمر لي فإنني لن أقود مثل هذه السيارة. لا أحب السيارات التي بهذا الحجم الكبير مثل البورش أو مايرباتي.

لم يلبس السيارات الأصغر مثل سيبك، سوارو.

قال: «سوارو، على تعلم أن أول سيارة اقتنيها كانت سوارو. اشتريتها بأجري عن أول فيلم، كانت مستعملة. أحببتها. كنت معتاداً على قيادتها إلى الاستديو حينما حصلت على فرصة دور مساند. لكن

شخصاً ما أفهمني شيئاً على الفور. أخبرني أنه إذا كنت تريد أن أكون نجماً، فيجب عليّ ألا أقود سيارو. يا له من وسط. لذلك فروت بيعها. لكنها كانت سيارة رائعة. يمكن الاعتماد عليها. ورخصة».

- نعم إنني أحب سيارتي أيضاً.

- إذا لماذا أقود مازيراتي بحسب رأيك؟

- لست أدري.

قال: «لدي حساب مصروفات ويهني عليّ أن أستفده. إن مدير أعمالي يستعطني دائماً على أن أنفق أكثر فأكثر. لكنني لا أنفق بهذه السرعة. لذا ذهبت واشتريت سيارة فاخرة وغالية الثمن. سيارة واحدة باعظة الثمن يمكن أن تقطع جزءاً كبيراً مما أكسبه من أموال. إن ذلك يجعل الجميع سعداء».

يا إلهي. ألا يوجد شخص لا تسيطر عليه فكرة الحسم من حساب المصروفات؟

- «إنني جائع حقاً»، قال وهو يمرر يديه خلال شعره. «أشتهي قطعة من اللحم المشوي. هل لديك شهية شيء مثل ذلك؟».

- كل ما نشتهي.

أعطى التوجيهات للسائق ووصلنا. نظر إليّ جوتاندا وهو يتسم. «لا أنصد التدخّل في شؤونك الشخصية ولكن كونك كنت تعدّ وجبة لنفسك فقد فهمت أنك تعيش بمفردك».

قلت: «حقاً. كنت متزوجاً والآن أنا مطلق».

قال: «تماماً مثل حالتي. كنت متزوجاً والآن أنا مطلق. لكن هل تدفع نفقة؟».

- لا.

- لا تدفع أي شيء؟

- لا شيء، إنها لم تكن تريد شيئاً.

- «يا لك من محظوظ» فألها وقد اترسنت على وجهه ابتسامة عريضة. «أنا لا أدفع نفقة أبشاًء لكن الزواج كسرتني. ربما سمعت بخبر طلافي؟».

- سمعت بعض الأشياء.

لقد نُشر في كل المجلات. زواجه قبل أربع أو خمس سنوات من ممثلة مشهورة. ثم وقع الطلاق بعد سنتين. ولكن من عرف بالقصة الحقيقية؟ كانت الشائعة تقول إن عائلتها لم تقبله. وكان لديها حلقة من الأقارب الذين ألحموا أنفسهم في كل تحرك تقوم به سواء كان شأنه عاماً أو خاصاً. في حين كان جوتاندا نفسه الفتى المدلل والشرقي والذي اعتاد على الحباية الرغيدة. ولذلك كان وقوع المشكلات أمراً محتملاً.

قال وهو يتسم ابتسامة مفتعلة: «أمر مضحك أليس كذلك؟ نونك أن تدخل في إجراء تجربة علمية معاً، الشيء التالي هو أن كلاً منا مطلق. أمر مضحك»، ثم مسح على عينيه بشكل خفيف. «لكن أخبرني كيف كان انفصالك؟».

- أمر بسيط. في يوم من الأيام استيقظت الزوجة وهجرتني.

- بهذه البساطة؟

- نعم بدون سابق إنذار. دون كلمة. لم أعثر على تفسير واحد. ظننت أنها خرجت للنسوق أو شيء من هذا القبيل. لكنها لم تعد ثانية. أعددت العشاء وظللت أنتظرها. طلع الصبح ولم يظهر لها أثر. انقضى أسبوع. انقضى شهر. ثم وصلني ورقة الطلاق.

أصغى لكل ما قلت ثم نهذه. «أمل ألا يكون لديك اعراض على ما أقول، لكنني أعتقد أنك قد حصلت على صفقة أفضل من التي حصلت أنا عليها».

- كيف ذلك؟

- «في حالتي لم نهجرني زوجتي. لقد ألقي بي في الشارع. بكل معنى الكلمة. في يوم من الأيام ألقيت في الخارج على أذني»، قال وهو يحدق في الزجاج الفضي. «وكان أسوأ ما في الأمر هو أنها كانت قد خطفت لئلا يمر كل. بكل نفاصيله. حينما كنت خارج المنزل، قامت بتغيير تسجيل كل شيء نمتلكه. لم ألاحظ أي شيء أبداً. كانت محل ثقتي. كنت قد سلمت كل شيء لمحاسبتها. خنيتي الرسمي، أوراقي الثبوتية، شهادات الأسهم، دفاتر شيكاتي، كل شيء. قالوا إنهم يريدون هذا لدفع الضرائب. رائع، كنت أتضابق كثيراً من إنهاء هذه المعاملات، ولذلك سررت لكونهم سيقومون بذلك نيابة عني. لكن الرجل كان يعمل لحساب أقاربها. وقبل أن أعرف بذلك الأمر، لم يكن قد بقي أي شيء بحمل اسمي. جردوني من كل شيء حتى النخاع. ثم بعد ذلك طردوني. كانت تجربة تعلم حفيظة، دعني أقول لك». قال ذلك وهو يتشمس ابتسامة مصطنعة مرة ثانية. «ذلك الأمر جعل علامات الزمن تظهر عليّ بشكل أسرع».

- كل شخص يجب عليه أن يكبر.

قال جوتاندا وهو يتفحص وجهي: «معك حق. كنت أظن أن السنوات ستمر بشكل طبيعي وأنت ستكبر سنة بعد سنة في كل مرة. لكن ما حدث لم يكن كذلك. إنه أمر يحدث بين عشية وضحاها».

كان المكان الذي ذهبنا إليه مطعماً يقدم شرائح اللحم المشوي في وكن بعيد من روبرونجي. كان مظهره يوحي بأن أسعاره عالية. حينما وصلت المرسيدس إلى المدخل، جاء البواب ليفتح باب السيارة والحاجب ليفودنا للمقعد وبعض الموظفين ليجيونا. تم اصطحابنا إلى طاولة في ركن معزولة في آخر المطعم. كان كل مرئدي المطعم شديدي الثأني في ملابسهم بما يسائر الموضة، لكن جوتاندا بحداته

المصنوع من القطيفة كان هو الأكثر حدة. لكن رزانه كانت قد سادت في المكان. بمجرد أن دخلنا كانت كل العيون مسلطة عليه. حدقوا فيه على مدى ثانيين، لا أكثر كما لو كان ذلك قانوناً ضمنياً لفن الاتيكيت.

جلسنا وطلبنا كأسين من الويسكس والعام. اقترح جوتاندا أن يكون الشراب في نخب: «زوجينا السابقين».

قال: «أعلم أن ذلك سوف يبدو حقاً، ولكنني ما زلت أحبها. عاملتني مثل بقعة من الفذارة وما زلت أحبها. لا أستطيع أن أزيحها من بالي، لم بعد بإمكانني أن أبدي اهتماماً بأي امرأة أخرى».

كنت أحقق في مكعبات الثلج الدفينة في الكأسين الكريستال.

سأل: «وماذا عنك؟».

- تقصد كيف أشعر نجاه زوجتي السابقة؟ لا أعرف. لم أكن أريدها أن تذهب. ولكنها غادرت على أبة حال. من هو المخطئ؟ لست أدري. بالتأكيد لم بعد بهم الآن. لقد ألقت الأمر، وأظن أن «ألقي للأمر» هي أفضل ما يمكنني أن أقوم به.

- أمل ألا أكون قد نكأت جرحاً لذلك؟

قلت: «لا، ليس بالغبط. الواقع هو الواقع. لا يمكن أن تهرب منه. لا يمكنك أن تقول حقاً إنه مؤلم، ولا تعرف حقاً ماذا تسببه».

قال: «هذا صحيح. لا يمكنك حقاً أن تضع يدك عليه. إنه ينبغي مثل تغير الجاذبية. لا يمكنك حتى أن تقول ما الذي بسبب لك الألم».

جاء النادل وأخذ طلباتنا. ستيك مشوي وسلطة وكأسان أخريان من الويسكي.

- آه، ألم يكن ثمة شيء تريد أن تتحدث إليّ بشأنه؟ دعنا ننتهي من ذلك الشيء أولاً قبل أن نثقل في الشراب.

بدأت: «إنها قصة غريبة».

قال وهو يهيم بهيتم ابتسامة لطيفة: «إنني أحب القصص الغريبة».

- حسناً من هنا نبدأ. في ذلك اليوم الذي ذهبت فيه لمشاهدة آخر أفلامك.

قال ممتعضاً وهو يخفض صوته حتى أصبح أقرب للهمس:

«حُب من طرف واحد؟» إنه فيلم فظيع. مخرج فظيع. سيناريو فظيع. كل شخص اشترك فيه يمتنى لو أمكنه نسيانه».

قلت: «لقد شاهدته أربع مرات».

استعت حدقتا عينيه، كما لو كان يحدث في فضاء كوني. «إنني أراهم أنه لا يوجد شخص في هذه المجرة قد جلس لمشاهدة هذا الفيلم حتى نهايته».

قلت: «ثمة شخص كنت أعرفه كان مشاركاً معك في الفيلم».

وضع جوتاندا سبابه في جانب رأسه ونادى: «من؟».

- الفتاة التي كنت نائم معها صباح الأحد.

ارتشف رشفة من الويسكي. «آه نعم، نغصد كيكبي».

قلت مكوراً: «كيكي، كيكبي، كيكبي».

- هذا هو الاسم الذي كنت أعرفها به على أية حال. في التعرف كان اسمها كيكبي. غير متزوج باسم ثان لها.

سأله: «هل ما زلت على اتصال بها؟».

- للأسف لا.

- لماذا لا؟

- دعنا نتناول الأمر من السطح. أولاً كيكبي لم تكن ممثلة محترفة. الممثلون سواء كانوا مشهورين أو لا، جميعهم يتبعون لشركة

إنتاج. لذا فإن اتصالك بهم يكون من خلال وكلائهم. معظمهم يعيشون بالغرب من هواتفهم باننظار مكالمه. ولكن كيكبي ليست كذلك. لم تكن نتيج أي شركة إنتاج سمعت عنها. لم تظهر إلا في تلك المرة.

- إذا كيف حصلت على ذلك الدور؟

قال متعللاً: «أنا زكبتها. سألتها إن كانت ترغب في الظهور في فيلم، وفدتها للمخرج».

- مغال ماذا؟

ارتشف رشفة من الويسكي. «لم تكن الفتاة بالضبط تمتلك موهبة. ولكن كان لديها نوع من الحضور. كان لديها شيء ما. لم تكن جميلة حقاً. لم تكن ممثلة بورنو. ولكن بخامرك الشعور بأنها لو شاركت في فيلم، لأمكنها أن تسرق التركيز كله نحوها. وهذه هي الموهبة. ولذا فقد طلبت من المخرج أن يضمها لفريق الفيلم. وكان أن ظهرت في هذا المشهد. كل شخص رأى أنها كانت رائعة. لا أنصد أن أفاخر ولكن ذلك المشهد كان أفضل شيء في الفيلم. كان واقعياً. ألا تعتقد ذلك؟».

قلت: «نعم. واقعياً للغاية».

قال: «لذا اعتقدت أنها سوف تواصل العمل في السينما. كان يمكنها أن تكون ذات شأن كبير. ولكنها اختفت بعد ذلك. نلاشت. مثل دخان. مثل فطرات ندى الصباح».

- نلاشت؟

- ذلك ما حدث بالضبط. وبما قبل شهر من ذلك، كنت أقول لكل شخص إنها هي ما نحتاج إليه بالضبط لهذا الدور الجديد، وهي كانت مستعدة. كل ما كان عليها أن تفعله هو أن تظهر بإطلالتها. لقد

انصلت بها قبل ذلك بيوم لتذكيرها ، ولكنها لم تظهر أبداً . كانت هذه هي آخر مرة نكلم فيها .

رفع إصبعه لينادي النادل ويطلب كأسين من الويسكي .

قال جوتاندا : «لدي سؤال واحد، وإن كان ليس شأني . هل سبق أن نمت معها؟» .

- أوه، ماذا؟

- حسناً، لنفترض أنني نمت معها، هل يضايقك ذلك في شيء؟  
قلت: «ليس أنت بالتأكيد» .

قال جوتاندا وقد ظهرت عليه علامات الراحة : «حسناً . إنني فاشل في الكذب . لذلك سوف أصارحك بكل شيء . نمنا معاً مرات قليلة . كانت فتاة جيدة . ربما مرتبكة بعض الشيء ولكنها إنسانة جيدة حقاً . كان ينبغي أن تصبح ممثلة . كان بإمكانها أن تحقق أشياء جيدة . أمر مؤسف للغاية» .

- ولا تعرف حقاً أين يمكنك الاتصال بها؟ أو ما هو اسمها الحقيقي؟

- للأسف لا . لا أعرف أي طريقة يمكنني من خلالها العثور عليها . لا أحد يعرف .

سألت: «ألم يكن هناك أي إيصالات أجور في قسم المحاسبة بالشركة المنتجة للفيلم . يجب عليهم أن يدونوا الاسم الحقيقي والعنوان على مثل هذه الأشياء» .

- هل تظن أنني لم أبحث في كل ذلك؟ لم أعثر على أثر . لم نهنم بالحصول على أجرها . لم نحصل على أي أموال . ومن ثم لا توجد سجلات .

- لم نحصل على أجرها؟

قال جوتاندا وهو يشرب كأسه الثالثة : «لا نسألني لماذا؟ إن الفناء لغز . وبما كانت تريد أن يظل اسمها وعنوانها سراً ، من بدري؟ ولكن أياً كان الأمر، فإننا لدينا ثلاثة أشياء مشتركة . معمل حصة العلوم في المدرسة الثانوية . الطلاق . وكيلي» .

في ذلك الوقت، كانت شرائح اللحم المشوي والسلطة قد وصلت .

سأله وأنا أقطع شريطي: «لكن أخبرني، أين التقيت كيلي؟» .  
فكر بصوت عال قائلاً: «دعني أرى أين كان ذلك؟ آه نعم، طلبتُ فتاة فكانت هي . لملك تعرف ماذا أقصد . هناك هذه الأرقام التي يمكنك الاتصال بها» .

- آه، فهمت .

- بعد طلافي ظللت فترة أتصل ، فتأنيت تلك الفتايات فبعضهن الليلة معي . بدون حجة وبدون أن تحدث اضطراباً أو إزعاجاً . لم أكن مستعداً للنوم مع فتاة هاوية، ولو أنني نمت مع زميلة في الوسط الفني لكان الأمر قد شاع في كل المجلات والصحف . لذلك كانت هذه هي الصحبة التي قررتها . لم يكن رغبسات، ولكنهن كن يكنمن الأمر . ليصبح سراً مطلقاً . شخص ما في الوكالة عرفني بهذا النادي، وكانت كل الفتيات جميلات وحلوات المعشر ومحترفات . إنهن يمتنعن أيضاً .

تناول قطعة من شريحة اللحم وابتلعها ببطء .

قال: «بمعم، ليست سيئة» .

أردفت: «ليست سيئة على الإطلاق . إنه مكان رائع» .

- رائع ولكنك تسامه إن جئت إليه ست مرات في الشهر .

- هل تأتي إلى هنا ست مرات في الشهر؟

- نعم، إنتي معناد على المكان. بمكنني الدخول إلى هنا دون أن بطرف لأحد جفن. الموظفون هنا لا يهتمون. إنهم معنادون على المشاهير، لذا لا يحدفون. لن يأتيك أحد يطلب توبيحك حينما يكون فمك ملآن بالطعام. من الصعب أن تسترخي وتأكلي في أماكن أخرى.

فلتُ مازحاً: «ها لها من حبة شافطة. وفوفو ذلك فإنه لا يمكنك تخفيض حساب مصروفات».

- أنت قلتها. إذأ أين كنتا؟

- وصلنا عند نقطة باتعات الهوى.

قال جوثاندا وهو يمسح على فمه بمندبله: «نعم» في إحدى الحرات اتصلت بالفناء المعنادة، لكنها لم تكن مناحة. أرسلوا بدلاً منها فئتين أخريين. كان علي أن أختاره. لأنني عميل مميز جداً. كانت إحداهما هي كبكي. كان من الصعب أن أختاره، لذا فقد نمت مع كلتيهما».

فلت: «هممم».

- هل يضاهيك ذلك؟

- لو أنني كنت ما زلت في المدرسة الثانوية، لربما تضاهقت. أما الآن فلا أنضايق.

ابتدري جوثاندا: «لم أفعل مثل ذلك حينما كنت في المدرسة الثانوية. أؤكد لك ذلك. ولكن على أية حال فقد نمت معهما. لقد كان مزيجاً منعماً. أفصده أن واحدة منهما كانت مثيرة في الفراش للغاية. كانت مذهشة. لقد تم إنفاق الكثير على جسمها دعني أقول لك. كل مليون مربع من جسمها كان يظفر مالا. إن مجال عملي يتيح لي مقابلة الكثير من الحميلات وهذه الفتاة لم تكن كسولة. كانت لديها شخصية لطيفة ودكية أيضاً. أما الفتاة الثانية فكانت هي كبكي.

لم يكن لديها ذلك الجمال الساحر. كانت جميلة بقدر كاف، لكنها نفتقر إلى الحيوية، لم تكن مثل فتاة نام. كانت شبقاً أكثر من ذلك...».

سأله: «هل تعني عادية؟».

- نعم. عادية. ملابس عادية، نكاد لا نضع أي زينة. كما لم تكن نجيد الكلام. لم يكن يبدو عليها أنها نهتم كثيراً برأي الناس فيها. لم تكن ذلك الشخص الذي ستعطيه نظرة ثالثة. لكن الشيء الغريب فيها أنها كانت بشكل من الأشكال أكثر جاذبية، ولفتت انتباهي أكثر من الأولى. بعدما انتهت ثلاثتنا جلسنا على الأرض نشرب ونستمع للموسيقى ونبادل أطراف الحديث. لم أستمع في حياتي مثلاً لستمع في تلك الليلة. شعرت براحة غامرة معهما لدرجة أن ثلاثتنا التفتنا هذه مرات بعد ذلك.

- لكن متى كان ذلك؟

قال: «كان ذلك بعد طلافني بسنة أشهر، إذأ فقد مر على ذلك سنة ونصف الآن. التفتي ثلاثتنا لخمسة أو ست مرات. لم أتم مع كبكي بمفردها أبداً. لا أعرف لماذا. كان ينبغي علي أن أفعل».

- حقاً، لماذا لم تفعل؟

وضع شوكته وسكبته على الطين ثم ضغط بأصابعه على جانبي رأسه. بدا أن ذلك عادة لديه. لكنها عادة ساحرة أيضاً.

قال جوثاندا: «ربما كنت خائفاً».

- ماذا تقصد بذلك؟

قال وهو يلتفت لأدوات المائدة: «أخاف أن أكون بمفردي معها. كان لمة شيء فيها يتحدك، بل تفرغني بمثل نهديداً لك. على الأقل كان ذلك هو الشعور الذي انتابني. لا ليس نهديداً بالضبط».

فلت: «نقصد بوحى بذلك؟ أو نفرد إلى ذلك؟».



- نعم، ربما. لا يمكنني أن أحدد ماهية ذلك الشيء. لكن أباً كان ذلك الشيء، فقد حصلت على لمحة عنه. لم أشعر أبداً بتأثيرها الكلي. لذلك لم أشعر أبداً بالرغبة في النوم معها بفردتها. لكن مع ذلك كانت تستهويني أكثر مما تستهويني الأخرى. هل يمكنك أن تفهم شيئاً من ذلك؟  
- أظن ذلك.

- بشكل ما، لو أنني كنت نمت مع كيكبي أنا وهي فقط، فلربما لم أكن لأصل إلى حالة الاكتفاء الواحة. ولرغبت ربما في الذهاب معها لأعمق من ذلك. لا نسألني لماذا؟ ولكن ذلك (ضمن ما أنا بصدده في ذلك الوقت) لم يكن من بين مآربي. كنت فقط أرغب في مضاجعة الفتيات كنوع من التنفيس. لكن مع ذلك أحببت كيكبي حقاً.

تناولنا الطعام في صمت على مدى دفقة أو دفتين.  
تابع جوناثان الكلام كما لو كان قد تذكر ذلك لنوء: «حينما لم نحضر كيكبي البروف، اتصلت بالنادي الذي نعمل معه. سألت عنها نحديثاً، لكنها لم تكن هناك. أبلغوني أنهم لا يعرفون أين هي. وبما أبلغتهم أن يقولوا ذلك حينما اتصل. من بدري؟ ولكن على أية حال فقد تبخرت ونلاشت».

حضر النادل ورفع ما على المائدة وسأل إن كنا نرغب في فهوة.  
قال جوناثان: «لا، ولكني أرغب في كأس أخرى. ماذا عنك؟»  
- لا مانع كما تحب.

كانت هذه هي الجولة الرابعة من الشراب.  
بدون مقدمات سألني جوناثان: «ماذا نظن أي فعلت اليوم؟»  
أخبرته أن ليس لدي فكرة عن ذلك.  
- لقد عملت مساعداً لطبيب أسنان طوال فترة الظهيرة. كنت

أحاول الحصول على خبرة حول دور. أنا الآن أعمل دور طبيب أسنان في المسلسل. ريوكو ناكاتو هو اختصاصي عيون. وتوجد عيادتنا في الحي نفسه. يعرف أحدنا الآخر منذ الطفولة، ولكن نمة شيء كان بذاك دائماً ليفصل كل منا عن الآخر. إنه مسلسل جميل ولا ضرر منه. ولكن على أية حال فإن المسلسلات التلفزيونية نشتابه. هل شاهدته؟

قلت: «لا، لا يمكنني القول إنني شاهدتها. لا أشاهد في التلفزيون سوى الأخبار. وأشاهدها فقط مرتين في الأسبوع».

قال جوناثان: «حسناً، إنه مسلسل غبي على أية حال. لو أنني لم أشارك فيه، لما شاهدته أنا نفسي. ولكنه يحظى بشعبية واسعة. إن معدلات المشاهدة عالية. نعرف مدى حب الجمهور لممثل هذه الأشياء. ولن تصدق الكم الهائل الذي أنفاه من الرسائل البريدية كل أسبوع. كما أن أطباء الأسنان يكتبون إليّ للشكرى حول كيف أن هذا الامر أو ذاك لم يتم أدائه على الوجه الصحيح أو أن العلاج الذي استخدم لألم الأسنان كان ينبغي أن يكون شيئاً آخر. وكان آخرون يرسلون انتقادات ويقولون إنهم لم يروا أسوأ من ذلك المسلسل. حسناً، إذا لم نحب، فلا نشاهده».

- لا أحد يرغمهم على ذلك؟

- الشيء المضحك هو أنني كثيراً ما أنورط في أداء أدوار مثل طبيب أو مدرس أو شخصية حظي بالاحترام مثل ذلك. لقد أدبت أدوار أطباء أكثر مما يمكنني أن أحصها. لكن الشيء الوحيد الذي لم أؤديه هو اختصاصي أمراض الشرج والمستقيم. نخبيل كم سيكون ذلك مشيراً للمضحك. لكنني لعبت دور طبيب بيطري. بالطبع لعبت دور معلم لكل المناهج الدراسية. لقد تعلمت الاقتصاد. ماذا يمكنك أن تفهم من كل ذلك؟

قلت ضاحكاً: «حسناً، إنك نشع بالثقة».

ضحك جوتاندا قائلاً: «نعم، إنه خطأ قاتل، مرة لعبت فيها دور بائع سيارات مستعملة غير أمين. شخص يحترف الخداع بنظارة واحدة. لقد استمتعت بذلك الدور. كان للدور مذاق خاص، كما أنني لم أكن سيئاً. ولكن الرسائل انهمرت عليّ. كان دوراً من الخسة بما يجعله لا يُلحق بشخص نبيل مثلي. بعض الأشخاص هددوا بمقاطعة رأيي المسلسل. كانت شركة معجون أسنان إذا لم تخني الذكرة. وبإستثناء ذلك كانت كل أدوارى ما بين طبيب ومعلم».

- يا لها من حياة معقدة.

عاد يضحك من جديد: «أو لتقل حياة بسيطة حقاً. على أية حال كنت أمضي الوقت في العمل كمساعد طبيب أسنان، أدرس الثغريات. إنني أفعل ذلك منذ فترة الآن. لقد أتى طبيب الأسنان الحقيقي على طريقة تعاملني مع الأدوات. كنت أضع الكمامة على فمي، ولم يستطع أحد من المرضى التعرف عليّ. ولكنهم كانوا جميعهم يشعرون بالارتياح حينما أتحدث إليهم».

- لا يمكنك أن تتوقف عن الإشعاع بالثقة، هل يمكنك؟

- نعم، هذا ما بدأت أفكر فيه. هل تعرف أنني بت أشعر بالارتياح مع مثل هذه الأدوات. وأتعجب سن أنني لم أغلق طبيب أسنان أو مدوساً أو شيئاً من هذا القبيل. هل تعرف، كان بإمكانني عمل ذلك. ربما كنت سأكون أكثر سعادة لو فعلت مثل ذلك الشيء.

- أأنت سعيداً الآن؟

قال جوتاندا وإصبعه في وسط جبهته هذه المرة: «لست أدري. إنها هذه الثقة التي أجدها. لكنني لا أعرف إن كنت أثق بنفسي أم لا. كل شخص آخر يثق بي، ولكن في الواقع فأنا لست شيئاً سوى هذه الصورة. مجرد ضغطة زر، ونجدي اختفت. حسناً؟».

- هممم.

- لو أنني كنت طبيباً أو معلماً حقلياً لما استطاع أحد أن يزعجني بضغطة زر. كنت سأظل هناك.

- صحيح، ولكنك حتى بالتمثيل يجب أن تظل هناك.

قال جوتاندا: «أحياناً أشعر بالإرهاق. أشعر بالصراع وأفقد القدرة على التمييز بين من أنا وما هو الدور؟ أين هو الخط الفاصل بيني وبين ظلي؟».

- إن كل شخص يشعر بذلك ولست وحدك في ذلك.

قال: «أعرف ذلك. كل شخص يفقد القدرة على تمييز نفسه. ولكن في حالي فإن الأمر يبدو أكثر حدة. بل فأنت. كنت كذلك منذ زمن لا أعرف متى بدأ. حتى أكون أميناً معك، كنت دائماً أشعر بالحسد إزاءك».

قلت: «تحسدني أنا؟ على أي شيء كنت تحسدني بحق الجحيم؟».

- لست أدري، لكنك كنت دائماً تبدو متألعاً مع ما تقوم به. لم تكن تأبه لما يفكر فيه الآخرون بشأنك. لم تكن تبالي حقاً. كنت تفعل ما تشاء وكبفما تشاء. كنت صلباً.

رفع كاسه ونظر خلالها: «أما أنا فكنت الفنى الذهبي الخالد. لم أعطى أبداً. كنت أحصل على أفضل الدرجات، كنت أفوز بالانتخابات، كنت رياضي مشهوراً. البتات كانت تحبني. كما كان المعلمون وأولياء الأمور يضعون ثقتهم بي. كيف يمكن لمثل هذه الأشياء أن تحدث؟ لم أفهم أبداً ماذا كان يحدث، إلا أنه كان شيئاً من الوفر في أسر التكرار. وربما لا يمكنك أن تتخيل عماذا أتحدث».

قلت له لا، لست أعرف حقاً.

- بعد المدرسة الإعدادية التحقت بهذه المدرسة التي كانت متفوقة في كرة القدم. حافظت على مسنوي. كانت لدي صديقة. كانت مثيرة جنسية. اعتادت أن تأتيني منهلة في مباريات كرة القدم. كانت هذه هي الطريقة التي التقينا من خلالها. ولكننا لم نذهب في الطريق حتى آخره، كما اعتدنا أن نفعل. كنا فقط نسكع. كنا نذهب إلى بيتها حينما لا تكون أسرتها هناك ونمضي بعض الوقت. كنا أيضاً نواعد في المكتبة.

اروشف جوناندا رشفة من الويسكي.

- نذيرت الأشياء، فليلاً في الكلية. كانت هناك جبهة الطلاب المتحدة. حيث اضطلعت بدور قيادي فيها. ولعبت الدور بشكل جيد. فعلت كل شيء. وضعت المثاريس. ولها جمعت الكثيرات ودغنت الحشيش واسمعت إلى ديب بيريل. لكن داهمتنا شرطة مكافحة الشغب وجرجرتنا إلى السجون. بعد ذلك لم يبق لنا الكثير لعمله.

كان ذلك حينما أفنعتني الفضا التي أعيش معها بالعمل في المسرح السري، لذا حاولت أن أجوب ذلك، في البداية بشكل غير جاد، ثم وتدرجياً أصبحت أكثر اهتماماً. كنت هارواً وكان من حظي أن أقوم بدورين محترمين. وعلى الفور أدركت أنني أملك موهبة لهذا العمل. بعد سنتين واح الناس يعرفون من أنا. حتى لو كنت واقعاً تحت حالة من الفوضى في تلك الأيام. شربت كثيراً، ونمت مع الكثير من البنات طوال ذلك الوقت.

في يوم من الأيام جاءني شخص يعمل في السبنا وسألني إن كنت أفكر في الوفوف أمام الكاميرا. بالطبع أبدت اهتماماً بذلك العرض وحصلت على دور صغير. لم يكن دوراً سهلاً. كان ذلك الشاب المرحف الحس. وهذا قادني إلى أشياء أخرى. كان هناك أيضاً

حديث عن التلفزيون. أصبحت مهامى أكبر، وكان علي أن أنرك فرقة المسرح. كنت أشعر بالأسف على ذلك لكن لم يكن هناك مناص إلا أن تتحرك في ذلك العالم الكبير. الكبير حقاً.

تهند جوناندا. تهند ساهرة، ولكنها تهند على أية حال.

- ألا ترى أن الحياة ما هي إلا لوحة زيتية؟

قلت: «لكنها ليست لوحة زيتية على أية حال».

- معك حق. ولكن حينما أفكر في حياتي الماضية أجد أنني لم أتم باختيار واحد طوال هذه الحياة. أحياناً أسنفظ في منتصف الليل وخيفني ذلك. أين أنا؟ أين اللحوم؟ حياتي كلها أدوار واء أدوار. من هو البطل في حياتي؟ لم أنفوه بكلمة.

- يبدو أنني أهذي بما لا ينبغي قوله.

أخبرته: «ذلك لا يضاهيني في شيء». إذا كنت تريد أن تتحدث، فلتحدث. لن أفشي شيئاً مما نقوله».

قال جوناندا وهو يحدق في: «لست قلقاً من ذلك. لست قلقاً على الأقل. هناك شيء، فيك، لا أعرف ما هو، لكنه يجعلني بطرقة ما أثن بك. ولكن من الصعب أن تكون مفتحاً مع الناس. نعم ربما يمكنني الحديث مع زوجني السابقة. لفترة من الزمن وقبل أن يفسد الناس ما بيننا كنت أنا وهي متفاهمين ويحب كل منا الآخر. لو أن الأمر انقصر علينا فقط لربما استطعنا نسوية تلك الأمور. لكنها كانت تفتقر إلى الشعور بالأمان نماماً. كانت نشعر باحتياج مبالغ فيه لعائلتها، لم تكن تستطيع الخروج من تحت سيطرتهم عليها».

بعد ذلك تحدثت عن وحدة معمل العلوم الخاصة بنا. كيف أنه كان دائم العصبية لأنه كان مكلفاً بالإشراف على التجربة حتى نخرج

ناجحة، ولأنه كان عليه مساعدة الفتيات البطيئات. وكيف أنه كان يحسبني على طريقة عملي للأشياء وفق إيقاعي الخاص. لكنني كنت بالكاد أنذكر ما كنا نفعل في حصة العلوم. لذلك أخففت تماماً في فهم دافعه للحسد. كل ما أنذكره هو أن جوتاندا كان يجيد التعامل بيديه. ضبط الميكروسكوب وأشياء من هذا القبيل. وفي أثناء ذلك كان بإمكانني أن أرتاح لأنه كان يقوم بكل المهام الصعبة. لم أقل له ذلك الشيء. كنت أنسى فقط.

أثناء حديثنا، وصل شخص ما حسن المظهر ويبدو في الأربعينات من عمره إلى مائدتنا ووضع يديه على كتف جوتاندا. تبادلوا التحية، ونحدها عن العمل. رمقني الرجل ثم تجاهلني وواصل حديثه. كنت غير ظاهر.

حينما غادر ذلك الشخص بعد وعي بالغداء والغولف، رفع جوتاندا أحد حاجبيه بضعة ملمبررات ورفع إصبعين للإشارة إلى التادل وطلب فانورا الحساب. قام بالترقيم عليها دون أي نغاش. - إنها كلها مصروفات. إنها ليست نقوداً، إنها مصروفات.

## (19)

استقللنا المرميسدس إلى بار في منطقة فسيحة في أزابوا. اتخذنا مقعدين في أحد أطراف البار واحسبنا بعض الشراب. كان جوتاندا قادراً على احتمال الشراب، فلم يظهر عليه علامة واحدة تشير إلى أنه ثمل، لا في صوته ولا في لونه. واصل الكلام. حول عنبية محطات التليفزيون. وحول المخرجين ذوي العقول العقيمة. وحول هؤلاء الممثلين الذين يفتقرون إلى الموهبة ويجعلونك ترغب في التقيؤ. وحول من يستمّن أنفسهم نقاداً. كان يجيد رواية الحكايات. كان ذا روح مرحة وكان مباشراً في أسلوبه.

أراد أن يعرف أحوالي. ما هي المتعطفات التي أخذتها حياتي. رحت أقص عليه مفنطقات من مسيرة حياتي. عن المكسب الذي أسسه مع صديق ثم تركته، عن الحياة الشخصية، عن عملي الحر بعد ذلك، عن المال، عن الزمن. بشكل عام كانت حياة هادئة، تقريباً صامتة. لا يكاد يبدو لي أنها حياتي.

بدأ البار بعض الرواد، وهو ما جعل مواصلة الحديث أمراً صعباً. راح بعض الأشخاص يحدقون في وجه جوتاندا لشهرته. فقال لي وهو بهتم بالوقوف: «دعنا نغادر هذا المكان. تعال إلى بيتي. إنه على مقربة من هنا. وليس به أحد. وهناك الشراب».

كانت شقته قريبة فعلاً من البار . منح سائقه باقي الليلة راحة ، ودلفنا للداخل . بيت رائع ، له مصعدان .

قال : « اشترته لي الوكالة حينما تم طردني من بيتي . لا يمكنهم أن يدعوا نجم أعتابهم البشعانة منكورة ويمسوا في مطامعهم . بالطبع أومدع الإيجار ، على المستوى الرسمي أنا مشاعر المكان من المكسب . ويتم حسم الإيجار من المصروفات . نتاحم نام . »

كان مرزلاً بفرقة معيشة وسكنة وغرفتي نوم وشرفة نطل على برج طوكيو . العديد من المسجدين الفاسي على الأرضية الحشبية . أرائك كافية . نباتات زينة كبيرة ، مصاصيح إيطالية . القفل من أطباق خاصة بأسرة منح على اللوحات . لم تكن هناك ذرة واحدة من التراب . كان واضحاً أيضاً أن لديه خادمة .

قلت : « مكان جميل » .

- ليس عليك إلا أن تدع الأشياء لمصمم الداخلي وسوف ينتهي الأمر لتصبح مثل ذلك شيء . نذهب أن نصوره لا أن نعيش فيه . إنه معقم .

- حسناً يجب عليك أن نشرطك في المكان .

وضع نسبياً موسيقياً وحفص الصوت ، وبالنسبة : « ماذا سنشرب ؟ » .

قلت : « سوف أشرب ما تشربه » .

ذهب إلى المطبخ وعاد بعودنا وجودة ونلج وأنصاف ليمون . كان المكان يبعث على الراحة . تمددت على الأريكة والهرج في يدي وشعرت بأسرة خلة نام .

قال جوناندا مخاطباً السقف : « كان يمكن أن أكون طبيباً . حصلت على مؤهلات التدريس في الكلية . ولكن هذا ما انتهت إليه

حالي وبهذا النمط من الحياة . كانت بطافات لعبة الشدة نوضح أمامي وأنا أختار أياً منها . كان بإمكانني أن أقوم بأي دور أختاره » .

قلت بكل صدق : « فكيف لم يمنعني أن أرى البطافات أبداً » .

وهو ما استدعى ضحكاً من جوناندا . ربما عن أنني أروح .

أعاد لي : « كاسينا ، وعصير ليمونة وألني بالقتل في ليلة جمعة » . « حتى زواجي كان بالذكورية تقريباً . كنا في الفيلم نفسه وذهبنا إلى موقع التصوير معاً . أصبحت صديقين . ثم بعد نهاية تصوير الفيلم كنا نحننا لعدد من المرات . كان كل شخص ينظر إلينا باعتبارنا شخصين متناحسين . لذا فحينئذ نحن أيضاً في أنه يمكننا أن نكون زوجين مثاليين . لذا فكرنا في الزواج . لا أعرف إن كنت تذكر ذلك الآن أم لا . لكن للتوسط الفني صغير جداً . إنه أشبه بهيت في نهاية حارة فقيرة . لا يمكنك أن ترى القليل الموضح لكل شخص ، ولكن ما إن تبدأ الشائعات ، لا يمكنك إيقافها . بالرغم من كل ذلك ، كنت أحبها بصدق . كانت أفضل شيء . وضعت يدي عليه في حياتي . هذا ما أدرتكم بعد زواجنا . حاولت أن أجعل ذلك مستمره . لكن لم يكن من سبيل لذلك » .

لم أعلق بأي شيء .

قال : « إنني لا أنظر إلى الجانب المظلم من الحياة . ما زالت أحبها . ربما كانت تلك هي المشكلة . ما زلت أنك فيها . كيف كان سيكون الأمر لو أن كلاماً قد اعتزل الممثل وعاش حياة هادئة سلمة لكن أحتاج إلى صبر مثل ذلك . لم أكن أحتاج إلى سيارة مثالياتي . لا شيء . من كل ذلك . كل ما كنت أحتاج إليه هو وظيفة محترمة وشقة صغيرة . وأطفال . بعد انتهاء العمل كنت سأنوقف في مكان ما لاحتساء البيرة والنخلص من الهموم . ثم إلى البيت حيث الزوجة في الانتظار . سيارة هوندا سيبك أو سوارو بالنسبة كانت تكفي . هذه

هي الحياة. كان ذلك هو كل ما أحتاج إليه لو أنها كانت موجودة. بيد أن ذلك لم يكن ل يحدث. كانت تريد شيئاً مغايراً. وعائلتها لم تكن تريدني. أعقد أن بعض الأشياء لم تعمل في الاتجاه الصحيح. ولكن هل تعرف؟ لقد ضايعت الشهر الماضي».

— من؟ زوجتك السابقة؟

— نعم. هل نعتقد أن ذلك أمر عادي؟

قلت: «لا أعقد أن في ذلك شيئاً غير عادي».

— جاءت إلى هنا. لم أفهم ما الذي جاء بها. اتصلت بي وقالت إنها ترغب في زيارتي. قلت لها بالطبع. شربنا كما كنا نشرب في الماضي وانتهى بنا الأمر في الفراش معاً. كانت ليلة رائعة. أخبرتني أنها ما زالت تحبني وأخبرتها كيف أنني أتمنى لو نستطيع أن نبدأ معاً من جديد. لكنها لم تحب بشيء على ذلك. اكتفت بالاستماع لما قلت وابتسمت. لكنها في واقع الأمر لم تكن تصغي إلي. لم تسمع كلمة واحدة مما قلت. كنت كمن يتحدث إلى حائط. بلا طائل. كانت تشعر بالوحدة وكانت تريد أن تكون مع شخص ما. وصادف أنني كنت متاحاً في ذلك الوقت. لبس لطيفاً أن تقول ذلك عن نفسك ولكن ذلك هو ما كان. إنها عالم منفصل عن شخص مثلك أو مثلي. بالنسبة لها، فإن الشعور بالوحدة هو أمر نبحت عن الآخرين حتى بخلصوها منه. وبمجرد أن ينتهي ذلك، يصبح كل شيء على ما برام. ولا نذهب إلى أبعد من ذلك. لا يمكنك أن تعيش بذلك الطريقة.

نهض قائماً وهو يفكر في صمت لبرهة.

سألني: «ما رأيك في الاتصال ببنات هوى؟»

قلت: «لا مانع لدي من وجهة نظري. كما تشاء».

سأل: «ألم تطلب خدمات امرأة أبداً؟»

قلت له أبداً.

— كيف ذلك؟

قلت بصوت: «لم يحدث أن خطر ذلك ببالي».

هز جوتاندا كتفه. «حسناً الليلة، أعقد أنك يجب أن تفعل. اتفناً؟ سوف أطلب الفتاة التي جاءني قبل ذلك بصحبة كيكلي. ربما كانت تعرف شيئاً عنها».

قلت: «أترك ذلك لك. ولكن لا نقل لي إن بإمكانك أن تحسم ذلك كمصروفات».

ضحك وهو بعيد ملء الكأس. «لن يمكنك أن تصدق ذلك. ولكنني أستطيع. إنه نظام متكامل. هذا المكان يتخذ من تقديم خدمات للحفلات كواجهة له. لذا يمكنهم إعداد فوانير قانونية جداً. أما الجنس فهو هدايا وترفيه عمل. أمر مدش، أليس كذلك؟».

قلت: «أسمعاًة تقديم».

فيما كنا ننظر قدوم الفتاتين، خطرت ببالي كيكلي وأذناها الرفعتان. سألت جوتاندا إن كان قد سبق له أن رآهما.

قال مسغرياً: «أذنهما؟ لا، لا أظن ذلك. وإذا كنت قد رأيتهما فليست أتذكر ذلك. ما الذي في أذنهما؟».

قلت له: «آه، لا شيء».

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة حينما وصلت الفتاتان. إحداهما رفيقة جوتاندا التي كانت نصحب كيكلي وذات جمال فائق. كان جمالها فائضاً حقاً. كانت امرأة من النوع الذي يظل عالماً في ذاكرتك حتى لو لم تتحدث بكلمة واحدة إليك. تحت معطفها كانت ترتدي بلوزة من الكشمير الأخضر وتثورة من الصوف. كانت تضع حلقاً عادياً، من دون أي إضافات أخرى. فناء جامعية مهذبة.

أما الفناء الثانية فكانت تضع نظارة وترتد بملايس هادئة اللون . لم تكن جميلة مثل رفيقتها . لكنها جذابة ونضيرة . لها سافان طوبلتان وذراعان نحيفتان ، يترنّها بنبة اللون كما لو كانت قد أمضت الأسبوع السابق كله على الشاطئ في جوام . كان شعرها فصيراً ومرفوعاً ونضع سواراً في معصمها . كانت مشوطة القوام .

خطرت بيالي ذكريات المدرسة الثانوية . هذان النوعان المختلفان بوجدان في كل فصل دراسي . ذات الجمال الأخاذ وصاحبة البديهة المنوطة . كان يبدو أنه نام مع كل منهما قبل ذلك . خاصة أن جوتاندا متهج ومستجم للغاية .

قدمني جوتاندا لهما باعتباري زميل دراسة سابقاً وكاتباً حالياً . ابتسمت كل منهما ابتسامة دافئة .

جلسنا على الأرض رمعا البراندي والصدوا . كان صوت جوجاكسون وآلان بارسونز في الخلفية . فام جوتاندا بتمثيل دوره كطبيب أسنان مع الفناء صاحبة النظارة . ثم همس لها بشيء فضحكت . بعد لحظات كانت الجميلة تنكس إلى كفتي وهي تمسك بيدي . كان عطرها جذاباً . إنها حلم كل رجل . ها هي الفناء التي كنت دائماً أشتهيها . ها هي نمود بعد سنوات . كنت دائماً أحبك بالرغم من أنني لم أكن أعرف كيف أخبرك في ذلك الوقت . لماذا لم نحاولي الوصول إلي؟

طوقت جسدها بذراعي . فأغمضت عينيها بلطف وهي تنلّس أذني بطرف أنفها . قبلتني بخفة على رقبتي وسط أنفاسها الناعمة . لاحظت عندئذ أن جوتاندا وفنانة ليسا بجوارنا . لماذا لم أخفض الإضاءة قليلاً؟ نهضت وأطفأت الأضواء التي في السفف وتركنت مصباح طاولة صغيرة فقط . كان بوب دبلان يغني : «لغد انتهى كل شيء الآن ، جيبني» .

همست في أذني : «جزدني من ملايسي بلطف ومدوء» . جزدتها

من بلوزتها ثم ثورتها . ثم جوربها . بطريقة لاإرادية رحت أطوي ملايسها ، ولكن عندئذ أدركت أنه في مثل هذا المقام لا داعي لذلك . وهي بدورها خلعت عني ملايسي .

وقفت أمامي بصدورية بالكاد تكفي نهديها وسروال داخلي . سألتني بإسماة : «ما رأيك؟» .

قلت : «رائعة» . كانت ذات جسم جميل . كامل ويشع بالحياة ، نظيف ومثير .

أرادت أن تعرف : «إلى أي مدى رائعة؟ إذا أخبرني بشكل جيد ، سوف أقدم لك أفضل ما لدي» .

قلت : «إنك تأخذيني إلى الزمن القديم . تأخذيني إلى المدرسة الثانوية» .

نظرت نحوي نظرة جانبية بفضول ، ثم ابتسمت .

قالت : «شخص فريد . هذا ما يمكنني أن أفوه» .

- هل قلت شيئاً خطأ؟

قالت : «لا أبداً» . ثم اقتربت مني وفعلت أشياء لم يسبق أن فعلتها أي امرأة معي خلال أربعة وثلاثين عاماً . كانت حساسة ولكن جريئة . أشياء لن نخطر ببالك بسهولة . زال التوتر عني فيما كنت أغمض عيني وأسلم نفسي لدفقات الأحاسيس . كانت هذه المرة تختلف عن أي جنس عرفته في حياتي .

قالت هامة : «لبس سيئاً أليس كذلك؟ مقبول؟» .

واففتها : «لبس سيئاً» .

دخلت في حالة من الاسترخاء التام ، كما لو كنت أستمع لأفضل معزوفة من الموسيقى الهادئة . نفّست عن تجمعات التوتر التي بداخلي . جعلتني أفقد الإحساس بجوارحي المادية . بدلاً من ذلك

قالت: «كيكي؟ لم أسمع هذا الاسم منذ فترة. هل نعرف كيكي؟».

عُثت شفتيها كما لو كانت طفلة تحاول التفكير، وقالت فيما كانت تمرر أصابعها الطويلة الرفيعة على أنحاء جسمي: «لا أعرف مكانها الآن. اختفت بشكل فجائي. كانت نجمتنا علاقة وثيقة. كنا أحياناً نذهب للفسوف أو الشراب معاً. لكنها ومن دون سابق إنذار اختفت. قبل شهر أو ربما شهرين. ولكن ذلك ليس غير عادي إلى حد كبير. لا يتعين عليك أن تقدم استقالة رسمية في مثل هذه المهنة. إذا أردت أن تستقيل، يمكنك أن تستقيل. لا يتعين عليك أن تبلغ أي شخص. يؤسفني أنها غادرت. كنا صديقتين ولكن هكذا تسير الأمور. لكن على أية حال لم تكن نكتات في الكشف. لكن هل نمت مع كيكي؟».

- عشنا معاً لفترة. كان ذلك قبل أربع سنوات.

قالت مبسمة: «قبل أربع سنوات. لقد انقضى زمن على ذلك. قبل أربع سنوات كنت أنا ما زلت في المدرسة الثانوية».

- هل تعرفين كيف يمكنني الوصول إلى كيكي؟

- أمر صعب للغاية، هذا ما يمكنني قوله. صدقاً ليس لدي أدنى فكرة عن المكان الذي ذهبت إليه. إن الأمر مثلاً قلت لك تماماً لقد نهضت وغادرت. يمكنك أن تقول إنها تلاشت داخل حائط. «اليس لذلك أي شيء يمكن أن يفودك لها؟ إذن ما زلت تحتفظ بشيء لها؟». تمحدث في الحوض ونظرت إلى السقف. هل ما زلت أحب كيكي؟

- لا أعرف. ولكن هذه ليست القضية الآن. إنني فقط أرغب في رؤيتها. ثمة شيء في داخلي يخبرني أن كيكي ترغب في رؤيتي. إنني دائماً أحلم بها».

كانت هناك حميمية نامة، امتزج الزمان بالمكان، شكل من أشكال التواصل الذي لا تشوبه شائبة. وفوق ذلك كان معيقاً من الضرائب. قلت ثانية: «ليس سيئاً». ما الذي كان ديلان يقوله الآن؟ مسوف نهطل أمطار غزيرة». ارتعشت فوق فارعي. يا له من عالم جميل، حبت يمكنك التزم مع نساء مشيرات على أنغام بوب ديلان ثم بعد ذلك تلغني كل الأعمال. أمر لا يمكن تخيله في الستينيات من القرن العشرين.

إنها كلها مجرد صور، وجدت نفسي غارقاً فيها. إضغط على المنبس وسوف تجدتها كلها تزل. مشهد جنسي ثلاثي الأبعاد. مغمم بالعطر الفواح واللصقات الناعمة والألفاس الساخنة.

اتبعث المنوال المتوقع: بعدما أتبعت حاجتي، أخذت دوشاً. عدنا لفرقة المعيشة ملقوفين بغطاء كبيرة لنستمع لعزف لفرقة «داير ستريين»<sup>(9)</sup> ونحتسي بعض البيرلندي.

سألني عن عملي وعن نوعية الأشياء التي أكتبها. شجعت لها ذلك باختصار، ولم تر فيه شيئاً يبعث على التشويق. فقلت لها إن الأمر يختلف من شخص لآخر. إن ما كنت أفوم به هو جرف الثلوج الثقافية. أجابت إن عملها هو جرف ثلوج الشهوة. لم أستطع أن أكنم الضحكة. ولكن ألا يمكنني أن أجرف مزيداً من الثلوج الآن؟ فما كان منا إلا أن استلقينا على السجادة ومارسا الحب مرة ثانية، في هذه المرة تم الأمر ببساطة شديدة وببطء. أشد. صارت تعرف أكثر كيف ترضيني بالضبط.

بعد ذلك وفيما كنا متمددتين في حوض حمام جوثاندا الفاخر، سألتها عن كيكي.

(9) فرقة عزف موسيقى الروك وهي بريطانية.



قالت وهي تحذق في عيني: «أمر غريب. أنا أيضاً أحلم بكيكي أحياناً».

- أي نوع من الأحلام؟

لم تحر جواباً. اكتفت بالابتسام وقالت إنها ترغب في مزيد من الشراب. الكأث على صدري وأخذت بذراري ووضعته حول كتفيها العارية. لم يظهر جوتاندا وفناته من غرفة النوم. ربما خلدا إلى النوم. فالت: «أعرف أنك لن تصدقي. ولكني أحب أن أكون معك كما نحن الآن. إنني أستمع بذلك. لا عمل، لا نمشيل. هذه هي الحفيضة».

قلت: «أصدقك. إنني أستمع أيضاً. أشعر باستجمام حقيقي. الأمر أشبه بتجميع زملاء فصل دراسي بعد سنين».

قالت ضاحكة: «شخص فريد مرة ثانية».

قلت لها مرة ثانية: «بخصوص كيكي» ألا تعرفين أي شخص يمكن أن يدلني عليها؟ اسمها الحيفي، عنوانها مثل هذه الأشياء؟». هزت رأسها ببطء. «تقريباً لم نتكلم في مثل هذه الأمور أبداً. وما الذي يضايق في هذه الأسماء؟ هي كيكي وأنا ماي، أما الفناء الأخرى فهي مامي. كل اسم أربعة أحرف أو أقل. ذلك هو غطاؤنا. الحياة الشخصية ليست محل سؤال. لا نعرفها ولا نسأل عنها. هذه أخلاقياتنا. إننا جميعاً صديقات حقاً وأحياناً نخرج معاً. إننا لا نعرف بعضنا بعضاً في الحفيضة. ماي وكبيكي ومامي هذه الأسماء ليست أسماء لأشخاص حقيقيين. إننا جميعاً صورة. علامات معلقة في الهواء الخالي. ولهذا السبب نحترم كل منا خيالات الأخرى. هل نفهم شيئاً من ذلك؟».

قلت: «نعم أفهم تماماً».

- بعض زبائننا يشغفون بحالنا. إننا لا نفعل ذلك لمجرد المال. أنا على سبيل المثال أفعل ذلك كتعويض من المرح. ولأن النادي هو حصرياً لأعضائه فقط. فلا يساورنا القلق من مواجهة حالات من الهوس الجنسي. وكل شخص يرغب في المرح معنا. وعلى أية حال فنحن جميعاً في هذا العالم معاً.

قلت لها: «جرف الثلوج أمر يبعث على المرح».

فالت ضاحكة: «نعم»، إنني أجرف الثلوج من أجل المرح». وراحت تلامس صدري بشفيتها.

قلت لها: «ماي» قابلت فناء كان اسمها الحيفي هو ماي، كانت تعمل موظفة استقبالي في عيادة طبيب أسنان بجوار مكيني. كانت تتحدث من أسرة ريفية في هوكايدو. كانت سوداء ونحيفة. كان كل شخص يطلن عليها، ماي الفناء العنزة».

جذبته نحو ي وفيلنها، كانت قبله على الرأس. قبلة مفعمة بالحنين للعاضي. ثم شربنا البراندي والصودا واستلينا معاً على أنغام فرقة بولز. لكن ماي سرعان ما راحت في نوم سريع. لم نعد تلك المرأة ذات الجمال الحالم. أصبحت فناء شابة وعادية. نجتمع زملاء. فصل من جديد. دفن الساعة الرابعة وكان الصمت بخيم على كل شيء. يا له من يوم. كادت خيوط الاتصال أو الرباط أن تتجمع. اتبع الخيط حتى يتقطع. لغد التقيت بجوتاندا بعد كل هذه السنوات بل حتى أحبته. من خلاله التقيت ماي الفناء العنزة. مارسنا حباً كان رائعاً. جرفنا ثلوج الشهوة. لكن أيأ من ذلك لم يقدنا لأي شيء.

أعددت بعض الفهوة، وعند الساعة السادسة ونصف استيقظ الجميع. ارتدت ماي قميص حثام طويلاً. أما مامي فمخرجت نردي النصف العلوي من بيجامة فيما يرتدي جوتاندا النصف الأسفل. كنت

أرئدي بطفلاً من الجبنز ونبي شبروت. اتخذ كل منا مفعمه إلى مائدة الطعام ومزّر بعضنا لبعض الخبز والمارمالاد على أنغام الموسيقى.

في الساعة والنصف اتصل جوناثان بسيارة تاكسي لتقل الفنانين. فبلنني ماي قبله الوداع. قلت لها: «إن التفتيت كيككي، فانقلي لها نجاني». أعطيتها بطاقتي التعريفية وطلبت منها الاتصال إن علمت أي شيء. غمزت بعينها خائلة: «أمل أن نلغي ثانية. وأن نجرف مزيداً من الثلوج».

سأل جوناثان: «نحرفان الثلوج؟».

جلست أنا وجوناثان نحسني فنجاناً من الفهوة معاً. كان الأمر كما لو كنا نصور إعلاناً نجارياً. صباح هادئ، الشمس مشرفة، برج طوكيو ينهوج من بعد. طوكيو تبدأ صباحها بالنسكافيه. كان الوقت الذي يبدأ فيه الناس العادبون بومهم. لكن ليس بالنسبة لنا بطبيعة الحال. أحببت ذلك أو لم نحبّه. كان كل منا مستشًى من هذه القاعدة.

سأل جوناثان: «هل عثرت على أي شيء بخصوص كيككي؟».

هزّزت رأسي: «فقط أنها اختفت. نماماً مثلما قلت. لا توجد أي خيوط. إن ماي لا تعرف اسمها الحقيقي حتى».

قال: «سوف أسأل في شركة الإنتاج. ربما يكون ثمة من يعرف شيئاً».

ضم شفني للأمام وضغط على جبني رأسه بيده التي بمسك بها ملعقة الفهوة.

سأل: «ولكن قل لي ما الذي ننوي عمله في حال عثورك عليها؟ هل سنحاول استعادتها؟ أم أن الأمر لا يعدو أن يكون حثيئاً إلى الماضي؟».

قلت له لست أدري. لم أذهب إلى هذا الحد في التفكير.

أفنتي جوناثان بسيارته الفارغة مازيراني.

قال: «هل لديك مانع في أن أزورك مرة أخرى قريباً؟ لقد كان لقاءً رائعاً. ألا نعرف شخصاً آخر يمكننا الحديث معه مثلما تحدثنا. هذا إن كانت لا تضايقك زيارتي؟».

قلت: «بالطبع لا تضايقني».

شكرته مرة ثانية على شرائح اللحم وعلى الشراب والفنانين...

أوما برأسه إيماءة هادئة. ومن دون أن ينبس بكلمة فهمت كل شيء. أراد أن يقول.

كانت المدينة مغطاة بلافانات الانتخابات. منظر فبيح ومفرز.  
كانت السيارات تجول المدينة وهي تذبذب أحاديث السباسبين. أصوات  
وضجيج عال لا يمكنك معه أن تفهم ماذا يقولون. ضجيج.

سرت وأنا أفكر في كيكي. وقبل أن يمر وقت طويل لاحظت  
أنني استعدت حيواني أثناء السير. أصبح إدراكي لما يجري حولي أكثر  
حدة. كنت أسير للامام خطوة خطوة. أصبح لدي هدف وغاية. وهو  
ما أضاء لي خطواني بشكل طبيعي واكتسبت نغماً مهوارات الرقص  
على القدمين. كانت هذه علامة جيدة. ارفض. واصل الخطى، بخفة  
ولكن بثبات. انتعش وحافظ على الإيقاع واجعل الأثنياء تستمر. كان  
علي أن أبدي اهتماماً كبيراً بما سوف يقودني ذلك إله لاحقاً. كان  
علي أن أتأكد أنني أقدم في هذا العالم.

مرت الأيام الأربعة أو الخمسة الأخيرة من مارس على هذا  
النحو. على السطح لم يكن يبدو أن ثمة تقدماً يحرز على الإطلاق.  
كنت أنسوق، أعيذ الوجبات في المطبخ، أشاهد «حب من طرف  
واحد»، أمشي لمسافات طويلة. وحينما أعود للبيت كنت أشغل آلة  
الرد، كلها مكالمات حول العمل. فإذا حل الليل أنكرط في الفراوة  
والشراب بمفردي. كل يوم كان تكراراً لسابغه.

ولأنني كنت أشرب بمفردي في الليل، كان كل تركيزي منصباً  
على الجنس مع ماي القناة العزة. جرف الطلوج. ذكرى معزولة بشكل  
غريب وغير متصلة بأي شيء. لا بجوناثان ولا كيكي. ولكنها مع  
ذلك حقيقة جداً. حتى في أدنى تفاصيلها، بل بمعنى من المعاني إنها  
أكثر حيوية من الواقع الحي، وعلى الرغم من أنها تظل في نهاية الأمر  
غير متصلة. أحببها على هذا النحو. لفاء أرواح متناكفة. شخصان  
اتحدا معاً في خبالانهما وصورهما. الزوج المخدوع.

حاولت أن أنقبل كيكي وجوناثان وهما نائمان معاً. هل كانت

(20)

مرت الأيام القليلة التالية ثقبلة بلا أحداث. كان الهاتف يرن  
ولكنني شغلت آلة الرد طوال الوقت ولم أرفع السماعة مرة واحدة. بيد  
أنه كان أمراً جيداً أن أعرف أن خدماني ما زالت محل طلب. كنت  
أجهز وجباتي من الطعام، وذهبت إلى شيبويا وكنت أشاهد فيلم «حب  
من طرف واحد» كل يوم. كان الوقت هو عطلة الربيع لذلك كانت  
قاعة السينما تفيض بالطلاب. كان المكان أشبه ببيت حيوانات. وددت  
لو أمكنتي أن أشعل به حريقاً.  
والآن وبعد أن عرفت ما الذي يجب أن أبحث عنه، عثرت على  
اسم كيكي في مقدمة الفيلم.

وكننت، بعدما ينتهي المشهد الوحيد الذي يظهر فيه، أغادر  
المكان وأسير المسار المعتاد نفسه. من هاراجوكو إلى ستاد جينجو  
وضريح أوياما ثم إلى أومنساندو عبر بناية جيندان ثم العودة إلى  
شيبويا. أحياناً كنت أنوقف في الطريق لاحتساء فنجان من القهوة. لقد  
حلّ الربيع بلا شك، جالباً معه الروائح المعتادة. ما زالت الأرض  
تدور في مداراتها نفسها حول الشمس. كنت أعدده دائماً لغزاً كونياً أن  
الربيع يعرف متى يغيب الشتاء. لكن كيف أن الربيع دائماً يجلب معه  
الروائح نفسها؟ عاماً بعد عام، وبالرغم من دفة ذلك، فإن الروائح  
متماثلة تماماً.

تقدم له أفضل ما عندهما كما فعلت ماي معي؟ هل كل فتيات النادي لديهن المهارات نفسها؟ لم يكن لدي فكرة ولم يكن بإمكانني أن أسأل جوتاندا. كانت كيكي تعيش كل الوقت معي. لم تكن منحنمة للجنس. نعم كانت تتجاوب معي ولكنها لم تكن تأخذ بزام المبادرة أبداً، ولم يكن لها أي طلبات خاصة. ليس معنى ذلك أنني كانت لي شكاوى. كانت رائعة حينما تسترخي. جسمها الناعم المثير، وأنفاسها الهادئة الناعمة، وأعضاؤها المثيرة. لا لم يكن لدي أي شكاوى. إنني فقط لا يمكنني أن أتصورها وهي تؤدي خدمات خاصة لأي شخص آخر، إلى جوتاندا مثلاً. ربما أقفز إلى الخيال.

كيف تستطيع العاهرات أن يفصلن بين حياتهن الجنسية الخاصة وحياتهن الجنسية المهنية؟ قبل ماي، لم يسبق لي أن نمت مع فتاة ليل بائعة هوى. نمت مع كيكي. وكيكي كانت فتاة ليل. ولكني لم أنم مع كيكي فتاة الليل، وإنما نمت مع كيكي. وفي المقابل نمت مع ماي فتاة الليل، لكنني لم أنم مع ماي. ربما لا يوجد ما يمكن كسبه من الربط بين الحدين. فلذلك لن يزيد الأمور إلا تعقيداً. وعلى أي حال أين يتوقف الجنس عن أن يكون شائناً من شؤون العقل؟ أين يبدأ الفن؟ ما هو مقدار الواقع وما هو مقدار التمثيل فيه؟ هل المداخلة الكافية يمكن أن تكون شائناً هاجساً روحياً؟ هل استمتعت كيكي بالجنس معي؟ هل كانت حقاً تمثل في الفيلم؟ هل كانت أصابع جوتاندا الأنيقة التي يمسكها ظهرها نصل بها للذروة؟ وفعت أسيراً في خضم ما هو واقع وما هو خيال.

خذ جوتاندا على سبيل المثال. كل أدوارها كطبيب هي مجرد صور. لكنه مع ذلك يبدو طبيياً حقيقياً أكثر من أي طبيب آخر عرفته. كان يعكس كل الصدق والثقة.

ترى ما هي الصورة الخاصة بي؟ هل سبق أن كانت لي صورة؟

قال الرجل المقنع، ارفس. ارفس كأحسن ما يكون. ارفس حتى يظل كل شيء يدور.

هل كان ذلك يعني أنني سوف يكون لي صورة؟ وإذا فعلت هل سيحوز ذلك إعجاب الناس؟ على الأقل سبعجيوون بها أكثر مما أعجبوا بشخصيتي الحقيقية، أراهن.

حينما استيقظتُ في الصباح التالي، كان الأول من أبريل. ذهبتُ إلى كينوكوتانا حيث محلات الياقة ذات الأسعار العالية والخصروات الجيدة. اشتريت فزينة من البيرة وثلاث قنينات من الخمر.

حينما عدت للمنزل كانت هناك رسالة من يوكي، كان صوتها غير عابث تماماً. قالت إنها سوف تتصل ثانية حوالي الثانية عشرة. ثم وضعت السماعة بعنف. شيء شائع في تعبيراتها الجسدية.

صبيت بعفس الفهوة، ثم جلست ومعي كأس وأحدث الروايات البوليسية وهو شيء لم أفعل في الإقلاع عنه على مدى عشر سنوات. بعد الظهيرة بقليل رن الهاتف.

- «كيف الحال؟» كانت يوكي.

- على ما يرام؟

سألت: «ماذا تفعل الآن؟»

- أفكر في القداء. سلمون مدخن، مع خس وشرائح اليبصل المتنوعة في ماء مثليج ومدهونة بالخرول والجرجير، وتقدم على خبز فرنسي تم خبزه في الأفران الساخنة في كينوكوتانا. ساندوتش صُنِع في السماء!

- يبدو جيداً.

- لا لبس جيداً. إنه ليس أقل من رائع. وإذا لم نصديقي  
يمكنك أن نسألني نحلنك المحلبة. يمكنك أيضاً أن نسألني نبات  
الشبنندر صديقك. سوف يخبرونك أنه رائع.

- ما هذا الذي نقول، أي نحل وأي شبنندر؟ عمّ تتكلم؟  
- تلك استعارات ومجازات.

قالت بوكي: «هل نعرف أن عليك أن تنضج. أنا ما زلت في  
الثالثة عشرة ومع ذلك أظنك أحياناً شخصاً بلهاً».

- هل نقصد أن يخبني لي أن أصبح أكثر غليظة؟ هل ذلك هو  
ما نرغبين فوله؟ هل ذلك هو ما يعنيه النضج؟

نجاهلت سوالي: «أريدك أن تأخذني في جولة بالسيارة؟ ما رأيك  
في هذه الليلة؟».

قلت: «اعتقد أن لدي وقتاً».

- حسناً، إذاً كن هنا في أكازاكا في الخامسة. لعلك تذكر كيف  
نصل إلى هنا، أليس كذلك.

- نعم، لكن لا نقولي لي إنك كنت بمفردك طوال هذا الوقت؟  
- نعرف أن لا شيء يحدث في هاكوني. أعني أن المكان في  
أعلى الجبل. من يريد أن يذهب إلى هناك ويكون وحيداً؟ المدينة فيها  
الكثير من وسائل التسلية.

- ماذا عن أمك؟ ألم نعد بعد؟

- حتى ذلك لا أعرف عنه شيئاً. ليس باستطاعتي أن أحفظ  
بسجل لتحركاتها. أنا لست أمها كما تعلم. لم تنصل أو تفعل أي  
شيء، لذا ربما تكون ما زالت في كاتماندو.

- ومن أين تأتين بالنفود؟

- ليس لدي مشكلة مع النفود. لدي بطاقة صرف أخذتها خلصة  
من حقيبتي اليدوية. نقضان بطاقة واحدة مما بحوزتها شيء لن يمكنها  
ملاحظته. أقصد أنني إذا لم أعطني بنفسني فساموت. أمي أشبه برائدة  
فضاء تتدرب كما تعلم.

- هل كنت تأكلين بشكل جيد؟

- نعم أكل. ماذا كنت تتوقع؟ سوف أموت إن لم أكل.

- ليس هذا ما سألتك عنه. أنا أسألك هل تأكلين بشكل جيد؟

قالت وهي تسعل: «دعنا نرى. في البداية أكلت كنتاكي، ثم  
ماكدونالد ثم ديري كوين ... وماذا أبشأ؟».

قلت: «سوف أكون هناك في الخامسة. سوف نذهب إلى مكان  
جيد لتناول الطعام. لا يمكنك أن تعيشي على هذه الأطعمة السيئة  
التي نزردينها. فناة مراعاة تحتاج إلى تغذية صحية. إنك تمرّين  
بمرحلة عمرية حساسة للغاية، هل نعرفين ذلك؟ غداً ستيّ بعني  
دورات شهرية سبعة».

قالت هاسمة: «إنك أحمر».

- والآن إذا كان من حفي أن أطلب ذلك، هل يمكنك أن

نعطيني رقم هاتفك؟

- لماذا؟

- لأنه ليس عدلاً أن يكون التواصل من طرف واحد. أنت  
تعرفين رقم هاتفني، لكني لا أعرف رقمك. يمكنك الاتصال بي وقت  
ما ترغبين، لكني لا أستطيع ذلك. ذلك أمر أحادي الجانب. وفوق  
ذلك، افترضني أن ثمة طارفاً قد وقع، فلن أكون قادراً على الوصول  
إليك.

توقفت برهة، وتمنمت ببعض الكلمات ثم أعطتني رقمها.

فالت بوكي: «لكن لا نظن أن بإمكانك أن تغير البرنامج في أي وقت نشاء. أمي نريد ذلك. لن أعطيك أي فرصة».

- أعذك. لن أغبر البرنامج. لا يوجد إنسان على وجه الأرض يفي بالوعد أفضل مما أفعل. ولكن في بعض الأحيان يقع ما هو غير متوقع. إنه عالم كبير ومعقد، لعلك تعرفين. وإذا حدث ذلك ألا نتعجب أن أنه سوف يكون جيداً أن أصل إليك؟ هل فهمت ما أقصد؟

قالت: «أحداث غير متوقعة».

- من السماء الصافية الزرقاء.

فالت بوكي: «سكون جميلاً إن لم تحدث».

رددت وراءها: «سكون جميلاً إن لم تحدث».

ولكنها بالطبع حدثت.

(21)

وصلا معاً بعد الثالثة ظهراً بقليل. كنت آنذاك آخذ دوشاً حينما دق جرس الباب. مع وصولي إلى الباب كان الجرس في دفته الثامنة. فتحت الباب فإذا برجلين أمامي.

أحدهما كان في الأربعينات، أما الثاني ففي الثلاثينات من عمره. كان الشخص الأكبر سنّاً طويل القامة ولديه ندبة على أنفه. كانت بشرته أغمق مما يحتمله هذا التوقيت من فصول السنة، فقد كان لون بشرته برونزياً غامقاً كبشرة صباد (فبشرمان)، ليس ذلك اللون الجميل الذي تكنسه من المكوث على شاطئ البحر أو التزلج على الثلج. كان شعره متصبلاً، وبداه كبيرني الحجم بشكل مخيف ويرندي معطفاً رمادياً. أما الشخص الأصغر سنّاً فكان قصيراً وشعره طويلاً وعيناه خفيفتين وحادتين. قبل جبل مضى كان يمكن أن يسمى بوكيش (مولع بالكتب). كان يرندي معطفاً غامق الزرقة. كل من الرجلين كان ينتمل لهذا أسود وسمياً ورخبصاً ومهترفاً. من نوع ربما لن ننظر إليه مرتين إذا ما رأيناه ملقى على جانب الطريق. كما لم يكن الرجلان من النوع الذي يمكن أن يجعلك تترقب في صدانتهما.

من دون أي مقدمات، أظهر لي بوكيش بطاقة الشرطة. تماماً كما يحدث في الأفلام. لم يسبق لي أن رأيت بطاقة وجل شوطة، ولكن

نظرة واحدة كانت كافية لإقناعي بأنها بطاقة حقيقية. كانت تتماشى مع  
الحذاء المتهرئ.

قال بوكيش: حي أكازاكا، سيأتيني إن كنت أنا هو أنا.

كان فيشرمان يقف متاهلاً في ساحة وهو يشع كلنا يديه في  
جيبه معطفاً راحة الجاش واضعاً قدمه أمام الباب لإيقاظه مفتوحة  
نفساً كما يحدث في أفلام السينما. عظيم!

أعاد بوكيش بطاقة هوبته إلى جيبه وهو برمفني بنظرة فاحصة.  
وأنا في رده الحمام وشعري يميل  
قال بوكيش: «إننا نحاول لأن نأتي معنا إلى مركز الشرطة  
للاستجواب».

- استجواب. ونحن ماذا؟

قال: «ستعرف كل شيء في وقتك الذي إجراءات رسمية بجهد  
أن نطبقها في مثل هذه الأمور، لذا دعنا نذهب على الفور»  
- ماذا؟ جئنا، لكن هل نمانع أن ارتدي بعض الملابس؟  
قال بوكيش بشكل واضح ومن دون أن يظنوا أدنى تعبير على  
ملاحظته: «بكل تأكيد».

لو أن جوناثان لم دور رجل شرطة لأداء بشكل أفضل.  
انتظر الرجلان في متجول الغرفة مما كنت أظن بعض الملابس  
وأطفئ الأنوار قبل أن أنشل حداثتي منتقمين الكعب من نوع  
توميلدروز وهو ما جعل كلا الشرطين محبلاً في كما لو أننا أكثر  
الناس مسرة للخدمة في السقف.  
كانت سيارة الدورية تقف بجوار مدخل البناية وفيها شرطي في  
ذي عسكري يجلس خلف المقود. صعد فيشرمان للمقعده الخلفي  
ومن بعده أنا ثم بوكيش. مرة أخرى تماماً مثلما يحدث في السينما.  
أغلق بوكيش الباب وانطلقت السيارة.

كانت الشوارع مزدحمة، ولكن هل استمعنا آلة التنبيه؟ لا، كنا  
كمن خرج في نزهة بالتاكسي. من دون عداد. علقنا في الإشارات  
المروية وقتاً أطول من ذلك الذي لمضاه في السير وهو الأمر الذي  
صنع كل من داخل السيارات وفي الشوارع قوساً خيراً للتحديق في.  
لم ننتبه حتى نكلمه. كان فيشرمان ينظر أمامه يصراخه وفراصاه  
محمومتان. فيما كان بوكيش ينظر من نافذة السيارة وتبدو عليه  
علامات التيزم كما لو كان منهكاً في تمرين أدبي. مدرسة الاستعارة  
السوية والعاصفة. آثار الربيع في دواخلنا كفكرة. نيار كتيب من  
الاشتياء أثار حلوله حماسة هذه الحشود المعقودة الواقعة في شغوف  
المدينة تنقلها بلا ضجيج وهي تسبح نحو مستنقع اللاجلدي.

أردت أن أسحر الفقرة برمها من رأسي. ماذا يعني الحميم تعني  
«الربيع فكراً؟» وأين كانت مستنقعات اللاجلدي؟ شعرت بالأسف  
أنني بدأت هذا الحل السخيف من الأفكار  
كانت مدينة شيواي نغمس طلاب المفردة الثانوية غير العائدين  
والذين يلبسون زياً يشبه دني المهرجين، كما هو دائماً. لا حماسة ولا  
مستنقعات.

في مركز الشرطة، تم اقتيادي لغرفة الاستجواب في الطابق  
الأعلى. كانت هناك مبلغ ثلاثة أمتار مربعاً وفيها نافذة وجيدة  
صغيرة. طاولة، وكرسيان من الحديد، ومعدان بلا صند ظهر من  
الجلاسيك وقائمة جائط. على الطاولة يوجد هاتف وقلم وصفيحة  
مجاناً ومجموعة من المقفات. لم تكن هناك أي زهوريات. دخل  
الشرطي السري العرفه وقدم لي واحداً من كرسيي المكتتب  
الحديديين. جلس فيشرمان في مواحيتي، فيما وقف بوكيش في  
جانب من العرفة ولديه مذكرة مفتوحة. الكثير من التواصل الصامت.  
أخيراً وبعد طول انتظار ابتلرتني فيشرمان قانلاً: «إذاً ماذا فعلت

اللبلبة الماضية؟ كانت هذه أول كلمات أسمعها نخرج من فمه .

اللبلبة الماضية؟ ماذا كنت أفعل؟ أكاد لا أستطيع أن أميز اللبلبة الماضية عن باقي الليالي . أمر محزن ولكنه حقيقي . أخبرتهم أنه ينبغي علي أن أحاول تذكر ذلك .

قال فيشرمان وهو يسعل : «سمع ، أي إجراءات قانونية نستغرق وقتاً . إننا نسألك سؤالاً بسيطاً : منذ مساء أمس حتى صباح اليوم ماذا فعلت؟ أظنه ليس بالسؤال الصعب جداً ، اليس كذلك؟ وليس ثمة أذى في أن تجيب ، اليس كذلك؟» .

قلت : «أخبرتك أنه علي أن أحاول التذكر؟» .

قال فيشرمان ساخراً : «ألا يمكنك تذكر ذلك من دون تفكير . أنا أسألك عن شيء كان بالأمس . إننا لا نسأل عن شهر أغسطس الماضي الذي ربما لا تتذكره أبداً» .

مثلاً أخبرتك من قبل ، كنت على وشك أن أقول ، لكنني تراجعته . شككت أنهما ربما يفهمان أنني أعاني من فقدان ذاكرة مؤقت . ربما يظنان أن لدي بعض البراغي المفكوكه .

قال فيشرمان : «حسناً نحن بالانتظار . خذ ما بكفيك من الوقت» . سحب عليه سجاثر من جيب ستره وأشعل سيجارة . «هل نرغب في سيجارة؟» .

قلت : «لا ، شكر» . بحسب مجلة برونوس فإن «سكان المدن اليوم» لا يدخنون . يبدو أن هذين الشخصين ليس لديهما علم بذلك .

قال بوكيش : «سوف نمنحك خمس دقائق ، بعد ذلك سوف نخبرنا أشياء بسيطة مثل أين كنت ليلة أمس ، وماذا كنت تفعل هناك» .

قال فيشرمان : «لا نتعجل الرجل . إنه يفكر . بحسب ملفه ليست هذه هي المرة الأولى التي يتحدث فيها للغافلون . ناشط جامعي ، إعاقة

عمل المؤسسات العامة . لدينا بصماته . ثم إرسال الملفات إلى مكتب النيابة . إنه معناد على استجواباتنا اللطيفة . لديه إرادة حديدية . هكذا يقول الملف هنا . لا يبدو أنه يحب الشرطة كثيراً . هل تعرف أنني أراهن أنه يعرف كل حقوقه بحسب ما ينص عليها الدستور . هل نظن أنه سيحصل بمحاميه لاحقاً؟» .

قال بوكيش لفشرمان : «لكنه جاء معنا طائعاً ونحن لم نفعل أكثر من سؤاله سؤالاً بسيطاً . لم أسمع أي كلام عن إلغاء قبض . لا أعتقد أن ثمة سبباً لاستدعائه محاميه . لن يكون لذلك جدوى» .

واصل فيشرمان : «حسناً إذا سألني ، أعند أن الغضبة أكبر من مجرد قضية كراهية الشرطة . يبدو أن السيد لديه رد فعل نفسي سلبي إزاء أي شيء له علاقة بالسلطة . سوف يفضل نجشتم المعانا: على أن يتعاون» .

- ولكن ماذا لو لم يجب عن أسئلتنا ما الذي يمكننا فعله سوى انتظاره حتى يجيب . بمجرد أن يجيب سوف يمكنه العودة لبيته . لن يأتي أي محام مهرولاً إلى هنا لمجرد أننا سألتناه عما كان يفعله ليلة أمس . المحامون مشغولون . والمفكر لا بد أنه ينهم ذلك .

قال فيشرمان : «حسناً ، إذا كان السيد يشعوب هذا المبدأ فسوف يوفر كل منا على الآخر وقتاً كثيراً . نحن مشغولون وهو أبداً مشغول . لا طائل من وراء تضيق الوقت الثمين حينما يكون بوسعنا أن نفكر بشكل أعمق . لا نريد أن تنهك أنفسنا بلا داع» .

واصل فيشرمان : «حسناً ، يبدو أن الوقت قد انتهى . هل تذكرت الدقائق الخمس التي منحناها لي .

إنهم فيشرمان : «حسناً ، يبدو أن الوقت قد انتهى . هل تذكرت أي شيء؟» .



لم أتذكر. حقيقة لم أكن أحاول بجديّة كافية. ليس باستطاعتي تذكر أي شيء. قلت: «أولاً أود أن أعرف ما الذي يجري حوالي؟ ما لم تغل لي ما الذي يجري، فلن أنطق بشيء». لا أريد أن أقول أي شيء. قد يشبّه أنه غير ملائم. وفوق ذلك فإنه من الذوق العام أن نشرح الملابس أولاً قبل نوجبه الأمثلة. إن ذلك خرق للأخلاق الحميدة».

هزا بوكيش مني معلّفاً: «إنه لا يريد أن يقول أي شيء. قد يشبّه أنه غير ملائم. أين ذوقنا العام؟ لا يتعين علينا أن نقوم بـ... ماذا أسماها؟ خرق للأخلاق الحميدة».

قال فيشرمان: «قلت لك إن الرجل مفكر. إنه ينظر إلى كل شيء من زاوية مائلة. إنه يكره الشرطة. إنه مشنوك في جريدة «أسامي شهبون» ويفرأ «سبكاي»».

قاطعتهما: «إننا لا أشتري في الصحف ولا أقرأ سبكاي. وما دمتما لم تخبراني بالسبب الذي أنا هنا لأجله، فلن أشرع بالرغبة في الكلام. إذا كنتما تريدان مواصلة إهانتي فواصلنا ذلك».

نظر كل منهما إلى الآخر.

قال فيشرمان: «هل تريد القول إننا إذا كنا مؤدبين وشرحنا لك الملابس، فسوف تتعاون وتقدم لنا بعض الإجابات؟».

قلت: «ربما»

قال بوكيش وهو يضم ذراعيه محدقاً في أعلى الحائط: «إن الرجل لديه روح المرح».

حك فيشرمان التذبة الأفقية التي على أنفه. ربما كانت سبب ضربة سكين عميقة، يبدو ذلك من كيفية التثامها مع جلد الأنف المحبب. قال وقد بدت عليه علامات الجذبة: «اسمع، إننا

مشغولان. وهذه ليست لعبة. إننا جميعاً نريد الانتهاء من ذلك والعودة للبيت في الوقت المناسب لتناول العشاء مع الأسرة. ليس لدينا أي شيء. صدك، وليس لدينا أي فأس لاستخدامها في الحفر. إن أخبرتنا بما فعلت لبلبة أمس فقط، فلن يكون لنا مطالب أخرى. إذا كان لديك ضمير نقي، ما الضير في أن نخبرنا؟ أم لعلك نحمل مشاعر ذنب إزاء شيء ما؟».

حذفت في منفضة السجائر.

أغلقت بوكيش مفكرته الصغيرة ودشها في جيبه. على مدى ثلاثين ثانية لم ينبس أحد بكلمة. وخلال تلك الفترة كان فيشرمان قد أشعل سبجارة سفن ستارز مرة أخرى.

قال فيشرمان: «إرادة حديدية».

سأل بوكيش: «هل تريد الاتصال بلجنة حقوق الإنسان؟».

عاد فيشرمان وشريكه يفولان لي: «من فضلك، هذه ليست قضية حقوق إنسان. هذا واجب المواطن. إنه مكتوب هنا في القانون أن المواطنين يتعين عليهم التعاون مع تحقيقات الشرطة إلى أقصى حد. إذا ما الذي لديك ضدنا نحن منفذي القانون؟ إننا نكون جديين حينما نرشدك إذا ضللت الطريق. ونكون جديين حينما نتصل بنا إذا ما سخطا على بيبك لص، ولكننا لا نكون جديين بما يكفي حينما نريد منك أن نبدي فلبلاً من التعاون معنا. لذا دعنا نحاول ذلك مرة ثانية. أين كنت ليلة أمس وماذا كنت تفعل؟».

كررت: «أريد أن أعرف ما الذي يجري؟»

نفخ بوكيش أنفه وأخرج منه صوتاً عالياً. أخرج فيشرمان مسطرة بلاستيكية من جاورو المكتب وضرب بها على كفه.

ثم قال وهو يرمي بمقابل مستعمل في سلّة القمامة: «اسمع يا رجل، يجب أن تدرك أن موقفك بسوء شيئاً نشباً؟».

وقال فيشرمان: «هذه ليست حقبة السنين التي عرفتھا، لا يمكنك مواصلة هذه الانجازات المناوئة للغيم والنظام الاجتماعي. لقد ولت هذه الأيام. أنت وأنا وجميعنا محاصرون في هذا المجتمع. لم يعد هناك ما يسمى بالنظام الاجتماعي أو مناوئة النظام الاجتماعي. لقد بلّغ كل ذلك. لقد احتكر النظام كل شيء وسيطر عليه. إذا لم تحب ذلك فبإمكانك الجلوس مسلوب الإرادة في انتظار زلزال. أو يمكنك أن نذهب ونحفر حفرة. ولكن أن تكون وفحاً معنا فليس بوصولك أو بوصولنا إلى أي مكان. هذا أمر لا طائل منه. هل نفهم ذلك؟».

استدار بوكيش وفتح مفكرته وقال: «حسناً، إننا نفر بفشلنا معك. وربما لم نبد نحرك الاحترام اللازم. إذا كانت هذه هي القضية، فنحن نأسف لك. أنا اعتذر. لقد كنا نعمل في قضية أخرى ولم نلذ طعم النوم منذ يوم أمس. لم أر أطفالاً منذ خمسة أيام. ورغم أنك لا نيدي نحوي أي احترام، فإنني موظف عام. أسعى لجعل المجتمع آمناً. لذا فعندما نرفض الإجابة عن سؤال بسيط، يمكن الزمان على أنك تستثير غضبنا. وحينما أقول إن الأمور تبدو أسوأ بالنسبة لك، فإن ذلك سببه هو أنه كلما نال منا الشعب، ساء مزاجنا. بالطبع إن لك حقوقاً، كما أن القانون في صفك، ولكن أحياناً يحتاج القانون إلى وقت طويل حتى يأخذ مجراه، ولذا يصبح في أيدينا نحن المحققين المساكين. هل فهمت ما أعني؟».

تدخل فيشرمان قائلاً: «لا نظن خطأ أننا نهديك. إنه فقط بوجه لك إندازاً ودياً. إنه لا يريد أن يلحق بك أي سوء».

واصلت إغلاق فيمي وأنا أنظر إلى منفضة السجائر. كانت منفضة سجائر قديمة ومتسخة وخالية من أي علامات. ترى كم عقداً من الزمن ظلت على الطاولة؟

واصل فيشرمان بضرب على يديه بالمسطرة وقال: «حسناً، سوف أشرح لك العلاقات. إنها ليست الطريقة التي تتبناها حينما نستجوب الأشخاص. ولكن نظراً لأننا نريد أن نكسب احترامك فسوف نجرب الأمر بالطريقة التي نريدها».

رفع مجلداً وفتح مظروفاً وأخرج ثلاث صور شخصية كبيرة. صور أبيض وأسود بدون أي زخارف. كان ذلك واضحاً من أول وهلة الصورة الأولى كانت لامرأة عريانة منطحة على بطنها على سرير. سافان طويلتان، ومؤخرة مكنتزة والشعر منسدل على الرقبة. كان فخذها متفرجين بما يكفي لكشف ما بينهما. فزاعها كانتا مسدلتين بجانبها. لا بد أنها نائمة.

أما الصورة الثانية فقد كانت أكثر وضوحاً. كانت مستلقية على ظهرها، حيث تظهر منطفة العانة وصدرها ووجهها. كانت عيناها مفتوحتين، ولا حياء فيهما، وكان فمها ملتبساً. لم تكن المرأة نائمة إذاً. لقد كانت ميتة.

إنها ماي.

أما الصورة الثالثة فكانت أكثر تركيزاً على وجه ماي. ماي لم نعد جميلة. أصبحت منجمدة. كانت هناك تقرحات حول رقبتها.

جفّ رقبتي، ولم أستطع أن أبلعه. وبدأت أشعر بالرغبة في حك راحة يدي. ماي. التي كانت ممثلة بالحياة والجنس. إنها الآن ميتة وباردة.

نوفقت عن هز رأسي، وعن إظهار أي ودود فعل. كنت أدرك أن الرجلين برافيان كل حركة أفوم بها. صفقت الصور الثلاث معاً وسلمتهما إلى فيشرمان بهدوء. حاولت أن أبعد غير مكترث.

سأل فيشرمان: «هل تعرف هذه المرأة؟».

قلت: «لا». كان بوسعي أن أقول نعم بالطبع لكن ذلك سوف يعني أنه يتعين علي أن أخبرهم عن جوناثان الذي كان حلقة الاتصال بيني وبين ماي وسوف يدمر حياته نسزب مثل هذا الأمر لوسائل الإعلام. ولكن ربما يكون هو الشخص الذي ذكر اسمي في القضية. لكني لا يمكنني التأكد من ذلك.

قال فبشرمان بهدوء: «لقد نظرت أخرى. الأمر في غاية الأهمية. لذا انظر بعناية مرة أخرى قبل أن تجيب. هل سبق أن رأيت هذه المرأة؟ لا نحاول أن نكذب عليك. إننا لسنا أطفالاً في غاية. إذا ثبت لنا أنك تكذب فسوف نوزط نفسك في مشكلات حقيقية. هل تفهم ذلك؟».

ألفيت نظرة طويلة على الصور الثلاثة. لم أكن أرغب في النظر على الإطلاق، ولكن ذلك كان سوف يكشف أمري.

قلت: «لا أعرفها. ولكنها مينة. أليس كذلك؟».

كرور بوكيش: «نعم مينة. مينة بشكل كامل. مينة للغاية. كما يمكنك أن ترى بنفسك. هذه الفتاة عارية ومينة. كانت ذات يوم شخصاً لطيفاً للغاية. لكن اليوم وبعد أن ماتت لم تعد ذات تأثير. إنها مينة مثلما يموت الناس. إذا تركتها فسوف تهترئ وتبدأ بشرتها في التشقق والحفاف. ثم تنبعث منها الرائحة الكريهة. ثم الدهقان. هل سبق أن رأيت ذلك؟».

قلت، لم أره أبداً.

«حسناً، لقد رأينا ذلك كثيراً. إنه أمر يصل إلى حد لا يمكنك معه أن تقول بأنها كانت امرأة. إنها لحم ميت. وشرائح لحم متعفنة. وبمجرد أن تصل الرائحة إلى أنفك سوف تغد كل شهية نحو الطعام. إنها رائحة لا يمكنك أن تنساها. نعم إذا تركت الأمور لوقت طويل».

فلن نجد في النهاية سوى عظام. لا رائحة. بعد أن جف كل شيء عظام يبضاء وجميلة ونظيفة. لكن بالطبع هذه السيدة لم تصل إلى ذلك الحد بعد. بل وحتى لم تتعفن بعد. إنها مينة فحسب. منخشبة فحسب. يمكنك أن تقول إنها كانت أشبه بتحفة جميلة حينما كانت حية. لكن حينما أراها كما هي عليه الآن. فلا يطوف لي جفن حنى.

ثمة شخص فتل هذه المرأة. كان من حقها أن تمشي. بالكاد كانت في العشرين من عمرها. شخص ما اختفها بجورب. يبدو أن ذلك لم يكن سرياً. لقد كان الأمر مؤلماً واستغرق وقتاً. لعلك تعرف أنك سوف تموت. ولعلك تفكر لماذا ينبغي أن أموت هذه المونة؟ إنك تريد أن نظل في هذه الحياة. ولكن بإمكانك أن تشعر بأن الأوكسجين ينفد. وأن عقلك يصبح مشوشاً. تفقد الشعور بسايقك. أن نموت ببطء ليس بطريقة لطيفة للموت. إننا نريد أن نلغي القبض على ذلك الوغد الذي فتل هذا الفناء الجميلة. وأطنك سوف فاعدنا».

«ظهر أمس قامت بحجز غرفة مزدوجة في فندق فخم في أكازاكا. في الخامسة مساءً دخلت للفندق وحدها. واج فبشرمان يروي الأحداث. «قالت لموظف الاستقبال إن زوجها سوف يلحق بها. اسم غير حقيقي ورقم هاتف غير حقيقي. في السادسة مساءً اتصلت بخدمة الغرف وطلبت عشاء لفرد واحد. كانت بمفردها في ذلك الوقت. في السابعة مساءً كانت الصبينة الفارغة من الطعام قد وضعت في الممره. وتم تعلين علامة «رجاء عدم الإزعاج» على الباب. كان وقت خروجها من الفندق بحين في الثانية عشرة ظهراً. حينما لم تسجل السيدة خروجها من الفندق، اتصل موظف الاستقبال بها في غرفتها عند الساعة الثانية عشرة ونصف. لكنها لم ترد. حينئذ ففتح رجال الأمن الباب فإذا بها عرابنة ومينة تماماً كما نراها في

الصورة الأولى هذه. لم ير أحد زوج السيدة. الفندق فيه مطعم في المأمن الأخير، لذا فهناك الكثير من الناس ممن يخرجون ويخلون إلى الفندق. إنه مكان مشهور لعقد المواعيد الغرامية.

قال بوكيش: «لم يكن في حقيبتي أي أوراق لإثبات الهوية. لا رخصة قيادة ولا دليل عناوين ولا بطاقة ائتمان. ولا الحروف الأولى من اسمها على ملابسها. وباستثناء مستحضرات التجميل، وحبوب منع الحمل وثلاثين ألف ين، فإن الشيء الوحيد الذي كانت تحتفظ به في حافظتها بشكل مخفي تقريباً هو بطاقة تعريفية. إنها بطاقةك التعريفية».

قال فيشرمان مرة أخرى: «سوف نقول إنك لا تعرفها حقاً؟».

هزأت وأسي، كنت أود لو تعاونت مع الرجلين فدر استطاعني. كنت أرغب في ذلك فعلاً. كنت أرغب بشدة في أن يتم إلغاء الغيبض على فائنها. ولكن كان لدي الأحياء الذين أفكر فيهم.

قال بوكيش: «حسناً، الآن وقد عرفت الملابسات. لماذا لا نخبرنا أين كنت ليلة أمس وماذا كنت تفعل».

عادت ذاكرتي للوراء: «في السادسة مساء تناولت العشاء في البيت بمغفري، ثم فرأت لبعض الوقت، واحتسيت كأسين من الشراب، ثم قبل منتصف الليل، ذهبت إلى الفراش».

سأل فيشرمان: «ألم تر أي شخص؟».

«كلاهما لم أر أي شخص، كنت بمغفري طوال الوقت».

«هل أجريت اتصالاً بأي شخص» أو اتصل بك أحد؟

أخبرتني أنني لم أتلق أي اتصال. «قبل التاسعة بقليل، كان هناك اتصال ثم نسجبه على آلة الرد. حينما أعددت تشغيلها كان أمراً بتعمل بالعمل».

«لماذا تشغل آلة الرد ما دمت داخل المنزل؟»

«كنت في راحة. ولم أشأ أن أحدث عن شؤون العمل».

طلباً اسم المصطل وأبلغتهما به

«إذا فقدت تناولت العشاء بمغفري وأمضيت المساء كله في

الفراشة؟»

«نعم. لكن بعد أن غسلت الأطباق».

«ما هو اسم الكتاب؟»

«ربما لا تصدق، لكنه كان لكالكا. المحاكاة».

«كالكا، المحاكاة». دون بوكيش ذلك.

واصل بوكيش كلامه: «ثم واصلت الفراشة حتى الثانية عشرة».

وشربت».

«في البداية شربت بيرة ثم براندي».

«كم مقدار ما شربت؟»

«علينين من البيرة ثم على ما أظن ربع فنيتة من البراندي. آه

نعم لقد تناولت أيضاً بعض البينشو».

كان فيشرمان بدون كل شيء. «هل فعلت أي شيء آخر؟».

حاولت ولكنها حقاً كانت ليلة بلا معلم. كنت أقرأ كتابي في

هذه الليلة فيما كانت ماي تُفحق بجورب. أخبرتهما أنه لا يوجد شيء

آخر لدي».

قال بوكيش وهو يسعل: «نصبري لك أن نحاول أكثر من ذلك».

يبدو أنك لا تترك خطورة موقفك؟».

«اسمع أنا لم أفترق أي شيء، فكيف يمكن أن أكون في

موقف خطير. إنني أعمل صحافياً بالقطعة، لذا نجد بطاقتي التعريفية

منتشرة في كل مكان. لست أدري كيف حصلت هذه الفناء على بطافني؟ هل مجرد كونها نحملها يعني أنني قتلنا؟

قال فيشرمان: «إن الناس لا يحملون بطافات تعريفية لا تعني لهم أي شيء في جيب آمن داخل حافظاتهم. لدينا فرضيتان. الأولى أن السبذة كانت ترتب للفناء أحد شركائك في العمل في الفندق وأن هذا الشخص قتلها. ثم قام الرجل بالنفخس مما في حقيبتها حتى يشتت بحثنا. ما عدا تلك البطافة التي كانت مخبأة بشكل جيد ولم يعثر عليها. أما الفرضية الثانية فهي أن السبذة كانت فناء لبل. عاهرة. عاهرة من الدرجة العليا. من النوع الذي يؤدي خدماته في الفنادق الفاخرة. من النوع الذي لا يحمل معه أي أوراق ثبوتية. ولكن لسبب من الأسباب قتلها رقيبها في هذه الليلة. لم يأخذ أي أموال، لذا ربما كان شخصاً مريضاً نفسياً. هذه هي الزوايا التي نبحث فيها. ما رأيك؟»

ملت برأسي في ناحية ثم التزمت الصمت.

قال فيشرمان وهو يلقي بقلبه على سطح الطاولة: «إن بطافتك التعريفية هي الدليل الرئيس في القضية».

قلت: «البطافة التعريفية هي مجرد قطعة من الورق مطبوع عليها اسم شخص. إنها ليست دليلاً. إنها لا تثبت أي شيء».

قال فيشرمان وهو يواصل الضرب على الطاولة: «لا نمتلك دليلاً. ولكن البحث الجنائي يبحث في الغرفة عن أي أثر. كما أن هناك عملية نشربح تجري الآن للجنة. غداً سوف نعرف الكثير. إذاً سوف ننظر معنا هنا. وفي أثناء ذلك ربما نكون فكرة جيدة لو استطلعت أن نتذكر المزيد من التفاصيل. ربما يستغرق ذلك طول الليل. أمامك وقت كاف، سوف تدهش مما يمكنك تذكره. لماذا لا نبدأ من أول اليوم؟ ماذا فعلت حينما استيقظت في الصباح؟»

نظرت في ساعة الحائط. كانت الخامسة وعشر دقائق. فجأة تذكرت موعدتي مع بوكي

قلت لفيشرمان: «عليّ أولاً أن أنصل بشخص ما. كان من المفترض أن أقابل شخصاً ما في الخامسة. كانت مقابلة هامة. سأل فيشرمان: «مع فناء؟»

- نعم.

رفع الساعة وفدها لي.

قالت بوكي مباشرة موجعة لي ضربة موجعة: «سوف نقول لي إن شيئاً طارئاً قد وقع لك وأنتك لن تتمكن من الحضور».

شرحت لها: «شيء غير متوقع، صدفيشي. معلومة إنه ليس خطئي. لقد تم اقتيادي إلى قسم شرطة أكازاكا للاستجواب. إنه أمر شرعه بطول الآن، ويبدو أنهم سوف يحتجزونني هنا لفترة».

- الشرطة، ماذا تفعل هناك؟

- لم أفتر أي شيء. هناك عملية قتل والشرطيان يربدان التحدث معي. ذلك هو كل ما في الأمر.

- لم تقتل أي أحد؟

- بالطبع لا، لم أقتل أي أحد. لست فنانلاً. إنهما فقط يسألان عن الملابسات. بؤسفي أنني لن أتمكن من القدوم. لكنني سوف أعوضها لك.

قالت بوكي: «ها له من حظ نميس». ثم ألفت بالساعة بظريبتها التي لا تقاوم.

أعطيت الهاتف مرة ثانية لفيشرمان. كانا يرهقان السمع للاستماع إلى ما كان يدور. ولكن بدا أنهما لم يجرحا بكثير. لو أنهما عرفا أنها كانت فناء في الثالثة عشرة من عمرها فلربما كان رأيهما في قد تغير.

كانا يدورنا كل ما أقول. أين ذهبت وماذا أكلت. قدمت لهم نغزيراً مفصلاً حول شرائح اللحم التي تناولتها على العشاء. شرحت لهم كيف خلقت ذهني. ثم بعثت أن ما أقوله يعث على المرح. كانا فقط يدورنا كل ما أقول. كان عدد الصفحات آخذاً في الازدياد بسرعة.

بعد السادسة والنصف أرسلنا في طلب الطعام. كان بلا طعم ومالحة ومع ذلك التهنئة باستمتاع. ثم احسبنا بعض الشاي فيما كان كلاهما يذخن. ثم عدنا للأسئلة والأجابات مرة أخرى. «في أي وقت اردت ثياب النوم؟ وكم عدد الصفحات التي قرأناها من المحاكمة؟» حاولت أن أخبرهما عن أي شيء. كان موضوع الكتاب، لكنهما لم يديبا اهتماماً.

في الثامنة مساء كان علي أن أفضي حاجتي وما أسعدني هو انهما سمحا لي بأن أقوم بذلك بمفردي. تنفست نفساً عميقاً. رغم أنه ليس المكان الأمثل للتنفس بعمق، ولكن على الأقل يمكنني التنفس. كم أنت مسكينة يا ماي.

حينما عدت أراد بوكيش أن يعرف عن الشخص الوحيد الذي انصل بي في ذلك المساء من كان؟ وماذا كان يريد؟ وما هي علاقتي معه؟ ولماذا لم أعد للاتصال به؟ ولماذا كنت في عطلة من العمل؟ ألم يكن ينبغي علي أن أعمل من أجل كسب العيش؟ وسألتني إذا كنت أدفع ضرائبي؟

كان سؤالي الذي لم أسأله هو: هل بعثت بالفاعل أن ذلك يمكن أن يكون مفيداً؟ ربما كلاهما قرأ كافكا. هل كانا يحاولان إنهاءي حتى أروح بالحقيقة. حسناً لقد نجحنا. كنت أشعر بإنهاك واكتئاب شديدين. كنت أجيب عن كل سؤال بوجه خال من الملامح. كنت أظن خطأ بأنني بهذه الطريقة سوف أخرج من هنا بشكل أسرع.

بلغت الساعة الحادية عشرة ومع ذلك لم يتوقف. ولم يبدوا أي علامات على نية التوقف. كانا يتناوبان علي، بغادر أحدهما الغرفة للحصول على راحة ويترك الآخر معي. لم تكن تلك الميزة مناسحة لي. بدلاً من ذلك كانا يقدمان لي القهوة، فوهة فورية سريعة التجهيز. في الحادية عشرة والنصف صرحت لهم بأن التعب قد نال مني وأنتي لن أجيب عن أي أسئلة أخرى.

قال بوكيش وهو يضرب بأصابعه على الطاولة: «اسمع، إننا نسرع في التحقيق قدر الإمكان. لكن هذا التحقيق هام جداً. لدينا سببة مبهمة. لذا فإنني أخشى أنه سيبين عليك أن نواصل اللبة هكذا». فلت: «لا يمكنني أن أصدق أن مثل هذه الأسئلة ذات أهمية على الإطلاق».

- التفاصيل النافذة تؤدي غرضها. سوف ندهش إذا علمت كم قضية تم حلها من خلال التفاصيل النافذة. ما يبدو نافهاً ليس دائماً نافهاً وبخصوصاً حينما يتعلق الأمر بجرائم القتل. القتل ليس جميلاً. معقدة ولكن لماذا لا نأخذ جولة في المكان. حتى أكون صريحاً تماماً معك، لو أننا أحببنا ذلك، لأمكننا أن نجعلك شاهداً رقيباً وسنظل عالقاً هنا. ولكن ذلك سيحتاج إلى الكثير من الأعمال الكتابية. إننا نتعامل معك بلطف ونطلب منك أن تجيب عن تلك الأسئلة بشكل لطيف ولين. إذا تعاونت معنا فلن نعين علينا أن نكون غلبتين معك.

قال فبشرمان: «إذا كنت نشعر بالرغبة في النوم، هناك سرير حديد في الأسفل. يمكنك أن تنفض قليلاً من الساعات هناك ننعوض فيها عينك، فربما تذكرت شيئاً».

حسناً، قليل من الساعات في النوم سوف يكون أمراً جيداً. أي مكان كان أفضل من تلك الحفرة المعبئة بالدخان.

اصطحبني فيشمران إلى ممر معتم وغير سلم دائري أكثر عتمة ثم إلى ممر آخر. لم يكن ذلك يبعث على التفاؤل. كانت غرفة السرير بالفعل مثل خزان المجاري بالسبارات المزودة بالحمامات.

- مكان لطيف ولكن هل يمكن الحصول على مكان تكون الرؤية فيه أفضل؟

قال فيشمران بصراحة: «معترة»، ولكن إن ذلك هو الطراز الوحيد الذي لدينا».

- هذا مستحيل. سوف أذهب إلى البيت وأعود غداً.

قال فيشمران: «لا نلحق. لن نعلق عليك الباب. إن الزنزانه هي مجرد غرفة ما دمت لم نعلق الباب».

كنت متعباً لدرجة لا تجعلني قادراً على الجدال. استسلمت. نمت سريعاً. كانت الفرشة مبللة والبطانية ورغصة والرائحة كريهة.

قال فيشمران وهو يوصد الباب بصوت بارد: «لن أقفل الباب».

نفسك الصعداء وسحب البطانية فوقي. شخص ما كان يسخر في مكان ما بصوت عال. بدا أن الصوت يأتي من مكان بعيد. ولكن يمكن أن يكون ذلك في زنزانه أخرى. كان صوتاً مزعجاً للغاية.

ولكن ماي، ماي! كنت في خاطري ليلة أمس. لم أكن أعلم ما إذا كنت لا تزالين علي قيد الحياة آنذاك أم لا. لكنك كنت في خاطري. كنت أجرك يطفء من ملاهيك ثم نبادلنا الحب. كان الأمر أشبه بتلافي زملاء فصل بعد سنين. كنت أشعر باسترخاء تام معها حتى ظننت أن شخصاً ما قد فك البرغي الرئيسي لهذا العالم. ولكن ليس هناك الآن ما يمكنني فعله لأجلك يا ماي. أستريحك علناً. إتنا نخوض غمار هذه الحياة الشافة. لا أود أن يقع جوناثانا في فضيحة.

لا أريد أن أدمر اسمه. لن يحصل على عمل بعد ذلك. عمل ثافه في عالم ثافه من الصور النافهة. ولكنه خضني بشفته كصديق. إذاً فهي مسألة شرف. ولكن ماي، فثاتي العترة ماي، لقد أمضينا وقتاً سعيداً معاً. كان رائعاً للغاية. مثل حكايات الجنيات التي تروى للأطفال. أعلم أنه أمر غير مريح لك ماي، ولكنني لن أنساك. سوف نظل نجرف الثلوج حتى الفجر. سوف أضملك بشدة في عالم الصور، ونمارس الحب بمصروفات محسومة. الموت ختفاً هو طريقة شائعة للموت. أعلم أنك لم تكوني ترغبين في الموت. لكن ليس ثمة ما يمكننا عمله لأجلك الآن. لست أدري ما هو الصواب وما هو الخطأ. إنني أفعل كل ما بوسعي. هكذا أعيش. إنه النظام. إنني أعض على شفتي وأفعل ما يتعين علي فعله. نصبحين على خبر ماي يا فثاتي العترة الصغيرة. على الأقل لن يتعين عليك الاستيقاظ مرة ثانية. ولا أن نموني مرة ثانية.

ليلة هائنة، همست بهذه الكلمات.

ليلة هائنة، ردّد الصدى في عقلي.

قال فيشرمان يتردد مفعّل «يؤمسي أن ذلك عبر ممكن»  
سألت: «ولماذا؟».

- يجب عليك أن توقّع الشهادة التي أدليت بها.

- سوف أوقع، سوف أوقع.

- ولكن أولاً اقرأ الوثيقة لتتحقق أن المحتوى دقيق. كلمة  
بكلمة من الأهمية بمكان أن تعلم ما الذي سوف توقع عليه.

لذا افرا تلك الأوراق الأربعين من محضر الشرطة. لا بمكنتي أن  
أغفل احتمالية أن تصبح هذه الأوراق، بعد مثني عام من الآن، ذات  
قيمة في إعادة تشكيل عصرنا. كانت مُفضلة بشكل مُرضي، ودقيقة  
بشكل متاء. يمكن أن نقب كثيراً في عمل الأبحاث. العادات اليومية  
لرجل أعزب في أواسط عمره. ابن عصره. إن فراءة كل ذلك في  
غرفة الاستجواب هو أمر يبعث على الاكتئاب. ولكن اقرأها من أولها  
لآخرها. والآن بمكنتي العودة للبيت. رتبت حزمة الأوراق وقلت إن  
كل شيء كما ينبغي أن يكون.

نظر فيشرمان وهو يداعب فلمه إلى بوكيش. استلّ بوكيش  
سجارة من علبة سجائره، أشعلها ثم نظر نظرة عابسة في الدخان.  
كنت أشعر بالاستياء.

«ليس الأمر بذلك البساطة، إفادتك يجب أن نكتبها بخط يدك»،  
قال بوكيش بلهجة هادئة ومنمكنة.

- بيدي أنا؟

- نعم، يجب أن ننسخ كل ما فيها بخط يدك. وإلا فلن نكون  
قانونية.

نظرت إلى حزمة الصفحات. لم يكن لدي طاقة حتى لكي  
أغضب، كنت أريد أن أغضب وأثور. كنت أرغب في أن أضرب

(22)

لم يختلف اليوم التالي عن سابقه في كثير. في الصباح التأم  
جميعنا ثلاثتنا في غرفة الاستجواب على إفتار صامت من القهوة  
والخبز. ثم أعارني بوكيش ماكينة حلاقة إلكترونية لم تكن حادة بما  
يكفي. ولأنني لم أعطط مسبقاً إحضار فرشاة الأسنان، فقد  
استعصت عن ذلك بغرغرة الماء فدر استطاعني.

ثم استؤنف الاستجواب. تعذيب غبي وتافه لكنه قانوني. استمر  
ذلك بإيقاع السلخاة حتى الظهيرة.

قال فيشرمان وهو يضع فلمه على سطح المكتب: «أظن أن ذلك  
يكفي».

كما لو كان الأمر باتفاق مسبق، نهذ الاثنتان معاً. لذا تهدت أنا  
أيضاً. كان واضحاً أنهما يوفغان حركة الوقت، لكنهما أيضاً لا  
يستطيعان احتجازي هنا إلى الأبد. بهطافة تعريفة في محفظة امرأة  
فارت الحياة ليست سبباً كافياً للاحتجاز. حتى إذا لم يكن لدي مكان  
آخر أثبت وجودي فيه أثناء فوج الجريمة. يمكنهم احتجازي حتى  
تكشف نتيجة رفع البصمات ونشر الجثة عن منهم أكثر وضوحاً.

قال فيشرمان: «حسناً، فلربنا على وقت الغداء».

قلت لهما: «لأنه يبدو أن أسئلتكما استنفدت، سوف أذهب إلى  
البيت».



بيدي فوق المكتب وأن أصرخ - أنتما أيها الأحمقان ليس لكما الحق في عمل ذلك! كنت أريد أن أقت وأغادر المكان. وإذا شئنا الدقة، كنت أعرف أن ليس لوحيدكما الحق في توقيتي، ولكني كنت متعباً للغاية. معصا لوحيدكم لا يمكنني معها أن أقول كلمة أو أن أحتج. إذا لم أكن سوف أحتج، فيحسن بي أن أنقل ما طلبتني. إن ذلك أسرع وأسهل. إنني ضعيف، اعترفت أمام نفسي. أشعر بأنني مهترئ وضعيف. سوف يكون عليهما أن يفيدا حزيني. ولكن حينئذ لن يصلاني حتى طعامهم السيئ أو سخاوت سجنائهم أو مأكيتة الحلاقة. كنت أشعر بأن الشعب ينال مني.

- «هذا غير ممكن»، فاجأت نفسي بذلك القول. «إنني طالع إلى البيت. بين جنبي أن أذهب إلى بيتي. لا يمكنكم توقيتي». أؤبذ بوحش وتستم بشي. لم أنهم. حديق فيلتر ما في السقف وضرب بذلك على الأرض.

قال فيلترمان: «إنك تشعب الأمور. ولكن حسناً إذا كانت هذه هي الطريقة التي ستكون عليها الأمور فسوف تستمر لك مذكرة استدعاء. وسوف تحتاجك هنا بالضرورة للاستجواب في المرة القادمة لأن يكون الأمر نزعاً عليك تعرف منا لا بجالي إليك. سوف يكون من الأسهل لنا أن نؤدي ويطغتنا على هذا النحو أيضاً. ليس ذلك مستحيلاً».

قال بوكيش: «نعم سيدي، سيكون أسهل على المدي الطويل ذلك ما كان ينبغي أن نعلم من البداية. دعنا نحصل على مذكرة».

قلت: «كما نشاء». ولكنني حر حتى تصدر المذكرة. إذا حينما تصدر المذكرة فأنتما تعرفان أين تجداني. أما غير ذلك فلا أبالي. يجب أن أخرج من هنا».

- يمكن أن نضع نحتاً مؤقتاً عليك لحين صدور المذكرة.

كنت على وشك أن أسألهم أن يتنا لي أين يقول القانون ذلك، ولكن لم يكن لدي نظام. ذلك كنت أعرب أنها يتدعاني، ولكن هذا لا يجب.

- سوف أستسلم. سوف أكتب إجابتي. ولكن يجب أن أجري اتصالاً أولاً.

مر لي بثمان الهادي اتصلت برقم يوكي. قلت لها: «إني ما ولدت في قسم الشرطة. يبدو أن ذلك سوف يستغرق الليلة كلها. لا أظن أنه سيكنني الوصول إليك اليوم أبداً، أعديني».

- هل ما زلت في السجن؟

- إنه أمر في غاية الإجهاد.

فالتفت: «هذا ليس عدلاً».

فلما كنت تفعلين؟

قالت: «لا شيء». أقل الوقت ما بين الاستماع للموسيقى وقراءة المجلات وأكل الحماك».

كان كلاهما يحاول استراق السمع.

- سوف أتصل بك فور خروجي من هنا.

أعلن فيلترمان أن وقت الغذاء قد حان.

كان الطعام أشبه بطعام المستشفيات. طعام حمية عقليته. صحت به حالة من الأمراض المتصلة. ولكن مع ذلك التهما الطعام نهاماً. ثم أحضر بوكيش شايه المشهور.

مر وقت ما بعد الظهيرة ببطء كما لو كان نهرأ من الطمي. كان صوت عقارب الساعة هو الصوت الوحيد المسموع في الغرفة. ون

جرس الهاتف في غرفة مجاورة. لم أكن أفعل شيئاً سوى الكتابة. أثناء ذلك كان المخبران يتناوبان في أخذ فسط من الراحة.

مع حلول المساء كنت قد نسخت عشرين صفحة. الإمساك بقمع لساعات هو عمل مضي. لا ينصح به بكل تأكيد. يبدأ إصبعك الأوسط في النورم. إذا أخذك التفكير لثانية سوف تخطئ. عندئذ يجب أن تشعل على الخطأ. أمر يمكن أن يصيب بالجنون. وكاد يصيبني بالجنون.

في المساء، كان أماننا الطعام نفسه. لم أتناول منه شيئاً. كان الشاي ما زال يتقلب في أحشائي. شعرت بالإعباء. فقدت الإحساس من أكون. ذهبت إلى الحمام ونظرت في المرآة. كنت بالكاد أستطيع التعرف على نفسي.

سألت فيشرمان: «هل وصلت إلى أي اكتشافات؟ بصمات أو آثار أو نتائج نشرح الجثة؟»

قال: «ليس بعد. هذه الأشياء تستغرق وقتاً».

واصلت الكتابة حتى العاشرة. كان قد بقي لي خمس صفحات، ولكنني كنت استنفدت قدرتي. لم يكن باستطاعتي كتابة كلمة واحدة أخرى، وأخيرتهما بذلك. افنادني فيشرمان إلى الزنزانة وغرقت في النوم على الفور.

في الصباح كانت ماكينة الحلاقة الإلكترونية نفسها والفوهة. استغرقت الصفحات الخمس مني ساعتين. ثم وقّعت ونصّمت على كل ورقة. ثم فحص بوكيش كل ذلك.

سألت والأمل براودي: «هل يمكنني الذهاب الآن؟»

- إذا أجبت عن عدد قليل آخر من الأسئلة، فحينئذ نعم يمكنك الذهاب.

أطلقت تنهيدة: «إذا نريد مني أن أفهم بمزيد من الأعمال الكتابية؟»

قال بوكيش: «نعم. هذه أمور رسمية. الأعمال الكتابية هي كل شيء. من دون الأوراق ومن دون بصماتك فلا قيمة لما قمنا به».

ضغطت بأصابعي على جانبي رأسي. شعرت كما لو أن شيئاً مغلخلاً قد أدخل في رأسي. كما لو أن شيئاً قد دخل رأسي وانتفخ في مكان أصبح من المستحيل إزالته منه.

- لن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً.

زيد من الإجابات غير المعفولة عن أسئلة غير معفولة. ثم استدعى فيشرمان بوكيش إلى الخارج في الممر. ظل الاثنان بهامسان لوقت لا أعرف مداه. اتكأت في متعدي ورجحت أنامل في السفف. كانت البقع السوداء يمكن أن تشكل صوراً لمنطقة العانة في الأجساد الميتة. جهد منظم لتفويض معنفات الشخص وكرامته وإحساسه بالصواب والخطأ. الإكراه النفسي الذي يعنّش على شعور الإنسان بعدم الاستغفار من دون أن يترك ذنوبات مربية. في مكان بعيد عن ضوء النهار ووليء بالطعام السيئ. يتعرف جسمك بشكل لا يمكنك التحكم فيه.

فعل متعفن.

وضعت يدي على المكتب وأغمضت عيني فيما راح عقلي يفكر في الثلوج السافطة في سابورو. فتدق الدولفين وصديفتي موظفة الاستقبال ذات النظارة. كيف هي الآن؟ نرى هل نكون الآن واقفة خلف الكاونتر وترسم على وجهها تلك الانسامة المصطنعة؟ كنت أريد الاتصال بها في هذه اللحظة؟ لأقول لها نكتة سخيفة. لكنني لم أكن حتى أعرف اسمها.

لا شك أنها كانت تبدو جدادة، خصوصاً حينما نكون منهكة في عملها ومشحونة بروح الفتى غير القابلة للتخديد. كانت تحب عملها. ولبست مثلي. لم أستمع بعملها ولو مرة واحدة. إنني أفهم بعمل جيد. لكن لم يسبق لي أن أحببته. حينما نكون خارج عملها نكون سهلة التأثر وفلغة وهشة. كان بإمكانني النوم معها، لو أنني رغبت في ذلك. ولكنني لم أفعل.

أريد أن أحدث إليها مرة ثانية.

فيل أن يفتلها شخص ما هي الأخرى.

فيل أن نحفي.

(23)

عاد المحققان إلى الغرفة ليجداني ما زلت نائماً في تأمل الفطر. أخبرني فيشرمان بوجه صارم: «يمكنك الذهاب إلى البيت الآن. شكراً على تعاونك».

وأضاف بوكيش معلقاً: «لا مزيد من الأسئلة. لقد انتهت الأسئلة».

قال فيشرمان: «ثمة تغير حدث في الملابسات. لا يمكننا احتجازك هنا لأطول من ذلك. يمكنك الذهاب الآن. شكراً لك مرة ثانية».

نهضت عن مقعدي وارنيت منزلي التي كانت قد نشبت بدخان السجائر. لم أفهم ما الذي حدث، ولكن كان أمراً صارماً في حد ذاته أن أتمكن من الخروج من المكان. اسطحيني بوكيش إلى المدخل. وقال: «اسمع، لقد نبش لنا أنك بريء من الاتهام ليلة أمس. حصلنا على النتائج من المعمل الجنائي ونشريح الجثة. نبش أنك بريء. تماماً. ولكنك نخفي شيئاً ما. إنك تمسك لسانك. ليس من الصعب أن نقرأ ما بداخلك. لذلك فكرنا في احتجازك حتى نوضح بما في داخلك. أنت تعرف من نكون هذه المرأه. لكنك لا تريد أن نخبرنا. لسبب من الأسباب. لعلك نعرف أن الأمر ليس هزلاً. سوف لن ننسى ذلك».

قلت: «معذرة، ولكني لا أفهم عما تتحدث».

قال وهو ينظف أسنانه بعود ثياب: «ربما نزورك ثانية. وإذا فعلنا، كن على يقين أننا ستكون شرسين معك. سوف نكون قد وضعنا أيدينا على أشياء لن نستطيع محاميك أن يفعل إزائها أي شيء يذكر».

سألت بكل برام: «أي محام؟».

ولكنه كان قد اخفى حيثك داخل البناية. أخذت ناكسي ورجعت إلى البيت.

أخذت حماماً وغمرت نفسي بالماء طويلاً. نظفت أسناني بالفرشاة وغسلت وجهي وحلفت ففني.

لم أستطع التخلص من الدخان الذي علق بي. يا له من مكان فذرا!

بعدما أحسست ببعض الانتعاش، قمت بسلق بعض الفينبيط ونناولته مع بعض البيرة. ثم قمت بتشغيل أسطوانة لأثر برابيسوك مدعوماً بأوركسترا كونت بيزي. كان نسجلاً مشيراً، اشترينته قبل ستة عشر عاماً، ذات مرة.

بعد ذلك ثمت، فقط بما يكفي لأن أقول إنني ذهبت إلى مكان ما وعدت منه، ربما ثلاثين دقيقة. حينما استيقظت كانت الساعة الواحدة ظهراً. ما زال في النهار منبسط من الوقت. أخذت سيارتي السويارو ونوجهت إلى حثام سباحة سنداجابا. بعد ساعة من السباحة شعرت من جديد بأنني إنسان. وكنت جائعاً.

هانفت بوكي. حينما أبلغتها أنهم قد أطلقوا سراحي، قالت ببرود: «أمر لطيف». وإنها التزاماً بنظامها الغذائي الذي يعتمد على الوجبات السريعة لم تتناول غير بعض الحلوى طوال اليوم. وإذا مررت عليها الآن فسوف تكون جاهزة وربما مسرورة.

سرت بالسويارو بين الحدائق الخارجية لضريح ميجي وعبر الشارع المحاط بالأشجار المزدية إلى متحف الفن واستندرت لدى أوياما بانجاء ضريح نوجي. كان الطقس يتحسن يوماً بعد يوم مع قدوم الربيع. خلال اليومين اللذين أمضيهما في قسم شرطة أكازاكا، كان النسبم قد أصبح أكثر وداعة وأوراق الشجر أكثر اخضراراً والشمس أكثر سطوعاً ونعومة. بل حتى ضجيج المدينة كان قد بدا منعماً مثل معزوفة موسيقية. كل شيء كان على ما برام وكنت جائعاً. الضغط الذي كنت أشعر به في حائطي رأسي كان قد تلاشى.

كانت بوكي ترنلدي كنزة دافيد بوي تحت ستره بنبة من الجلد. كانت تعلق في كتفها حقيبة من القماش من ماركة «القطط الضالة». مزيج غريب ولكن من أنا حتى أقول ذلك؟

سألته بوكي: «هل أمضيت وقتاً طويلاً مع المحققين؟».

قلت: «بل فولي كثيراً». تزامن ذلك مع بوي جورج وهو يغني.

- ذكروني أن اشترى لك علامة أفسس برابيسي لمجموعتك.

قلت وأنا أشير إلى حقبتها.

- يا لك من أحقق!

ذهبتا إلى مطعم حيث تناول كل منا ساندويتشاً من اللحم المطلي مع السلطة وغبيراً كامل الحبوب. جعلتنا نشرب كوباً من الحليب كامل الدسم أيضاً. وأخذت فوهة بدلاً عن الحليب لنفسني. كان اللحم طرياً وطيباً. مريضاً تماماً. هذا هو الطعام.

سألت بوكي: «حسناً، إلى أين سوف نذهب من هنا؟».

قالت بلا تردد: «تسوجيدو».

قلت لها: «حسناً، إلى تسوجيدو سوف نذهب. لكن ماذا هناك في تسوجيدو؟».

قالت بوكي: «أبي بعش هناك. إنه يقول إنه يريد أن يلتقيك»

- يلتقيني أنا؟

- نعم لا تقل. إنه ليس شخصاً سيئاً.

ارتشفت الفئجان الثاني من القهوة. «لم أفل يوماً إنه شخص سيئ. لكن على أية حال لماذا يريد أن يلتقيني؟ هل تحدثت معه عي؟»

- بكل تأكيد. اتصلت به وأخبرته كيف أنك ساعدتني في العودة من هوكايدو وكيف أن المحققين ألفوا القبض عليك وأنك ربما لا تخرج من تحت أيديهم. لذا فقد كلف والذي أحد محاميي بالسؤال عنك. إنه يملك جميع أنواع العلاقات والاتصالات.

قلت لها: «فهمت، إذاً هذا هو ما حدث».

- إنه مفيد في بعض الأحيان. والذي يقول إن الشرطة لم يكن بحق لها أن تحتجزك كل ذلك الوقت. لو أنك لم تكن راجعاً في البقاء هناك فكان بإمكانك أن تغادر. بحسب الغائون.

قلت: «كنت أعرف ذلك بنفسي».

- لماذا إذاً لم نذهب إلى بيتك؟ فقط انهض وقل لهم إني ذاهب.

قلت بعد لحظات من التفكير: «ذلك سؤال صعب. ربما كنت أعاقب نفسي».

قالت وهي ترفع ذفنها: «أنت لست طبيعياً».

كان الوقت آخر ساعات الظهيرة والطريق إلى تسوجيدو خالية. كانت بوكي قد أحضرت معها حقيبة مليئة بشرائط الكاست. مجموعة متنوعة كاملة بدءاً من بوب مارلي في أغنيته «الخروج» إلى سنايكس في

أغنيته «مستر روبونو». بعضها كان ممنوعاً وبعضها لم يكن كذلك. غرفت بوكي في مقعدتها وهي تستمع بصمت للموسيقى. جربت أن ترتدي نظارتي الشمسية التي كنت قد وضعتها على لوحة عدادات السيارة الأمامية وفي غطة من النفاط أشعلت سيجارة من نوع «فيرجينيا سليم». كان كل تركيزي منصّباً على القيادة أفوم بتغيير السرعات بشكل منهجي، وأركز على الطريق وأراقب كل الإشارات الضوئية بعناية.

كنت أشعر بالعيث من بوكي. كانت ما زالت في الثالثة عشرة من عمرها وكل شيء بالنسبة لها يبدو بما في ذلك المآسي ورائعاً، أو على الأقل جديداً. الموسيقى والأماكن والأشخاص. وهي لذلك كانت تختلف عني. نعم ذات يوم كنت في مكانها، ولكن العالم كان أبسط مما هو عليه الآن. كان المرء يحصل على ما يعمل من أجله، الكلمات كانت ذات معنى والأشياء كانت ذات جمال. ولكني لم أكن سعيداً. كنت طفلاً مستحبلاً في زمن مستحيل. كنت أميل للوحدة وأشعر بأن حالتي أفضل حينما أكون وحيداً ولكن لم أنل هذه الفرصة أبداً. كنت جيبس إطارين اثنين هما البيت والمدرسة. أحببت ذات مرة فناءه ولكني لم أعرف ماذا أفعل حينما ذلك. لم أكن أعرف ماذا يعني الحب. كنت أخرق ومتطوياً. كانت تمنحني رغبة في الثورة على أسانذتي ووالدي. ولكني لم أكن أعرف كيف. كل شيء فعلته فشلت فيه. كنت النقيض التام لجوناندا.

ومع كل ذلك، كانت نمر علي أوقات أشعر فيها بالجمال والانتعاش وأستطيع أن أتنسم الهواء وأحببت موسيقى الروك إند رول. كانت الدعوى دافئة والفنيات جميلات مثل الأحلام. أحببت دور السينما، الظلام والحميمية وأحببت لبالي الصف العميقة والحزنة. قلت لبوكي: «مل نستطيعين التحدث عن ذلك الرجل صاحب

الثوب المصنوع من جلد الغنم؟ أين قابلتيه؟ وكيف عرفت أنني قابلته أيضاً؟».

نظرت إلي وهي تعبد النظارة لمكانها على اللوحة الأمامية للسيارة ثم هزت كتفها. «حسناً، ولكن هل يمكنك أولاً أن نجيب عن سؤالتي؟».

وافقت: «أظن ذلك».

طلت بوكي نددنن بأغنية «نيل كولنز» للحظات ثم انقطعت النظارة مرة ثانية ولعبت بها. «هل تتذكر ما قلته بعد أن عدنا من هوكايدو؟ وهو أنني أجمل فتاة واعدها».

- آه، ههه.

- هل كنت تعني ما تقول؟ أم كنت تحاول أن نجعلني أحبك بحسب؟ قل بصراحة.

قلت: «بصراحة، تلك هي الحقيقة».

- كم عدد الفتيات اللواتي واعدهن حتى الآن؟

- لا أستطيع أن أحصيهن.

- متتين؟

ضحكت: «مهلاً، لست من ذلك النوع من الرجال. ربما أواعد أكثر من فتاة، لكنني لا أواعد مثل هذا العدد. يمكنني أن أقول خمسة عشر كحد أقصى».

- هل هذا قليل؟

أومات. وهذا منحها شيئاً ملغزاً تفكر فيه.

- خمسة عشر. ههه؟

قلت: «نظيفاً. وربما عشرين».

نهذت بوكي بنبرة إحباط: «عشرين. ههه؟ ولكن أنا أجملهن جميعاً».

قلت: «نعم أنت أجملهن».

سألت وهي تشعل سيجارتها الثانية: «ألم تحب أبداً الجميلات؟».

لمحت رجل شرطة في التقاطع الذي أمامي. سحبني السجارة من يدها ورميتها من نافذة السيارة.

قلت: «واعدت بعض الفتيات الجميلات. ولكن لم تكن أيأ منهن في مثل جمالك، إنني أعني ما أقول. ربما تفهمين ذلك بشكل خاطئ، ولكنك جميلة بطريقة مختلفة لا تشبهين بقية الفتيات في شيء». لكن رجاء لا تدخني داخل السيارة، اتفقنا؟ سوف تنشرين رائحة الدخان الكريهة فيها. ولا أريد أن يضع أي شرطي أنفه فيها. وفوق ذلك، ألا نعرفين أن الفتيات اللاتي يدخنن بشراسة وهن صغيرات سوف يحدث لهنّ عدم انتظام في الدورة الشهرية؟».

بكت: «دعني وشأني».

قلت: «والآن أخبريني عن الرجل صاحب الثوب المصنوع من جلد الغنم».

- الرجل المقنّع؟

- كيف عرفت أن ذلك هو اسمه؟

- أنت قلته على الهاتف.

- أنا؟

- آه، ههه.

توقفنا في أحد التقاطعات بانتظار أن تفتح الإشارة. كانت الحركة المروية قد تكثفت على الطريق مع اقترابنا من تسويدو وكان علينا أن ننظر بغير الإشارة، مرتين قبل أن نتمكن من مواصلة السير.

- إذا بخصوص الرجل المقنّع. أين رأيته؟

هزت يوكي كتفها وقالت: «لم أره مطلقاً. لقد خطر ببالى حينما رأيتك». وراحت تُلَفُّ خصلة من خصلات شعرها حول إصبعها. «انسابني هذا الشعور. حول رجل يلبس ثوباً مصنوعاً من جلد الغنم. أمر أشبه بالحدس. حينما قابلتك في الفندق، انسابني هذا الشعور. ولذا احتفظت به. هذا كل ما في الأمر».

كان عليّ أن أسئلكه ذلك. كان عليّ أن أفكره، وأن أندح زناد عقلي.

ألححت عليها: «ماذا نفصدين بأنه أشبه بالحدس؟ هل تفصدين أنك لم نرّه حقاً. أم أنك لمحبت أثره؟».

فالت: «لا أعرف كيف أعبر عن ذلك. لم يكن الأمر كأنني رأيته بعيني. كان شعوراً بأن شخصاً ما رآه بالرغم من أنه لا ندوكة الأيسار. لم أستطع أن أرى أي شيء. ولكن في الداخل، فإن الشعور الذي كان ينسابني كان بأحد أشكال ما. ليس شكلاً محدداً. شيئاً يشبه الشكل. لو كان عليّ أن أوضح ذلك لأحد، فلربما لن أعرف ما هو. ما يمكنني فقط هو أن أفهمه بنفسي. أعرف أنني لا أوضح ذلك بشكل جيد. لكن هل نجحت في ذلك بأي شكل؟».

- بشكل غامض.

رفعت يوكي حاجبها وراحت تعض على إطار نظارتي الشمسية.

قلت لها: «اسمحي لي أن أتكلّم معك في ذلك ثانية. نفولين إنك استشعرت شيئاً في نوعاً من أنواع الشعور أو تداعي الأفكار».

- تداعي الأفكار؟

- فكرة قوية جداً. وكانت مرتبطة بي واستطعت أن تسبهر بها. كما نفعلين في الحلم. هل نعتين شيئاً يشبه ذلك؟

- نعم، شيئاً شبيهاً بذلك. ففكرت فوية ولكن ليس ذلك فحسب. ثمّة شيء كان وراء ذلك. شيء فوي. مثل الطافة التي تولّد التفكير. كان بإمكانني أن أشعر بأنه هناك. كان ذلك أشبه بالاهتزازات التي يمكنني رؤيتها. ولكن ليس مثل حلم. وإنما مثل حلم خالٍ من الأحداث. هذا هو، حلم خالٍ من الأحداث. لبس فيه أحد، لذا فإنك لا تروى أحداً. هل نعلم، مثلاً نجعل درجة السطوع في التلفزيون أقل ما تكون فلا يظهر شيء من الصورة. لا يمكنك أن تروى شيئاً. ولكن هناك صورة على الشاشة. ولكن إذا أغمضت عينك، يمكنك أن تشعرك كيف تكون الصورة. هل نهم ما أقصد؟

- آه.

- على أي حال، كان بإمكانني أن أرى هذا الرجل في ثوب مصنوع من جلد الغنم. لم يكن يبدو أنه شرير أو شيء من ذلك. ربما لم يكن حتى رجلاً. ولكن المهم أنه لم يكن شيئاً. لا أعرف كيف أقول ذلك. لا يمكنك أن تراه، ولكنه أشبه بحرارة تلمس جسمك. هل تعرف إنه شيء أشبه بغوام بلا شكل. اعذرنني على شرحي السيئ.

- لا، شرحك جيد.

- حقاً؟

أردفت: «حقاً».

واصلنا طريقنا بمحاذاة البحر. بجوار بستان من شجر الصنوبر أوقفت السيارة وافترحت أن نمشي بعض الوقت. كان الطقس جميلاً بعد الظهيرة، لا رياح، وكانت أمواج البحر تنكسر بهدوء. فقط سلسلة من التمزجات الصغيرة تفترب من الشاطئ. نظام هادئ ومثالي. كان ممارسو رياضة ركوب الأمواج قد استسلموا للمنعب

فجلسوا على الشاطئ، يملأهم المبللة وهم يذخنون. كان الدخان الأبيض يتصاعد في خيوط إلى أعلى مثل المراتب ثم ينتجه يساراً حيث جزيرة إبنوشبما. وكان هناك كلب أسود بجري بين المرحلات الكبيرة من اليمين إلى اليسار. وفي البعيد كانت مراكب الصيد تمخر المياه الأعمق فيما كانت مجموعات من النورس الأبيض تحلق فوقهم في هدوء. لقد حل الربيع حتى في البحر.

نمشيت أنا ويوكي على الشاطئ ومررنا بالمتريضين وتلاميذ المدارس الذين يركبون الدراجات يسرون في الاتجاه الآخر. أبطأنا البخلو في انجاء فوجيساوا ثم جلسنا على الرمال ونحن ننظر إلى البحر.

سألته: «هل عايشت نجارب مثل هذه قبل ذلك؟».

فالت يوكي: «أحياناً، أو نادراً في وافع الأمر. ننتابني هذه المشاعر مع عدد قليل من الأشخاص. وأحاول أن أتجنبهم قدر الإمكان. إذا شعرت بشعور كهذا أحاول ألا أفكر فيه، أحاول أن أزبجه بعيداً. بهذه الطريقة أضمن ألا أشعر به بشكل عميق جداً. الأمر أشبه بإغماض الشخص لعينيه حينما لا يريد أن يرى ما هو أمامه. مثلما يكون هناك مشهد مرعب في فيلم ولا تريد أن تراه فتغمض عينك حتى ينفضي المشهد».

- ولكن لماذا تمنضين عينيك؟

- لأنه أمر شنيع أن تراه. حينما كنت صغيرة لم أكن أغمض عيني. في المدرسة، كنت إذا ما شعرت بشيء أخبر كل شخص بالامر بشكل مباشر. ولكن عندئذ، بدأ الجميع يشتمونني. إذا كان شخص ما سوف يلحق به أذى، فسوف أقول فلان سوف يلحق به أذى وأنا متأكدة أن ذلك سوف يقع. لقد تكرر ذلك المرة تلو المرة،

حتى بدأ كل شخص يعاملني كما لو كنت شبحاً غريباً. وهذا هو الاسم الذي كانوا يطلقونه عليّ. تلك كانت السمعة التي حظيت بها. كان أمراً فظيماً. لذا ومنذ ذلك الوقت فررت ألا أقول أي شيء. والآن إذا كنت لا أرغب في الشعور بأي شيء، فإني ببساطة أغمض عيني.

- ولكن معي، لم تغمضي عينك.

هزت كتفها، «كان ذلك مصادفة. لم يكن ثمة إنذار. حفيظة، فوجئت بالصورة تبتق أمامي. في أول مرة رأيته فيها. كنت أستمع لموسيقى دوران دوران<sup>(1)</sup> أو داليد بوي أو مطرب آخر ولم أكن مستعدة. كنت في حالة استرخاء. فأنا أحب الموسيقى».

سألته: «إذا فأنت تملكين القدرة على استيعاب الغيب. كأن نعرفي مسبقاً أن زميلك في الصف الدراسي سوف يصيبه أذى».

- ربما، ولكن بشكل مختلف. حينما يوشك شيء أن يقع، تكون هناك أجواء ينسرب إليّ من خلالها الشعور بأن ذلك الشيء سوف يقع. أعرف أنه يبدو غريباً على سبيل المثال مع الشخص الذي سوف يصاب فوق العارضة العليا، حيث يكون هناك اللامبالاة أو الثقة الزائدة التي تغشى الأجواء، تقريباً مثل أمواج الأثير. الأشخاص ذوو الحس يمكنهم التقاط هذه الموجات. إنها أشبه بالحبوب في الهواء، بل ربما حتى جبوب محسوسة في الهواء. يمكنك أن ننبأ بأن ثمة خطراً. وذلك حينما تبتق هذه الأحلام المخاوية. لكنها ليست مثل إنذار ميكرو. إنها أقل تحديداً. لكنها تظهر ويمكنني رؤيتها، ولكنني لا أتحدث عنها أبداً. لا أريد أن يسبقني الناس شبحاً. لذا أغلق فمي. ربما أرى أن ذلك الشخص الذي هناك سوف يحترق. وربما يحترق.

(10) مطرب أغاني بوب إنكليزي.



ولكن لا يمكنه أن يلموني. أليس ذلك شيئاً فظيهاً؟ إني أكره نفسي بسبب ذلك. لذا أغمص عيني. إذا أغمصت عيني، فهذا يعني أنني أغلقت نفسي، ولن أكره نفسي.

واحت نظض على الرمل بيديها ثم تركته ينزل من بين أصابعها. سألتني: «هل هناك حقاً ذلك الرجل المفتح؟».

قلت: «نعم هناك حقاً. يعيش في مكان ما في ذلك الفندق. فندق آخر تماماً داخل الفندق. لا يمكنك رؤيته في معظم الأوقات. ولكنه هناك. ذلك هو المكان الذي يعيش فيه الرجل المفتح حيث نلظي كل الأشياء التي تنصل بي من خلاله. الرجل المفتح هو أشبه بخادم لدي، وأشبه بمشغل لوحة المفاتيح. إذا لم يكن موجوداً فلن أتمكن من الاتصال على الإطلاق».

- ماذا؟ الاتصال؟

- نعم، حينما أكون بصدد البحث عن شيء، وحينما أريد أن اتصل، إنه الشخص الذي يفعل ذلك.

- لم أفهم.

بدأت أمسك الرمل بيدي ثم أنكرته ينزل من بين أصابعي أنا أيضاً.

- أنا نفسي ما زلت لا أفهم ذلك. ولكن هكذا شرح لي الرجل المفتح الأمر.

- هل نعي أن الرجل المفتح كان هناك منذ زمن؟

- آه، ماذا، منذ زمن؟ منذ أن كنت طفلاً. ولكنني لم أدرك أن له شكل الرجل المفتح إلا فيل فترة غير طويلة. لماذا هو موجود في ذلك المكان؟ لست أدري. ربما كنت أحتاج إليه. وربما لأنه مع تقدم العمر في العمر، نأخذ الأشياء في التفكك، لذا تكون هناك حاجة إلى

شيء يساعد في تجمعها. ولكن كيف نعرف؟ كلما فكرت في ذلك، بدا لي الأمر أكثر غربة. بل أكثر حفاة

- هل سبق أن حدثت أحداً بذلك الشأن؟

- لا، لو أنني فعلت، من سيصدقني؟ من سيفهم عن أي شيء أنحدث؟ وعلى أي حال فلنني لا أستطيع أن أشرح بشكل جيد. أنت أول شخص أخبره بذلك.

- أنا أيضاً لم أنحدث لأحد عن ذلك الشيء الذي أخبرتك به. أمي وأبي يعرفون عن ذلك قليلاً. ولكننا لم نناقشه أبداً. بعد أن حدثت في المدرسة فزرت أن أغلق فمي.

قلت: «حسناً، إنني سعيد أننا نبادلنا الكلام حول ذلك الأمر».

فالت يوكي: «نادي الأشياء يرتحب بكم».

«لم أذهب إلى المدرسة منذ الإجازة الصيفية الماضية»، قالت لي يوكي ونحن نتمشى في طريق عودتنا للسيارة، «ليس لأنني لا أحب الدراسة. بل مجرد أنني أكره المكان. لا يمكنني احتماله. أشعر أنه بمرضني، مرضاً جسمانياً. كنت أنفياً كل يوم، وفي كل مرة أنفياً فيها، كانوا يتألمون ضدي بشكل أكبر. بل حتى المدرسون كانوا يتعذرون الإساءة لي».

- لماذا يمكن لأي شخص أن يتعمد الإساءة لفتاة في جمالك؟

- الأطفال بعيون الإساءة للأطفال الآخرين. وإذا كان والدك من المشاهير فسوف تصبح الأمور أسوأ. أحياناً يعاملونك معاملة خاصة، ولكن معي فهم يعاملونني كشيء نافع. على أي حال إنني أواجه صعوبة في التأقلم مع الناس للبدن من جديد. إنني دائماً متوترة لأنني ربما بتعين عليّ أن أغلق نفسي في أي لحظة. ولذلك ظهرت لدي تلك الحركة العصبية التي نجعلني مثل البطة وهم يعيزوني

بذلك. الأطفال يمكن أن يكونوا دنيئين حقاً. لن تصدق كيف أنهم بهذه الوضاعة.

قلت لها وأنا أسحب يدعا وأمسك بها: «حسناً، تناسيهم. إذا لم تكوني تشعرين بالرغبة في الذهاب إلى المدرسة فلا نذهبي. لا نجبري نفسك. المدرسة يمكن أن تكون كابوساً حقيراً. أعرف ذلك. يمكن أن يكون لديك هؤلاء الحمقى من الزملاء والمدرسين الذين ينصرفون كما لو كانوا يملكون العالم. ثمانون في المئة منهم إما كسالي وبلا هدف أو مرضى نفسيون يبلذذون بتعذيب الآخرين، أو كلاهما. ناهيك عن الفوائد الغريبة. إن النظام بكامله تم تصميمه لسحقك ولذا يحصل هؤلاء الأطفال الذين يعدم لديهم الخيال على درجات عالية. أراهن أن ذلك تم بتغير ولو قليلاً عما كان».

- هل كانت المدرسة كذلك بالسبة لك أيضاً؟

- بالطبع، يمكنني أن أحدث طويلاً عن كيف كانت المدرسة حمقاً.

- ولكن المدرسة الإعدادية إلزامية.

- هذا ما يمكن أن يقلق بشأنه الآخرون. ولكن ليس أنت. ليس إلزامياً أن يذهب الشخص إلى مكان يشعر فيه بأنه باتس. على الإطلاق. لديك حقوق أيضاً، هل تعرفين؟

- ثم ماذا بعد ذلك؟ هل ستظل الأمور كما هي الآن؟

قلت لها: «حينما كنت في الثالثة عشرة، كانت الأشياء تبدو كذلك. المشكلات يمكن أن نحل. وإذا لم نحل، يمكنك التعامل معها حينما يحين الوقت. حينما تكبرين بعض الشيء سوف تفهمين في الحب. سوف تشترين صدرية. سوف تتغير نظرتك للعالم بشكل كلي».

استدارت نحوي وهرت رأسها غير مصدفة وقالت: «ولده، هل أنت أحمق! لمعلوماتك الغنيات اللاتي بلغن الثالثة عشرة يلبسون صديرة بالفعل. إنك متأخر نصف قرن، أقسم على ذلك!».

ذكرتها: «إنني في الرابعة والثلاثين فقط».

قالت بوكي: «خمسین عاماً. الزمن بطير بينما أنت أحمق».

عند ذلك، ففدعتني في سيارنا نحو السيارة.

فان مايجبوا يمارس العولف في الحديقة الخلفية للمنزل . كان الكاتب الشهير يحاول أن يصيب الهدف في الوسط بكرات برضاء صغيرة . كنت أسمع صوت العصا بعد كل ضربة للكرة . كان ذلك أحد الأصوات القليلة المفضلة لدي . ومع ذلك كنت أكره العولف .

وضع ماكيمورا عصاه وأمسك بجيبه فخرطة وقال ليوكي : «جميل إن أراك» . لكن ليوكي تقاضرت بأنها لم تسمع . أشاءت بوجهها وأخرجت قطعة من العلكة من جيب سترتها وراحت تمضغها بصوت عال . ثم أقت الغلاف الورقي للعلكة وألقت به في إحدى الزهريرات . حاول ماكيمورا من جديد : «أما أراك في مرحباً يا أبي على الأقل؟» .

قالت ليوكي صاخرة وهي تدخل بدا في جيب الستة باحثة عن شيء : «مرحباً» . نادى ماكيمورا الخادم بطريقة جافة : «الذهب وأحضر لنا بعض البيرة» .

«حاضر سيدي» . أجاب الخادم بصوت واضح مسرعاً نحو المنزل . سعل ماكيمورا ونقل ثم مسح جبهته مرة ثانية . ثم بعد ذلك راح يفحص الهدف على الشبكة الخضراء متجهاً وجودي . كنت قد شغلت نفسي بالصخور المنطاة بالطحال .

كان المشهد برمتيه يبدو مصطنعاً وفيه القليل من العيش . لم يكن هناك شيء بعينه بدا غريب . شعرت كما لو كنت الشاهد محاكاً نهكسة . مسرحية المؤلف خائفة . فيما بدا أن جوتاندا كان بإمكانه أن يلعب كلا الدورين بشكل يجعلهما أكثر جدية وإقناعاً . قال الرجل المشهور : «أخبرتني يوكي أنك كنت تعني بها» . قلت : «لم أفعل شيئاً فقط اصطحبتها على الطائرة القادمة من

(24)

كان الوقت غسقاً حينما وصلنا إلى منزل والد يوكي القريب من الشاطئ . كان المنزل كبيراً وعميقاً ونحيط به أشجار كثيفة . كانت المنطقة تشع بالسمير التقدم ليلياً أنتجع شرنان . في حضرة الربيع كان السكون يحيط على كل شيء . كانت أشجار الكرز قد بدأت تخرج براعمها . ييمفونية رائعة من الألوان والروائح ينعكس نغمة من يوم إلى يوم تحول الفصول ويجعلك تتساءل هل ما زالت هناك أماكن مثل هذه .

كانت نينا ماكيمورا بحالة بسوء نفسي حالاً ، والبوابة مغطاة بسقف تقليدياً صغير . لم يكن فيها شيء جديد سوى اللوحة التي تحمل الاسم طرقت المجرس فخرج لنا على الفور شاب يافع في أواسط العشرين وسمح لنا بالتدخل . كان واضعاً على يوكي النقطة مرات عديدة قبل ذلك . قدم نفسه لنا باعتباره صاعداً مكيمورا .

- أعمل كسائق له ، أقوم بتوصيل مخطوماته وإيجله ، وأصبحه في سفره للخارج رأي شيء آخر . إنني ما كان يعرف في الأزمان السابقة الخادم الخاص بالتصديق .

كنت أسمع أن يوكي وشغلته مخرج مائة غير مهذبة . لكنها لم تقل أي شيء وهو ما أثار دهشتي . يبدو أنها يمكن أن تكون مهذبة إذا أرادت ذلك .

هو كايبدو. والأهم من ذلك اسمح لي بأن أشكرك على مساعدتك لي مع الشرطة».

«لا شكر على واجب. يسعدني أن أرد لك حسن صنعك مع بوكي. من النادر جداً أن نطلب مني إبتني شيئاً. كنت أشعر بسعادة غامرة وأنا أساعدك. إنني أمفت الشرطة. كانت لي مواجهة معهم عند البرلمان في السنينات حينما قتل ميشيكو كاتبا. في تلك الأوقات.

انحنى للإمام وأمستك بعضا الغولف وهو يضرب برأس العصا على قدمه. اسندار وهو يحدق في وجهي ثم أنزل عينيه ناظراً إلى قدمي ثم نظر إلى وجهي مرة ثانية.

سألني: «هل تلعب الغولف؟»

قلت: «لا، يؤسفني ذلك».

«هل تكره الغولف؟»

«لا أحبها أو أكرهها. لكنني لم أمارسها أبداً.

ضحك. «لا يوجد شيء اسمه لا تحبها ولا تكرمها مع الغولف. كل من لم يلعب الغولف بكرمها. هذه هي حقيقة الأمر. لذلك كن صادقاً معي».

قلت: «حسناً، إنني لا أحب الغولف».

«ولماذا لا تحبها؟»

«أظن أنها سخيفة. الألعاب والملاهي والأحذية المبالغ فيها. النظرات التي تظهر في العيون والطريقة التي يرمف بها الناس الأذنان حينما نتخني لقراءة الأرضية. أشياء قلبية مثل ذلك تثير امتعاضي.

«الطريقة التي يرمف بها الناس الأذنان؟»

أجبت ملخصاً الموضوع: «مجرد ملاحظة. لا أفصد بها أي شيء. ولكن ثمة شيء يتعلق بلعبة الغولف لا ينسجم معي».

حدّق ماكيمورا في وجهي في صمت.

«هل تشكو من شيء يا بني؟»

قلت: «لا، أبداً. إنني طبيعي للغاية. أظن أن نكائي ليست مرحلة بما يكفي».

قبل أن يمر وقت طويل، حضر الخادم حاملاً البيرة مع كأسين على صينية. وضع الصينية وقام بصب الشراب لنا ثم انحنى سريعاً.

قال ماكيمورا رافعاً رأسه: «نخبك».

قلت رافعاً رأسي: «نخبك».

لم يكن باستطاعتي أن أحدد عمر ماكيمورا ولكنه على الأقل كان في أواسط الأربعينات من عمره. لم يكن طويلاً ولكن فواله الصلب جعله يبدو أشبه برجل ضخّم الجسم. كان واسع الصدر وذو ذراعين ورفية منبتين. كانت رقبته بدينة. لو كانت أقل بدانة، لأمكن أن يكون رياضياً وعلى التفتيش تماماً من رجل يدوت الشؤون حيانه. تذكرت صوراً لماكيمورا التحيف صاحب النظرات الثاقبة. لم يكن وسيماً بشكل واضح ولكن كان يتشبه بحضوره الذي ما زال يملكه. كم عدد السنين التي انقضت منذ ذلك الحين؟ خمس عشرة؟ ست عشرة؟ اليوم شعره نصير وقد غطه الشيب. كان لون بشرته بنياً وبرتدي قميصاً من نوع لاكوتس لم يكن بإمكانه أن يجمع عراه عند الرقبة.

قال ماكيمورا: «سمعت أنك كاتب».

قلت: «لست كاتباً بمعنى الكلمة. إنني فقط أكتب عند الطلب. كتابات تافهة بناء على عدد الكلمات التي يحتاجون إليها. كتابات بتعين على شخص أن يقوم بها وأظن أنه ربما أكون أنا ذلك الشخص. سوف أعفك من سماع كلامي وإسهامي عن جرف الثلوج».

قال ماكيمورا ضاحكاً وهو يضع عصاه جانباً: «جرف الثلوج، ههه؟ فكرة ذكية».

قلت: «يسرني أن أفكر بهذه الطريقة».

- حسناً، هل نحب الكتابة؟

- لا يمكنني أن أقول إنني أحبها أو أكرهها. إنني بارع فيها أو ربما يجب علي أن أقول كفاء. إنني أملك المهارة والكيفية والأدوات والموقف، كل ذلك. لا أهم بهذا الجانب.

- آه.

- لو أن مستوى الوظيفة أدنى من ذلك، لكنت أكثر بساطة على أية حال.

«إسمع». استغرق في التفكير لبرهة. «هل هذه العبارة من اشتغالك «جرف الثلوج»؟»

قلت: «نعم».

- هل نمانع إذا استخدمنا في مكان ما؟ إنها تعبير مثير.

- لا، يمكنك استخدامها بدءاً من هذه اللحظة. لم أسجل حقوقي مكتوبة فكرياً عليها.

قال ماكيمورا وهو بداعب شحمة أذنه: «إن ذلك هو تماماً ما أشعر به أحياناً. لم يكن الأمر كذلك. كان العالم أصغر». وكان بإمكانك التحكم في الأشياء، وكنت تعرف أو نظن أنك تعرف الذي كنت تفعله. كنت تعرف ما الذي يريد الناس. لم تكن وسائل الإعلام بهذا الحجم والاتساع».

أفرغ كأسه، ثم صب كأسين آخرين لكلينا. وفضت فاتلاً إنني سأفقد السبارة، لكنه تجاهل كلامي.

قال وهو ينظر إلى الشبكة الخضراء الممتدة بين جذوع الأشجار: «ولكن ليس الآن. ليس هناك عدل. لا أحد يهتم. الناس يفعلون ما يتعين عليهم فعله من أجل البقاء. جرف ثلوج. نماعاً كما نقول».

كانت توجد حوالى ثلاثين إلى أربعين كرة غولف على الحشيش.

بدأ ماكيمورا وكأنه يفكر في ما سيقول لاحقاً. استغرق ذلك وقتاً. ليس لأن ذلك بطفله، وإنما لأنه اعتاد أن ينتظر الناس كل كلمة يقولها. فررت أن أفعل الشيء نفسه. ظل بشد شحمة أذنه.

وأخيراً استأنف ماكيمورا الكلام ثانية: «ابتني تعلقت بك. وهي لا تتعلق بأي شخص. أو بالأحرى هي لا تتعلق بأحد تقريباً. نادراً ما تتكلم إليّ. كما لا نقول الكثير لأمرها أبشاً. ولكن على الأقل تحترسها. أما أنا فلا تكن لي أي احترام. ولا ذرة من الاحترام. نظن أنني أحمق. ليس لديها أي أصدقاء. لا نذهب إلى المدرسة، نظل دائماً في غرفنا بمفردها، نسمع ذلك الضجيج الذي تسمعه موسى. لديها مشكلات مع الناس. ولكن لسبب ما تعلقت بك أنت. لست أدري لماذا».

- ولا أنا.

- ربما لأن لديك روح طفل؟

- ربما.

- فل لي ما رأيك في بوكي؟

بدأ الأمر بشبه مقابلة شخصية للحصول على وظيفة. «بوكي في الثالثة عشرة وهذه مرحلة عمرية خطيرة»، أجبته مباشرة. «ومن خلال ما يمكنني فهمه فإن بيتها المنزلية بيتة كارثة. لا أحد يعتني بها. لا أحد يتحمل مسؤوليتها. لا أحد يتحدث إليها. إنها نشعر بالوحدة وذلك يؤذيها. لديها والدان شهيرون. وهي في غابة الجمال. لديها حساسية شديدة إزاء كل شيء حولها. وهذا عبء ثقل للغاية بصعب على أي فتاة في الثالثة عشرة حملها».

- ولا أحد يميزها اهتماماً مناسباً.

- ذلك ما أظنه .

تتهدد تنهيدة طويلة . ترك أذنه وحيداً في أصابعه . «أعتقد أنك على صواب، على صواب تام . ولكن ليس بإمكانني أن أفعل شيئاً حبال ذلك . حينما وقع الطلاق بيني وبين والدتها، وقَعْتُ أوراقاً تقول إنني سوف أتخلّى عن بوكي . لا يمكنني التحايل على ذلك . لم أكن الزوج المخلص في ذلك الوقت، لذا لم أكن في وضعية تؤهلني للمطالبة بحضانتها . وفي الواقع عليّ أن أحصل على إذن من أمي قبل أن أرى بوكي كما هو الآن . والشئ الآخر كما قلت آنفاً فإن بوكي لا نكنّ لي كثيراً من الاحترام . ولذا فإني في مأزق . ولكنني سوف أفعل كل ما أستطيع من أجلها» .

عاد بحديث في الشبكة الخضراء ثابتة . كان المساء قد بدأ برغي سدوله على المكان بشكل أعمق وأظلم .

قلت : «لكن الأشياء لا يمكن أن تستمر على الشاكلة التي كانت تسير عليها . هل تعرف أن والدتها طارت إلى كاتماندو ولم تتذكر أن بوكي ما زالت في الفندق في هوكايدو إلا بعد مرور ثلاثة أيام؟ ثلاثة أيام . وبعدما أحضرْتُ بوكي إلى طوكيو ظلت حبيسة تلك الشقة ولم تذهب إلى أي مكان على مدى أيام . على حد علمي كل ما كانت تفعله هو الاستماع إلى موسيقى الروك وتناول الوجبات السريعة . أكره أن أكون واعظاً من الطليعة الوسطى، ولكن ما يحدث لها ليس أمراً صحياً» .

قال ماكيمورا : «أنا لا أجادل . ما نقوله صحيح مئة بالمئة . لا هبل متين بالمئة . ولهذا السبب أردت التحدث إليك . وإلا ما السبب الذي دفعني لأن أجعلك تنقطع كل هذه المسافة» .

اتناهنتي بعض مشاعر الشاؤم . الجياد ماتت . والهنود توقفوا عن فرع طيولهم . كان الجو ساكناً تماماً . حككت جانبي وأسي بيدي .

بدأ كلامه حذراً : «كنت أنساك لو أنك لا تمنعني في أن تعطيني بوكي . ليس بشكل رسمي أو شيء من هذا القبيل . فقط ساعتين أو ثلاث ساعات كل يوم . امض معها بعض الوقت . تأكد أنها بخير وتأكل طعاماً جيداً . هذا هو كل شيء . سوف أدفع لك مقابل وفك . يمكنك أن تعتبر ذلك تدريباً خصباً دون أن تُدرّس . لا أعرف كم مقدار المال الذي تكسبه لكنني أضمن لك أنه سيكون قريباً من ذلك . وبقي الوقت يمكنك أن تفعل ما تشاء . ليست هذه الصفقة بالخاسرة، أليس كذلك؟ لقد تحدثت بالفعل مع والدتها بهذا الشأن . إنها في حلوي الآن وقد وافقتني على أن تلك فكرة جيدة . إن أمها، حتى لو لم يذُ عليها ذلك . تضع مصلحة بوكي في قلبها . إنها فقط مختلفة . إنها ذكية ولكن أحياناً يطير عقلها إلى طبقة الستراتوسفير . إنها تنسى وجود الناس والأشياء من حولها . بل حتى كانت نواجه صعوبات في الرياضيات والأرقام» .

قلت مبسماً ومن دون افتناع كبير : «حسناً، ولكن ما نحتاج إليه بوكي أكثر من أي شيء آخر هو حب أحد والديها، حب غير مشروط . وأنا لست والدتها ولا يمكنني أن أمنحها ذلك . إنها أبشاً نحتاج إلى أصدقاء في مثل سنّها . وأنا رجل كبير جداً بالنسبة لها . فناء في الثالثة عشرة هي امرأة بشكل من الأمثال . إن بوكي جميلة للغاية وغير مستفزة عاطفياً . هل نعهد بفناء بهذه المواصفات إلى رعاية شخص لا نعرف من أين أني؟ ماذا نعرف عني؟ لقد كنت موفوقاً للثو من قبل الشرطة بسبب جريمة قتل . ماذا لو أنني كنت القاتل؟» .

- هل أنت القاتل؟

- بالطبع لا .

- إذا ما هي المشكلة؟ إنني أثق بك . ما دمت تقول إنك لست القاتل . فلست القاتل .

- ولكن لماذا تنق بي؟

قال ماكجورا: «لا يبدو أنك من النوع الذي يمكن أن يقتل. كما أنك لا تبدو من النمط الذي يمكن أن يغتصب. هذه الأشياء واضحة للغاية. وبقولك ذلك فإن يوكي هي الأهم هنا، وأنا أتق بفطرتها. أحياناً نكون فطرتها حادة الذكاء لدرجة الإزعاج. إنها مثل وسيط. مرت أوقات كان بإمكانني أن أجزم أنها نرى شيئاً لا أراه. هل تعرف ما أقصد؟»

قلت: «إلى حد ما».

- إنها تستمد ذلك من والدتها. إنه الجانب الشاذ فيها. والدتها وجهت الجانب الشاذ كله إلى فنتها. لذلك فإن الناس يعتبرونها موهوبة. ولكن يوكي لم نجد أي مجال أو طريق نصرف فيه ما لديها من موهبة. إنه فقط بقبض منها من دون أن يوجد مكان يُصرف إليه. مثل ماء بقبض من دلو. لكنني لست مثل أي منهما. لست شخصاً غريباً. وهذا هو السبب الذي من أجله لم تكن أي منهما نأبه لي. حينما كنا نعيش معاً، حدث ذلك، ولذا لم أكن أريد أن أرى وجه امرأة أخرى. لا أعرف إن كان بإمكانك أن تتخيل كيف كانت عليه الحال، أن أعيش مع أمي ويوكي. أمطار وثلوج. لقد أنهكتني تماماً. بالطبع أنا أحبهما، ما زلت أتحلى إلى أمي بين فنت وأخرى. كان ذلك جديماً. ربما كانت لدي مواهب ذات مرة، ولكن العيش بهذه الطريقة أضعفني تماماً. هذه هي الحقيقة. ولكن مع كل ذلك، لم أنصرف بشكل سيئ، يجب علي أن أقول. جرف الثلوج، ههه؟ عبارة جميلة. ولكننا خرجنا عن الموضوع. عن أي شيء كنا نتكلم؟

- عما إذا كان يجب عليك أن تنق بي.

قال وهو يبتلع مرة ثانية: «نعم، إنني أتق بحدس يوكي. ويوكي تنق بك. إذاً أنا أتق بك. ويمكنك أن تنق بي. إنني لست ذلك

الشخص السيئ لهذه الدرجة. إن ما أكتبه هراء ولكن يمكن أن أكون موضع ثقة. إذاً ما رأيك في الأمر؟ هل ستمتني يوكي؟ لست غافلاً عما قلته عن دور والديين. أوافقك الرأي تماماً. ولكن يوكي فتاة استثنائية. وكما ترى فإنها نادراً ما تتحدث إلي. وأنت الشخص الوحيد الذي يمكنني الاعتماد عليه».

حدقت في رغبة البيرة في كأس. ماذا ينبغي علي أن أفعل؟ عائلة غريبة. ثلاثة أشخاص غريبين وفرايدي غامض سيده.

قلت: «لا أمانع أن أرى يوكي أكثر من مرة. ولكنني لا أستطيع، ولن أفعل ذلك كل يوم. لدي حياتي وشؤوني الخاصة، كما لا أحب أن أرى الناس بناء على التزام. سوف أراها حينما أرغب في ذلك. ولا أحتاج إلى أموالك ولا أريدها. ولست معوزاً، كما أن النفوذ التي أنفقها مع يوكي لن تختلف عن تلك التي أنفقها مع أسدغاني. إنني أحب يوكي كثيراً وأرثاق لرويتها، ولكنني لا أريد تحلل المسؤولية. هل تفهمني؟ لأنه إذا ألمت بيوكي أي شيء فإن المسؤولية في نهاية الأمر سوف تقع علي».

أوماً ماكجورا عدة مرات. اعترت حركة من الرعدة لفات اللحم التي أسفل أذنيه. لا يمكن للعبة الغولف أن تزيل هذه الدهون. إن ذلك يستدعي تفسيراً شاملاً للعباءة. ولكن ذلك كان فوق قدراته. لو أن ذلك كان بمقدوره لكان غير منذ زمن طويل.

قال: «أنفهم ما تقول يا بني وهو واضح تماماً. لكنني لا أحاول أن ألقي بأي مسؤولية على كاهلك. لا حاجة لأن تتحمل مسؤولية على الإطلاق. ليس أمامي أي خيارات أخرى، ولذا فإنني سوف أخضع لحكمك. الأمر لا يتعلق بالمسؤولية. أما المال فبممكنني التحدث عنه حينما يحبون وقته. إنني دائماً أسد دبرني. فقط تذكر ذلك. إنني أثرك الأمر لك. افعل كما نشاء. إذا احتجت إلى مال

فاتصل بي أو بأمي، لن بقصر أي منا في هذه الجزية. لذا لا نشعر بأنك غريب».

لم أتفوه بكلمة.

أضاف ماكيمورا: «يبدو أنك شاب عنب».

- أنا لست عنباً. إنني فقط أحمل بما يمل به علي نظامي.

قال: «نظامك»، وراح يمسك بشحمة أذنه مرة أخرى. وربما يكون نظامك غير دقيق هذه الأيام. يبدو أنه قد أصبح خارج الخدمة ولحق بالمكبرات الصوتية للأنيوب المفرغ المصنوع يدوياً. بدلاً من أن تضيق كل وفك في محاورك لبناء واحد خاص بك، يمكنك أن تشتري نظام استقبال جديداً. إنه أرخص وصونه أفضل. وإذا ما أصابه عطل فإنهم يأتون لإصلاحه على نحو سريع. وحينما يتقدم يمكنك استبداله. ربما يكون نظامك يا ولدي ليس مضافاً للمياه. ربما كان يساوي شيئاً قبل ذلك. ولكن ليس الآن. في هذه الأيام التقود تتحدث. أي شيء يمكنك أن تشتريه بالمال. يمكنك أن تشتريه جاهزاً ثم تقوم بتجميعه. إنه بسيط. وليس شيئاً. إذا حدث خلل بنظامك فسوف نتخلف كثيراً. لا يمكنك أن تقوم بالعملاقات حادة ونعوق طريق الآخرين».

- مجتمع رأسمالي متقدم.

قال ماكيمورا: «لقد فهمت ما أقصد». ثم سمعت.

كان ثمة كلب قريب بعوي بشكل مجنون. ثمة شخص كان يتلثم في سوناتا لموزار تعزف على البيانو. جلس ماكيمورا على المنصة المستوفة في الحديقة الخلفية ومعه البيرة وهو يفكر.

كان الظلام يتلحم المشهد بكامله. الأشياء كانت تفقد أشكالها وتنصهر بعضها مع بعض. فجأة كان جوناثان بأصابعه الرقيقة يمسد

ظهر كيكبي العربيان، وكانت شوارع سابورو بعدما كسحت عنها الثلوج، وصوت الوفواف من ماي الفناء العنزة، والشخص صاحب القدم المسحاة وهو يضرب بالمسطرة اليدوية على راحة يده، والرجل صاحب الثوب المصنوع من جلد الغنم في نهاية الردهة الممتعة. .. كان كل ذلك ينصهر ويسترج. لا بد أنني منعب. قلت في نفسي. لكنني لم أكن متعباً. إنه فقط جوهر الأشياء التي تتأكل. ثم بعد ذلك تدخل في دوامة من الفوضى. وكنت أنظر إليها كما لو كانت جزءاً من طبقة من طبقات الغلاف الكوني. عزف على بيانو وكتب بعوي وشخص ما يقول شيئاً. ثمة شخص كان يتحدث إلني.

«ماذا دهك يا ولدي»، جاءني صوت ماكيمورا.

نظرت إليه.

كان يقول: «أنت تعرف شيئاً عن تلك المرأة المقتولة، أليس كذلك؟ الصحف تقول إنهم لم يعرفوا بعد من تكون وإن المفتاح الوحيد هو بطاقة تعريفية وجدت في حافطتها. يبدو أنهم كانوا يستجوبون صاحب البطاقة، لكن اسمك لم يظهر. بحسب محامي فقد حجب عنهم المعلومات. قلت لهم إنك لا تعرف أي شيء بالرغم من أنك تعرف. أليس كذلك؟».

- ما الذي يجعلك نظن ذلك؟

«إنه مجرد ظن»، قال ذلك، والتفت عصا الغولف وأمسك بها كما لو كان بيسك سيف. «كلما استمعت إليك أكثر، نما ذلك الظن بداخلي. إنك تشير الكثير من الضجيج حول تفاصيل تافهة، ولكنك كريم للغاية فيما يتعلق بالأمور الكبرى. ثمة خط لديك تتبعه. أظن أنك تعرف أكثر مما تقول. ربما تحاول أن تنتشر على شخص ما. إنك شخصية مثيرة للاهتمام. نغريباً مثل يوكي في هذه النقطة. نواجه صعوبات جمة في مجرد البقاء. هذه المرة مرت بسلام، لكن ربما لا



تكون محظوظاً في المرة القادمة. تذكر أن رجال الشرطة يسوا أناساً لطفاً. ليس لدي شكوى ضد نظامك. إنني أحترمه بالفعل، ولكن ربما تلحق الأذى بنفسك إذا ما تمسكت بقناعاتك مثل ذلك. لقد تغير الزمن، وعليك أن تتأقلم».

قلت: «أنا لست متمسكاً بقناعات. الأمر أشبه برقصة. شيء يتذكره الجسم. إنها عادة ما إن تُعزف الموسيقى حتى يرقص الجسد. ولا يهم تقريباً ما الذي يحدث غير ذلك. لو أن أشياء كثيرة أتخمت رأسي، فلربما زلت قدماي. إنني عديم الكيلة ولست مسابراً».

حدد هيراكرو ماكيمورا في عصا الغولف في صمت.

قال: «أنت غريب، هل تعرف ذلك. إنك تذكرني بشيء ما».

قلت: «الغربة نفسها موجودة هنا في هذا البيت».

- أنا أحبك يا ولدي. وأنت شخصك. يؤسفني أن أطلب منك أن تعني بيوكي. لكنني سوف أرد ذلك الجميل لك في يوم من الأيام. إنني دائماً أرد المعروف. مثلما قلت لك سابقاً.  
«كنت أنصت لما يقول».

(25)

في الساعة السابعة عادت يوكي تمشي على مهل. كانت تتمشى على الشاطئ. هل كانت تحب تناول العشاء في ذلك الوقت؟ لم تكن جائعة، كما قالت. كانت تريد العودة للبيت.

قال والدها: «زوريني كلما راق لك ذلك. سوف أظل في اليابان طوال الشهر». ثم استدار ناحيتي وشكرني على قطع كل هذه المسافة، واعتذر عن عدم تمكنه من أن يحسن ضيافتي أكثر من ذلك. وأنا الولد فرايدياي ونحن خارجان. أثناء خروجنا من الحديقة الخلفية رأيت سيارة جيب شبروكي ذات دفع رباعي وأخرى هوندا 755 سي سي وكذلك دراجة للطرق الجبلية واقفة في إحدى الزوايا. قلت لفرايدياي: «سيارات ذات أعباء ثقيلة؟».

أجاب فرايدياي بعد برهة: «حسنًا، إنه ليس شخصاً رغوًا. السيد ماكيمورا لا يعيش في برج عاجي. إنه في قلب الحياة ويعيش من أجل المغامرات».

«أحمق» ضغمت يوكي.

تظاهرت وكذلك فرايدياي بأننا لم نسمعها.

لم نكد نستقل السويابو حتى قالت يوكي إنها تنضو جوعاً. مروت بمطعم على الطريق الساحلي وطلبنا بعض اللحم المشوي.

«عَمَ كُنْتُمَا تَتَحَدَّثَانِ أَنتِ وَأَبِي؟» سَأَلْتَنِي وَنَحْنُ نَتَنَاوَلُ طَبْخَ الحَلْوِ.

لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مَا يَدْعُو لِإِخْفَاءِ أَيِّ شَيْءٍ. لِذَا أَطْلَعْنَاهَا عَلَى مَلْخَصِ مَا دَارَ بَيْنِي وَبَيْنَ وَالِدَاهَا.

قَالَتْ سَاخِرَةً: «الْمَالُ، هَذَا هُوَ كُلُّ مَا يَحْلُمُ بِهِ، وَمَاذَا قُلْتَ أَنْهَ؟»

- قُلْتُ إِنَّنِي لَمْ أَتَخَلَّقْ لِلدُّخُولِ فِي انْفِاقٍ كَهَذَا، لَيْسَ أَمْرًا سَبِيحًا أَنْ نَلْفِظِي وَنَخْرُجَ مَعًا نَنْزِعُهُ حِينَمَا نُرْغَبُ فِي ذَلِكَ. إِنَّهُ أَمْرٌ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِمْتَعًا، وَلَكِنْ يَدُونُ انْفِاقٍ وَصَمِي. هَلْ تَعْرِفِينَ. رُبِمَا أَكُونُ وَجَلًّا عَجُوزًا بِالنِّسْبَةِ لَكَ، وَلَكِنْ مَا زَالَ لَدَيْنَا الْكَثِيرُ الَّذِي يُمْكِنُنَا التَّحَدُّثُ بِشَأْنِهِ، أَلَا نَعْتَقِدِينَ ذَلِكَ؟

هَزَّتْ كَتِفَيْهَا.

- إِذَا لَمْ نَكُونِي نُرْغِبِينَ فِي رُؤْيَيْهِ، يُمْكِنُكَ فَقَطْ أَنْ تَقُولِي ذَلِكَ. بِحَسَبِ الْآلَا يَكُونُ لِرِزَامَا عَلَى النَّاسِ أَنْ يَرَى بَعْضَهُمْ بَعْضًا. يُمْكِنُكَ وَرُؤْيِي حِينَمَا نُرْغِبِينَ فِي ذَلِكَ. يُمْكِنُ أَنْ يَبْرَحَ كُلُّ مَنَا لِلْآخِرِ بِأَشْيَاءٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْشِيهَا لِأَيِّ شَخْصٍ آخَرَ وَأَنْ نُبَادِلَ الْأَسْرَارَ. أَمْ أَنْكَ لَا تَرِيدِينَ؟

بَدَتْ مُنْرَدَدَةٌ. ثُمَّ أَوَمَّتْ مِنْ دُونِ أَنْ نَوْضِحَ مَاذَا تَقُولُ.

- لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ نَدْعِي الْأُمُورَ تَتَرَاكُمُ دَاخِلُكَ. سَتَصِلُ إِلَى نَفْطَةٍ لَا يُمْكِنُكَ عِنْدَهَا أَنْ تَنْحَكِمِي بِهَا. بِحَسَبِ أَنْ تَسْمَحِي لِلضُّخُوفِ بِالْخُرُوجِ وَالْأَسُوفِ نَفْجَرُ. وَتَحَدَّثُ (بُورُودُم). هَلْ تَعْرِفِينَ مَا أَفْصَدُ؟ الْحَيَاةَ صَعِبَةً بِمَا يَكْفِي. حِمَايُكَ لِلْقَلْعَةِ بِمُفْرَدِكَ أَمْرٌ صَعْبٌ. وَهُوَ صَعْبٌ عَلَيَّ أَيْضًا. وَلَكِنْ نَحْنُ الْاِثْنَيْنِ. أَعْتَقِدُ، وَرِبِمَا، يُمْكِنُ أَنْ يَفْهَمَ كُلُّ مَنَا الْآخَرَ. يُمْكِنُنَا أَنْ نَتَحَدَّثَ بِدَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الصَّرَاحَةِ.

أَوَمَّتْ.

- لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَرْغَمَكَ. وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ الْحَدِيثَ، فَقَطْ اتَّصَلِي بِي. لَيْسَ لِهَذَا عِلَاقَةٌ بِمَا نَافَشَهُ وَالِدُكَ مَعِي. وَحَاوَلِي أَنْ نُنَجِّنِي أَنْ تَفْكَرِي فِيَّ بِاعْتِبَارِي الْأَخِ الْكَبِيرِ أَوْ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ. إِنَّنَا صَدِيقَيْنِ. أَعْتَقِدُ أَنْ كَلَامًا مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَنْبَغِيَ الْآخَرَ.

لَمْ تَحِرْ يَوْكِي جَوَابًا. انْتَهَيْتُ مِنْ طَبْقِ الحَلْوِ الْخَاصِ بِهَا وَشَرِيتُ كُوبًا مِنَ الْمَاءِ. ثُمَّ نَظَرْتُ خَلْسَةً إِلَى الْأُسْرَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الْمَائِدَةِ الْمُجَاوِرَةِ. الْأَمُّ وَالْأَبُ وَبِنْتُ وَأَخُوهَا الرُّضِيعُ. كَانُوا جَمِيعُهُمْ يَمَانُونَ مِنَ السَّنَةِ.

اِتَّكَاتُ بِكُوعِي عَلَى الْمَائِدَةِ وَأَنَا أَحْسَنِي فُهَوْتِي وَأَشَاهِدُ يَوْكِي وَعِي نَنْظُرُ إِلَيْهِمْ. كَانَتْ فَنَاءَ جَمِيلَةً بِحَسَبِ. أَكَادَ أَشْعَرُ بِحَجَرٍ صَغِيرٍ نَاصِعٍ يَغْرِقُ فِي مِيَاهِ الظُّلُمَاتِ فِي فَلْبِي. رَغْمَ كُلِّ نَلْكَ الْفُشُوتِ وَالْمَمَرَاتِ الْمَلْنُوتَةِ إِلَّا أَنَّهَا تَمَكَّنَتْ مِنْ رَمِي حَصَانِهَا سِبَاشَةً فِي فَاغِ كُلِّ ذَلِكَ. فَوَ أَنَّنِي كُنْتُ لَمْ أَزَلْ فِي الْخَاصَةِ عَشْرَةَ لَكُتْ مِنْ الْبَاشَسِينَ بِحَبِهَا بِكُلِّ تَأَكِيدَةٍ. فَكَرْتُ لِلْمَرَّةِ الْعَشْرِينَ.

كَمْ كَانَ زَمَلَاؤُنَا فِي الْهَافِ غِلَظًا؟ هَلْ كَانَ فَوْقَ طَافَتِهِمْ أَنْ يَرُوا جَمَالَهَا الطَّافِي حَوْلَهُمْ كُلِّ يَوْمٍ؟ أَمْ لِأَنَّهَا كَانَتْ حَادَةً لِلْغَايَةِ؟ أَمْ لِتَوَرُّهَا الزَّائِدِ؟ أَمْ لِأَنَّهَا كَانَتْ مَطْوِيَّةً؟ هَلْ جَمَلْتُهُمْ بِخَاوُفُونَهَا؟

حَسَنًا، بِكُلِّ تَأَكِيدَةٍ لَمْ نَكُنْ فِي هَدْوَةٍ جَوَانِدَا. جَوَانِدَا كَانَ عَلَى وَعِي نَامٌ بِمَا لَهُ مِنْ تَأْثِيرٍ عَلَى الْآخَرِينَ. وَكَانَ يَحْتَفِظُ بِذَلِكَ حَسَبِ الطَّلَبِ. كَانَ يَتَحَكَّمُ فِيهِ. لَمْ يَفْرُضْهُ عَلَى النَّاسِ أَبَدًا، وَلَمْ يُخَفِّقْ أَبَدًا. وَحَتَّى حِينَمَا وَصَلَ إِلَى مَسْتَوَى النُّجُومِ يُمْكِنُهُ الْإِنْشَاءُ وَإِسْدَارُ النِّكَاتِ حَوْلَ نَجُومِيَّتِهِ. نَلْكَ كَانَتْ طَبِيعَتُهُ. بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ كَانَ كُلُّ شَخْصٍ حَوْلَهُ يَبْنِيسُ لَهُ وَيَقُولُ هَذَا شَخْصٌ لَطِيفٌ. وَكَانَ جَوَانِدَا حَفَاً شَخْصًا لَطِيفًا، لَكِنْ يَوْكِي مُخْتَلَفٌ. يَوْكِي لَمْ تَكُنْ لَطِيفَةً.

لم يكن من طبعها أن ترافق مشاعر الآخرين وأن توائم بين تلك المشاعر وبين مشاعرها هي من دون أن نصطدم بالناس. كان كل ما نستطيع فعله هو أن نظل في كامل وعيها بنفسها. ونتيجة لذلك نلحق الأذى بالآخرين وهو ما يلحق بها الأذى. كم هي حياة صعبة. صعبة كثيراً لفناء في الثالثة عشرة. بل حتى صعبة بالنسبة لشخص بالغ. لم أستطع التنبؤ بالكيفية التي سوف تصرف بها تلك الفتاة. ربما نجد طريقة تعبر بها عن نفسها مثل والدها وتدخل إلى عالم الفن. وربما نوجه فواها إلى شيء إيجابي. لا يمكنني الجزم بشيء، ولكن مثل والدها، يمكنني أن أستشعر بهالة حولها، بموهبة فيها. إنها فتاة فوق العادة.

ولكن ربما نصبح فتاة طبعية في الثامنة عشرة. لن نكون هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها ذلك.

إن البشر يصلون إلى الذروة بطرق مختلفة. ولكن مهما كنت مجرد أن بعنلي الشخص الغمة يبدأ طريقه إلى الهبوط. لا شيء ولا شخص يمكنه أن يفعل شيئاً حيال ذلك. وأسوأ ما في الأمر أنك لن تعرف أبداً أين توجد تلك الغمة. ستظن أنك ما زلت فوقاً، حينما ستجد فجأة أنك عبرت الأغود العظيم. لا أحد يمكنه التنبؤ. بعض الأشخاص يصلون إلى الذروة في الثانية عشرة، ثم يعيشون حياة خالية من الأحداث بدءاً من هذه النقطة وحتى النهاية. فيما البعض الآخر بواصل البقاء على الغمة حتى الموت، وآخرون يموتون وهم في أوجهم. الشجرة والملحنون يعيشون بكل طاقهم ويدفعون أنفسهم حتى يصلوا إلى النقطة التي يلغونها في الثلاثينات من أعمارهم. لكن هناك من هم مثل بكاسو الذي يظل يبيع حتى بعد الثمانين.

وماذا عني؟

ذروي؟

وهل لي ذروة؟ إنني بالكاد لدي شيء. يمكنك أن تسميه حياة. بضعة موجات. بعض النجاحات والإخفاقات. هذا هو كل شيء. تقريباً لا شيء. لا شيء تولد عن لا شيء. أحببت وكنت موضع حب، ولكن لم يعد لدي شيء أثبت به ذلك. لقد كان مشهداً فردياً بسيطاً ويلا ملاح. كنت أشعر كما لو أنني في لعبة فيديو. أمشي من دون وعي خلال مناعة من الخطوط المنقطعة. موثي كان هو البغبين الوحيد.

ليس هناك وعود بأنك ستكون سعيداً، هكذا قال لي الرجل المقنع. وعلبك أن رفض. أرفض حتى يظل كل شيء يدور. توقفت عن الكلام وأضضت عيني.

حينما فتحتهما ثانية، كانت بوكي تجلس على الجانب الآخر من العائدة.

قالت بفلق: «هل أنت على ما يرام؟ يبدو كأن خدلاً أصابك. هل فلت شيئاً خطأ؟»

ابنسيت: «لا، ليس للامر علاقة بأي شيء فليو».

- يبدو أنك تذكرت شيئاً سيئاً لتذك؟

- لا، لقد تذكرت فقط أنك رائحة الجمال.

نظرت إليّ بوكي بنظرة والدها غير المعبرة. ثم هزت رأسها في صمت.

دفعت بوكي حساب المشاء. كان والدها قد أعطاها الكثير من المال كما ما قالت لي. أخرجت ورقة نقدية فيمنها عشرة آلاف بن من بين خمس أو ست ورفات وقدمتها لموظف الصندوق في المطعم، ثم أخذت الباقي دون أن تنظر إليه.

قالت باسنا: «أبي يظن أن كل ما ينبغي عليه فعله هو أن يدفع

العمال، وبعد ذلك لا شيء. إنه أحسن بحق. ولكن لهذا السبب يمكنني أن أدفع الحساب اليوم. ذلك يجعلنا متعادلتين بعض الشيء، اليس كذلك؟ إنك دائماً تدفع عني، لذا العدل عدل.

قلت: «شكراً لك. ولكن هل تعرفين أن ذلك ضد آداب التعارف الكلاسيكية للغاءات».

- ماذا؟

- على موعد عشاء، وحتى إن كانت الفتاة هي التي سندفع الحساب، فوجب ألا تذهبي إلى الصندوق للحصول على الفاتورة. وإنما تدع الفنى يفعل ذلك ثم تدفع له بعد ذلك، أو قد تعطيه المال مسبقاً. الرجال لديهم حساسية شديدة نحو ذلك. بالطبع أنا لست ذلك الرجل القوي الحازم، لذا فأنني لا أهتم بالأمر. ولكن ينبغي لك أن تعرفي أن هناك الكثير من الأشخاص شديداً الحساسين إزاء تلك الأمور.

قلت: «سلوك غريب. لن أخرج مع أشخاص من هذا النوع أبداً».

- «حسناً، أرحت فقط أن أطلعك على هذا الأمر»، قلت وأنا أخفض من سرعة السويارو. «إن الأشخاص يقعون في الحب من دون سبب ومن دون حتى أن يرغبوا في ذلك. لا يمكنك التنبؤ به. ذلك هو الحب. حينما نبلغين السن الذي تردين فيه صديرة سوف تفهمين».

صرخت وهي نظريني على كتفي: «أخبرتكم يا أبله أنني أردتي واحدة بالفعل».

كنت على وشك الوصول للمرابب وكان عليّ أن أنوقف.

قلت: «كنت أمزح. كانت مزحة سخيفة. ولكن ينبغي أن تمنحي عضلات الضحك لديك فرصة للممارسة على أية حال».

قلت: «مزحة سخيفة، هذا لا شك فيه».

قلت: «كانت سخيفة بكل تأكيد».

صرخت: «أوقف السيارة».

كنت على وشك أن أنوقف. لكنني غيرت رأيي وحزمت السيارة مرة ثانية من مكانها.

قلت: «يوكي، ثمة شيء انبهي، هذه ليست مزحة. لا نهاجمي شخصاً وهو ينفذ السيارة. يمكن أن تنسبني في مقتلنا، إذاً الدرس الثاني في آداب المواعيد الغرامية هي: لا تموتي. وواصلني الحياة».

في طريق العودة، لم تنفوه يوكي بكلمة. غاصت في مفعدھا ویدت مستغرقة في التفكير. على الرغم من أنه كان من الصعب الجزم بما إذا كانت نائمة أم مستيقظة. لم تكن تستمع لشرائطها. لذلك وضعت «مواويل» كولثرن التي كنت قد أحضرتها معي. لم تنبس بكلمة وبدأ أنها غائبة عن كل شيء نفسياً. غمضت مع مقاطع الأغنية. كان الطريق يبعث على الشجر. كنت أركز على الأتوار الخلفية للسيارات التي أمامي. حينما وصلنا إلى الطريق السريع، اعتدلت يوكي في جلسنها وراحت تمضغ الملكة. ثم أشعلت سيجارة. نفخت ثلاث أو أربع نفخات من السجارة قبل أن تلقي بها من نافذة السيارة. كنت أتوي أن أفول شيئاً لو أنها أشعلت الثانية، لكنها لم تفعل. يبدو أنها استغثت ما كنت أتوي فوله.

حينما كنت على وشك التوقف أمام شقة أكازاكا، رفعت صوتي قائلاً: «ها قد وصلنا يا أميرة».

حينئذ أخرجت العلكة من فمها وكوزتها ووضعتها على اللوحة

الذي يجعل فيتام وكمبوديا وهما دولتان شيوعيتان تقتلان. يا له من عالم مقعد.

لقد كان يوم إنهاء الأعمال التجارية  
كان هناك الكثير من الأشياء التي يتعين علي إنجازها بعد  
غاية الأهمية. ارتدت عقلي العملي كالحسن ما يكون وبدأت أعمل  
الأكبر مباشرة.

أخذت القمصان إلى المغسلة. مررت بالبنك وحصلت على  
بعض المال من ماكينة الصراف الآلي. دفعت فواتير الغاز والهاتف  
ودفعت الإيجار. اشترت كعبين حليين لحداثي. اشترت بطاريات  
جديدة لساعة المنبه. عدت إلى المنزل ورتبة من الداخل. غسلت  
حوض البانيو. نظفت الشلاجة والموقد والمروحة والأرضيات  
والنوافذ. وضعت القمامة في كيس. غيرت ملاءات السرير. قمت  
بتشغيل الحفلة الكهربائية. نظفت الستائر وأنا أدندن مع ستايركس  
«مستر ديتو».

حينما رن جرس الهاتف في الثانية بعد الظهر كان جوتاندا.  
قلت: «هل يمكنك مقابلي؟ لا يمكنني التحدث مع الهاتف».  
- بكل تأكيد. ولكن إلى أي مدى الأمر عاجل؟ إنني أسوء غلباً  
الآن. هل يمكن الانتظار يومين أو ثلاثة؟

قلت: «لا أعتقد أن ذلك ممكن. لمة شخص قتل. شخص  
يعرف كل من المعلقون يقتول أثر القاتل».

ساد الصمت غير الخط. صمت يبلغ لا يمكن أن يقوم به إلا  
جوتاندا. صمت ذكي وعادي. كان بإمكانني أن أسمع عجلة ذهنه وهي  
تدور بأقصى سرعتها. «حسناً، ماذا عن الليلة؟ لكن ذلك سيكون في  
وقت متأخر جداً. هل يناسبك هذا؟».

الأمامية للسيارة. ثم فتحت باب السيارة متكاسلة وخرجت وراحت  
نمشي. لم تقل حتى إلى اللقاء، ولم تغلق الباب أو تنظر ورائها.  
قلت في نفسي، حسناً إنها في مرحلة حميرة حساسة. كانت تبدو مثل  
شخصية في فيلم من أفلام جوتاندا. الفترة مرحلة الحب المتقدة. لا  
شك أن جوتاندا كان باستماعته أن يلعب دوري بشكل أفضل مما  
فعلت. وربما كانت بوكي سوف تهيم به حباً. يا إلهي! لا يمكنك أن  
أكف عن التفكير في جوتاندا! مندت ذراعي من فوق مقعدنا وأغلقت  
الباب بقوة. ثم استمعت إلى أغنية «الطهي الأحمر» لقرندي هابارد في  
طريق العودة للبيت.

بعدما استيقظت في الصباح التالي ذهبتُ إلى محطة القطار. قبل  
الثامنة كانت محطة شيبويا تفيض بالناس لكن وباركهم من سمات  
الربيع، كان بإمكانك أن تحصى الانسيابات على أصبع اليد الواحدة.  
اشترت صحيفة من بائع الجرائد ثم ذهبت إلى دانكن دوناتس  
وهناك طالعت الأخبار وأنا أحسني القهوة. مراسم افتتاح فيزيك لاند  
طوكيو، معارك بين فيتنام وكمبوديا، انتخابات حملة طوكيو، العنف  
في المدارس. لم يكن هناك سطح واحد من فتاة جميلة وجذبت  
مخنوقة في قندق باكواكا. ماذا يكون مقتل شخص مقابل افتتاح فيزيك  
لاند؟ مجرد شخص قتل وسوف يُنسى.

لمحست قلعة الأقدام ولاحظت أن قلبي لحب من طرف واحد  
قد تم رفعه عن القائمة. وهو الأمر الذي ذكرني بجوتاندا مرة ثانية.  
كان يجب علي أن أبلغ بها حدث لماعي.

حاولت الاتصال به من الهاتف في دانكن دوناتس. بالطبع كان  
بالخارج، تركت له رسالة. ثم ألقيت بالصحف في سلة المهملات  
ونوجهت نحو المنزل. في طريق عودتي حاولت أن أصل إلى السيب

- حسناً.

- سوف أتصل بك حوالى الواحدة أو الثانية. معذرة ولكن لن أكون مغرماً ولر دقيقة واحدة قبل ذلك.

- لا تقلق. سوف أكون جاهزاً.

أنهينا المكالمه، وفمت باستعادة المحادثة التي دارت بيننا بالكامل في ذهني.

هناك شخص قُتل. شخص يعرفه كلانا والمحققون يقتفون أثر القاتل.

فيلم عصابات معتاد. أشرك بيوتاندا وسوف يصبح كل شيء مشهداً سبتانياً. شيئاً شتياً كانت الحفظة تنحسر عن المشهد. وهو ما جعلني أشعر كما لو كنت ألعب دوراً في سبنايو مكنوب. جوتاندا يضع نظارته السوداء، ويألف مطعنه الطويل متصية، وينكح على سبارته المازيراتي. مشهد ساحر. يصلح إعلاناً تجارياً لإطارات السيارات. طردت هذه الصور من ذهني وعدت لتظيف السائر.

في الخامسة، سرت نحو هارجوكو ومشيت بين محلات بيع أشرطة موسيقى البوب عبر شارع ناكيشينا. هناك الكثير من أغنيات فرقة كيس أند أبرون مبدن وموتورهد، ومايكل جاكسون وفرقة برنس باستثناء إلفيس. وفي النهاية بعدما زرت العديد من المحلات وجدت ما كنت أبحث عنه وهو شارة تقول: «إليس الملك».

ثم توجهت إلى سنووكا من أجل طبق نمبورا<sup>(11)</sup> وبعض البيرة. كانت الشمس قد غابت ومرت الساعات، كنت ما زلت أتحرك بصعوبة في مناهة الخيوط المتقطعة. لم أكن أحوز أي تقدم. كنت أقرب من لا شيء. وبدأ أن الخيوط تتكاثر. لكن الخيوط المؤدية إلى

(11) طبق ياباني من الخضراوات والروبيان.

كيكي كانت معدومة. لقد أرسلت عبر طريق ملتوية. استنفدت طاقاتي في مشاهد ثانوية، وليس أبداً على الحدث الرئيسي. أبن هو بحق الجحيم ذلك الحدث الرئيسي؟ وهل هناك حدث رئيسي؟

لأنه لم يكن لدي ما أفعله حتى منتصف الليل، ذهبت لمشاهدة يول نيومان في فيلم «الحكم». ليس قيلمأ سبتاً. ولكني دأبت على الشرود حتى أقفد متابعة القصة. كنت أنوع أن تظهر كيكي بظهرها العاري على الشاشة في أي لحظة كيكي، كيكي، ماذا كنت نريدين مني؟

انتهى القيلم وغادرت السبما وأنا أكاد لا أفهم شيئاً من الفضة. سرت حتى قادفني عطواني إلى بار قاحنسبت كأسين من الفودكا. عدت إلى المنزل في العاشرة ورحت أفراً في انتظار مكالمه جوتاندا. في النهاية وضعت الكتاب جانباً ثم استلقيت على السرير. رحت أفكر في القط كبير. مات ودفن، هادئاً نعت ثرى هادئ.

كان الشيء التالي الذي أذكره هو أن الغرفة غرفت في الصمت. وغشتني موجات من الشعور بالعجز. كنت أريد أن أستثير نفسي. فمت بالعد من واحد حتى عشرة باللغة الأسبانية، وانتهيت بكلمة «فينينو» بصوت عال ويصقفة من يدي. كانت هذه هي طفوسي الخاصة لظهر شعوري بالعجز. وهي إحدى المهارات الكثيرة التي اكتسبتها من عبثي بمفردتي. من دون هذه الحيل، ربما لم يكن باستطاعتي مواصلة الحياة.

- اقترح واقع، إذا كنت فعلاً لا تمنع.

«لا مطلقاً»، طمأنه، فأسرع ليغوم بتجميع أشيائه.

قال بعد أن صعدنا السيارة: «با لها من سيارة جميلة. يصدق إنها تعطي إحساساً جيداً أيضاً».

- نمة نضاهم بيني وبينها.

هز رأسه كمن فهم ما أقول.

وضعت شريط بيتش بويز في الجهاز وبدأنا طريقنا. بمجرد أن وصلنا إلى الطريق السريع نحو بوكوهاما، كان رذاذ المطر قد بدأ يسقط. شغلت المساحنتين ثم أوقفتهم، ثم شغلتهما ثانية. كان مطراً ربيعياً لطيفاً جداً.

ابتدري جوتاندا بالسؤال من دون مقدمات: «ماذا تذكر عن أباهم الدراسة الثانية؟».

أجبت: «أذكر أنني كنت شخصاً مبنوساً منه».

- وماذا غير ذلك؟

أطروقت لبرهة. «سوف نظن أنني أحمق، ولكنني أنذكرك حينما كنت نضل أنبوب الذهب في حصة العلوة».

- ماذا؟

- لقد كنت تفعل ذلك بإتقان منقطع النظير. كنت تجعل إيقادك للشعلة يبدو كما لو كانت لحظة عظيمة في تاريخ البشرية.

ضحك قائلاً: «نعم، كان الأمر كذلك. ولكنني فهمت ما ترمي إليه. صدقني لم تكن نتيي أبداً أن ألتفت لأنظار. بالرغم من أنني كنت أبدو شخصاً مغروراً آنذاك. لكن الناس ومنذ كنت طفلاً كانوا دائماً يراقبونني. لماذا؟ لست أدري. بالطبع كنت أعرف أن ذلك يحدث

(26)

كانت الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل عندما اتصل جوتاندا.

- الأمور كانت مضطربة كثيراً. آسف على الاتصال في وقت متأخر، ولكن هل يمكن أن أطلب منك أن تأتي إلي أنت هذه المرة؟

قلت له لا مشكلة في ذلك. وأخذت طريقي إليه.

نزل إلي على الفور حينما ضربت على جرس بابي. ما أثار دهشتي هو أنه كان يرتدي معطف مطر طويلاً (يشبه ذلك الذي يرتديه المخبرون السيرون). وكان بناسبه. لكنه لم يكن يضع نظارة سوداء. كان يضع نظارة عادية تعطي الانطباع بأنه مفكر.

قال جوتاندا ونحن نبادل التحية: «آسف مرة ثانية. كان لا بد من تأخير ذلك. كان يوماً متخماً بالعمل بشكل لا يصدق، ويجب أن أذهب إلى بوكوهاما بعد ذلك. هناك تصوير مع أول عموط النهار، لذا فقد حجزوا لي غرفة هناك».

عرضت عليه: «لماذا لا أوصلك إلى هناك؟ سوف يكون لدينا وقت أطول للتحدث. وسوف يوفر لك ذلك بعض الوقت أيضاً».

وهو ما جعلني أبعد ممثلاً صغيراً. لقد التصق ذلك بي. كنت دائماً أمثل. لذا حينما أصبحت ممثلاً بالفعل، لمست في ذلك واحة. لم أعد أشعر بالحرج من ذلك.

ثم وضع بدأ على يد في حجره وراح يحرق فيهما وقال: «أرجو أنني لم أكن حقيراً، أم تراني كنت كذلك؟».

قلت: «ولكنني لم أقصد ذلك على الإطلاق. أردت فقط أن أقول إنك كنت تشعل أنبوب اللهب بأنفاسك. كنت أريد أن أراك وانت تشعلها مرة ثانية بين الحين والحين».

ضحك وراح يمسح نظارته. طبعاً بأنفاسه.

قال: «في أي وقت سوف أكون منظرراً بأنبوب اللهب وأعواد الثقاب».

أضفت: «سوف أحضر وسادة في حال ما إذا أغشي علي من النشوة».

انخرطنا في مزيد من الضحك. ثم وضع جوتاندا نظارته مرة ثانية وفام بخفيض صوت الاستريو قهقلاً. «هل يمكن أن نستأنف كلامنا حول ذلك الشخص الميت؟».

قلت مباشرة وأنا أنظر إلى مساحات الزجاج: «إنها ماي. لقد وُجيت مقتولة. جثتها وجدت في أحد فنادق أكازاكا مخنوقة بجووب، الغافل مجهول».

حدق جوتاندا في وجهي فجأة. لقد استغرق الأمر منه ثلاث أو أربع ثوان حتى يفهم ما قلته قبل أن تقلص ملامح وجهه كعلامة على الإدراك. مثل إطار نافذة بلنوي من أثر زلزال فوي. حدثت في وجهه بطرف عيني. بدا أنه مصدوم.

وأخيراً سأل: «منى قُلت؟».

أخبرته بالتفاصيل، فلاذ بالصمت ثانية، كما لو كان يعبد ترتيب مشاعره.

وأخيراً قال وهو يهز رأسه: «ذلك أمر شنيع. شنيع. لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ أي شخص على فنل ماي؟ كانت إنسانة طيبة. إنها مجرد...». ثم وراح بهز رأسه ثانية.

قلت: «نعم، إنسانة طيبة. خرجت لتوها من حكاية من حكايات الجنبات».

تنهد تنهيدة عميقة، وبدأ التعب فجأة يظهر على ملامح وجهه. حتى هذه اللحظة كان قد تمكن من احتواء تونر لا يحتمل بداخله. لكن حتى التعب حينما يأتيه يضفي على حياته ملمحاً مميزاً. يؤسفني أن أقول إنني تمنيت لو جرحت ونالمت مثله. إن كل ما يلسمه، حتى لو كان الألم، يكتسب ملمحاً جيداً.

قال جوتاندا: «لقد اعندنا ثلاثتنا أن نواصل الحديث حتى مطلع الفجر». كان صوته أشبه بالهمس. «لأنا وماي وكيكبي. ربما كان ذلك جزءاً من حكاية من حكايات الجنبات. ولكن أين يمكنك أن تجد حكاية من حكايات الجنبات في هذه الأيام. عزيزي، لقد كانت تلك الأيام رائعة».

حدثت في الطريق أمامي، فيما كان جوتاندا يحلق في اللوحة الأمامية للسيارة. فمت بنشغيل المساحات وإيقافها. كان الاستريو يعمل ولكن بصوت خفيض بفرقة «بيتش بويز».

سأل جوتاندا: «وكيف عرفت أنها قُلت؟».

شرحت له: «استدعيت من قبل الشرطة. كنت قد أعطيت ماي بطاقتي التعريفية وكانت تخفيها بعناية في حافلتها. في الواقع كانت البطاقة الشيء الوحيد الذي وُجد بحوزتها يحمل أي اسم من الأسماء».



لذا أقروا القرض عليّ للاستحباب. كانوا يريدون مني أن أخبرهم كيف تعرضت إليهما، محققان غليظان وأحمقان. ولكنني كذبت عليهما. أخبرتهما أنني لم أرهما مطلقاً.

- ولماذا كذبت؟

- لماذا؟ لأنك أنت الشخص الذي عرّفنا ببعض واشترت هاتين اللقناتين تلك اللبلة، أليس كذلك؟ ماذا نظن سبحصل لو أنني أفصحتهما عن ذلك؟ هل ففدت عقلك؟

قال: «سامحني. إنني مريبك بعض الشيء. كم أنا أحمق!».

«المحققان لم يصدفاني على الإطلاق. استطاعا أن يشتقا رائحة الكذب. لقد احببنا في ثلاثة أيام. كانا حريصين على عدم تجاوز الضائون. لم يمس أي منهما جسدي بأذى. ولكنه كان استجواباً عسيراً. إنني أكبر في العمر. ولم أعد كما كنت عليه. ادّعى أنهما لا يجدان مكاناً لأنام فيه فألقيا بي في غرفة المجاري. فعلياً لم أكن في الغرفة لأنهما لم يغلّقا الباب. لكن دعني أقول لك، لم تكن نزهة. إنها تجربة تجعلك نظن أنك قدقدت صوابك؟».

قال وهو يحدق في أطراف أصابع يديه: «أعرف ما نفصد. لقد احتجزت على مدى أسبوعين ذات مرة. كنت أظن أنني لن أخرج من هناك أبداً. تدرك أنهم يتحكمون بك. يعرفون كيف يجعلونك تنهار. ولكن ثلاثة أيام دون أن أقول شيئاً؟».

- ماذا نظن؟ بالطبع لم أفل شيئاً. إذا بدأت جملة بعبارة «حسناً، في الواقع...»، فسوف تكون هي النهاية. بمجرد أن تأخذ خطأً عليك أن تواصله حتى النهاية.

تقلص وجهه جوتاندا مرة ثانية. «اغفر لي أنني عرّفتك بماي وكنت سبياً في توريطك بهذه المشكلة».

قلت: «لا داعي للاعتذار. لقد استمعت معها حقاً. كما أنه ليس خطأك أنها ماتت».

- لا، إنه ليس خطئي. لكنك كذبت على المحققين من أجلي. لقد ورطتك في خضمت الجريمة. ذلك هو خطئي. كنت مشتركاً.

التفت نحوه. لأنظر إليه نظرة جادة ثم بعد ذلك دخلت في صلب الموضوع. «ليست هذه هي المشكلة. لا تغلق بشأنها. لا داعي للاعتذار. لقد حصلت على نصيبك وأنا أحترم ذلك تماماً. إن المشكلة الكبرى هي أنهما غير قادرين على التحقق من هويتهما. لقد كان لهما أقارب، أليس كذلك؟ يجب علينا أن نلغي القبض على المهوروس الذي قتلها، أليس كذلك؟ تمنيت لو أخبرتهما بكل شيء. أعرفه. ذلك هو ما يؤلمني. ماي لم تكن تستحق أن تموت تلك الميته. على الأقل كان ينبغي أن يكون لها اسم».

أغمض جوتاندا عينيه لمدة طويلة حتى إنني ظننت أنه ذهب في النوم. كانت فرقة «بيتش بوز» قد انتهت من معزونها. ضغطت على زر إخراج الشريط. فغرق كل شيء في صمت مطبق. لم يكن هناك سوى احتكاك إطارات السيارات بالأسفلت المبلل.

غمغم جوتاندا وهو يفتح عينيه قائلاً: «سوف أنصبل بالشرطة. مكالمة من مجهول. وسوف أذكر اسم النادي الذي كانت تعمل فيه. بذلك العلوية يمكنهم مواصلة تحقيقهم في الحادث».

قلت: «عقري. إن كنتيك تحملان رأساً جيداً. لماذا لم تخاطر في تلك الفكرة؟ ولكن لتفترض أن الشرطة قد أرغمت النادي على الكلام، ألن يكتشفوا أنه قبل أيام فليلة من مقتلها أرسلت أنت في طلبها إلى منزلك. وسوف يصلون إليك في الحال. وماذا إذا كانت الفائدة من أن أغلق فمي على مدى ثلاثة أيام؟».

- معك حق. لقد نفوت علي في ذلك. أشعر بالارتباك.

قلت: «حينما نشرع بالارتباك، فإن أفضل ما نفعله هو أن نجلس صامتاً بانتظار أن ينجلي الموقف. إنها فقط مسألة وقت. امرأة وجدت مخنوفة في فندق. أمر وارد الحدوث. والناس يتناسون الأمر. لا داعي لأن يخالجك الشعور بالذنب. ما عليك سوى أن نهضاً وأن نظل صامتاً. إذا بدأت نمثل بكذا الآن، فلن نزيد الأمور إلا سوءاً».

وبما كنت قاسياً عليه. كانت نبرة كلامي باردة بعض الشيء، وكلماني حادة جداً، ولكن لا بهم، لقد غرقت في تلك الومضة أيضاً. اعتذرت له وقلت: «آسف، لم أكن أفصد أن أكون حاداً. لم أستطع أن أحرك إصبعاً لمساعدة الفتاة. ذلك هو كل ما في الأمر، وهذا ليس ذنبك».

لكنه أصر قائلاً: «لكنه خطئي».

كان الصمت يتعاضم بشكل ثجيل، لذا وضعت شريطاً آخر. شريط «هارلم الاسياني» لـ بي إي. كينجز. لم نقل أي شيء، حتى وصلنا إلى بوكوهاما. أردت أن أرتب على ظهري، وأهبط من روعي وأقول له، لقد انتهت الأمر على أي حال. لكن شخصاً قد مات. كانت تشعر بالوحدة وكانت مجهولة الهوية. إن تلك الحقيبة هي أثقل مما أحتمل.

- «من نمتد أنه فلها؟» قال جوتاندا بعد صمت طويل.

قلت: «من يدري؟ في مثل هذه المهن، يتعين عليها أن تلتقي كافة أنواع البشر. وبالتالي كل شيء جائز».

- ولكن النادي كان شديد الحرس على انتفا الزبائن. إنه ناد منظم للغاية، وينبغي أن يعثروا على القاتل بسهولة.

قلت: «إنك تظن ذلك، لكن ربما يكون أي شخص آخر. مهما يكن فقد ارتكبت خطأ ثيب أن كان قاتلاً. إن ذلك يحدث بحسب ظني. كانت تعيش في عالم الصور الذي كان آمناً ونظماً. ولكن ثمة قواعد حتى في ذلك العالم. ما إن يخرف شخص القواعد، حتى تنهار الصورة الخيالية».

قال جوتاندا: «لا يمكنني أن أفهم ما الذي يدفع فتاة على هذه الدرجة من الجمال والذكاء، لأن نعمل بائعة هوى؟ لماذا؟ كان بإمكانها أن تعيش حياة جيدة وأن نحصل على وظيفة محترمة. كان يمكن أن تعمل كموديل، وأن تتزوج شاباً ثرياً. كيف أصبحت بائعة هوى؟ نعم إن المال مرغوب، ولكنها لم تكن تبدو مهينة لهذه الدرجة بالحصول عليه. هل تظن أنها كانت تريد حقاً أن تعيش حكاية الجنيات هذه؟».

أجبت: «ربما. مثلي، مثلك. مثل كل شخص. لكن كل شخص يتحو متعرج مختلفاً حولها. ذلك هو السبب الذي يجعلك لا تعرف ما الذي سيقع أبداً».

حينما صعدنا إلى فندق نيو جراتد في بوكوهاما، اقترح جوتاندا أن أنزل بالفندق معه «أنا متأكد أن بإمكاننا أن نجد لك غرفة. سوف ننصل بخدمة الغرف ونحسني بعض الشراب معاً. لا أظن أن النوم سيأتي في الحال».

هزمت رأسي، «لا. سوف أقبل دعوتك على الشراب في وقت لاحق. إنني منهك تماماً. كل ما أريده هو العودة للبيت والخلود للنوم».

قال: «هل أنت متأكد؟ على أي حال أشكرك على توصيلي إلى هنا».

قلت: «إني متعب أيضاً. ولكن اسمع، حيثما يتعلق الأمر بشخص مات، ليس هناك داعٍ للعجلة في التفكير عن الأخطاء. إنها سوف تموت حتى أمد طويل. دعنا نعيد التفكير في الأمور حيثما نكون بحالة أفضل. هل تسمعي؟ لقد ماتت. ماتت تماماً وبلا رجعة. اشعر بالذنب، أو اشعر بما نشاء، فإنها لن تعود».

أوما جوتاندا: «أفهمك».

قلت: «هلبه هانته».

قال: «أشكرك مرة ثانية».

- أشعل أنبوب لهب في المرأة القادمة وسوف تسميها كما نشاء.

ابنسم وهو يخرج من السيارة. «غريب ما تقول، لكنك الصديق الوحيد الذي يقول ذلك. ليس هناك سواك. نلتفتي بعد فراق دام عشرين عاماً ولا نختار غير هذا لنذكره!».

قال ذلك وانصرف. رفع ياقة معطفه الطويل المضاد للمطر ودلف تحت رذاذ الربيع إلى فندق نيو جيراند. تقريباً مثل كازيلانكا<sup>(12)</sup>. بداية صداقة جميلة. . . .

ظل المطر يهطل بشكل مستمر. كان مطراً تاعماً وهادئاً، يرسم لروحنا بدبعة في ليالي الربيع. صحت بصوت عالٍ، «ماتت تماماً وبلا رجعة».

خطر ببالي أنه كان عليّ أن أمسي الليلة في الفندق مع جوتاندا في الشراب. هناك أربعة أشباه مشتركة تجمعني مع جوتاندا. الشيء الأول أننا كنا في معمل العلوم نفسه. ثانياً كل منا مطلق. ثالثاً، تام كل منا مع كيكي. ورابعاً، نام كل منا مع ماي. والآن ماتت ماي. تماماً وبلا رجعة. كل هذا كان يستحق أن نحسي شراباً معاً. لماذا لم

(12) فيلم أمريكي روماني أنتج عام 1942.

أمكث وأنعم بصحبته في هذه الليلة؟ لدي وقت متاح وليس لدي ما أعمله غداً. ما الذي منعتني؟ ربما لم أرغب في أن يبدو الأمر مثل مشهد من فيلم سينمائي. كم أنا شخص نعيس. لقد كان أسراً يدرجته لا تحتل. ولم يكن خطأ. ربما.

حينما عدت إلى شفتي في شيبويا، صبيت لثفتي بعض الويسكي وروحت أتابع السبارات على الطريق السريع من خلال الستائر.

سألته: «ما رأيك في الذهاب إلى ديزني لاند؟»  
 قالت ساعرة: «لا أريد أن أذهب. أكره تلك الأماكن».  
 - إنك تكرهين كل ما له علاقة بمبكي ماوس، أليس كذلك؟  
 قالت: «نعم أكرهه».  
 قلت: «لكن ليس مفيداً لك أن نقللي حبيسة الشقة طوال الوقت»

قلت: «إذاً لماذا لا نذهب إلى هاواي؟»  
 - ماذا؟ هاواي؟

- أمي اتصلت بي وسألني إن كنت أريد أن أذهب إلى هاواي حيث تتواجد في الآن ونقوم بالتصوير. نركن بمفردي طوال هذا الوقت وقضاء يساورها الغنى بشأني. لا يمكنها العودة للمبت الآن. لذا فإني لن أستطيع الذهاب إلى المدرسة. طلبت مني أن أركب طائرة وأن أذهب لرونيها. هاواي ليست بالمكان السيئ، أليس كذلك؟ فالت لي إنها سوف تدفع لك ثمن التذكرة. أفصده أنه لا يمكنني الذهاب بمفردي. من فضلك دعنا نذهب. أسبوع واحد فقط. سوف تكون رحلة ممتعة.

ضحكت: «ما هو الفرق بالضبط بين ديزني لاند وهاواي؟»  
 - لا يوجد موظف انضباط لملاحقة طلاب المدارس في هاواي.  
 - نعم، في هذا معك حق.  
 - إذاً سوف نأني معي؟

فكرت في الفكرة ملياً، وكلما أعمت التفكير لمست لذتي مبعلاً نحو القبول. الخروج من طوكيو فكرة جيدة، لقد وصلت إلى طريق مسدود هنا. نمطل رأسي عن العمل. كنت أشعر بالذعر. وماي قد ماتت فعماً وبلا رجعة.

ذهبت مرة إلى هاواي. ليوم واحد فقط. كنت ذاهباً إلى لوس

أنفسي أسبوع كامل. كان الربيع يخطر خطوات حبيسة من دون أن ينوقف أو يتراجع. وكانت أشجار الكرز قد أزهرت وانتشرت رائحة الزهور في أمطار المساء. الانتخابات جاءت وولت، سنة دراسية جديدة بدأت، بيرون بورغ تقاعد. مايكل جاكسون ينصدر لائحة أفضل الأغنيات طول الوقت. الميت ظل ميتاً.

كانت الأيام تنوالى بشكل عتي. ذهبت للسباحة مرتين. ذهبت إلى الحلاق. اشترت الصحف، لكن لم أر غيراً واحداً عن ماي. ربما لم يتمكنا من التعرف إليها.

في أيام الثلاثاء والأربعاء كنت أنا ويوكي نخرج لتناول الطعام. وفي الاثنين أفلها سبلاتي ونسير على أنغام الموسيقى. كنت أستمتع بهذه الأوقات. كنا نشترك في شيء واحد. أن كلاً منا لديه وقت بضيقه.

حينما لم أكن أراه، كانت يوكي نطل حبيسة البيت طوال النهار خوفاً من أن يمسك بها موظف الانضباط<sup>(13)</sup> المكلف بملاحقة الطلاب المنغيبين عن مدارسهم. لم تكن والدتها قد عادت بعد.

(13) شخص يتم تعذيبه من قبل المدارس الحكومية لمناهضة حالات التلاميذ كثيري التلبس عن الصف.

أنجلس في مهمة عمل وتمطل محرك الطائرة وهبطنا أثناء الليل في هاواي. اشترت نظارة شمسية وسبحت وأضيت اليوم ما بين حمام سباحة الفندق وبين الشاطئ. يوم رائع. لا، هاواي ليست بالفكرة السيئة.

سباحة، وشرب عصائر الفاكهة، والحمامات الشمسية والاستجمام. ربما أعطي وقتاً ممتعاً هناك. ثم بعد ذلك أفوم بإعادة ضبط أموري ومواصلة ما بنعني علي فعله.

قلت: «حسناً لنذهب».

صرخت بوكي: «كم أنت رائع. هيا بنا نذهب لشراء التذاكر».

ولكن قبل ذلك، أجريت اتصالاً بهيراكو ماكيمورا وشرحت له العرض الذي تلقينته.

رحب بالفكرة على الفور. وقال: «ربما نفيدك أيضاً يا ولدي. إنك بحاجة لأن نمدد سافيتك. غدا واحدة من كل أعمال الجرف الذي نقوم به. هنا سيجعلك أيضاً بمنأى عن أذى الشرطة. فما زال ذلك المأزق لم ينجل بعد» أليس كذلك؟ من المرجح أن يقدوا بابك ثانية».

قلت: «ربما يحدث ذلك».

قال: «اذهب ولا تفلق بشأن المال». أي نقاش مع ذلك الشخص

يفقد دائماً إلى المال. «امض المدة التي تريدها هناك».

- إنني أفكر في أسبوع على الأكثر. ما زال لدي عمل مكثس

بحسب أن أعود إليه.

قال ماكيمورا: «كما نشاء. متى ستذهبان؟ كلما عجلت كان ذلك أفضل. هكذا يكون الأمر مع الإجازات. اذهب حينما نلح عليك حالئك المزاجية. تلك هي المعاهرة. لست بحاجة لأن تأخذ أي شيء معك. ما وابلك في أن أحجز لكما التذكريتين بعد غد؟».

- حسناً، ولكنني بإمكانني أن أشتري تذكريتي.

- دائماً أنت تدفن في التفاصيل. هذا جزء من عملي. أعرف

كيف أحصل على أفضل المقاعد بأرخص الأسعار. اسمع لي أن أقوم بذلك. كل شخص يعمل بحسب قدراته. لا نقل أي شيء. لا أريد أن أسمع كلمات مثل هذا نظامك، هذا نظامك. سوف أعطني بأمر الفندق أيضاً. غرفتين. ما وابلك، هل تريد غرفة ملحق بها مطبخ؟

- نعم، أحب أن أأظهر طعامي بنفسي أحبائاً. ولكن...

- إنني ملئم بالمكان. لقد أفضيت بعض الوقت هناك بمفردي

ذات مرة. بالقرب من الشاطئ، كان الجو ماداً ونظاً.

- ولكنني...

- دع كل شيء لي، اتفغنا؟ سوف أتصل بأمي. ما عليك إلا

النوجه مع بوكي إلى هونولولو، والاستغناء على الشاطئ والاستمتاع بالوقت. والدنهما سوف تكون مشغولة على أي حال. حينما يتعلق الأمر بعملها، فإنها لا نيالي بابتنتها أو بأي شخص آخر. لذا لا نفلن. فقط تأكد أن بوكي تاكل طعاماً جيداً. آه، كدت أنسى، هل حصلت على تأشيرتي؟

- نعم، ولكن...

- إذأ بعد غد يا ولدي. لا تنس جواز سفرك. وكل ما نحتاج

إليه، بممكنك الحصول عليه من هناك. أنت لست ذاهباً إلى

سبيري<sup>(14)</sup>. سبيري كانت مكاناً صعباً، دعني أقول لك. إنها مكان

رهيب. وأفغانستان لم تكن أفضل حالاً. مفارقة بهما، فإن هاواي مثل

(14) يبدو أن موراكاني يشير إلى تجربة اليابان الاستعمارية في سبيري إبان الثورة البلشفية حيث تدخل الجيش الياباني لمساندة ما عُرف بالروس البيض ضد الجيش الروسي الأحمر.

ديزني لاند. وسوف تصل إلى هناك في وقت قصير. تم تقرير العين وسوف تكون هناك في لمح البصر. بالمناسبة، هل تتكلم الإنجليزية؟  
- في المحادثات العادية يمكنكني ...

- حسناً، بل رائع. ليس هناك ما يمكن قوله بعد ذلك. سوف يلتفتيك ناكامورا غداً ومعه التذاكر. سوف بحضور معه أيضاً المبلغ الذي أدين به لك ثمن تذكرة بوكي من هوكايدو إلى هنا.

- من ناكامورا هذا؟

- مساعدتي. الشاب الذي يعيش معي.

الولد فرايدي.

سأل ماكيمورا: «هل عندك أي أسئلة أخرى؟ هل تعرف يا ولدي أنني أحبك. هاواي. مكان رائع. روائح رائعة. أرض فسيحة. الاستجمام. لا تلوج يمكنك جرفها هناك. سوف أراك لدى عودتك». حيثذ توقف عن الكلام.

الكاتب الشهير.

حينما أخبرت بوكي بأنني مستعد للسفر، صرخت مرحاً مرة ثانية.

- هل يمكنك أن تجهزي نفسك؟ احزمي ثوب السباحة الخاصة بك وأي شيء تحتاجين إليه.

فالت باستعلاء: «إنها فقط هاواي. إنها أشبه بالذهاب إلى شاطئ أويزو. لستنا ذاهبتين إلى كاتماندو».

في اليوم التالي ذهبت إلى البنك للحصول على بعض المال، وإلى المكتبة لشراء بعض الكتب، وإلى مغسلة الملابس لإحضار

ملابسي. في الثالثة، قابلت الولد فرايدي في مقهى في شيبويا حيث سألني مطروفاً كبيراً فيه مال وتذكريتين مفتوحتين درجة أولى إلى هاواي، ورزمتين من الشيكات السباحة الأمريكية، وخريطة تؤدي إلى القنفذ في هونولولو.

قال ناكامورا: «كل شيء رُتب له. ما عليك إلا أن نقدم لهم اسمك حينما تصل إلى هناك. الحجز لمدة أسبوعين، ولكن يمكن تغييره لمدة أقصر أو أطول. لا تنس أن توقع الشيكات السباحة حينما نعود إلى منزلك. استخدمهما كما نشاء. جميعها ضمن حساب المصروفات. هكذا قال السيد ماكيمورا».

أكاد لا أصدق: «كل شيء» على حساب المصروفات؟.

ضحك بأربعية: «ربما ليس كل شيء»، ولكن ما دمت نحصل على إيصالات دفع، فإن الأمر على ما يرام. تلك هي وظيفتي. من فضلك احصل على إيصالات لكل ما تنفقه».

- أعدك سوف أفعل.

قال: «اعتن بنفسك واسمنع بالرحلة».

قلت: «أشكرك».

حينما حل المساء بحثت في التلاجة وجّهزت عشاء.

بعد ذلك قمت سريعاً بتجميع بعض الأشياء من أجل الرحلة.

هل نسيت أي شيء؟

لا شيء. يمكنكني تذكره.

الذهاب إلى هاواي ليس بالأمر الجليل. نحتاج إلى أخذ أشياء أكثر إذا كنت ذاهباً إلى هوكايدو.

فنحت حقيبة السفر على الأرض ووضعت ما سأرتديه في اليوم

الثاني، ليس ثمة ما يمكنني عمله أكثر من ذلك، استعجمت ثم احتسبت بعض البيرة أثناء مشاهدتي للأخبار، لم يكن هناك أية أخبار نلفت الانتباه باستثناء أخبار الطقس التي لم تكن مشجعة بما فيه الكفاية، عظيم، سوف يكون في هاراي، تملأنا على السربير واحسنني علما آخر من البيرة، فكرت في ماي، ماي التي ماتت تيمناً ويلزرجيم، إنها في مكان بارد للغاية، مجهولة الاسم، بلا زبائن، غداً أنا ويوشي ذاهبان إلى هاواي على حساب مصروفات شخص آخر، هل يمكن لطريقه كهذه أن تدمر العالم؟ حاولت أن أضع صورة ماي عن رأسي.

حاولت التفكير في صديقتي موظفة الاستقبال في فندق الدولفين، الفتاة ذات النظارات، الفتاة التي لا أعرف لها اسماً، فسيب ما كنت أتمنى خلال الوبس الماضيين لو اتصلت بها، إنني حتى رأيتها في الحلم، ولكن كيف يمكنني الاتصال بها؟ ماذا يجب أن أقول؟ «مرحباً، هل يمكنني التحدث إلي الفتاة ذات النظارات التي تعمل في الاستقبال؟» ربما سيظهرني شخصاً يريد الصلابة، إنشاء فندق هو عمل خطير.

هناك مخرج، ما دامت هناك أرادة، إلى آخر هذا الكلام، اتصلت ببروكي وحدثت معها موعداً للقاء في اليوم التالي، ثم سألتها إذا كانت قد عرفت مسابقة اسم موظفة الاستقبال في سايبور التي عهدت بها إلي، والتي توندي النظارات، قالت: «أظن ذلك، لأنه كان اسماً غريباً، أنا متأكدة أنني دوت في مفكرتي، ليس حاضراً في ذاكرتي الآن لكن يمكنني التفتيش عنه».

سألت: «هل يمكنك الآن؟»

— أنا أشاهد التلفزيون.

— أرجوك، الأمر عاجل، عاجل جداً.

تبرّمت، ولكنها أحضرت مفكرتها وقالت: «إنها الآنسة يوميوشي».

كورت: «يوميوشي»

قلت لك إنه اسم غريب، يبدو أنها من أوكيناوا، أليس كذلك؟

— لا، ليس لديهم اسم كهذا في أوكيناوا.

قالت: «على أي حال هذا هو اسمها يوم، يوميوشي، هل يمكنك مشاهدة التلفزيون الآن؟»

— ماذا تشاهدين؟

وضعت الساعة من دون أن تلاحظ.

بعد ذلك اتصلت بفندق الدولفين وطلبت أن يتحدث إلي صديقتي موظفة الاستقبال صاحبة الاسم، لم أكن أعرف إلى أي مدى سيذهب ذلك، لكن عامل الترحيل أوصني بها، ووجدت أن الآنسة يوميوشي تذكرني، لم يتم محوي بشكل كامل.

قالت بصوت خفيض وهادئ وأغم، والذي بعض الأعمال الآن، سوف اتصل بك في وقت لاحق.

قلت: «إذاً تحدثت في وقت لاحق».

فيما كنت انظرها حتى نغادر الاتصال، اتصلت بـ جوناندا وركبت له رسالة أخيرة، بأنني ذاهبة إلى هاواي، لكن صودف أن حضر أثناء الرسالة.

قال: «رائع، أشعر بالخير، أتمنى لو استعنت الذهاب أيضاً».

سألت: «ولماذا لا تذهب؟ ما الذي يمنعك؟»

- ليس الأمر سهلاً كما نظن. قد يبدو أنني فاحش الثراء، لكن في الواقع أنا مثل بالديون على نحو لن تصدقه.  
- حقاً؟

- الطلاق، والفروض. هل نظن أنني أقوم بأداء كل هذه الإعلانات التجارية من فراغ؟ بمكنتي أن ألغي المصروفات، بيد أنه لا يمكنتي أن أسدد ديوني. أخبرني أنك لا نرى أن ذلك أمر غريب.  
- هل أنت مدین لهذه الدرجة؟

قال: «مدین بالكثير. بل حتى لا أعرف كم تبلغ ديوني. إنني لست ذكياً كما يبدو عليه الأمر. إنني أبغض المال. إن الطريقة التي نشأت عليها، هي طريقة مثيلة إذا أمعنت النظر فيها، لعلك تعرف ذلك. أتم خبرك أنك أبداً بذلك؟ كل ما كان عليّ عمله هو أن أعمل بجد، وأن أعبش باستقامة، وأن أنظر إلى الصورة الكلية. كانت نصيحة جيدة في وقتها. لكن من يسمع عن أعبش باستقامة هذه الأيام؟ من يسمع عن الصورة الكلية؟ لكن ما لم أخبرني به أمي أبداً هو إلى من ينتمي محاسب الضرائب. ربما لم تسمع عن الديون والانتفاضات. من حسن حظي أن لدي الكثير منها. وهو ما يعني أنه يتعين عليّ أن أعمل وأنه ليس بإمكانني الذهاب معك إلى هاواي معذرة على هذا الإسهاب، لكن بمجرد أن يتكا أحد هذا الجرح لا بمكنتي أن أتوقف».

قلت: «لا عليك».

- على أي حال، هذه مشكلتي ولبيست مشكلتك. سوف نذهب معاً المرأة القادمة، اتفقا؟ سوف أتفدك. اعن نفسك.  
ضحكت: «إنها مجرد هاواي. سوف أعود خلال أسبوع».

- مهما يكن، هاتفي حينما نعود، اتفقا؟

قلت: «بكل تأكيد».

- وحينما نستلقي فوق شاطئ فيكيكي، نذكرني. وأنا أفوم بدور طبيب الأسنان لسداد ديوني.

قبل العاشرة بقليل اتصلت الأنسة بوميوشي. كانت قد عادت إلى شقتها. بناية بسيطة، وسلم بسيط، وياب بسيط. ابسانها الفلقة. لقد عاودني كل ذلك بجد. أغمضت عيني، وراحت ندف الثلج تنرافس في صمت في وسط هذه الليل. خالطني الشعور بأنني أكاد أقع في الحب.

كان أول ما ابتدرتني به هو: «كيف عرفت اسمي؟».

قلت لها: «لا تقلقي. لم أفعل أي شيء لا ينبغي فعله. لم أنقم من أي شخص. لم أراقب هاتفك». شرحت لها أن بوكي أخبرتني به.

فالت: «أفهم ذلك. بالنماسة، كيف تسير الأمور معها الآن؟ هل عدت بها إلى طوكيو آمنه وسليمة؟».

قلت: «آمنة وسليمة. أوصلناها حتى باب شقتها. وفي الواقع فإنني ما زلت أراها بين حبن وآخر. إنها لطيفة. غريبة الطباع لكنها لطيفة».

فالت بوميوشي وكأنها تقرر حقيقة: «تشبهك بعض الشيء». كانت تتحدث وكأنها تقرر حقيقة معروفة وشائعة بين الناس في العالم: «الفردة تحب الموز، الأمطار لا تهطل كثيراً في الصحراء».

سألنها: «هلا أخبرني لماذا كنت تريد إخفاء اسمك عني؟».

فالت: «لم أنعمد ذلك، صدقني. كنت أنوي أن أخبرك به في المرة التالية التي نلتقي فيها. حينما يكون لك اسم غير مألوف، فإنك تميل للحذر بشأنه».



- هل نعلمين، لقد فحصت دليل الهاتف ولم أعره إلا على اثنتين نحملان اسم يوميوشي في كل أنحاء طوكيو؟

فالت: «أعلم ذلك. كنت أعيش في طوكيو قبل ذلك. كان من عادتي أن أفحص دليل الهاتف طوال الوقت. أينما حللت فحصت دليل الهاتف. هناك واحدة تحمل اسم يوميوشي في كيوتو. على أية حال، ماذا كنت تريد؟»

فلت: «ليس هناك شيء محدد. إنني ذاهب في رحلة غداً. وأردت فقط أن أسمع صوتك قبل الذهاب. هذا كل ما في الأمر. أشعر بانفاد صوتك أحياناً».

لم تجب بشيء، وخلال صمتها تنأى إلى مسممي حديث هامس لامرأة كما لو كانت في نهاية الرعدة. كان الصوت مادناً ولكنه واضح، مشحون بشكل غريب، بما اعتبره نبذة من الحرارة.

وفعت يوميوشي صوتها وقالت: «هل نذكر ما أخبرتك به عن الطابق السادس عشر حيث الظلام الداس؟»

قلت: «آه، نعم».

فالت: «لقد تكرر ذلك مرة ثانية بالفعل».

كان دوري في عدم الجواب فد حان.

سألت: «هل ما زلت على الخط؟».

فلت: «نعم أنا هنا، استمر في الحديث».

- لكن يجب أن نخبرني الحقيقة أولاً. هل صدقت بالفعل ما أخبرتك به تلك المرأة؟ أم كنت تسيرين؟

فلت: «لقد صدقتك فعلاً. لا توجد فرصة الآن لأفص عليك» لكن الشيء نفسه قد حدث معي. أخذت المصعد وخرجت منه فإذا

بظلام داسي بغلفني. لقد مررت بالنجوة نفسها. لذا فإني أصدقك، أصدقك».

- هل ذهبت إلى هناك؟

- سوف أفص عليك القصة كلها حينما نلتقي في المرة القادمة. لكنني ما زلت غير قادر على التعبير عنها بالكلمات. الكثير من الأشياء لا أفهمها. لذا فإني بحاجة حقاً إلى التحدث إليك. ولكن لا عليك من كل ذلك، أخبريني ماذا حدث معك. ذلك أكثر أهمية. لاذت بالصمت، وكان الكلام الهامس قد تلاشى أيضاً.

قالت يوميوشي: «حسناً، قبل عشرة أيام مضت، كنت أمتقل المصعد متجهة إلى أسفل حيث مرآب السيارات. كانت الساعة حوالي الثامنة ليلاً. نزل المصعد، وفتح الباب، وفجأة وجدت نفسي في ذلك المكان مرة ثانية. تماماً مثل المرة السابقة. لم يكن الوقت منتصف الليل، ولم يكن المكان هو الطابق السادس عشر. ولكنه كان العنهد نفسه. ظلام حالك ورطوبة مزعجة ورائحة عفنة. كانت كل من الرائحة والهواء هما نفسيهما تماماً. في هذه المرة لم أنجول في المكان. وقفت لا أحرك ساكناً وانتظرت حتى يعود المصعد ثابتة. لكن طال الانتظار لمدة لا أعرف إلى متى. حينما وصل المصعد في نهاية الأمر دخلته وتركت المكان. ذلك هو ما حدث».

سألت: «هل أخبريت أحداً بالأمور؟».

قالت: «هل نظن أنني مجنونة؟ بعد الطريقة التي تفاعلوا بها مع المرأة الفاتنة؟ لن يحدث ذلك أبداً».

- نعم، يستحسن ألا تخبري أي إنسان.

- ولكن ما الذي ينبغي علي فعله الآن؟ كلما دخلت مصعداً، أشعر بالفزع من أن الأمر قد ينتهي بي إلى هو من الظلام الحالك.

وفي فندق مثل هذا، يتعين عليك أن تستقل المصعد كثيراً. ماذا علي أن أفعل؟ لا يمكنني التحدث بذلك الأمر لأي شخص سواك.

سألناها: «إذاً لماذا لم نتصلي بي قبل ذلك؟».

نحوّل صوته إلى ما يشبه الهمس: «حاولت مرات كثيرة، لكنك لم تكن داخل المنزل».

- ولكن آلة الرد كانت تعمل، أليس كذلك؟

- أممت هذه الأشياء. إنها تؤثرني.

- إذاً، دعيني أخبرك بما أعرفه حول ما يحدث. لا يوجد ما ينذر بالشر من هذا الظلام. إنه لا يضر أي شيء، لذا لا حاجة لأن تشعرني بأنك مهددة. لكن ثمة شخص يعيش هناك. هذا الشخص كان يسمع خطي فدمعك، لكنه شخص لن يُلجئ بك أي أذى أبداً. لن يؤدي ذبابة أبداً. لذا أفرح عليك إن وجدت نفسك مرة أخرى في ذلك الظلام، أن تقومي فقط بإغماض عينيك وأن تعودتي للمصعد ونغادري المكان. انفضا؟

مضغت يوميوشي كلماني في صمت. «هل يمكن أن أقول ما أفكر فيه حقاً؟».

- بالطبع.

قالت: «لست أفهمك. لست أفهمك على الإطلاق. حينما أفكر فيك، ينبغي لي أنني لا أعرف عنك شيئاً».

- لكنني أخبرتك بالفعل كم عمري. وأظن أن شخصاً في سني لديه الكثير من المسائل المعلقة. لقد تركت الكثير من النهايات المفتوحة معلّنة. لذا فأنا أحاول الآن أن أنامل مع أكبر عدد ممكن من هذه النهايات المفككة. إذا تمكنت من فعل ذلك، وربما يمكنني

حينئذ أن أشرح لك الأشياء بشكل أكثر وضوحاً فليلاً. ربما يمكننا حينئذ أن نفهم بعضنا البعض بشكل أفضل.

قالت غير مكترثة: «ليس أمامنا إلا التعلق بالأمل». بدت مثل مذبذبة أخبار تلفزيونية. ليس أمامنا إلا التعلق بالأمل. ونوافيكم بباني الأخبار.

أخبرتها أنني ذاهب إلى هاواي.

قالت غير عابثة: «أحقاً؟» انتهت المحادثة. ووضع كل منا السماعة. احتسبت بعض الويسكي، وأطفأت الأنوار ثم رحت في النوم.

نفسها وسوف أقوم بالحركات نفسها. ذلك هو ما نسميه نظاماً. أو ميولاً. على أية حال، كانت فذماي تتحركان. وكنت أواسل الحركة. والآن أنا في هونولولو. وقت للاستجمام.

وقت للاستجمام. لم أقصد أن أقولها بصوت عال، ولكني فعلت على ما يبدو. تغلبت يوكي ونظرت شزراً نحو منشككة. وقالت بصوت أجش: «فيم كنت تفكر؟».

قلت: «لا شيء».

- ليس لأنني أهتم، ولكن هل يمكنك ألا ننحدث لنفسك بصوت عال بجعلني أسمعك؟ ألا يمكنك فعل ذلك وأنت بمفردك؟

- آسف، لكن أزعجتك ثانية.

نظرت يوكي إلي نظرة منملعة.

قالت يوكي وهي تنقلب بعيداً عني: «إنك تتصرف مثل رجل هجوز غريب الأطوار لم بعد أن يتواجد بين الناس».

أخذنا سيارة ناكسي من المطار إلى الفندق، وغبرنا ملابس السفر إلى نى شيرتات وشورنات، وكان أول ما فعلناه هو الذهاب لشراء ذلك المسجل الكبير. كان ذلك بناء على طلب يوكي. كان صوته ثاقباً، كما قالت يوكي للباحث.

باستثناء الغلبيل من شرائط الكاسيت، لم تكن بحاجة إلى شيء آخر. فقط المسجل، الذي أخذته معها أهبنا ذهبنا على الشاطئ. أو بمعنى آخر كان ذلك هو دوري. حامل أمتعة من هاواي.

كان الفندق وكرم ماكيمورا على ما برام. اثاث ودبكورات غير مألوفة. لكن من يذهب إلى هاواي للبحث عن الأناقة. كان مكان إقامتنا مريحاً للغاية. هدوء الطابق العاشر وباطلالة على الأفق. شرفة

بعد سماع الأخبار، استلقيت على شاطئ فورت دي روسي وأنا أنامل زرفة السماء وسعف النخيل وطيور النورس. كانت يوكي بجواوي. كنت أستلقي على ظهري فوق حصيرة الشاطئ، فيما كانت يوكي منبطحة على بطنها مغمضة عينيها. بجانبها كان هناك شريط في جهاز راديو كبير الحجم من نوع سانيو يغني أحدث أغنيات إيريك كلايتون. كانت يوكي ترتدي بيكيني أخضر زيثونياً، وكان جسمها من رأسها إلى إخمص قدميها مغلى بزيوت جوز الهند. بدت رشيدة ولامعة مثل دلفين صخبر. كان حارس الإنفاذ ينظر من برج المراقبة لتتابع ما يجري على الشاطئ، فيما سلسلته الذهبية تومض. المدينة كلها كانت نفوح برائحة الزهور والفاكهة والزيوت التي تقي من الشمس.

بدأ الناس بالظهور على الشاطئ، ونغير المشهد. قبل فترة غير طويلة كنت أنجول وأنا شبه مغمض العينين في سابورو. بعدها كنت أنمش على الشاطئ في وايكيكى وأنا أحد في الزرفة. شيء قاد إلى آخر. أربط التفاف. ارتقى على الموسيقى وسوف نوصلك إلى هنا هل كنت أرفض كأفضل ما يكون؟ تفحصت آثار قديمي المنتظمة. ليس شيئاً. لبس رائعاً ولكنه ليس شيئاً. ضعني مرة أخرى في الوضعية

نظّل على البحر من أجل حمامات الشمس. مطبخ واسع ونظيف ومحجر بكل شيء بدءاً من الميكروويف إلى غسالة الأطباق. كانت غرفة بوكي بجوار غرفتي، لكنها أصغر بعض الشيء من غرفتي.

كان لدينا مخزون وفير من البيرة والخمر وفاكهة وعصائر كاليفورنيا، فضلاً عن المواد اللازمة لإعداد الساندوتشات. وهي أشياء أخذناها معنا إلى الشاطئ.

أمضينا أياماً كاملة على الشاطئ، نكاد لا نتبادل الحديث. نغلب أجسامنا مرة على البطن ومرة على الظهر ونحن نستمع بأشعة الشمس. كان نسم البحر يحدث حفيفاً في أشجار النخيل. أكاد أنام لولا أصوات المارة التي جعلتني أنساؤاً أبين أنا. في هاواي، كان الأمر يحتاج مني إلى لحظات قليلة حتى أدرك ذلك. هاواي. كان زيت الشمس والعرق يجريان على خدي. كانت الأصوات تنخفض وتندفق مع الموج فتختلط بدقات قلبي. كان قلبي قد أخذ مكانه بين الأعمال العظيمة لهذا العالم.

طراً تغبير كبير على ملامح بوكي منذ أن وطأنا أرض هاواي وضربها ذلك الهواء العليل والدافئ. أغمضت عينيها وأخذت نفساً عميقاً ثم نظرت إليّ. بدا أن التوتر قد فارقها. لم تعد متوتبة كما كانت أو سريعة الغضب. إيماءاتها وطريقة تعبيرها بدوها خلال شعرها والطريقة التي كانت تمضغ بها علكتها، والطريقة التي تهر بها كتها، كل ذلك خفّت حدته.

من خلال البكيني الصغير الذي ترتديه ونظاراتها الشمسية السوداء وشعرها المعقوف فوق رأسها بشدة كان يصعب أن نغادر سن بوكي كان جسمها لا يزال جسم طفلة، لكن كان لديها فوام شخص أكبر من ذلك بسنين. كانت أظرافها النحيفة نوحى بالقوة. بدا أنها دخلت أكثر مراحل نموها حيوية. كانت في طريقها للبلوغ.

دلّك كل منا الآخر بالزيت. كانت تلك هي المرة الأولى التي خببرني فيها أحد بأن لي «ظهرًا كبيراً». أما بوكي فكانت تتأثر كثيراً الدغدغة ولا يمكنها أن تثبت. جعلني ذلك أبتسم. أذناها البيضاءوان يوقتها، كم كانت رفيعة فتاة. كانت تختلف عن رفيعة امرأة بالغة. لكن ؟ تسألني ماذا أقصد بذلك.

فالت لي بوكي: «من الأفضل أن تدهن الزيت ببطء في البداية. ولا يجب أن تدهن في الظل، ثم نحت ضوء الشمس المباشر، ثم هود فتدهن في الظل ثانية. بتلك الطريقة تضمن ألا تتعرض لحروق لشمس. إذا حدث ذلك، فإن بترك ندبات فيجعة.» «نلّ وشمس وبلّ» رحت أدندن مطبوعاً وأنا أدهن ظهرها بالزيت.

أضربت أول ظهيرة لنا في هاواي وأنا متمدد الجسم تحت ظل شجرة نخيل وأستمع لمحطة إف إم. كنت أنزل إلى الماء من وقت لآخر، أو أذهب إلى البار على الشاطئ للحصول على بيتا كولا دا (شراب مسكرو مصنوع من جوز الهند). لم تسبح بوكي ولو مرة واحدة. كانت ترغب في الاسترخاء، كما قالت. كان لديها الكثير من ساندوتشات التفاح وعصير جوز الهند.

بدت الشمس هائلة الحجم، وغابت في المحيط، فيما اكتست السماء بظلال رائعة من الأحمر والأصفر والبرتقالي. كان نادراً ما يمكنني أن أثنى بوكي عن رأيها.

قلت لها: «هيا بنا نذهب. لقد غابت الشمس وأنا جائع. هيا بنا نحضر بعض العصير والهامبرغر المشوي على الفحم.»

أومات بوكي ولكنها لم تنهض من مكانها. كما لو كانت كارهة لأن تتنازل عن الوقت القليل المنبفي. طوبت حواضر الشاطئ وحملت المسجل.

قلت: «لا تغلغي». ما زال أمامتنا الغد. وبعد غد هناك يوم ما بعد الغد».

نظرت إليّ وعلى وجهها أثر ابتسامة. وحينما مددت لها يدي، أمسكت بها ونهضت من مكانها.

(29)

في الصباح التالي فالت بوكي إنها ترغب في رؤية والدتها. لم تكن نعرف مكانها ولكن لديها رقم هاتفها. لذا اتصلت بها وتبادلت النجبة معها ودلّنتني على الطريق لمكان إقامتها. كانت أمي قد استأجرت بيتاً ريفياً صغيراً بالقرب من مأكاهو التي تبعد حوالي 45 دقيقة عن هونولولو.

استأجرتنا ميسوبيشي لانسر وفتحنا الراديو بأعلى صوت وفتحنا النوافذ وبدأنا الطريق. كان كل مكان مرزناً به بزخرف الضوء ونفوح من روائح الزهور.

سألت بوكي: «هل والدتك تعيش بمفردها؟».

لوت بوكي شغبتها: «هل نمزح؟ مستحيل أن نستطيع السبده العجوز أن تعيش في دولة أجنبية معتمدة على نفسها. إنها أكثر شخص غير عملي يمكنك مفايلته في حياتك. إذا لم يكن لديها شخص يعتني بها فسوف تضيق. على كم تراهن أن لديها صاحباً يعيش معها هناك؟ وربما يكون شاباً ووسمياً. تماماً مثل الشاب الذي يعيش مع أبي».

- ماذا؟

- هل تذكر ذلك الشاب الجثلي الجنس الذي كان في بيت أبي ويعيش معه؟ إنه نظيف للغاية.

- مثلي الجنس؟

- ألم نكتشف ذلك؟

- لا، لم أكتشف أي شيء.

- أنت أبه، لعلك تعرف ذلك! يمكنك أن تكتشف ذلك بمجرد النظر إليه. لست أدري إن كان أبي مثلي الجنس أيضاً، ولكن الولد مثلي بالتأكيد. بلا شك، متتبن بالعمة مثلي.

بدأت موسيقى غرفة «روكسي» في الراديو ورفعت يوكي من الصوت حتى أنصت حدّ.

- على أي حال، فإن أمي تضعف أمام الشعراء. الشعراء الشباب، الشعراء الفاشلون. أي نوع من الشعراء. إنها نجملهم بفرأون عليها أشعارهم أثناء فبامها بالتصوير. تلك هي فكرتها عن الرفة الجميل. أبي كان ينبغي أن يكون شاعراً، لكنه لم يستطع أن يكتب قصيدة حتى لو انهمرت عليه الزهور من السماء الزرقاء.

يا لها من أسرة! أب كاتب وقاصي الغلب ولديه مساعد مثلي الجنس هوي فرايدي، وأم مصوّرة ذات عبقريّة نصاحب الشعراء، وابنة تمتلك قوى روحانية. لحظه من فضلك، هل من المفترض أن يكون ثمة نلالم بيني وبين تلك الأسرة الممتدة المصايبه باضطراب ذهاني؟ تذكرت ابنسامة الولد فرايدي الودودة ذات الجاذبية. ربما، أقول ربما، كان يقول: «مرحباً باتصمامك للنادي». هذا العزف مع تلك الأسرة هو شيء مؤسف لا محالة. هل نفهم؟ دورة قصيرة من العلاقات العامة قبل أن أعرد إلى جرف الثلوج. في أي لحظة أخرى لم يكن ممكناً أن يكون لدي وقت لمثل هذا الجنون.

بحسب تعليمات أمي، انعطفت بالمسيرة بعيداً عن الطريق السريع قبل ماكانها وتوجهت صوب التلال. كانت المنازل نصطف على جانبي الطريق وهي شبه جاهزة لأن ننهار في الإعصار القادم ونقلّ كلما اقتربنا من مجمعات المتنجنات الخاصة. سمح لنا الحارس بالدخول حينما ذكرنا له اسم أمي.

كان يوجد مرج أخضر فسيح ويحظى بالعناية. كان البستانيون ينفثون في عربات غولف صغيرة أثناء عنايتهم بالأشجار والشب. كانت الطيور ذات اللون الأصفر ترفرف حول المكان. مكان إقامة والدة يوكي يقع خلف حمام سباحة ومربد من التلال والمروج والأشجار.

كان البيت ذا طابع استوائي معاصر ومحاطاً بمجموعة من الأشجار المثمرة. ضربنا جرس الباب. بعد ثوان قليلة فُتح الباب لبغابنا رجل أبيض طويل، سترته الشمس. كان صاحب بيتان هوي، له شارب ويرندي فميصاً من ماركة ألوهيا وينظالاً رياضياً، وينتعل صندلاً من المطاط. كان يبدو في عمري نفسه تقريباً، ودو ملامح مغرولة، إن لم يكن وسبباً ناماً. لكنه أكثر صرامة من أن يكون شاعراً بالرغم من أن العالم يجب أن يكون فيه شعراء صارمون. كانت أكثر ملامحه بروزاً هي غياب ذواحه اليسرى من الكتف.

نظر إلّي ونظر إلى يوكي، ثم نظر إلّي مرة ثانية، ثم لوى فكه على نحو خفيف واينسم. «مرحباً»، حيناً يهدهو ثم انتقل للحديث باليابانية. «كونيشيوا». صافحتنا وطلب منا الدخول. كانت لغته اليابانية بلا أخطاء.

قال: «أمي تقوم ببعض التصوير الآن. سوف تكون هنا في غضون عشر دقائق. معذرة على الانتظار. اسمح لي أن أقدم لكما نفسي. آتا ديك، ديك سورت. أعيش هنا مع أمي».

اسطحبتنا يدك إلى غرفة المعيشة الواسعة. كانت في الغرفة نافذة واسعة ومروحة سقف مثل شيء من رواية لسومرست. جُزِفَ شعبية بوليتزية نزين الجدران. أجلسنا على الأريكة الكبيرة ثم أحضر لنا اثنين بربدو وكوك. شربت أنا وديك البيرة الخاصة بناء لكن بوكي لم تقرب شرايبا.

كانت تحدف من الشافطة من دون أن تقول أي شيء. كان بإمكانك أن ترى البحر يومض من خلال أشجار الفاكهة. في الأفق كانت تظهر سحباً وحيدة تأخذ شكل جمجمة إنسان جاوه. كانت ثابتة بعناد في مكانها، مظهر دائم من مظاهر مشهد البحر. كانت شديدة البياض وذات حواف تختلف عن لون السماء. الطيور كانت تغرد وهي تنفض بعضها وراء بعض. كان ذلك ماهرأ جداً في استعمال ذراعه الوحيدة.

«كيف نشئ لك أن نثن الباهانية بهذه الدوجة الممنازة؟» سألت ذلك حينما لم أجد شيئاً آخر أقوله.

رفع ديك حاجبيه وابتسم وقال ببطء: «عشت في الباهان عشر سنوات. في البدء ذهبت إلى هناك أثناء الحرب. حرب فينتنام أحببتنا، وحينما تركناها، التحفت بجماعة صوفيا، درست الشعر الباهاني، هابكر ناننا الذي أترجمه الآن. لبس سهلاً بطبيعة الحال ولكن نظراً لأنني أنا نفسي شاعر، فإن الأمر كله في سبيل قضية نبيلة» قلت بأدب: «أنشيل ذلك». لبس صغيراً، وليس وسجماً، ولكنه شاعر. واحد من ثلاثة.

نحدث وكأنه يستأنف حبلى أفكاره: «أمر غريبه لعلك تعرف أن لبس هناك أي شعراء بذراع واحدة. ربما نسمع عن رسامين بذراع واحدة، عازفي بيانو بذراع واحدة. بل حتى بين لاعبي البيسبول هناك لاعبون بذراع واحدة. لكن لماذا لا يوجد شاعر بذراع واحدة؟».

وهذا حقيقي.

قال ديك: «أخبرني إن كنت قد سمعت عن واحد».

هزئت رأسي. لم أكن منبجراً في عالم الشعراء بشكل عام، بما في ذلك هؤلاء من ذوي الذراعين.

واسل كلامه: «هناك عدد من الملاحين بذراع واحدة. إنهم يجدفون بأغلامهم. ويؤدون كل شيء بشكل جيد. إنني أجدف قلاباً».

نهضت بوكي وراحت تتجول في الغرفة. صحت التسجيلات من الوف ولكن على ما يبدو لم نعر على شيء مما تحبه، فشأت وجهها العيوس. من دون موسيقى كان المكان هادئاً بشكل يبعث على النوم. من وقت لآخر كانت أصوات ماكينات تشذيب العشب، أو أصوات تغريد الطيور أو صغير الرياح أو صوت شخص تتناهى لأسماعنا. قلت: «الأجواء هادئة هنا».

كان ديك نورث يحملن بشدة في راحة يده.

- نعم. إنه الصمت. ذلك هو أهم شيء هنا. وخصوصاً للأشخاص الذين يعملون في سلك أمي. في عملي أنا أيضاً، يكون الصمت أمراً لازماً. لا يمكنني تحمّل الضجيج. أتم تجد أن في مونولولو الكثير من الضوضاء؟

لم أجد ذلك، ولكنني وافقته فقط حتى أدفع بالمحادثة للأمام. كانت بوكي تنظر من النافذة مرة أخرى وعلى وجهها علامات الامتعاض.

- كنت أفضل العيش في كاراي. إنه مكان رائع حقاً. أكثر هدوءاً وأقل أشخاصاً. أما أروها فلبست المكان الذي أفضل العيش فيه. إنها مزدحمة بالسياح والسيارات وفيها الكثير من الجرائم. ولكن

أني يمتنع عليها أن تقيم هنا من أجل عملها، إنها تذهب إلى هونولولو مرتين أو ثلاثة في الأسبوع للحصول على المعدات والإمدادات. كما أن مزاوله الأعمال ومقابلة الناس هي أسهل هنا. كانت تصور الصيادين وعمال البساتين والفلاحين والطهاة وعمال الطرق. إنها مصورة رائعة.

لم أدفق أبداً في أعمال أُمِّي التي قامت بتصويرها، ولكن مرة ثانية ومن أجل مسابره وافقت الرأي. فتحت بوكي نفخة غير واضحة من أنفها.

سألني عن طبيعة العمل الذي أقوم به.

قلت له إنني كاتب بالقطعة. أبدى اهتمامه، ربما ظن أنني نوام روحه. سألني عن نوعية كتاباتي.

قلت له وأنا أحاول أن أسكب بخيط الكلام: «كل شيء». أكتب بحسب الطلب. أحب جرف الثلج».

«جرف الثلج»، كره باهتمام. بدا أنه لم يفهم. كنت على وشك أن أشرح له حينما دخلت أُمِّي إلى الغرفة.

كانت أُمِّي ترندي فيصبا من الجبنز وسرولاً قصيراً. لم تكن تضع زينة على وجهها وكانت شعها الشعر، تماماً كما لو أنها استيقظت لنومها من النوم. لكنها مع ذلك كانت ذات جاذبية شديدة، تفيض بالنبل والحضور الذي أثار إعجابي بها حينما رأيتها في فندق الدولفين. ما إن دلت إلى الغرفة، حتى جذبت انتباه الجميع. بشكل فوري ومن دون شرح ومن دون قصد منها.

ومن دون أن نلغي بأي تحية، ذهبت نحو بوكي ومررت يدها خلال شعرها بلطف، ثم ضعلت بطرف أنفها على جانب رأس

الفتاة. بدا واضحاً أن بوكي لم تستمع بذلك، بيد أنها احتمله. هزت رأسها بقوة لتعيد شعرها كما كان. ثم ألقت نظرة باردة على زهرية أعلى الرف. لم يكن ذلك بمبادل الأزداء الكامل الذي كانت ينيده إزاء والدها رغم ذلك. هنا كانت تظهر عدم شعورها بالراحة، ولكنها ههتئ من نفسها.

كان هنالك ما يشبه الحوار الصامت يدور بين الأم والابنة. لم يكن هناك: «كيف حالك؟» أو «هل أنت على ما يرام؟» فقط تمرير اليد في الشعر ولمسة الأنف. ثم اقتربت أُمِّي وجلست بجوارني، وسحبت عليّ من سجاائر سليم وأشعلت سيجارة. أحضر الشاعر متفهمة سجاائر ووضعها بشكل طقوسي على الطاولة. وضعت أُمِّي عود التاب فيها وهي تخرج نفخة من الدخان وتغض أنفها ثم تريح سجاورتها.

استهلت كلامها: «أسفة»، لم أستطع الانتهاء من عملي قبل ذلك. تعرف كيف تكون الأمور مع التصوير. من المستحيل أن تتوقف في منتصف الطريق».

أحضر الشاعر لأُمِّي قنبه بيرو وقدحاً وصّب لها.

استدارت أُمِّي تحري وسألت: «كم سنمكث في هاواي؟».

قلت: «أسبوع تقريباً. ليس لدينا برنامج ثابت. إنني في إجازة من عملي الآن، ولكن سوف يمتنع عليّ أن أعود للعمل في يوم من هذه الأيام».

- يجب أن تمكث هنا أطول فترة ممكنة. إن الجو هنا جميل.

أجبها: «نعم، أنا على يقين من أن الجو هنا جميل»، فيما كان عقلها في واقع الأمر في واد آخر.



ثم سألتني: «هل تناولت طعاماً؟».

أجبت: «تناولت ساندوتشاً في الطريق، لكن بوكي لم تأكل».

فالتت موجهة سؤالها نحو الشاعر: «ماذا لدينا للغداء اليوم؟».

قال ببطء متعمد: «أظن أننا جهزنا صباغيتي معاً منذ ساعة. منذ ساعة يعني أن ذلك كان في الثانية عشرة ونصف، ولذا فإن هذا هو ما يصلح للغداء».

علفت بغموض: «هل ذلك صحيح؟».

قال الشاعر وهو يبتسم ناحيتي: «نعم، بالفعل. حينما نستغرق آمي في عملها تفقد صلحتها بكل شيء». ننسى إن كانت قد تناولت الطعام أم لا. وماذا كانت تفعل وأين. إن عقلها يصبح غامضاً بسبب تركيزها الحاد».

ابتسمت بشكل مهذب. ولكن التركيز الحاد؟ هذا يبدو أكثر ارتباطاً بعالم الأمراض النفسية؟

نظرت آمي إلى فم البيرة وهي شاردة لبرهة قبل أن تمسك به وفالت: «ربما ذلك. ولكنني ما زلت جائعة. على أية حال، إننا لم نتناول أي شيء على الإفطار. أم أننا أنظرنا؟».

قال ديك: «دعيني أفحص عليك الوفاة كما أنذكرها. في الساعة ونصف صباحاً تناولت إفطاراً مكوناً من الغريب فروت والخبز المقدد والزبادي. في الواقع كنت متحمسة له. وفلت إن الإفطار الجيد هو أحد مميزات الحياة».

فالتت آمي وهي تحك أحد جانبي أنفها: «هل قلت ذلك؟» حذفت في الفراغ وهي تفكر في الأمر وكأنها تشاهد مشهداً من أفلام الرعب ليهيشكوك. إن الحفظة تتراجع حتى لا يمكنك أن تقول من المجنون ومن العاقل.

فالتت: «حسناً، لا يهم. إنني جائعة جداً. لعلك لا تمنع حتى إن كنت قد أكلت بالفعل؟».

ضحك شاعرهما المحب وقال: «لا، لا أمانع. إنها معدتك لا معدتي. وإذا كنت تريد أن تأكلي فإنني أقول إنه يجب عليك أن تأكلي كما نشأتين. الشهية شيء جيد. إنها هكذا دائماً معك. حينما يسير عملك بشكل جيد، نكون لديك شهية للطعام. هل أعد لك ساندوتشاً؟».

- أشكرك. هل يمكنك أن تحضر لي أيضاً قهناً آخر من البيرة؟

قال: «بكل تأكيد» ودخل إلى المطبخ.

استدارت نحوي وسألتني: «وأنت، هل تغذيت؟».

كررت: «تناولت ساندوتشاً في الطريق».

- وأنت يا بوكي؟

- «لا»، كانت إجابة بوكي المتفضية.

- «الغيب ديك في طوكيو». بدأت آمي حديثها إلي وهي تضع ساقاً على ساق. ولكن كان يبدو أنها تشرح الموقف أيضاً لبوكي. إنه الشخص الذي اقترح علي الذهاب إلى كانماندو. قال إنها ستلهمني. كانماندو كانت رائعة حقاً. ديك فقد ذراعه في فينهام. بسبب لغم أروسي. ذلك اللغم الذي يطير في الهواء ثم ينفجر. بووم. كان الشخص الذي معه هو الذي داس عليه ففقد ذراعه. إنه شاعر. يجيد اليابانية أيضاً. أليس كذلك؟ مكنتا في كانماندو بعض الوقت ثم أتينا إلى هاواي. بعد كانماندو كنا نريد مكاناً دافئاً. ذلك حينما وجدنا هذا البيت الريفي. إنه ملك لأحد أسدقاته. إنني أستخدم حمام الضيوف كغرفة سوداء. مكان لطيف. أليس كذلك؟».

حينئذ نهدت بعيني كما لو كانت قد قالت كل ما كان يجب أن نقوله. مددت جسمها وسكنت. نحن الصمت وقت الظهيرة، ظهر

وميض من الضوء مثل التراب وهو ينسرب في كل الاتجاهات بحرية .  
ما زالت السحابة البيضاء التي نشبه جمجمة إنسان جالوة وابضة فوق  
الأفق . كانت سبجارة سليم التي أشعلتها آمي ما تزال نحترق في  
المنفضة لم تنسها قريباً .

كيف يتسنى ليدك أن بعد الساندوتشات بلذراع واحدة؟ وجدنتي  
أنساءل . كيف يشطر الحبز؟ كيف يثبت الخبز في مكانه؟ هل هذه  
مسألة أوزان وفوايف؟

حينما ظهر الشاعر يحمل صنبه من ساندوتشات الهام الجميلة ،  
مقطعة ومعدة بشكل جيد ، لم يكن هناك نهاية لإعجابي . ثم فتح قفنه  
بيرة وصبب لآمي .  
«أشكرك ديك» ، قالت ثم استدارت نحوي ، «إن ديك طاه  
عظيم» .

قال وهو يغمز بعينه : «لو أن هناك سبابة في الطهي للشعراء من  
ذوي اللذراع الواحدة ، لفزت من دون جهد» . ثم غاب ثانية في المطبخ  
لإعداد القهوة . بالرغم من غياب ذراعاه ، إلا أن ديك كان أبعد ما  
يكون عن العجز .

عرضت عليّ آمي ساندوتشاً . كان للذيذة وبطيفة ما ، شاعرياً  
في تركيبه . كانت فهوة ديك جيدة أيضاً .  
بدأت آمي المحادثة مرة ثانية : «لبس هناك مشكلة ، أنت مع  
بركي . كلاهما» .

- ماذا؟

- إنني أتحدث عن الموسيقى بالطبع . أغاني ابروك . ألا تسب  
لكما صداعاً؟

قلت : «لا ، لبس بشكل خاص» .

قلت : «لا يمكنني الاستماع لهذا النوع لأكثر من ثلاثين ثانية من  
دون أن يصيبني صداع حاد . أن أكون مع بوكي أمر جميل ، لكن  
الموسيقى لا نعتدل . إن أنواع الموسيقى التي أحملها محدودة جداً .  
بعض الباروك ، أنواع معينة من الحاز . الموسيقى الشعبية . الموسيقى  
الهادئة . هذا ما أحبه من الموسيقى . وأحب أيضاً الشعر . التناغم  
والهدوء» .

أشعلت سبجارة أخرى ، وأخذت نفساً ثم وضعتها في منفذ  
السجائر . كنت متأكداً أنها ستسببها هي الأخرى وهو ما حصل  
بالفعل . مما يثير الدهشة أنها لم تشعل النيران في المنزل حتى الآن .  
كنت قد بدأت أنهم ماذا كان هيراكو ماكيمورا يقصد بقوله إن آمي قد  
أرهفته . إن آمي لا تعطي مطلقاً . إنها فقط تأخذ . كانت نستعد مرّة  
حولها حتى تمد نفسها بأسباب الحباة . ودائماً ما يكون المحبطون بها  
يعطون . موهبتها تجلت في قدرتها الفائقة على الجذب . كانت تعتقد  
أن ذلك هو امتياز وحق لها . التناغم والهدوء . وحتى يمكنه بلوغ  
ذلك ، فإنها تجعل من كل شخص خادماً لها .

كنت أريد أن أصرخ ، ليس لأن ذلك يمثل لي أي فرق . كنت هنا  
في إجازة . لديّ حياتي الخاصة . دع كل هذه الأشياء الغريبة تصل إلى  
مستواها الطبيعي . ولكن ربما لم يكن ما أفكر فيه ذات أهمية؟ كنت  
عضواً في الفرقة المساند لها .

انتهت آمي من ساندوتشها ومشيت نحو بوكي ، وراحت تمرر  
أصابعها خلال شعر الفناء ببطء مرة ثانية . كانت بوكي نحلق في  
فناجين القهوة التي على الطاولة وهي شاردة . وقالت آمي : «شعر  
جميل . الشعر الذي كنت أريده دائماً . لامع جداً ، وحريري ناعم . إن  
شعري يصعب نصفه ، البس كذلك يا أميرني؟» وقامت مرة ثانية  
بلمس جانب رأس بوكي بطرف أنفها .

رفع ذبك الألياف. ثم شغل موسيقى الحجرة لمونسارت. سألتني  
إن كنت أرغب في فذح آخر من البيرة فأخبرته أنني احتسيت ما  
يكفي.

وقالت أمي بصوت حاد: «ذبك، أود أن أناقش بعض الأمور  
العائلية مع بوكي. حديث بين أم وأبنتها. ما وأبك في أن تصحب هذا  
السيد إلى الشاطئ. سوف تنتهي في غضون ساعة».

«بكل تأكيد»، أجاب الشاعر وهو ينهض واقفاً على قدميه. طبع  
قبلة غفيرة على جبهة أمي، وأعتمر قبعة من الفمائل ونظارة شمس  
راي بان. «أراك بعد ساعة. أمنتى لكما حديثاً منعاً». ثم اصطحبني  
من ذواعي وقادني إلى الخارج، وقال: «لدينا شاطئ رائع هنا».

مزت بوكي كنفها ونظرت إلي نظرة غير مفهومة. كانت أمي على  
وشك أن تشعل سيجارة سليم ثالثة. تركنا المرأتين معاً لحديثهما  
وخرجنا نتمشى تحت شمس ما بعد الظهيرة.

فيما كنت أفود اللانسر بانجاه الشاطئ، قال ذبك إن الغبادة يمكن  
ألا تمثل له مشكلة إن هو قام بتركيب ذراع صناعية. لكنه يفضل ألا  
يفعل ذلك. وشرح: «إنه غير طبيعي. لن أشعر بالراحة. ربما يكون  
أكثر ملاءمة لي أن تكون لدي واحدة. ولكني سأكون واعياً بها. لن  
تكون جزءاً مني. أحاول تدريب نفسي على أن أعيش بذراع واحدة  
إنني متأكد في ما يمكنني القيام به. لكنني أفوم به على ما يرام».

- كيف يمكنك أن نشطر الخبز إلى شطائر؟

- «الخبز؟» أطرق لبرهة بفكر كما لو كان لم يعرف عما كنت  
أحدث. «أه، شطر الخبز؟ ذلك سؤال معقول. ليست شمة صعبه  
كبيرة فيه. أستخدم يد واحدة بالطبع. لكني لا أمسك السكين بالطريقة

المعتادة. سيكون الأمر غير مفيد إن فعلت ذلك. إن المهارة هنا أن  
تثبت الخبز في مكانه بأصابعك وأنت تحرك لصل السكين هكذا».

أوضح ذبك لي ذلك ببده. بيد أنني لو ظللت أحاول طوال  
حياتي أن أتخيل كيف يمكن لهذه الطريقة أن تنجح على أرض الواقع  
لما استنطعت. ولكني رأيت نتائج عمله البدوي. الشطائر التي قطعها  
كانت أفضل بكثير من تلك التي يقوم بها معظم من لديهم ذراعان.

وقال مبهيناً: «يمكنني عمل معظم الأشياء بيد واحدة. لا  
أستطيع أن أصفق. لكن أستطيع أن أفوم بتمرير الضغط بذراع واحدة  
وأنا منبسط على الأرض. يحتاج الأمر إلى ممارسة. ولكنه ليس  
مستحيلاً. كيف نظن أنني شطرت الخبز؟».

- لست أدري. ربما استخدمت فذمبي.

استدعي ذلك ضحكة منه. وقال: «فكرة ذكية. يجب علي أن  
أنظم فصيصة شعر حول ذلك. الشاعر ذو الذراع الواحدة يعت  
الساندينشات مستخدماً فذمه. فكرة ذكية جداً».

لم أعرف إن كان علي أن أوافقه أم لا.

نوفنا بالسيارة في الطريق إلى الشاطئ واشترينا بعض البيرة، ثم  
مشينا إلى منطقة مهجورة من الشاطئ. وفدنا على الأرض واحتسبنا  
الكثير من البيرة، ولكن الطقس كان حاراً جداً، لذا بدا أن البيرة لم  
تؤثر في دماغي.

لم يكن الشاطئ يحمل أيًا من صفات شواطئ هاواي. أشجار  
هشيلة ورمال غير مسنوبة أحياناً صخرية ولكنها على الأقل كانت  
بعيدة عن مسارات السباح. الغليل من سبارات النفل كانت متوقفة  
بالقرب من المكان. بعض العائلات المحلبة تنجول المصطافون

منهمكون في أنشطتهم. كانت المحابة التي نشبه جمجمة إنسان جاوة ما زالت في مكانها، ظهور التورس كانت نحوم فوق المكان مثل رغوطة متطايرة من غسالة ملابس.

كنا نتحدث بشكل مرتجل، لم يكن ديك يحمل لأي شيء إلا الاحترام والرهبة. حسب مرات عديدة أنها فتاة حفيظة. حينما كان يتحدث عنها كانت بابائيه تراجع أمام الإنجليزية، قال إنه لا يستطيع أن يعبر عن مشاعره باليابانية.

- منذ أن قابلتها، تغير تفكيري في الشعر. صورها نعزي الشعر. أعني أننا هنا ننظف كلماتنا، ونجدل الخيوط حتى نصنع مجازاً. ولكن مع صورها يكون التجسيد الفوري. من الهواء الخفيف والفضو، وفي التفجوات التي بين اللحظات، نفبض على الأشياء. إنها تمنح الوجود المادي لأعماق النفس الإنسانية. هل تعرف ما أقصد؟

فلت متجاوزاً: «نفرياً».

- أحبانا بنشأني الخوف إن نظرت إلى صورها. أشعر بأن وجودي كله يصبح موضع شك، إن صورها طافية، إنها عبقرية ليست مثلي أو مثلك. سامعني، هذه واحة مني. إنني حتى لا أعرف أي شيء عنك.

هزئت رأسي. «لا عليك. أفهم ما تريد أن تقول».

- «بندر أن نجد عيافرة. إنني لا أتحدث عن موهبة أو حتى موهبة من الدرجة الأولى. مع العبقرية أنت محفوظ لمجرد أن نقابلها ونراها أمام عيبك. ولكن...». توقف برهة وراح يفتح يده في إشارة إلى عجزه. «ولكن بمعنى من المعاني فإن التجربة قد تكون ماثراً ضيق شديد. أحياناً تكون مثل إبرة تخترق ذاتي مباشرة».

كنت أضحك في المحيط وأنا أستمع له. كان وكوب المرح في

ذلك الوقت صعباً، وكان الموح يتكسر بشدة. دسست أصابعي في الرمال الساخنة وقبضت على بعض الرمل ثم تركته ينزل من بين أصابعي. المرة ثلو المرة. وفي أثناء ذلك كان راكبو المرح قد تمكنوا من ركوب الموجة التي انظروها حتى تُفرحهم من الماء.

واستطرد ديك: «ولكن هل تعرف، حتى مع توضيحي بذاتي، فإن موهبتها تجذبني. تجعلني أحبها أكثر. أحياناً أعنفد أنني قد اجتذبت نحو دوامة. لدي زوجة بالفعل، إنها بابائية أبشاً. ولدينا طفل. إنني أحبهما. أحبهما كثيراً جداً. حتى في هذه اللحظة أحبهما. ولكن منذ أن قضيت أمني لأول مرة، شعرت بجاذبية نحوها مباشرة. لم أستطع مقاومتها. وكنت أعرف أن ذلك يحدث. كنت أعرف أن ذلك لن يحصل مرة ثانية في هذه الحياة. كان ذلك حينما فرت - إذا ذهبت معها فسوف بأني وقت أندم فيه على ذلك. ولكن إن أنا لم أذهب فسوف أفقد مفتاح وجودي. هل سبق أن اثنايك مشاعر مماثلة حول شيء ما؟».

أخبرته أن ذلك لم يحدث معي أبداً.

واستطرد ديك: «أمر غريب. لقد جاهدت كثيراً حتى أعيش حياة هادئة ومستقرة. زوجة وطفل ومسكن صغير ووظيفة. لم أكن أكسب الكثير من المال، ولكن العمل كان جديراً بأن أفوم به. كنت أكتب وأترجم وكانت الحياة جيدة بحسب ما أظن. فقدت ذراعي خلال الحرب وكان ذلك أمراً صادماً لي، ولكني عملت بجد حتى أستجمع نفسي ووجدت بعض السلام الداخلي وكانت الأمور تسير على ما يرام. وحينئذ وفي لحظة واحدة، ضاع كل شيء. لم يعد لدي مكان أذهب إليه. لم يعد لدي بيت في اليابان ولم يعد لي بيت في أمريكا. ابتعدت بي المسافات كثيراً».

أردت أن أقدم له بعض كلمات المواساة ولكن لم أعرف ماذا

أقول . واصلت القبض على الرمال وتركها تنزلق من بين أصابعي . نهض ديك وسار نحو بعض الأشجار حيث هال ثم عاد يسير ببطء . قال مبتسماً : «إنه وقت الاعتراف . كنت أرغب في أن أخبر شخصاً ما . كيف ترى ذلك؟» .

كيف يفترض أن يكون رأيي؟ لم تكن أطفالاً . إنك تختار مع من تنام ، فإذا بدواماً أو إعصار أو عاصفة وموجة نصف بما اخترت . لقد ترك ديك انطباعاً جيداً لدي . إنني أحترمه بسبب كل الصعوبات التي تغلب عليها بذراع واحدة . لكن ربما أن هذه الصعوبات قد تركت أثراً عميقاً لديه .

قلت : «يوسفني أنني لست فتناً . لذا لا أستطيع أن أفهم حقاً ماذا يعني أن يكون للمرء علاقة ملهمة من الناحية الفنية . إن ذلك غريب قدراني . اعذروني على ذلك» .

بدأ أن إجابتي قد أحزنت ديك ، فراح ينظر نحو البحر . أغمضت عيني . فرحت في نوم خفيف . وبما بسبب البيرة . كانت الحرارة في جملعتني أشعر بخفق رأسي . كانت الساعة الثانية والنصف . هززه رأسي من جانب إلى جانب وجلست . كان ديك يلعب على حافة الشاطئ . شعرت باستاء . تسببت لو أنني لم أخرج مشاعره .

ولكن ماذا كان ينبغي أن أقول؟

هل كنت مثيل المشاعر معه؟ بالطبع كان بإمكانني أن أبدي نقدياً لمشاعره . ذراع واحدة أو اثنتان ، شاعر أو غير شاعر ، إنه عالم قاصر يجب علينا جميعاً أن نتماشى مع مشاكلنا ، ولكن ألسنا كباراً؟ ألم . بكل ذلك بالفعل؟ على الأقل يجب ألا نوجه أسئلة مستحيلة لشخص قابلته لنرى . ذلك لم يكن ليافه منه .

في ذلك جرس الباب حينما عدنا وفتحت لنا يوكي الباب وعلى وجهها نظرة عابسة ناعماً . كانت أمي جالسة على الأريكة والسيجارة بين شفتيها وهي تنتظر في الفراغ كما لو كانت في جلسة تأمل بودية . مشي ديك نحوها وطبع قبلة على جبينها .

سأل : «هل انتهيتما من الكلام؟» .

قالت والسيجارة في فمها : «نعم» .

قال ديك : «أضبطنا وقتاً منعاً على الشاطئ ، وذهبتا حتى حافة الكرة لأرضية وأمسكنا ببعض الأشعة» .

قالت يوكي بصراة : «يجب أن نذهب» .

كان ذلك هو رأيي أيضاً . حان الوقت لأن نعود إلى عالم السباح الحقيقي في مدينة هونولولو .

نهضت أمي واقفة . «حسناً ، زونا مرة ثانية . أريد أن أراك» . قالت وهي تترص ابتها فرصة خفيفة على وجنتها .

شكرت ديك على كرمه وساعدت يوكي على الصعود للسيارة فيما كانت أمي تمسك بذراعي ونقول : «لدي ما أقوله لك» . وضعت سبجارة أخرى في فمها وهي تنكس على مبنى التمارين الرياضية وبدأ أنها مستاء كونها يجب أن توفد عوداً من الشاطئ حتى تشعلها .

بدأت تقول بجدة : «إنك شخص مهذب . يمكنك أن أقول لك ذلك . لذا سوف أطلب منك معروفاً . أريدك أن تحضر الغفلة إلى هنا قدر ما نستطيع من المرات . ليس لزاماً علي أن أخبرك أنني أحبها . إنها طفلفتني . أريد أن أراها أكثر من ذلك . هل تفهم؟ أريد أن أنحدث إليها . أريد أن أصادقها . أظن أن بإمكاننا أن نكون صديقين ، صديقين جيدين ، حتى قبل أن نكون أنا الأم وهي البنت . لذا أريد أن أتحدث معها كثيراً خلال المدة التي ستمضيها هنا» .

نظرت إليّ أمي نظرة ذات مغزى.

لم أستطع التفكير في إجابة ملائمة. بيد أنه كان يتعين عليّ أن أقول شيئاً. «ذلك بينك وبينها».

قالت: «بالطبع».

قلت: «إذاً إن هي أرادت أن تترك فسوف يسعدني أن أحضرها إلى هنا، أو إن أرادت أنت كوالدها أن أسفرها إلى هنا سوف أفعل. سواء بهذه الطريقة أو تلك. ولكن غير ذلك، فلبس لي وأبي. الأصدقاء لا يحتاجون إلى تدخل طرف ثالث. الصداقة شيء طوعي. على الأقل هذا هي الطريقة التي أعرف الصداقة بها».

فكرت أمي في ما قلت.

استطردت: «كنت تقولين إنك تريد أن تكوني صديقتها. ذلك أمر جيد. ولكن قبل أن تكوني صديقة بوكي، فأنت والدتها أحببت ذلك أم لم تحبي. إن بوكي في الثالثة عشرة، إنها تحتاج إلى أم. إنها تحتاج إلى شخص يحبها، ويضئها ويصكث معها. أعرف أنه ليس من حقي أن أقول مثل ذلك الكلام. لكن بوكي لا تحتاج إلى صديقة بعض الوقت. إنها تحتاج إلى من يقبلها منه بالمنة. ذلك هو ما تريد أولاً».

قالت أمي: «إنك لا تفهم».

قلت: «بالأكيد إنني لا أفهم. ولكن دعينا نستوضح الأمر. إن بوكي ما زالت طفلة وقد لحق بها الأذى. يجب أن يكون هناك شخص بحميتها. إنها مثيرة للمتابيح ولكن ثمة شخص عليه أن يفعل ذلك. تلك هي المسؤولية. ألا تستطيعين فهم ذلك؟».

قالت: «إنني لا أطلب منك أن تحضرها إلى هنا كل يوم. فقط حينما نريد هي أن تأتي. سوف أنصّل بكما بشكل منتظم. لأنني لا

أريد أن أفقد تلك الطفلة. بهذه الطريقة التي تسيّر بها الأمور فإنها سوف تبعد عني حينما تكبر. أفهم ذلك، لذا ما أسمى إليه هو الحفاظ على روابط نفسية. أريد رباطاً بجمعنا. أعرف أنني ربما لم أكن أماً عظيمة. ولكن يتعين عليّ أن أقوم بالكثير قبل أن أكون أماً. ليس بالإمكان فعل شيء، إزاء ذلك. إنها تدرك ذلك. لهذا السبب فإن ما أريده هو ملافة نتجاوز علاقة أم وابنتها. ربما يمكنك أن تسميها صداقة دم».

في طريق عودتنا كنا نستمع للراديو في السيارة. لم نحدث. كنت أصغر من حين لأخر، ولكن ما هذا ذلك كان الصمت هو سيد الموقف. كانت بوكي تحرق بنظرها إلى خارج نافذة السيارة، مشبهة بوجهها عني. ظل ذلك على مدى خمس عشرة دقيقة. بيد أنني كنت أعرف أن ثمة شيئاً سيحدث. قلت لنفسني بكل وضوح: يستحسن أن توقف السيارة في مكان ما.

لذا كان ذلك هو ما فعلته. أوففت السيارة داخل مرآب خاص بالشاطئ. سألت بوكي عن مشاعرها. سألتها إن كانت تريد أن نشرب شيئاً. فقلت لا شيء.

كانت هناك فتاتان ترنديان بذلتي سباحة ممتاليتين نمشيان ببطء أسفل أشجار النخيل. كانتا نمشيان بخطوات أشبه بقطنتين تسيران فوق سور.

نظرت إلى السماء. أم نريد أن نصادق ابنتها. والبنات تريد أمّاً أكثر مما تريد صديقة. السفن تمر في وضوح النهار. الأم تعيش مع صاحبها. شاعر متشرد يلحاح واحدة. الأب أبشاً يعيش مع صاحب. بوي فرايدي المثلج الجنس. ماذا يعني للبيت؟

- الشيء الوحيد الذي يمكنك فعله هو أن تكيري .

- لا أريد ذلك .

قلت لها : «ليس ثمة طريق آخر . كل شخص يكبر شاه أم أبي .  
الناس يكبرون . تلك هي الطريقة التي يتعاملون بها مع الحيلة . إنهم  
يتعاملون معها حتى يحين يوم موته . الحياة كانت دائماً هكذا .  
ودائماً ستظل هكذا . ولست أنت وحدك » .

نظرت إليّ ووجهها مغطى بالدموع . «ألا تؤمن بمواساة  
الناس؟» .

- أنا أواسيك .

أزالت يدي عن كتفها وأخذت منديلًا من حقيبتها . «لديك شيء  
غير سوي ، هل تعرف ذلك؟» .

عدنا إلى الفندق . سبحنا . وأخذنا دوشاً . ذهبنا إلى  
السوبرماركت واشترينا مواد غذائية لتجهيز العشاء . قمنا بشواء لحم مع  
البصل وصلصة الصويا ، وعملنا سلطة وأعدنا شوربة مسو بالنوفو  
والكرات . عشاء ، لذيق . حتى إن بوكي احسنت نصف فلاح من خمرة  
كاليفورنيا .

فالت بوكي : «لست ذلك الطامي السيء» .

- لا ليس حقيقياً . إنني فقط أصعب قلبي في الطعام . ذلك هو  
الفرق . إنها مسألة شعور . إذا كنت تعملين في شيء فإنه يمكنك عمله  
حتى نقطة معينة . أما إذا كنت تعملين لأنك سبعة ، فإنه يمكنك أن  
نفومي بذلك حتى نقطة أبعد .

- وفوق ذلك ، لا شيء نستطيع عمله؟

قلت : «أي شيء أكثر من ذلك هو مجرد حظ» .

بعد عشر دقائق بدأت . في البداية انتخبث انتحياً ناعماً ، ولكن  
بعد ذلك انهار السد . وضعت يديها في حجرها وغمرت أنفها في  
كتفي ، وراح جسمها التحيف برنحف . ابتكي ، اتركني لدموعك أن  
تخفف عك . لو كنت في مكانك ليكبت أبشاً .

وضعت ذراعني حولها . راحت نكي . ظلت نكي حتى اهتل كم  
فميصي . يكت ويكت ويكت .

عبر شرطيان مرأب السيارات وهما يحملان مسدسين . كانت  
أشجار النخيل تتمايل . مز كلب ألماني وهو يلهث من أثر الحر . خرج  
رجل من سيارة نغل وعشى برفقة صاحبه إلى الشاطئ . كان الراديو  
يعزف .

قالت وما زالت تسند رأسها إلى كتفي : «لا نناديني أميرة مرة  
ثانية» .

سألتها : «وهل أنا فعلت ذلك؟» .

- نعم ، فعلت .

- لا أنذكر .

- حينما كنا عاتدين من نسجبدو تلك الليلة . لا تغلها مرة ثانية .  
- لن أفعل . أعدك أنني لن أفعل . أقسم ببوي جورج ودوران  
دوران . لن أكرر ذلك أبداً .

- ذلك ما نناديني به أمي دائماً . أميرة .

- لن أناذيك بهذا مرة ثانية .

- أمي نجرحتني دائماً . ليس لديها أدنى فكرة عن ذلك . ولكنها  
تحبني .

- نعم إنها تحبك .

- إذا ما الذي يجب أن أفعله؟

- إنك تعرف كيف نصب الناس بالاكنتاب حقاً، أليس كذلك؟  
هل ذلك هو ما نسبه أن يكون الشخص بالغا؟

غسلنا الأطباق ثم خرجنا نتمشى في شارع كالاكاوا حيث كانت الأنوار ساطعة. تنفذنا البضائع التي لدى بعض المتاجر غير التقليدية وطالعنا ملابس المارة وأخذنا فسطاً من الراحة في حديقة فندق هاواي الملكي. طلبت شراباً (بيننا كولاذا) فيما طلبت بوكي عصيراً. تذكرت ذلك نورث وكيف أنه بكرو الضحج الذي يصاحب لبالي المدن. لكني لا أبالي بذلك كثيراً.

سألتني حينما وصل الشراب: «ما رأيك في والدي؟»  
قلت بعد برهة: «بأمانة لا أعرف. الأمر يحتاج مني إلى وقت حتى أضع كل شيء في الاعتبار وأصدر حكماً. يؤسفني أنني لست ذكياً جداً».

- ولكنك كادت نصيكت بالجنون، أليس كذلك؟  
- آه، نعم.  
قلت بوكي: «كل شيء كان ظاهراً على وجهك».  
قلت وأنا أرثشف ورشفة وأنظر إلى البحر في الليل: «ربما ذلك. أظن أنها قد ضايفتني قليلاً».

- تضايقت؟ من أي شيء؟  
- من عدم الإحساس بالمسؤولية لدى الأشخاص الذي يتمتعين عليهم أن يوفروا لك الرعاية. ولكن ما الفائدة؟ من أنا لأعتبر عن أزعاجي؟ وكان ذلك سوف يتر من الأمر شيئاً.  
- أظن أن أحداً لا يعرف ماذا ينبغي عليه أن يعمل. إنهم يريدون أن يفعلوا شيئاً، ولكنهم لا يعرفون كيف.

- لا أحد يعرف كيف  
- أنت، هل تعرف؟

- إنني في انتظار أن تتشكل إشارات، وحينئذ سوف أعرف ما الإجراء الذي عليّ اتخاذه.  
قلت وهي تضبط ربة الـ«ني شيرت» الذي نلبسه. «لا أنهم ما نقول».

شرحت لها: «كل ما عليك عمله هو الانتظار. اجلسي صامئة وانتظري اللحظة المناسبة. لا نحاولي أن نغيري شيئاً بالقوة. اكفني بمشاهدة نوالي الأشياء. ابذل جهداً ووافي كل شيء. إذا فعلت ذلك، فسوف نعرفين تلقائياً ما الذي يجب عليك عمله. لكن كل شخص يبدو مشغولاً للغاية. إنهم موهوبون للغاية، وجداول أعمالهم منمجة للغاية».

وضعت بوكي كوعها على المائدة، وراحت تمسح كسرات الخبز من على المفروش. جذبت شرابي من بيننا كولاذا وأخذت ورشفة سريعة.

وصاحت: «لذيذة».

- صونان يُحسنان على أنها لذيذة. إذا أفر الحكم.  
حدفت بوكي في وجهي وقالت: «ماذا بك؟ لا أستطيع فهمك. في لحظة تكون مثلاً للعقل وفي اللحظة التالية تكون مجنوناً من رأسك حتى أخصص قدميك».

أجبت: «إذا كنت عاقلة فهذا يعني أنك مجنونة. لذا لا تقلقي بشأن هذا الموضوع». ثم طلبت فدحاً آخر من البينا من النادلة التي كانت في غابة الابتهاج. ذهبت وعادت بالشراب ثم نلاشت وتركت وراهها ابتساماً عريضة.



- ليس سهلاً أن تكون صديقاً.

قلت: «لأولئك في ذلك، الحصول على صونين ليس سهلاً أيضاً».

بعدما انكأت بكوعها على العائذ، ومقتني بنظرة متشككة.

- وما هو رأيك في طريقة تفكير أمي؟

- رأيي لا يهم. السؤال هو: ما رأيك أنت؟ ربما ترين أنه تفكير بالتمني من جانبها، أو ربما ترين أن موقفها إيجابي ويستحق النظر فيه. الأمر كله يتوقف عليك. ولكن لا نتخذ قرارات متعجلة. يجب أن نأخذ وقتاً كافياً للتفكير في الموضوع.

استندت بوكي ذنبا إلى بدعا، وقالت: «إننا لا نعمل بشكل جيد الآن، فبيل الانتفال إلى سابورو كان الوضع أسوأ». كانت إلى جانبي بشأن عدم الذهاب إلى المدرسة، كانت الحالة فوضى حفيقة. بالكاد كنا نتكلم معاً. ولكن مع ذلك لم تكن أمي تفكر كما يفكر الأشخاص الطبيعيون. إنها تقول كل ما يريد بخاطرها ثم تنسا، مباشرة، بعد قوله. نكون جادة وهي نقوله، ولكن بعد ذلك تبدو وكأنها لم تغفل أي شيء. ثم بعد ذلك ومن دون مقدمات نجد أنها تريد أن تلعب دور الأم مرة أخرى. ذلك هو ما يضايقي حقا».

حاولت أن أناطعها: «ولكن...».

- «ولكنها مشيرة للاهتمام. إنها لا نشبه أي شخص آخر في العالم. ربما نكون أسوأ أم، وقد درستني حقا، لكنها مع ذلك نظل مشيرة للاهتمام. ليست مثل أبي. لا أعرف ماذا أقول. إن لها حضوراً طاقياً وشخصيتها قوية. وأنا مجرد طفلة. والكل يمكنه أن يرى ذلك، إلا هي. أمي تقول إنها تريد أن تكون صديقتي، وكلما حاولت، جرح ذلك مشاعري. كانت تلك هي الوتيرة التي سارت عليها الأمور في سابورو. كانت تحاول التغرب مني، حاولت بالفعل. لذا بدأت أتقرب

منها أيضاً، صدقني حاولت. ولكن رأسها دائماً منحني بالأشياء. ثم يكون الشيء التالي الذي أعرفه هو أنها ذهبت». قالت بوكي ذلك وألقت بكسرات الخبز التي جمعتها بيدها على الرمل.

«والآن إذا لم يكن ذلك حمفاً، ماذا يكون إذا؟ أنا أحب أمي. أظن أنني أحبها. وأظن أنني لن أمانع في أن تكون صديقتين. إنني فقط لا أحب أن يتم فرض كل شيء عليّ. أكره ذلك».

قلت: «كل ما نقوليه صحيح. ومفهوم تماماً».

- لكنه ليس مفهوماً لأمي. لن نفهم ذلك إذا حاولت أن نشرح لها كل ذلك.

- لا، لا أظن ذلك.

بزغ فجر اليوم التالي بإشرافه شمس رائحة في هاواي. تناولنا الإفطار ثم ذهبنا إلى الشاطئ أمام الشبراتون. استأجرنا زلاجات وحاولنا أن نركب الموج. استنعت بوكي كثيراً حتى إننا ذهبنا بعد ذلك إلى متجر واشترينا زلاجنين مسعمتين. سألنا البائع إن كنا أخاً وأخته. فقلت له نعم. ابتهجت بأننا لم تكن نشبه أباً وابته.

في الساعة الثانية عدنا إلى الشاطئ. استمتعنا بالشمس، وسبحنا، واستمعنا للراديو، وشاهدنا الناس واستمعنا إلى صوت الريح حينما تحف بأشجار النخيل. أخذت الشمس مسارها المجهود ببطء. حينما غابت الشمس، عدنا إلى غرفتنا حيث أخذنا دوشاً وتناولنا بعض المعكرونة والسلطة ثم ذهبنا بعد ذلك لمشاهدة فيلم لسبيلبرغ. بعد الفيلم نمشنا إلى أن وصلنا إلى بار بجوار حمام سباحة هاليكولائي حيث احتسيت شراب الببنا كولادا مرة أخرى، فيما تناولت بوكي عصيرها المعتاد.

قالت بوكي: «أشعر بالرغبة في النوم مرة ثانية». ولكن في هذه المرة عادت بمفردها إلى غرفتها. ثمة تقدم أحرز.

عندما عدت إلى غرفتي فبحثت فتيحة خمر وشاهدت فيلم «عقهم إلى أعلى» لكلينت إسنود. حينما وصلت إلى الكأس الثالثة شعرت برغبة شديدة في النوم فتوقفت عن كل شيء وتبّأت للنوم. يوم رابع آخر في هاواي.

بعد خمس دقائق من التمدد على السرير، دق جرس الباب. كان الليل يوشك أن ينتصف. أمر مفرح. ماذا كانت بوكي تريد الآن؟ ارتديت ملابس لي ووجهت صوب الباب فيما كان الجرس يدق مرة أخرى. فبحثت الباب فإذا بها لبست بوكي على الإطلاق. بل كانت فناء شاة جذابة.

قالت الفناء: «مرحباً»

قلت: «مرحباً».

قالت بلهجة خفيفة: «اسمي جيون». بدأ أنها من جنوب شرق آسيا، ربما من تايلاند أو الفلبين أو فيتنام. ضحلة الجسم وذات عنبين سوداوين واسعتين. كانت ترتدي ملابس أبيض فرنغية اللون وذات لمعان. كانت حقيبتها وحذاءها أيضاً بلون قرنفلي أيضاً. كانت تربط حول معصمها الأيسر وشاحاً قرنفلي اللون. وضعت بدأ على الباب وهي نبتسم.

قلت: «مرحباً جيون».

قالت وهي تشير بإصبعها خلفي: «هل يمكنك أن أدخل؟».

- لحظة من فضلك. لا بد أنك أعطت في العنوان، أي غرفة

تريدن؟

أجابت وهي تسحب قطعة من الورق من حقيبتها اليدوية: «ثانية واحدة، السيد...» أظهرت لي الورقة.

- ذلك هو أنا.

- إذا لا يوجد خطأ؟

- لا يوجد خطأ. ولكن سهلاً. أنا الشخص الذي تريدن، ولكني لا أعلم من تكونين، وما الذي يجري؟

- اسمح لي بالدخول أولاً. الناس بسمعوننا هنا. سوف يظن الناس أشباه غريبة. لا مشكلة. كل شيء على ما يرام. لا مسدسات ولا اختطاف. هل أعطت؟

سوف نوظف بوكي فعلاً إذا وصلنا كلامنا هذا في الردة. تركت جيون تدخل.

سألته إن كانت ترغب في شراب شيء. قالت إنها سوف تشرب ما أشرب. مزجت التونيك مع العنبر ووضعنا الشراب على الطاولة التي بيننا. وضعت سافاً على ساق بجراً. وهي تغرب الشراب من شفتها. يا لها من ساقين جميلتين.

- حسناً، جيون، لماذا أنت هنا وماذا تريدن؟

قالت بثلاثية: «جئت لأسعدك».

- ومن طلب منك المجيء؟

هزت كتفها وقالت: «صديق لك ولا يريد الكشف عن اسمه. لقد دفع بالفعل، دفع من اليابان. دفع لحسابك. هل فهمت؟».

ماكيمورا. لا بد أنه ماكيمورا، أي عالم هذا؟ كل الناس يريدون أن يشربوا لي نساء.

قالت بوكي وهي ترفع ساها لتخلع حذاءها القرنفلي ذا الكعب

العالي: «دفع لليلة كاملة. حتى يمكننا الاستمتاع». ثم بعد ذلك رفدت على الأرض طريقة مثيرة للغاية.

فأطعننا: «معاذرة، لا يمكنني الدخول في ذلك».

- لماذا؟ هل أنت مثلي الجنس؟

- لا، لست مثلياً، إنه اختلاف في الرأي بيني وبين السيد الذي دفع لك. يؤسفني جوار، لا يمكنني قبول ذلك.

- ولكنني حصلت على المال. ولا أستطيع أن أردّه ثانية. هل يهمه إذا كنا سننضاج معاً أم لا؟ لن أنصل عبر البحار لأقول له «نعم» سيدي، ونفاجعنا ثلاث مرات.

نتهّدت.

فالت ببساطة: «دعنا نفهم بذلك. سوف نستمتع».

لم أكن أعرف ماذا أفعل. قدم واحدة في أرض الأحلام بعد يوم طويل، ثم فجأة تظهر واحدة لا نعرفها نقول لك «هيا بنا ننضاج». ما هذا الذي يجري؟

- سنأخذ كأساً أخرى من الشراب، اتفنا؟

وافتنها. جهزت الشراب وفامت بنشغيل الراديو. راحت تتلفظ ببعض الكلمات اليابانية للتأثير عليّ. فمددت وكأنيما في بيتها. ثم أخذت ترشف الشراب وهي تنكح عليّ. قالت: «لا نفكر أكثر من اللازم». وكأنيما نغراً ما بدور في ذهني. «أنا مثيرة للغاية». أعرف الكثير. لا نفعل أي شيء من جانبك. سوف أقوم بكل شيء. السيد الياباني ليس معنا الآن. لا يوجد سوى أنا وأنت.

مررت جوار أصابعها فوق صدري. كانت ممانعتي تضعف بشكل متواصل. أخذ الأمر يبدو وكأنه سهل تماماً. لو أستطيع فقط أن أنيل فكرة أن ماكسورا قد اشترى لي بائعة هوى. ولكنه فقط جنس. انتصاب، فإدخال، ففذف. هذا هو كل ما في الأمر.

قلت: «حسناً. هيا بنا نعملها».

صاحت جوار مستغربة. «هكذا يكون الرجال؟» وراحت تزرد شرابها.

- لكنني اليوم متعب جداً ولا داعي لأي حركات من نوع خاص.

- سوف أقوم بكل شيء. أما أنت فعليك فقط شيطان.

- ما هماً؟

- أطفئ الأنوار. وفك الوشاح الغرمزي.

فعلت ذلك. دلفنا إلى غرفة النوم. خلعت جوار ملابسها في لمح البصر، ثم راحت تنزع عني ملابسي. ربما لا تشبه ماي، لكنها كانت ماهرة في وتلفتها ونفخر بما لديها من مهارات. كانت تمرر لسانها وأصابعها على كل أنحاء جسمي. أوصلتني للانصباب ثم جعلتني أصل للذروة على إيفاع أفضة «فورير» على الراديو. لقد بدأت الليلة لتوها.

- هل كان ذلك جيداً؟

نمتصت: «جداً».

أخذنا جولة أخرى من الشراب.

فجأة خطرت لي فكرة. «جوار، الشهر الماضي ألم نري ماي هنا؟».

انفجرت جوار ضاحكة<sup>(15)</sup>: «ها لك من رجل مضحك. إنني أحب النكات. الشهر القادم ستكون بوليو، أليس كذلك؟».

(15) السبب وراء انفجار جوار من الضحك هو أن اسمها جوار ويكتب في الإنكليزية تملأ تملأ بكتب شهر يونيو. كما أنه بدو أن يطلقه لاسم «ماي» فناء الهوى التي نام معها في منزل جوارلدا بنسبة لطق شهر مايو/ أيار أو May، فهي اسمها Jane بينما فناء السافعة كانت Mei وهو وإن كان اسماً يابانية لكن يبدو أنه يطلق طريقة مشابهة لاسم الشهر الخامس من السنة الشمسية.

حاولت أن أجبرها أنها لم تكن نكتة، ولكن ذلك لم يقد في شيء. لذا لذت بالصمت. وحينما صمت راحت جوارن نودي عملها بشكل احترافي. لم يكن يتعين عليّ فعل أي شيء. نماماً مثلما قالت. فقط كنت أتمد هناك.

كانت سريعة وماهرة ومهارة عاملة في محطة خدمة سيارات. ما عليك سوى الذهاب بالسيارة وتسليم المفاتيح. إنها تعني بكل شيء. ملء الحزان، والغسيل، والتزييت، وفحص الزيت، وتفرغ الترسبات. هل يمكنك أن تسمي ذلك جنساً؟ على أية حال، وصلنا ذلك حتى الثانية ونصف حينما نفذ الغاز ونمنا. كان النهار قد طلع حينما استيقظنا. تركنا الراديو مفتوحاً. كانت جوارن ترفد متكومة وعارية بجوارري فيما كانت ملابسها الفرنقلية وحذاؤها وشاحها على الأرض.

قلت لها: «هيا، استنظي. يجب أن تغادري المكان. هناك طفلة قادمة لتناول الإفطار».

نمتت: «حسناً، حسناً». سحبت حقيبتها ومشت إلى الحمام عارية لتغسل أسنانها وتصف شعرها.

حينما كانت جاهزة للرحيل، وضعت أحمر الشفاه في حقيبتها وأغلقتها بصوت مسموع. «إذاً، مني سآني المرأة التالية؟».

- مرة ثانية؟

- لقد حصلت على مال مقابل ثلاث لبال. نضاجعنا الليلة الماضية وما زال أماننا ليلتان. هل نريد فناء غيري؟ ليس لدي مانع. الرجال يحبون النوم مع أكثر من فناء.

- لا، إنك أنت ما أريد بالطبع. قلت بعدما لم أجد شيئاً آخر أقوله. ثلاث لبال؟ هل يريد ماكيمورا أن يستغفني تماماً.

- أنت شخص لطيف. لن نندم. سوف أكون شرسة المرأة القادمة. انتفضنا؟ يمكنك الاعتماد عليّ. الليلة بعد الغد، انتفضنا؟ قلت لها وأنا أسلمها عشرة دولارات للمواصلات: «انتفضنا».

- شكراً لك. إنك لطيف جداً. إلى الغاء.

فمت بنظف المكان قبل وصول بوكي ونخلصت من كل العلامات التي قد تنبي بما فعلت، ومن ضمنها الوشاح. ولكن ما إن دخلت بوكي إلى الغرفة حتى فاضت على وجهها علامات النحيم. عرفت مباشرة بما كان. نظاشرت بأنني لم ألاحظ تصرفها ورحت أصغر وأنا أعد القهوة والخبز وأضعهما على المائدة.

لم تنبس بكلمة أثناء الإفطار ورفضت الاستجابة لمحاولات جرّها للكلام.

وأخيراً وضعت كلتا يديها على المائدة وحملت فيّ وقالت:

- كانت لديك امرأة هنا الليلة الماضية، اليس كذلك؟

حاولت التهمين من شأن الموقف: «إن لديك الغدرة حقاً على ملاحظة الأشياء؟».

- من هي؟ فناء اصطحبنا من هنا أو هناك؟

- مهلاً. لست بهذا القدر من المهارة. لقد جاءت من نلفاء نفسها.

- لا تكذب عليّ. لا شيء يحدث من نلفاء نفسه هكذا.

قلت: «أنا لا أكذب. أقسم لك. لقد جاءت المرأة إلى هنا من ثلثاء نفسها». حاولت أن أشرح لها: «ظهرت فجأةً ونبّئت أنها هدية من والدك. ربما قصد من ذلك أن يجعلني أمضي وقتاً ممتعاً هنا، أو ربما ساوره بعض القلق وفكر أن جعلني مشبعاً جنسياً سوف يجعلني بعيداً عن فرائق ابنته».

فالت بوكي وهي غاضبة: «ذلك بالضبط هي الطريقة المريضة التي يفكر بها. لماذا يفكر دائماً بهذا المستوى من الدناءة؟ إنه لا يفهم أبداً أي شيء». أمي مخنونة لكن رأس أبي في مؤخرته».

- نعم إنه لا يحالنه الصواب أبداً.

- إذاً لماذا سمحت لها بالدخول إلى هنا؟ تلك المرأة.

- لم أكن أعرف ما سيؤول إليه الموقف. لكن كان عليّ أن أتكلم معها.

- لكن لا تخبرني أنك . . .

- لم أكن بسيطاً جداً، أنا . . .

نفخت بوكي: «أنت لم . . .! ولما لم تسعفها الكلمات احمرزت خجلاً».

- إنها قصة طويلة. ولكن في واقع الأمر لم يكن أمامي خيار أن أقول لا.

أغضت عينيها وصغطت يديها على وجنتيها.

صوخت وصوتها يتقطع: «لا أصدق ذلك. لا أكاد أصدق أنك تفعل مثل هذا الشيء!».

حاولت الدفاع عن نفسي: «بالطبع رفضت في بادئ الأمر. ولكن في النهاية ماذا كان بإمكانني أن أقول؟ استسلمت. لم تكن مجرد امرأة بالزعم من أنها امرأة. كانت أبك وأمك والنفوذ الذي يمارسونه على كل شخص يلتفتان به. فضلاً عن أن المرأة لم تكن بالصفقة الخاسرة».

بكت بوكي: «لا أكاد أصدق أنك تقول ذلك. هل نسمح لأبي أن يشنري لك امرأة؟ ولا نرى في ذلك شيئاً؟ إن ذلك مخز جداً، ذلك خطأ. كيف يمكنك ذلك؟».

كانت محقة

قلت: «إنك محقة»

- ذلك أمر مخز جداً.

- أعترف بذلك. إنه مخز جداً جداً.

ذهبنا إلى الشاطئ ومارسنا رياضة وكوب الأمواج حتى الظهيرة. خلال ذلك الوقت كله لم نتكلم بوكي بكلمة واحدة. ولما سألتها إن كانت تريد الغداء، أومأت. هل نريدن أن نأكل في الفندق؟ هزت رأسها. «هل تريدن أن نأكل بالخارج؟» أومأت. بعد المزيد من هذا الحوار غير اللفظي استغرقتنا على أن نتناول السحى وأن نجلس بالحارج ونفتش الحشيش بالقرب من فورث دي روسي. ثلاث ساعات ولم تنس بحرف.

لذلك قلت: «في المرة القادمة سوف أقول لا».

خلعت نظارتها الشمسية وحدقت فيّ كما لو كنت شخصاً غريباً. على مدى ثلاثين ثانية كاملة. رفعت شعرها المتبدل على جبهتها وقالت غير مصدفة: «المرءة القادمة! ماذا تعني بالمرءة القادمة؟».

حاولت جاعداً أن أشرح لها كيف أن والدها قد دفع بشكل مسن للبلينين آخرين. ضربت بوكي الأرض ببغضة بعدها. «لا أصدق هذا. هذا شيء مفززع فعلاً».

- لا أقصد أن أمسأبك يا بوكي ولكن فكّر في الأمر بهذه الطريقة. إن والدك على الأقل يبدو فلفاً. أقصد أنني ذكر مثل كل الذكور، وأنت أنثى غضة وفي غابة الجمال.

صرخت بوكي وهي تغاوم الدموع: «مفززع فعلاً».

هرعت إلى الفندق ولم أرها حتى المساء.

ولكنها متواضعة نعم كانت آمي نملك موهبة. لبست مثلي ومثلك  
كما سبق وقال ديك.

كان ديك يعتني بأمي مثل عتاني بيوكي. لكن اهتمامه بالطبع كان  
أكثر شمولية. كان ينظف البيت ويغسل الملابس ويطهو الطعام ويقوم  
بالتنسوف. ينلو عليها الشعر ويقول التكات ويطفئ سجاثرها ويحرص  
على مدها بالنع وينأكد أنها غسلت أسنانها، ووضعت صورها في  
ملفات وأعدت الكتلوج المكتوب لجميع أعمالها. كل ذلك بيد  
واحدة. لم أكن أعرف كيف يجد هذا المسكين الوقت لكي ينظف  
الشعر. ولكن من أنا حتى أتكلم في ذلك؟ إنني أخرج في رحلة  
مدفوعة من والد بيوكي، وفوقها فتاة ليل تُلقي أسامي.

في الأيام التي لم تكن نؤزو فيها والدة بيوكي، كنا نمضي اليوم  
في ركوب الموج واللعب على الشاطئ ونذهب للتنسوف ونحرق  
بالسيارة حول الجزيرة. في المساء كنا نخرج نتمشى ونذهب إلى  
السبنا، ونشرب بيتا كولادا وعصير الفاكهة. كان لدي ما يكفي من  
الوقت لظهو الطعام إن شعرت برغبة في ذلك. أمضينا وقتاً ممتعاً  
وتركت الشمس علينا أثراً برونزياً جميلاً. اشترت يوكي بكيني بحمل  
وسومات هاواي من أحد المتاجر في الهيلتون وكانت وهي تلبسه أشبه  
بفتاة حفيضة من هاواي. كانت ماهرة في ركوب الموج بل كانت  
تنقلب على الموجات التي تعجزني أنا. حينما تركتها وحدها على  
الشاطئ افترب منها بعض الأشخاص محاورين مذكر حوار معها. ولكن  
بيوكي لم تكن تعرف كلمة واحدة بالإنجليزية، لذا لم يكن صعباً عليها  
أن تتجاهلهم وكانوا ينصرفون ساخطين حينما أعود.

سألتني بيوكي: «هل يكون لدى الأولاد فعلاً رغبة كبيرة نحو  
البنات؟»

(30)

في هاواي. عشت أياماً كانت هي التعم بعينه. كانت فاصلاً من  
السلام. حينما حضرت جوون لتسديد الغسط التالي، نظاهرت بأن  
حتى قد أصابني ورددها بشكل مهذب. استخرجت قلم رصاص من  
حقيبتي ودوّنت رقم هاتفها على ورقة وقالت إنه يمكنني أن أنصل  
حينما أشعر بأنني مستعد لذلك. ودّعني وغادوت وهي تهز كفلها في  
غروب الشمس.

اصطحبت يوكي إلى أمها مرات فلبلة أخرى. تمشيت مع ديك  
نورث على الشاطئ، وسبحت في حمام السباحة معه. كان ديك يسبح  
بشكل مدهش. إن كونه بلداح واحدة لم يكن له أثر بذكر. تحدثت  
بيوكي وأمها وحدهما، لكن عن ماذا، لست أدري. لم نحدثني بيوكي  
عن ذلك، وأنا لم أسألها.

في مرة من المرات ألقى عليّ ديك بعض قصائد روبرت  
فروست. لم يكن فهمي للإنجليزية جيداً بما يكفي، ولكن طريفة  
إلفاته كانت وحدها كفيلة بإيهال معنى الشعر الذي تدفق منه متعماً  
ومفعماً بالشاعر. صودف أليسا أن رأيت بعضاً من صور آمي التي لم  
تكن قد جفت بعد. صور لوجوه من هاواي. وجوه عادية، ولكن بين  
يديها نصيح الصور حبة ومفعمة بحيوية الجزيرة الصادقة. كان فيها  
دنيوية وبهيمية نجف الدم في العروق، وإبهامات جنسية. فوية

- نعم. ولكن هذا يتوقف على الشخص بالطبع. وبصفة عامة أظن أن باستمتاعك القول إن الرجال يشتهون النساء. لديك معرفة عن الجنس. أليس كذلك؟

فالت بوكي بانفصاف: «أعرف ما فيه الكفاية».

شرحت لها: «حسناء الرجال لديهم تلك الرغبة الجنسية للنوم مع النساء. إنه شيء طبيعي. حفظ النوع».

- لا بهمني حفظ النوع. لا أريد أن أعرف عن العلوم والنظافة. أريد أن أعرف عن الحافز الجنسي. كيف يعمل؟

قلت: «حسناء افترضني أنك طائر، وكان الطيران يجعلك نشعربن بالسعادة. ولكن كانت هناك ظروف بعينها، فيما عدا في حالات نادرة، نسمحك من الطيران. لا أعرف ولكن لنفله ظروف جوية سيئة أو اتجاه الرياح أو الأشياء الموسمية. فكلما طالبت المدة التي لم تطيري فيها احتجت أكثر للطيران وسوف نراكم الطافة داخلك ونععلك سريعة الغضب. ونشعربن أنك مثل زجاجة ممتلئة أو شيء من هذا القبيل. نشعربن بالغضب وربما حتى بالغضب. هل فهمت ما أقول؟».

فالت: «فهمت. دائماً أشعر بذلك».

- حسناء هذا هو الحافز الجنسي لديك.

- إذا متى كانت آخر مرة مارست الطيران فيها؟ أعني قبل أن يشعري لك أي تلك المومس.

- في نهاية الشهر الماضي.

- هل كانت جيدة؟

أومأت.

- هل دائماً يكون جيداً؟

قلت: «لا، ليس دائماً. شعبي شخصين كلاهما يعاني من نقص ما وسوف لا نسبر أي من الأمور بشكل صحيح. فهد تطيرين بشكل جيد وسهل. وفجأة نجدتين نفسك أمام شجرة ضخمة لم تروها من قبل، فحدث الاصطدام».

نأملت بوكي في ذلك. ربما كانت تتخيل طيراً يطير في أعلى السماء. وغير مدرك تماماً للخطر الذي أمامه مباشرة. هل كان ذلك أسلوب شرح سبباً أم ماذا؟ هل ستأخذ الأشياء على المحمل السئ؟ ما هذا الذي فعلته كانت ستكتشف ذلك بنفسها قريباً.

واصلت شرحي لها: «إن فرصة أن يتم تصحيح الأشياء بشكل تدريجي نتحسن مع العمر. تكتسبين المهارة وتتعلمين فراءة أحوال الطقس والرياح. ومن جهة أخرى يتساءل دافع الجنس مع العمر. تلك هي العزيفة التي نسبر بها الأمور».

فالت بوكي: «أمر مثير للشفقة».

- نعم مثير للشفقة.

هاواي. كم يوماً أمضيتها في الجزيرة؟ نلأشى مفهوم الزمن من رأسي. اليوم بمغيب الأمل والغد بعنف اليوم. الشمس تشرق وتغرب القمر يطلع ويغيب اليوم مذ وغداً جُزُر.

صحبت مدونة مواعيدي ونفحصت الروزنامة. كنا فد أمصبتنا عشرة أيام في هاواي. كنا نفرز من نهاية أبريل. ألم أكن أنوي فضاء أسبوع واحد هناك؟ أم أنها كانت شهراً؟ أيام من ركوب الموج وشراب البيت كولاذا.

ولكن كيف وصلت إلى هذه البقعة من العالم؟ بدأ الأمر معي بالبحث عن كيكبي فيما عدا أنني لم أكن أعرف اسمها في ذلك

الوقت. استرجعت خطوتي إلى سابورو ومنذ ذلك تنوالت الشخصيات الغريبة الواحدة تلو الأخرى. والآن انظر إليّ وأنا أستظل بشجرة جوز الهند وفي يدي شراب استوائي وأستمع إلى كالابانا.

ماذا حدث عبر الطريق؟ ماى قُلت. حقن معي رجال الشرطة. نرى ماذا حدث في قضية ماى؟ هل توصل المحققون لهويتها؟ وماذا عن جوناندا؟ كيف هو الآن؟ في المرة الأخيرة التي رأيته فيها كان متعباً وفي حالة يرثى لها. تركنا كل شيء معلقاً آنذاك.

في الغريب العاجل سوف نعين عليّ العودة إلى البايان. بيد أنه كان أمراً صعباً أن أخطو الخطوة الأولى في هذا الاتجاه. كانت هاواي هي المتنفس الأول والحضيضي بعيداً عن التوتر، لكل من يوكي وأنا. يوماً وراء يوم لم أكن تقريباً أفكر في أي شيء. لا شيء سوى السباحة والتمدد في الشمس والنزه حول الجزيرة بالسيارة أثناء الاستماع إلى ذاستونز وبروس سبرنجستين والمشي في ضوء القمر على الشاطئ والشراب في بارات الفنادق.

كنت أعرف أن ذلك لا يمكن أن يستمر إلى الأبد. ولكن لا يمكنني أن أترك ذلك. ولا يمكنني أن أنحمل أن نعود يوكي إلى حالها العصبية السابقة.

كانت حجة مقنعة بالنسبة لي. انقضى أسبوعان.

ذات يوم وفيل الغسن بفيل، توجهت بالسيارة أنا ويوكي إلى قلب المدينة هونولولو. كان المرور سيئاً بيد أننا لم نكن في حجة من أمرنا وكنا راغبين بمجرد التسلي بما يحدث على الطرق الجانبية. هونولولو، كم هي مدينة مسلية. مليئة بالضياع الرخيصة والأماكن التي تقدم طعاماً شهياً. ولكن ليس فيها مكان واحد يمكن لفناء أن نمشي فيه بمفردها.

بمجرد خروجنا من وسط المدينة باتجاه المرفأ كانت النباتات تصبح أكثر وأقل جاذبية. كانت هناك بنايات مكاتب ومخازن ومفاء ثمة أحرف مفقودة من لوحاتها الخارجية، كما كانت الحافلات تغص بركابها العائدين من أعمالهم إلى بيوتهم. كان ذلك حينما طلبت يوكي أن نشاهد فيلم «إي ني»<sup>(16)</sup> (E.T.) مرة ثانية.

قلت لها: «حسناً بعد العشاء».

فألت إنه فيلم رائع ونمشت لو أنني كنت مثل «إي ني»، وعندئذ لمست جبهتي بإصبعها، السبابة.

قلت لها: «لا تفعل ذلك ثانية لن أشقى أبداً».

وهو ما أغضبها.

كان ذلك حينما حدث ما حدث.

حينما بنصل شيء ما داخل رأسي فحدث صوتاً عالياً. ثمة شيء حدث، بالرغم من أنني لم أكن أعرف حينئذ ماذا يكون.

كان بكفي لأن بحملتي أضرب بقوة على كبح السيارة بشكل مفاجئ، مما جعل السيارة التي خلفي تشغل آلة التنبيه بشدة ويمطرنني قائداها بالشانانم حينما مر بجوارنا. لقد رأيت شيئاً بنصل. فقط الآن، شيئاً في غاية الأهمية.

«ماذا جرى؟» قالت يوكي أو هكذا نخبئت أنها قالت.

ربما لم أسمع شيئاً. لأنني كنت مستغرقاً في التفكير في تلك اللحظة. كنت مستغرقاً في التفكير في أنني وأبنها لنؤي. كبكي. لقد رأيت كبكي لنؤي. في قلب مدينة هونولولو. كانت هنا! لماذا؟ لا بد

(16) فيلم غيال علمي أمريكي يدور حول صداقة نغوم بين صبي ومخلوق تدعى به الظروف لأن يوجد على الأرض ويسمى «إي ني»



أنها هي؟ فددت السيارة للأمام حتى ألحق بها وألمسها. كانت نمشي في الاتجاه المعاكس، بجوار السيارة مباشرة.

- اسمعي، أغلفني كل التوافد وأقفلني كل الأبواب. لا تغادري السيارة. ولا تفنحي لأي شخص، سوف أعود بسرعة. قلت ليوكي ثم ففرت من السيارة.

- نهمل، لا تتركني ها!

ولكنني كنت أجري بمحاذاة الرصيف وأصطدم بالمارة وأدفعهم بعيداً عن طريقي. لم يكن لدي وقت حتى أكون مهذباً. كان عليّ اللحاق بها. كان يجب أن أوقفها وأن أحدث إليها. لقد وحدتها. عدوت بمحاذاة ثلاث كتل سكنية، ثم رفعت رأسي. لمحتها في ملابس زرقاء، ونحمل حقيبة بضاء في كتفها في بداية المساء. كانت عائدة لضحيح المدينة. تتبعناها رغم أن كثافة المارة على الرصيف كانت قد ازدادت. كانت هناك امرأة تبلغ ثلاثة أضعاف بوكي في حجمها ونسد عليّ طريقي. ولكنني واصلت العدو محاولاً اللحاق بها. كانت كيكبي نواصل السير. لم تكن سريعة أو بطيئة، وإنما نسير بسرعة طبيعية. بيد أنها لم تستدر لتتفرخ خلفها، أو حتى تنظر جانباً. أو توقوف لتستغل حافلة وإنما فقط نمشي بشكل مستقيم. ربما يتبادر إلى ذهنك أنني سوف ألحق بها في أي لحظة الآن، ولكن المسافة بيننا لم تكن أبداً قليلة.

الشيء التالي الذي عرفته هو أنها انعطفت يساراً. كنت في أثرها بالطبع. كان شارعاً ضيقاً محاطاً ببنابات عادية قديمة. لم يكن لها أثر في أي مكان. توفقت وأنا ألهث، ما الذي يجري؟ كيف يمكنها أن نخفي مي مرة ثانية؟ ولكن كيكبي لم نخف. وإنما كانت قد حجبنا عني حافلة كبيرة لأنني وجدتها ثانية وهي تسير بالإبصار نفسه على الرصيف الآخر.

صحت: «كيكي!»

لقد بدا أنها سمعتني. ألفت نظرة ناحيتي. كانت هناك مسافة ما زالت تفصلنا، وكان الوقت غسفاً ولم تكن أعداد الإنارة في الشوارع قد عملت بعد. ولكنها كانت كيكبي على أية حال. كنت على يقين من ذلك. كنت أعرف أنها هي. وكانت تعرف من بناديبها. بل حتى إنها ابسمت.

لكنها لم تتوقف. اكتفت بالنظر إليّ من فوق كتفها. لم نخفف من إيقاع سيرها. واصلت السير ثم دلفت إلى بنابة. في ذلك الوقت كنت قد وصلت إلى هناك. لكن كنت متأخراً للغاية. لم يكن ثمة أحد في البهو وكان باب المصعد مغلقاً. كان مصعداً قديماً من النوع الذي فيه فرص شبه الساعة يخبرك برفم الطابق الذي هو فيه. أخذت نفساً وعيني مثبتة على الفرص. الثامن. نزلت في الطابق الثامن. ضغطت على الزر ثم قررت، من دون تفكير، الصعود على الدرج بدلاً من ذلك.

بدا أن البنابة كلها غايوة وهادئة عدوه المومي. كان وقع حذائي يحدث صوتاً عالياً على الدرج الذي كان يعلوه الثراب. لم يكن الطابق الثامن يختلف عن ذلك في شيء. لم يكن هناك أنسي واحد. تلتفت بمتعة ويسرة فلم أعر على أي علامات للحياة. مشيت في الردهة وفترت كل اللوحات الموجودة على الأبواب. شركة تجارية، مكتب نحاري، طبيب أسنان... كلها مغلقة. كانت العلامات كلها قديمة ويعلموها الصدا. مكاتب عادية في طابق عادي في بنابة عادية. عدت مرة ثانية ورحت أتفحص اللوحات الموجودة على الأبواب. لم يكن فيها شيء له صلة بكيكي. أرهقت سمعي، ولكن الصمت كان جاثماً على البنابة جثومه على الأطلال. ثم تناهى إلى سمعي صوت. إنه وقع كعوب، كعوب عالية.

يحدث صدئ في المكان ويحمل وزناً، وزن الذكريات القديمة وفجأة وحدتني أجول خلال أحشاء ملتوية لكائن ضخم. مات منذ زمن، وتشقق وتآكل، بشيء يتجاوز الواقع ويتجاوز القدرة البشرية، دلفت من خلال صدع في الزمن ودخلت هذا الشيء.

نواصل صوت صدى الكعوب بشكل عال وعميق حتى إنه كان من الصعب أن أحدد من أي اتجاه يأتي هذا الصوت. ولكن مع تدقيق السمع تبين لي أن الصوت يأتي من نهاية العمر الذي يتعطف يمينا. نحركت بسرعة وهدوء إلى الباب الأبعد. راح وقع تلك الخطوات، صوت الكعوب، يبدو أكثر بعداً وضبابية ولكنها كانت هناك خلف الباب. باب لا يحمل أي علامة. وهو ما كان بشئ خوفي. حينما محصت المكان قبل دقيقة، كان كل باب يحمل لوحة.

هل كان ذلك حلماً؟ لا، ليس بهذه الاستمرارية. كل التفاصيل كانت تسير بشكل دقيق. إنني في قلب مدينة هونولولو. حاولت اللحاق بكيكي. ربما حدث شيء فوق العفل، ولكنه حقيقي.

نفرت على الباب.

توقف وقع الخطوات. وابتلع صوت الصدى الأخير الهواء. ملأ الصمت الفراغ.

انظرت ثلاثين ثانية. لا شيء. حاولت مع قبضة الباب. وبصوت خشن ولكن منخفض فتح الباب إلى الداخل. كانت الغرفة من الداخل معتمة. نبعث منها رائحة خفيفة للشمع الذي يغطي الأرضية. كانت خاوية إلا من صحف قديمة مبعثرة على الأرضية. وقع خطي ثانية. بالضغط أربع خطوات، ثم عاد الصمت.

كان يبدو أن الصمت يصدر من مكان أبعد. حشيت نحو النافذة واكتشفت باباً جانبياً آخر. كان بفتح على درج صاعد إلى أعلى. فبصت على السلالم الحديدية الباردة واختبرت موطئ قدمي ثم

صعدت ببطء في ما استحال ظلاماً معتماً تماماً. كان الدرج برنق بشكل حاد. نخيلت أنني أسمع صوتاً يأتي من أعلى. انتهى الدرج. تلمست باحثاً عن مفناح إضاءة. فلم أجد. بدلاً من ذلك وجدت باباً آخر.

فتح الباب على ما قدرت أنه مساحة واسعة، ربما غرفة أسفل السفن. لم يكن هناك ذلك الظلام الحالك الذي كان لدى بئر السلم، لكن مع ذلك لم يكن الضوء يكفي للروية. أمسكت بقبضة الباب. صحت: «كيكي!».

لم يأتي جواب.

وفقت لا أحرك ساكناً وانظرت. لم أكن أعرف ماذا يجب أن أفعل. كان الزمن يتلاشى. حذفت في الظلام، وأرهفت السمع. ببطء وبشكل غير مؤكد راح الضوء المنسلل للغرفة يزداد. هل هو الضمير؟ أحشاء المدينة؟ مشيت بحذر إلى قلب المكان. ناديت مرة ثانية: «كيكي!».

لا جواب.

استدرت ببطء حولي محاولاً أن أعرف ماذا يمكنني عمله. كانت شمة قطع أثاث غريبة موضوعة في زوايا الغرفة. ظل رمادي ربما يكون لأريكة وطاولة وكراسي وخزانة. غريبة جداً. كان المكان يبدو وكأنه أبعد بواسطة قوة طرد مركزية، وكان سوريلي الطابع، لكنه يبدو حقيقياً. أعني أن الأثاث كان يبدو حقيقياً.

فوق الأريكة كان يوجد جسم أبيض. فد تكون ملاءة؟ أو ربما تكون الحقيبة البيضاء التي كانت كيكي نحملها؟ دنوت أكثر لاكتشف أنها شيء مختلف تماماً.

كان ذلك الشيء عظيماً.

كان هناك هيكلا عظميان شريان موضوعين جنباً إلى جنب على الأريكة. هيكلا كاملا، أحدهما كبير والأخر صغير يجلسان تماماً كما كانا وهما في حياتهما. كان الهيكل الأكبر يضع ذراعاً على ظهر الأريكة، فيما يضع الآخر يديه فوق حجره. بدا أنهما قد ماتا بشكل فوري قبل أن يعرفا ماذا أصابهما، وتساقت لحمهما لكن وضعية جلوسهما لم تتغير وظلت كما هي. كانا يبدوان كما لو أنهما ينسمان. ينسمان وبشرتهما ناصعة البياض.

لم أشعر بأي خوف، لماذا؟ ليس لدي أدنى فكرة. ولكنني كنت هادئاً تماماً. كل ما كان بداخل الغرفة كان يخيم عليه صمت مطبق، كانت العظام نظيفة وصامتة. كان هذان الهيكلان قد ماتا تماماً وبلا رجعة. لم يكن هناك ما يُخشى منه.

مشيت ببطء داخل الغرفة. كانت تضم ستة هياكل. فيما عدا واحد، كانت كلها مكتملة. كلها تجلس في أوضاع طبيعية. كان هناك رجل (كيبنت على الأقل) من خلال الحجم أنه رجل) يتابع التلفزيون. فيما كان هيكلا آخر ينحن فوق مائدة ما زالت توجد عليها الأطباق. الطعام كان قد تحول إلى تراب. ولكن الهيكل الوحيد الذي كان في حالة غير مكتملة كان ممدداً على سرير. كانت ذراعه اليسرى مبتورة من الكتف.

أغمضت عيني.

ما هذا برب السماء؟ كيكي، ما الذي نحاولين أن نظهره لي؟

مرة ثانية سمعت وقع خطى. نأني من غرفة أخرى، ولكن في أي اتجاه؟ بدا أنها ليس لها مكان. على مدى رويتي كانت هذه الغرفة

مسدودة. لم يكن هناك أي منفذ. تواصلت الخطوات، ثم تلاشت. الصمت الذي كان يخيم على المكان أصبح كثيفاً لدرجة أنه أصبح خانقاً. مسحت العرق المتصبب على وجهي براحة يدي. لقد تلاشت كيكي مرة ثانية.

خرجت من الباب الذي دخلت منه. ألقيت نظرة أخيرة: الهياكل الستة نلعم لمعاناً باهتاً. ويبدو كما لو أنها تستعد للقيام والتحرك من المكان بمجرد أن أغادر. سوف يشغلون التلفزيون ويعتدون لأنفسهم الطعام الساخن. أوصدت الباب بهدوء حتى لا أزعجهم، ثم عدت إلى الدرج المؤدي إلى المكاتب الخاوي. كان الوضع كما هو، لا يوجد إنسي واحد، الصحف القديمة مبعثرة على الأرض.

ذهبت نحو النافذة ونظرت منها. كانت أنوار الشارع تنوهج بشدة، كانت السيارات والحافلات واقفة في المرآب كما هي. الشمس كانت قد غابت تماماً. لم يكن هناك أحد في مجال رؤيتي.

لكن حينما اتكأت على عتبة النافذة المغطاة بالتراب لاحظت قطعة من الورق في حجم البطاقة التعريفية، التفتتها وتفحصتها. كانت تحمل رقم هاتف. كانت الورقة ما زالت نوية، لكن الحبر قد بهت. أمر مشر للاهتمام. درستها في جيبتي وخرجت إلى الردهة.

حاولت العثور على حارس البناية حتى أسأله عن المكاتب حينما تذكرت أنني تركت يوكي في السيارة بمفردها في حي سيح السمعة من المدينة. كم المدة التي تركتها فيها هناك؟ عشرين دقيقة؟ ساعة؟ كان الليل يرخي سدوله على المدينة.

كانت يوكي في حالة نعاس، وندفن وجهها في المقعد، والراديو يعمل، حينما عدت للسيارة. نفرت على النافذة ففتحت لي الباب.

قلت بجديّة: «معلّمة».

فالت وهي شبه مخدرة: «جاء كل أنواع الأشخاص الغريبين . كانوا يصيحون ويضربون على زجاج السيارة ويهزونها . شعرت بفزع شديد».

- أنا آسف جداً .

حدّثت في وجهي . تغير لون يدي عينيها ، واتّابيت ملامحها رعشة خفيفة مثل سطح بحيرة سقطت عليه ورقة شجر . نعمتت بكلمات غير واضحة . أين ذهبت وتركتني؟

«لست أدري ، لست أدري» صدرت عني هذه الكلمات ثم ذابت مثل صدى وقع الأقدام . سحبت متديلاً من جبتي وجففت العرق عن جبهتي .

نظرت إليّ بوكي شزراً ومدت يدها لتمسّ وجنتي . كانت أناملها ناعمة . تنثفت الهواء حولي وكان أنفها الصغير يتنفخ بشكل خفيف . رمقتني بنظرة طويلة . «لقد رأيت شيئاً ، أليس كذلك؟» .

أوماً .

فالت: «ولكنك لا تستطيع أن تقول ماذا وأيت . لا يمكنك أن تعتبر عنه . لا يمكنك تفسيره لأي شخص . ولكن يمكنني أن أرى ذلك» . ثم ابتكأت ومشت وجنتي مساً خفيفاً بوجنتها . «يا له من شيء صعب» .

سألتها ضاحكاً: «كيف ذلك؟» لم يكن هناك ما يدعو للضحك . «بكل المفاسيس أنا إنسان عادي جداً ولا يمكن أن تجدي من بقوتي في ذلك . ولكن لماذا تحدث لي كل هذه الأشياء الغريبة باستمرار؟» .

فالت بوكي: «صحيح ، لماذا؟» ثم أكملت: «لا تنتظر إليّ . أنا مجرد طفلة . أنت الشخص البالغ هنا» .

- صحيح .

- ولكني أفهم كيف تشعرين .

- لكنني لا أفهم .

- في أوقات مثل هذه ، يحتاج الكبار إلى الشراب .

ذهبنا إلى بار هاليكولاني . البار الذي بالداخل وليس الذي على حمام السباحة . طلبت شراب ماريني هذه المرة فيما أخذت بوكي صودا ليموناده . كنا الوحيدين في المكان . كان عازف البيانو يعزف مقطوعة لرحمانينوف «رماد التحوم» ، «ضوء القمر في فيرمونت» ، «ولكن ليس من أجلي» . كان يعزف بإتقان لا يبارى . ثم ختم بمقدمة موسيقية مؤثرة للغاية لشوبان . صغفت بوكي لذلك وابتسم العازف التصفين .

عند الكأس الثالثة من العاونيني أغمضت عيني فخطرت ببالي تلك الغرفة مرة ثانية . مشهد من تلك المشاهد التي تستبطن فيها وأنت مبلل بالعرف وتشعر بالارياح لكون ما وأيت كان مجرد حلم . ولكنه لم يكن حلماً . كنت أدرك ذلك وكذلك بوكي . أدركت أنني رأيت شيئاً . تلك الهياكل السنّة . ماذا نعني؟ ومن يكونون؟ وهل يمكن أن يكون ذلك الهيكل ذو الذراع الوحيدة هو ديك نورث؟

وما الذي كانت كبكي تحاول أن تقوله لي؟

أتذكر قطعة الورق التي دستتها في جبتي ، القطعة التي وجدتها على عتبة النافذة . ذهبت إلى الهاتف وطلبت الرقم . لا جواب . فقط صوت جرس برنّ وبرنّ . عدت إلى مقعد البار وتنهدت ، وفلت: «إنني أنكر في العودة إلى اليابان غدا . إذا وجدت منعداً على الطائرة فسوف أفعل . لقد أمضيت هنا وقتاً أطول من اللازم . كانت رحلة

رائعة ولكن حان وقت العودة لدي أشياء بحب أن أنتهي منها في البيت.

أومات بوكي كما لو كانت تعرف ذلك مسبقاً. «حسناً، لا تقلق بشأنى، يمكنك العودة إذا كنت تعتقد أن يجب أن تعود»

«وماذا ستفعلين؟ ستبين هنا؟ أم تريدين العودة معى؟»

«بوكي كنتفعلها.» «اعتقد أننى سوف أذهب لأقيم مع أمى لبعض الوقت، لا أظنها سوف تمانح.» لا أظن للعودة الآن».

انتهيت من آخر كأس مارتنى

- حسناً، سوف نفعل ما يلى: سوف أؤسلك للسيارة إلى ماكاها غداً. بهذه الطريقة سوف أبقى لي أن أرى والدتك مرة أخرى. وبعد ذلك سوف أوجه إلى المطار.

في تلك الليلة تناولنا العشاء الأخير معاً في مطعم مأكولات بحرية بالقرب من برج ألوما. لم نتكلم بوكي كثيراً، وكذلك أنا. كنت متأكدة أننى سوف أتلاقى في أي لحظة، ولعمري متعلقة بمحار البحر، للتفكير في تلك الهياكل المظلمة في الغرفة التي أسفل السفن.

كانت بوكي تنظر إلى نظرات قاتمة مغزى فيما تناول الطعام. بعد أن انتهينا، قالت: «من الآن لك أن تذهب إلى الفراش، تبداً صرعا»

حينما عدت إلى غرفتي، سبيت لثقتي بعض الشخصية وفنحت التلفزيون. كانت مباراة بين لوبني الياباني والأوويوز. لم أكن أرغب في مشاهدة البيسبول، لكنى ركزت المباراة على أبة حال. كانت شيئاً يربطني بالواقع.

دارت الخمرة في رأسي أخذني المعاص. وحينئذ تذكرت فصاصة الورق التي في جيبى وجريت الرقم ثانية. تركت الهاتف برون خمس عشرة مرة. حملت في التلفزيون، كان وينفيلد يدخل في مربع الضارب حينما خطى بالي في السماء.

«هل كان لك التي؟» كانت عيناى مثبتتين على الشاشة. «نعم شيء، بشبه شيئاً، شيء يتصل بشيء».

«هذا من غير المحتمل.» أخذت فصاصة الورق وذهبت إلى الورقة التي دؤنت جردن فيها رقم هاتفها. فارتت الرقمين. يا لبي، إنه الرقم نفسه.

كل شيء، كل شيء، برابط. بعد أنى مع ذلك لم أجعل تفسيراً لما يعنيه ذلك.

في اليوم التالي اتصلت بالخطوط الجوية اليابانية وحجزت رحلة ما بعد الظهر. سددت فواتيرى، وكنت أنا وبوكي في طريقنا إلى ماكاها، فجاءه ادهشت السماء. كانت ثمة عاصفة ثلجية ضخمة على الأفق.

قالت بوكي: «أبدو السماء مثل لعبة التاكسيلا وهي تسجن قلبك».

بيب بيب بيب بيب بيب

- لست أفهم.

- هناك شيء بالك

تكررت في ذلك وأنا أقود السيارة وقلت لها: «إلى المسح صبح الموت بشكل متكرر، إنه شبح كثيف للغاية. كما لو أن الموت قريب جداً منى ويحيط بى ويصل على من كاحلى. يمكنه أن يقع في أي لحظة. ولكن ذلك لا يعزنى. لأنه لم يكن أبداً موئى أنا، إنه دائماً

موت شخص آخر. في كل مرة يموت شخص، أشعر بأن ذلك ينهك قواي. كيف ذلك؟»

هزت بوكي كتفيها

- الموت قريب مني دائماً، لا أعرف لماذا؟ وكلما وجد له متفناً ظهر منه.

قالت بوكي: «ربما يكون ذلك هو مفتاحك. ربما يكون الموت هو صلوك بالعالم».

قلت: «أي تفكير هذا؟ إنه يبعث على الاكتئاب».

بدأ أن ديك نورث قد حزن حقاً لوحيلي. ليس لأنه كان بيننا اتفاق مشترك، وإنما لأن كلاً منا شعر بارتياح ما نحو الآخر. وكنت أحترمه على شيمه، الذي وظفه لعلاج فضايأ حقبية. تصافحنا. وفي أثناء ذلك طاف بخاطري الهيكل العظيم ذو الذراع الواحد. هل يمكن أن يكون هو هذا الرجل؟

سألته حينما جلسنا معاً مرة أخيرة: «ديك، هل فكرت يوماً في الموت؟ كيف ستتموت؟»

ابنسم وقال: «كنت أثناء الحرب أتفكر كثيراً في الموت. كان الموت يحدث بنا من كل صوب، وكانت هناك طرق كثيرة يمكن أن نموت بها. لكن في الآونة الأخيرة، فلا، ليس لدي وقت لأفلق بشأن ما ليس لي عليه سلطان. أنا مشغول في أوقات السلام أكثر مما كنت في أثناء الحرب». ثم ضحك وأضاف: «وما الذي يجعلك تسأل؟»

قلت له، لا شيء.

قال: «سوف أفكر في الأمر. سوف نتحدث فيه حينما نلتقي المرة القادمة».

حينئذ طلبت مني أمي أن أتمشى معها، فرحنا نتمشى في طريق مختصمة للمشي.

فألت أمي: «أشكرك على كل شيء». من كل قلبي أشكرك. لست أجيد التعبير عن هذه الأشياء. لقد أذبت الجليد الذي بيني وبين بوكي. لقد أصبحت أنا وبوكي فادرتين على الكلام معاً. أصبحنا أكثر قرباً. وهي الآن تأتي للإقامة معي.

قلت: «أليس ذلك جيداً؟» لم أجد شيئاً غير ذلك لأقوله. بالكاد سمعني أمي.

- يبدو أن الطفلة قد هدأت كثيراً منذ أن فاهلنك. لم تعد سريرة الغضب أو عصبية. لست أعرف ماذا جرى. ولكن من المؤكد أن لك أسلوباً خاصاً في التعامل معها. ما هو الشيء المشترك الذي يجمعك بها؟

أكدت لها أنني لا أعرف.

- بحسب وأيك ماذا يجب أن نفعل حيال ذهاب بوكي إلى المدرسة؟»

قلت: «إذا لم تكن تريد الذهاب إلى المدرسة، فربما ينبغي أن تفكري في بديل. أحياناً يكون أمراً سهلاً أن تُفرض المدرسة على الطفل، وخصوصاً إذا كانت طفلة مثل بوكي ذات حساسية عالية ونلفت الانبئاء أكثر مما تحب. ربما يكون استخدام معلم خاص فكرة جيدة. أعققد أنه من الواضح تماماً أن بوكي لم تخلق لدخول الامتحانات والمنافسة وضغط الزملاء، والفوائد المدرسية وأداء الأنشطة الدراسية الإضافية. بعض الأشخاص يمكنهم العمل بشكل جيد من دون ذلك. أعرف أنني مثالي، ولكن الشيء الأهم هو أن تكتشف بوكي موهبتها وأن تتاح لها فرصة صقلها. ربما ستفكر في العودة

للمدرسة. سوف يكون ذلك أمراً جديداً أيضاً، إن كان ذلك قرارها». فالت آمي بعد أن فكرت لبرهة: «أظنك على صواب. أنا أيضاً لست شخصية اجتماعية، ولم أكن أحتمل المدرسة أيضاً، لذا فأنتي أفهم ما نقوله».

- إذا كنت تفهمين، إذاً ينبغي ألا يكون هناك شيء نفكرين فيه. أين المشكلة؟

- ليس هناك مشكلة. أعني أن المشكلة الوحيدة هي أنني لا أملك الثقة اللازمة بنفسِي كأم. لذا ليس لدي القدرة على مساعدتها في ذلك. إذا كنت نفتقر إلى الثقة، فسوف تستسلم. وفي أعماقي بساوري، فلن بأن يكون عدم الذهاب إلى المدرسة هو خطأ من الناحية الاجتماعية.

- خطأ من الناحية الاجتماعية؟ لا أستطيع أن أعطيك أي تعليمات في هذا الخصوص، ولكن من يدرى ما هو الخطأ وما هو الصواب. لا أحد بإمكانه قراءة المستقبل. النتائج يمكن أن تكون مدبرة. ولكن ذلك يمكن أن يحدث في أي من الحالتين. أعتقد أنك إذا أظهرت للثلاثة أنك تحاولين بجديّة كأم أو كصديقة أن تساعدنا، وإذا أبديت بعض الاحترام لإزاهما، فحينئذ سنصبح أكثر نشاطاً ونستكمل ذلك بنفسنا.

وفت آمي هناك هادئة، وهي تضع يديها في جيبي بنطالها. ثم قالت: «أنت نفهم حقاً نفسية الطفلة. كيف تسنى لك ذلك؟».

لأنني لم أكن دائماً أعيش في كوكب آخر، شعرت بالرغبة في أن أقول لها ذلك. لكنني لم أفعل.

قالت إنها تريد أن تمنحني شيئاً كتعبير عن تقديرها لي. أخبرتها أنني تلقيت ما يكفي من زوجها السابق.

- ولكنني أريد ذلك. إنه يمثل نفسه وأنا أمثل نفسي. وأريد أن أعبر عن شكري لك. وإذا لم أعرف فسوف أنسى ذلك». قلت مازحاً: «إن نسب فأكون في غاية السعادة».

جلسنا على أريكة وصحبت آمي علبه من سجائر سليم من جيب قميصها. أشعلت سيجارة وراحت تأخذ نفساً ثم تخرجه. ثم تركتها تتحول إلى رماد بين يديها.

في أثناء ذلك كنت أنصت للطبور وهي تغرد وشاهدت الذين يشذبون العشب وهم ينحرون في عربانهم. كانت السماء قد بدأت تصفو، بالرغم من أن التقارير كانت تشير إلى عواصف رعدية. كان ضوء الشمس الغوي يخترق غطاء كثيفاً من الغيوم الرمادية. كانت تضع نظارتها الشمسية وترتدي كنزة ذات كُنين قصيرين، بدا أنها غير عابئة بالوهج الذي يحدثه الجلبد أو الحرارة، بالرغم من أن خيوطاً من العرق كانت قد ظهرت على ياقة قميصها. ربما لم تكن الشمس هي السبب. ربما كان ذلك بسبب التركيز أو الارتباك الذهني. مضى حوالى عشر دقائق وكأنها ليست هنا. مرور الوقت لم يكن عنصراً ذا قيمة في حياتها. وحتى إن كان، فهو ليس على قائمة أولوياتها. لكن الأمر كان يختلف معي. كان لدي طائرة وعليّ الحاق بها.

قلت وأنا أنظر إلى الساعة: «عليّ أن أذهب. ويجب أن أعبد السيارة قبل الذهاب إلى المطار».

بذلت جهداً باهناً لإعادة تركيز عينيها عليّ. وهي نظرة كنت ألاحظها على يوكي من وقت لآخر. قالت آمي: «آه، نعم الوقت. لم أتنبه لذلك. معذرة».

نهضنا من على الأريكة وسرنا باتجاه البيت.

خرجوا جميعاً لوداعي طلبت من يوكي أن تتوقف عن تناول

الوجبات السريعة . وقلت إن ذلك سوف يهنم بذلك . بدا مشهد الثلاثة في مرآة الميلاوة مثبثاً للفضول . كان ذلك بلوح بذراعه الوحيدة إلى أعلى ، فيما كانت آسي تنظر نظرة شاردة وهي تضم ذراعها أمام صدرها ويوكي تنظر جانباً ونفذه حصاة على الأرض . بقايا عائلة في زاوية بديلة من عالم غير مكتمل . إلى أي مدى أصبحت مستغرفاً في شؤونهم ؟ كانت انعطافة السيارة بشاراً كنييلة بأن يخنفوا من المرأة لأول مرة منذ زمن أصبح وحيداً .

(31)

عندما رجعت إلى شقتي في شيبويا رحلت أنفحص بريدي ورسائلي . لم يكن هناك بالطبع سوى أمور تافهة ننعلق بالعمل مثل : أين اختفيت ؟ هل يمكنك أن تفضلع بهذا المشروع الجديد ؟ لم أروء على أي مكالمات . الأسرع والأبسط أن أبدأ بالعمل الذي بين يدي . لكنني أجريت أولاً اتصالاً بهاكيمورا . رفع فرايدي السماعرة وعلى الفور أوصلني بالرجل الكبير . قدمت له تقريراً موجزاً عن الرحلة وقلت له إن هاواي كانت متضخاً جيداً ليوكي . قال : « حسناً ، أشكرك على كل شيء » . سوف أنصل بآمي غداً . هل كان المال كافياً ؟ » .

- بل فاض .

- حسناً . يمكنك أن تنفقه كما تشاء . هو لك .

فلت : « لا يمكنك أن أفعل ذلك . أهـ كنت أود أن أسألك عن مدبكت الصغيرة » .

قال مازحاً : « أهـ تقصد الفتاة » .

- كيف رتبت ذلك ؟

- من خلال قتوات . كنت متأكداً أنك لن تمضي الليل في لعبة

لكوتشينه ، أليس كذلك ؟



- لا، ليس هذا ما أعتبه. أود أن أعرف كيف يمكنك أن نشري لي امرأة في هونولولو وأنت في طوكيو. لدي فضول لمعرفة كيف تم ذلك.

صمت ماكيمورا وهو ما زاد من فضولي.

قال: «إنها أشبه بتوصيل دولي للزهور. أنصل بالمؤسسة في طوكيو وأخبرهم أنني أريد منهم أن يرسلوا إليك فتاة في المكان الفلاني والوقت الفلاني. حينئذ تتصل طوكيو بالمؤسسة التابعة لها في هونولولو وهم بدورهم يرسلون الفتاة. إنني أدفع لطوكيو. وطوكيو نحصل على نسبة ثم نرسل الباقي إلى هونولولو. ثم تأخذ هونولولو نسبتها ونعطي ما ينفي للفتاة. مريح أليس كذلك؟ إن العالم الحديث فيه كل أنواع التنظيم»

- بالتأكيد إنه مريح للغاية. إنه يكلف لكن يوفر الوقت والجهد. أظن أنهم يسمونها برفيات جنسية دولية. إنها آمنة أيضاً. لا مواجهات عنيفة مع الفوادين. وفوق ذلك يمكنك أن تضمنها لحساب المصروفات.

قلت وأنا أومن لنفسي: «إذاً هكذا يكون؟ هل يمكنك أن تعطيني رقم هذه المؤسسة؟»

- آسف. لا يمكن. إنه سري للغاية. للأعضاء حصرياً. تحتاج إلى المال والوضع الاجتماعي حتى تقبل فيها. لن يتم قبولك فيها أبداً. أعني، انس الأمر. اسمع إنني بالفعل أثرت كثيراً. لقد أخبرتك بكل ذلك فقط محبةً وطيبة قلب نحوك.

شكرته على ذلك.

سألني: «إذاً، هل كانت جيدة؟»

قلت: «جيدة جداً».

- بسعدني سماع ذلك. لقد طلبت منهم أن يرسلوا إليك الأفضل. ماذا كان اسمها؟ - جون.

- جون؟ هل كانت بيضاء؟

- لا، من جنوب شرق آسيا.

قال: «سوف أطلبها المرة التالية».

لم يكن هناك المزيد الذي يمكن قوله، لذا شكرته مرة ثانية ووضعت الساعة.

بعد ذلك اتصلت بجواندا فسمعت آلة الرد. تركت له رسالة بأني عدت وفي انتظار مكالمته. كان قد مر معظم النهار، لذا ركبت السويارو ونوجهت نحو أوياما للقيام ببعض التسوق قبل أن تغلق المتاجر أبوابها. اشتريت خضراوات طازجة ثم جلبتها مباشرة من مزاد كينوكونيا الواقعة في مكان ما من جبال ناجانو البعيدة حيث نحاط بالحقول بالأسلاك الشائكة. وفيها أبراج مراقبة وحراس مسلحون بالبنادق الآلية. معسكر سجن مثلما في فيلم الهروب الكبير.

حينما رجعت من التسوق لم تكن قد وصلني أي رسائل من جواندا.

في الصباح التالي، وبعد إفطار سريع في دائنكن دوتانس، توجهت إلى المكتبة وطلبت في صحف الشهر السابق. كنت أبحث عما إذا كانت التحقيقات في مقتل ماي قد حققت نجاحاً. فرائت أساهي، ومايتشي ويوميوري بذهبة نامة، بيد أنني لم أجد سوى أخبار نتائج الانتخابات ونصريح من ريفشكو ومقالة كبيرة عن انحراف الأحداث في المدارس، وكيف أن البيت الأبيض في أمريكا ويسبب «انعدام اللون الموسيقي» فد ألغى حفلاً لفرقة بيتش بويز. على أية حال لم يكن هناك سطر واحد عن القضية.

رحت أتمشى في انتظار أن ينظر لي ففكره رائعة. لم بحالني ذلك الحظ. مشيت نحو ضريح مجي ونمددت على الحشيش ورحت أنطلق نحو السماء.

رحت أفكر في مؤسسة المومسات. البرقيات الجنسية العالمية. سجل طلبك في طوكيو فوجد فنانك بانتظارك في هونولولو. شيء منظم ويعمل بكفاءة ودقة. لا فوضى ولا ضجيج. إنه شديد الشبه بعالم الأعمال. ما إن يخطر ببالك خيال، إلا وأمكنك أن نجده في السوق مثله مثل أي منتج آخر. الرأسمالية المتقدمة تنتج بكميات ضخمة البضائع التي تلي كل ما يمكن تخيله من احتياجات. الخيال هي الكلمة المفتاح هنا. سواء كان دعارة أو نمبيراً أو اعتناء شخصياً أو دافعا جنسياً، ما عليك إلا أن نضعه اسماً جميلاً وأن نغلفه بشكل جميل ثم يمكنك أن تبيعه. قبل أن يمر وقت طويل سوف يصبح لديهم كتيبات خاصة بخدمة بائعات الهوى في مركز تسوق سايبو. يمكنك الاعتماد علينا.

نطلعُ نحو السماء وفكرتُ في الجنس.

كنت أرغب في النوم مع بومبوشي. لم يكن مستحيلاً. فقط ضع تدماً واحدة داخل شفتها وأخبرها. «يجب أن ننامي معي. ينبغي أن ننامي معي». بعدئذ أفوم بنزع ملابسها برفقة مثلاً فثك رباطاً بحزم هدية. أولاً معطفها ثم نظارتها ثم سترتها. عندما أجردتها من ملابسها، ستتحول إلى ماي. ونقول: «هل يعجبك جسمي؟».

ولكن قبل أن أجيء، كانت اللبلة قد انتهت. كيكي بجوارتي، جوتاندا يمرر أصابعه الرشيقة على ظهرها. الباب يفتح. تدخل يوكي. تراني وأنا أمارس الجنس مع كيكي.

قمت بعد ذلك بتصميم نسخ أعداد سابقة من مجلات أسبوعية متنوعة. وكان الخبر كما يلي: «جمال عار وجد مخنوقاً في فندق أكازاكا». كانت هناك مقالة مؤثرة بمساحة صفحة كاملة عن ماي. بدلاً من صورنها، كان هناك رسم للجنة قام به مختص في الرسم الجنائي. وهو أفضل الخيارات إذا لم تكن لديك الصورة المخيفة نفسها. كان الرسم يشبه ماي تماماً. هل يمكن لأي شخص آخر أن يتعرف عليها؟ لا. ماي كانت ملبسة بالحبيوة والدفء. ملبسة بالأمال والخيالات. كانت لطيفة وناعمة ورائعة الجمال ونجرف ثلوجها الجنسية. كان ذلك هو السبب الذي جعلنا لنواصل بنحو جيد ونشارك في هذه الخيالات. كانت كلها براءة.

لقد جعلها ذلك الرسم السيئ تبدو وخيمة ومثيرة جنسياً. هزرت رأسي. أغضضت عيني وتنهت بيده. لكن ذلك الخط كان يعني عن أي صورة من المشرقة ويوصل حفيظة مفادها أن ماي قد ماتت. ماتت تماماً وبلا رجعة. انتهت. غاضت حبايتها نحو عدم مظلم.

كانت المقالة تتناسب مع الرسم. امرأة شابة يعتقد أنها في أوائل العشرينات وجدت مينة خنفاً بواسطة جورب في فندق نخم في أكازاكا. عاربه تماماً ومن دون إثبات هوية أو اسم. إلخ. لم يكن في ذلك من جديد بالنسبة لي سوى تفصيل واحد: الشرطة نلاحق منورشين مشبه بصلتهم بشبكة دعارة محتملة شركة نرسل المومسات إلى الفنادق الفخمة.

أرجعت المجلة إلى الرف وجلست أفكر. كيف استطاع رجال الشرطة أن يصلوا إلى شبكة الدعارة؟ هل وقعت أيديهم على بعض الأدلة القوية؟ لبس معنى ذلك أنني يمكن أن أتصل بهذين المحققين لسؤالهما.

غادرت المكتبة وتناولت غداء سريعاً بالقرب من المكان. ثم

إنه أنا هذه المرة وليس حوثاندا. كانت الأصابع قحسب أصابعه تقول يوكي: «لا يمكنكني أن أصدق ذلك. لا يمكنكني حقاً أن أصدق».

أقول: «ليس الأمر كما تفهمين».

نقول كيكي للمرة الألف: «ما الذي يحدث هنا؟».

أصروا: «الأمر ليس كذلك. إن الغناء التي أرغب في التوم معها هي يوميوشي. لقد فهمت الإشارة على نحو خاطئ».

الشيء الأول هو أنني يجب أن أفكك غيوط الاتصال. وإلا سوف أعود خاوي اليدين. أو يبد شخص آخر. أو حتى يبد مقفورة.

بعدما تركت شريح ميجي ذهبت إلى مفهى في شارع خلفي في هاراجوكو حيث احسنت فنجائاً فوياً من القهوة. ثم تمشيت ببطء نحو البيت.

في المساء اتصل جوثاندا.

كان يتحدث بشكل سريع. «معذرة، ليس لدي وقت الآن. هل يمكنكني أن أراك الليلة حوالي الثامنة أو التاسعة؟».

- ليس هناك ما يمتنع.

- حسناً، سوف تتناول العشاء معاً. سوف أمرّ عليك لأخذك

بالسبارة.

أثناء انتظاره لي، فتحت حقيبي ورحلت أنقخص الإبهالات الخاصة بالرحلة لتفصل مصروفات ماكيورا عن مصروقاتي. نصف إيجار السبارة والوجبات يذهب إليه بالإضافة إلى المثرريات الشخصية ليوكي. بذلة سباحة، وراديو ولوح ركوب الموج. حسبت المصروفات ووضعتها في مغلف ومعها الشيكات السياحية العثيفة

والجائزة لأن يتم صرقها من البنك لإعادتها إلى ماكيورا. إتني دائماً ما أهتم بهذه التفاصيل. ولكن ليس لأتني أحبها. إتني فقط أكره عدم الدقة في مسألة المال.

بعدما انتهيت من الحسابات، مزجت بعض السمك الأبيض بالسبانخ المسلوقة لتتاوله مع قنية من الشراب. ثم أعدت قراءة قصة قصيدة لهارو ساتو صدرت قبل سنوات قليلة. كانت أمسية ربيعية هادئة. السماء أصبحت أكثر ظلاماً ورسمت خيوطاً زرقاء الواحد فوق الآخر، ومع كل خط تتعمق ظلال الليل.

عندما مللت من القراءة، فمت بتشغيل معزوفة شوبيرت الشهيرة «الأزهار ذابئة» وهي معزوفة احتفظ بها دائماً للربيع. كانت ننداخل مع شجون الليل الذي نرقد في أعمافه الهياكل العظمية السنة. كانت الحياة نفوس في هوة سحيفة، والعظام أصبحت صلبة مثل ذكريات تجسدت أمامي.

في الثامنة وأربعين دقيقة مر بي جوناثان. كان يرتدي سترة عادية رمادية اللون فوق قميص أزرق وعادي وينطال من القطن العادي. ومع ذلك كان مطهره أعذاً. فوق العادة.

دعوته للدخول حينما لمست لديه فضولاً نحو منزلي.

قال بإتسامة خجولة: «جميل». كانت تلك الإبتسامة الحلوة تجعلك تشعر بالرغبة في دعونه لأن يمكث في بيتك لمدة أسبوع.

قال كما لو كان يُحدث نفسه: «إنه يأخذني للماضي. يذكّرني بالمكان الذي كنت أقيم فيه قبل أن أصبح نجماً». مثل هذا التعليق إذا صدر عن أي شخص آخر، كان سيعتبر ازدراء غير مقبول، ولكن منه كان مجاملة تتسم بالمباشرة والخلو من أي أغراض.

فدست له وسادة كبيرة وأخرجت طاولتي الصغيرة القابلة للطي من الخزانة. ثم أحضرت لكل منا بهرة سوداء مع مزيج من السمك الأبيض والسبانخ الذي أعدته قبل أن أشغل معزوفة شويرت مرة ثانية.

- رائع!

- حقاً؟ هل نرجب شيئاً آخر؟

- أحب ذلك، ولكنني لا أريد أن أنعبك.

- لا تعب على الإطلاق. يمكنني إعداد المزيد بسرعة وسهولة.

- هل يمكنني أن أشاهد ذلك؟

قلت: «بكل تأكيد».

خفقت كراثاً مع نكهة خوخ. أعشاب بحر ورؤبان. شرائح سمك. بطاطس في زيت الزيتون وثوم. خيار. زنجبيل مطحون.

تنهد جوناثان: «مذهل. إنك عبقري».

- جميل منك أن تقول ذلك، ولكنني أؤكد لك أن الأمر بسيط جداً. فقط مزجت كل المواد التي لدي.

- إنها عبقرية مطلقة. ليس باستطاعتي أن أفعل ذلك أبداً.

- حسناً، شكراً لك. ولكنني لا أستطيع أبداً أن أفقد طبيب أسنان.

قال: «آه...»، وهو يرفض رؤي للمجاملة. «هل نمانع إذا لم نخرج الليلة؟ إن هذا الطعام عظيم».

- ليس لدي مشكلة.

لذا شربنا وأكلنا. حينما نفذت البيرة تحولنا إلى ويسكي كاتي سارك. استمعنا إلى أغنيات سلاي وفاملي ستون ودورز وستونز وبينك فلويدي. واستمعنا كذلك إلى بينش بريز. كانت ليلة أشبه بليلة من سنوات الستينيات. ولو أن أي كائنات من الفضاء الخارجي هبطت علينا آنذاك لظنت أن خللاً قد أصاب عجلة الزمن وأنها عدنا إلى حقبة السبعينيات.

لم تهبط أي من هذه الكائنات، ولكن بدءاً من الساعة العاشرة بدأ الجو يمطر. كانت الأمطار تهطل ناعمة وهادئة تكاد لا نسمع على الإفريز. صامتا صمت الموني نغرياً.

مع انقضاء جزء كبير من الليل توقفنا عن تشغيل الموسيقى. لم

تكن لشعني جدران حاجبة للصوت مثل منزل جوتاندا. وأي ضوضاء عابئة بعد الحادية عشرة سوف نجر علينا الشكاوى.

مع إيقاف تشغيل الموسيقى، كان همس المطر يؤكد نبرة حديثنا. عبرت له عن أسفي أن الشرطة لم تحقق تقدماً كبيراً في قضية ماي. تنهد جوتاندا، لا لم يحققوا تقدماً. كان يطالع الصحف والمجلات هو الآخر.

فنتح قنينة ثانية من الكاتي سارك وأول جولة شربناها في نخب ماي.

استطردت: «المحققون توصلوا من خلال التحقيقات إلى شبكة دعارة، ولا بد أنهم قد وضعوا أيديهم على شيء. إنني متوجس من أن ذلك يمكن أن يفودهم إليك».

قال جوتاندا عافدا حاجبه بعض الشيء: «ذلك أمر محتمل. ولكن على الأرجح لا داهي للخوف. لقد أثار الموضوع قلتي وسألت بعض الأشخاص في الوكالة التي أعمل بها. سواء كان ذلك النادي لديه سياسة الكتمان كما يدعي أم لا، لكن هل نعرف؟ يبدو أن هذا النادي لديه الكثير من العلاقات السياسية. يبدو أنها بعض الأسماء الكبيرة جداً. لذا حتى لو أفشى النادي بعض المعلومات للشرطة فإن الشرطة لن تكون قادرة على الذهاب بعيداً في التحقيق. لن يكون باستطاعتهم أن يضعوا أيديهم على أمة شخص. وفي ذلك الأمر، فإن وكالتي لديها بعض النفوذ أيضاً. بعض النجوم الكبار لديهم أصدقاء مفربون جداً في مناصب كبرى. أحياناً في مناصب ليست لطيفة جداً. لذا فإنه من كلا الجانبين، ليس أمام رجال الشرطة منسعاً للمناورة. ولأنني بالنسبة لوكالتي بكرة حلوب فإنهم لا يريدون أن يصيبني مكروه. إنني استثمار كبير بالنسبة لهم لا يريدون أن يروا فيعتي تهبط. نعم لو أنك كنت ذكرت اسمي للشرطة، لكنك قد استدعيت

بكل تأكيد. كل العلاقات السياسية هي «جزء» لا يمكنها الجبلولة دون وقوع ذلك. ولكن لا خوف من ذلك الآن. البافي هو عبارة عن لعبة نفوذ، نظام صد آخر».

قلت: «يا له من عالم قذر».

قال جوتاندا: «قذر حتى السخا».

- صونان لصالح قذر.

- ماذا نفعل؟

- صونان لصالح قذر. نم نمرير الحكم

أوما ثم يستم اينسامة حزينة. «صونان لصالح قذر. لا أحد بأبه لمجرد التفكير في فناء راحت صحبة لجريمة قتل. كل شخص لا يهتم إلا بنفسه. وأنا من بينهم».

دلفت إلى المطبخ لإحضار ثلج، فأحضرت أيضاً بعض الحبن وبعض الرفاتق.

قلت وأنا أجلس: «أريد أن أطلب منك معروفاً. هل يمكنك أن تتصل بالمؤسسة وتسال عن شيء من أجلي؟».

أمسك شحمة أذنه. «ماذا تريد أن نعرف؟ أي شيء يتعلق بتلك القضية مستحيل. لن يكشفوا أي شيء أبداً».

- لا صلة لما أريده بذلك على الإطلاق. أريد أن أعرف عن فناء ليل فابلنها في هونولولو. سمعت أن النادي يمكن أن يرسل بنات عبر البحار.

- من أبلغك ذلك؟

- شخص لم يذكر اسمه. إنني أراهم أن تلك المؤسسة التي كان يتحدث عنها هذا الشخص هي نفسها النادي الذي نتحدث عنه. لأنه يتعين عليك أن تكون شهيراً وثراً حتى تُقبل. ولا يمكنني الاقتراب من أي منهما، كما أبلغت.

إنهم جوتاندا وقال: «بسم أظنني سمعت عن خدمة من هذا القبيل. مكالمه هاتفية واحدة تصنع كل شيء. لم أجرب ذلك. ولكن يرجح أنها المنظّمة نفسها. إذًا ماذا عن فناء الليل في هونولولو؟»

— أود فقط أن أعرف إن كان لدى النادي فناء من جنوب شرق آسيا اسمها جيون تعمل لحسابهم.

أطرق جوتاندا بفكر في ذلك، ولم يسأل عن أي شيء آخر. دون الاسم في مدونة مواعيده.

— اسمها جيون ماذا؟

قلت له. «الحفلة، إنها فناء ليل. هي جيون فحسب».

— حسناً سوف أنصل بالنادي غداً.

قلت: «شكراً لك. أنا مدين لك بذلك».

«لا داعي للشكر. بعد ما فعلته من أجلي. فهذا لا يساوي شيئاً». ثم غمز لي بعينه ورفع لي إبهامه لأعلى. «بالمناسبة. هل ذهبت إلى هاواي بمفردك؟»

— من ذهب بمفردة؟ ذهبت مع فتاة. لكنها في الثالثة عشرة من عمرها.

— هل نمت مع فتاة في الثالثة عشرة؟

— ماذا نطن بي؟ الطفلة لم تلبس صدرية بعد.

— إذًا لماذا ذهبت معها؟

— لأعلمها آداب الطعام ولأشرح لها أسرار الجنس. وأذهب معها لمشاهدة فيلم «إي تي». وما شابه ذلك من أمور».

أطال جوتاندا النظر إليّ، ثم حرك شفتيه مبتسماً، «إنك حقاً غريب بعض الشيء. هل تعرف ذلك؟».

صار الجميع يعتقدون ذلك الآن. ثم إقرار المقولة بالإجماع.

ارشف جوتاندا بعض الويسكي وتناول بعض الرفائق.

قال: «لقد رأيت زوجتي السابقة مرتين خلال الفترة التي لم نلتق فيها. شمة انسجام بيننا الآن. أمر غريب. ولكن أن تنام مع زوجتك السابقة أمر مضحك».

— أظن ذلك.

— لماذا لا نحاول أن نرى زوجتك السابقة؟

— هذا مستحيل. إنها على وشك الزواج. ألم أخبرك بذلك؟

هز رأسه. «لم أكن أعرف. إنه أمر سيئ للغاية».

قلت وأنا أعني ما أقول: «لأه هذا الوضع أفضل. ولكن ماذا عن زوجتك السابقة؟».

هز رأسه ثانية. «حالة ميثوس منها. لا يمكن التعبير عنها بغير ذلك. ميثوس منها. طريق مسدود. هل تعرف أننا نمارس الحب الآن أفضل مما كنا عليه. لا يتعين علينا أن نتكلم كلمة واحدة. كل منا يفهم الآخر. حالات أفضل مما كنا عليه ونحن متزوجان. كل منا يحب الآخر. لكن هذا الوضع لا يمكن أن يستمر هكذا إلى الأبد. وأن نظل نلتقي في فنادق الحب. نمنيت لو أنه لا يتعين علينا أن ننواري، ولكن لو اكتشفت عائلتها الأمر. لأحالت حياتي جحيماً. وكأنهم لم يحيلوها بعد؟ إنما لو عُثِرَ بيّني وبينهم لاختارنهم في كل مرة. إنني أخسر من جميع الجهات... يا إلهي الأشياء التي سافدنها من أجل حياة طبيعية معها». راح جوتاندا بضع الثلج في كأسه. «أمر مضحك، أليس كذلك؟ يمكنكني نهرباً الحصول على أي شيء. أوبده. فيما عدا الشيء الوحيد الذي أريده أكثر من أي شيء آخر».

قلت: «كهذا هي الدنيا. ولكنني لم أحصل أبداً على كل شيء كنت أريده. لذا لا يمكنكني في الواقع أن أنكلم».

قال جوتاندا: «لا، إنك محطون. إنك أصلاً لم ترد أي شيء أبداً. مثلاً، هل حدث أن أردت الحصول على سيارة مازيراتي أو بيت في أزابو؟»

«لو أن شخصاً أخرهما علي، ... ولكنني أغلقت الباب أمام العيش في عرشهما. إن كلا من شفتي الصغيرة وسيارتي السريعة موضع تفضي. ونرضيانني كل الرضا. ربما يكون الرضا هنا مبالغة. ولكنهما ترضيانني تماماً. من السهل أن أديرهما ولا يفضيانني بأي شكل من الأشكال. ولكن من يدي؟ ربما يأتي الوقت الذي أحتاج فيه إلى تلك الأشياء».

«لا، لقد جابيك الصواب نسبة إن ذلك ليس له علاقة بالحاجة. هذه الأشياء ليست طبيعية. إنها مصنعة. مثلاً المكان الذي أعيش فيه. الهدف هو سفت فوق رأسك. بصرف النظر عن أي قسم من المدينة يكون. ولكن الحمقى في لوكانو يقولون إنهم قسم إيناباشي أو كاميدو أو ناكولو. نجوميتك لا تسبح. أنت نجم كبير ويجب أن تعيش في أزابو. ولم أعرف بعد ذلك سوى أنهم وضعوني في ذلك البيت الخفيف. ياله من هراء! أي قطعة تلك التي تميز أزابو بحق الجحيم؟ ساحة من المطاعم غامرة الأصابع يدورها مصاصو أربة. وتلك التناوبة الغريبة المحفورة جرح مؤقتر وكل هؤلاء أعضاء المجنونيات اللاني. يظفون حول المكان طوله الليل. الأمر نفس مع سيرة المازيراتي الملغوية. من بحق الجحيم يمكنه أن يولد مازيراتي في طوكيو؟ إنها من ألبا سيانو أو بوليفرد أو كورونيا فلا نجم كبير يتجني إلا يموت في أي شيء. أقل من مازيراتي. إن الشيء الوحيد الذي يميز هذه السيارة هي أنها ليست جديدة. لقد أخذوها من مطرب شعبي.

صوب بعض الوبسكي فوق الثلج الذائب وأخذ رشقة ثم علت ملامحه امتعاضة.

«ذلك هو عالمي. أزابو، سيارات أوروبية رياضية فازحة. هراء أحسن بلا معنى. كيف بدأ كل ذلك الهراء؟ حسناً، الأمر بسيط للغاية. ما عليك إلا أن تنكر الصلابة ونكر الرسالة ونكرر الرسالة. ونغرس هذا الشيء حتى تصدق أن تصبح مثل السائح أزابو، بي إم دبليو. رولكس، أزابو، بي إم دبليو، رولكس، أزابو، بي إم دبليو، رولكس، أزابو، ...»

تلك هي الطريقة التي تجعل هؤلاء الحمقى المساكين يصدفون هذا الهراء. ولكن إن صدقوا ذلك فإنهم يصبحون نماماً مثل كل الآخرين. يصبحون غمبات وليس لديهم أي قدر من الخيال. لقد طُفح بي الكيل. سمعت تلك الحبة التي جعلتني أفسد أفسدت أصبحت دميتهم الجذابة ذات الحجم الشوي. أصبحنا مثبدين بالقرص والرهونات. لكن من يرغب في سماع هذه الشجون؟ على أية حال أنا أعيش في بيت فخم في أزابو. وأقود سيارة مازيراتي. وألبس ساعة نريك فيديا، وهي نفيسة لأجل من رولكس، ألا تعرف ذلك؟ وبإمكانني أن أنام مع فتاة ليل، هي حصرية للمصنوعة، في أي وقت أشاء. إنني موضع حقد من المدينة الملغوية. أود منك أن تعرف أنني لم أطلب أبداً من تلك الأشياء. ولكن ليس ما في الأمر. ويريد هو أن الأمر يصبح شيئاً كليماً. أصعب العيش على هذا المتكول، ولا يمكنني الحصول على ما أريده حقاً».

قلت: «كالحب مثلاً؟»

«نعم. فالحب مثلاً. والسكين وأسمه طبيعية. وحياة بسيطة، وراح يسرد باقي القصة. ثم وضع كلنا يديه معا أمام وجهه. «انظر إلي، كنت أملك عالماً من الإمكانيات، وكانت لدي فرص. ولكني الآن أدمية. يمكنني الحصول على كل امرأة أريدها تقريباً. ولكن المرأة الوحيدة التي أريدها حقاً...»

كان جوناثان قد بدأ يشمل . لم يبدُ عليه ذلك . ولكنه كان يفضض بكل ما كان مخزوناً لديه . طمأننا نتكلم على مدى أربع ساعات تقريباً على هذا النحو . سألني جوناثان إن كان يتعين عليه أن يغازل ، لكنني أخبرته أنه لا يُعطيني عن أي شيء بعينه .

قال : «أسف أنني أفحمت نفسي عليك . في واقع الأمر ، ليس لدي أي شخص آخر يمكنني الحديث إليه . إذا أخبرت أي شخص أنني في أعمالي أميل لأن أكون رجل سويارو فسوف يظنون أنني مجنون ، وسوف يذهبون بي إلى معالج نفسي . بالطبع ، إنها الموضة الآن أن تذهب إلى معالج نفسي ، هل تعرف ذلك؟ هراء مذهل . إن المعالج النفسي في الوسط الفني أشبه باختصاصي في إزالة الغي» . أغمض عيني ثم أردف : «يبدو أنني لم أب إلى هنا إلا للشك» .

- لقد رددت كلمة هراء عشرين مرة على الأقل .

- أحقاً؟ لا عليك . لئس عما بداخلك ، إذا كان ذلك هو ما

تريد

- لا ، كفاني هذا . آسف على جعلك تستمع لكل هذا الهراء . كل ما هناك هو أنني محاط بأشخاص دينيين وهو ما يجعلني أريد أن أتقياً .

- إذا ذهب ونقياً .

قال جوناثان من دون تردد «الحمضي حولي في كل مكان . مضاصو الدماء السمان ، مضاصو الدماء ، ذور الوجوه القبيحة يهزون مؤخراتهم الكبيرة في الهواء ، ويفوضون آمال وأحلام الناس البسطاء . دائماً ما أحدثت نفسي أنه سيكون مضجعة لجهد مفيد أن نقلهم خفقاً .

- نعم ، ربما يكون استخدام مضرب بيسبول أفضل . سيستغرق الخنزير وقتاً طويلاً جداً .

قال جوناثان : «أصببت . ولكن الخنزير سيجعل الهدف أوضح . الموت الفوري جيد جداً . لكن لماذا تضيق الرافعة عليهم» .

- آه ، صوت العقل .

استطرد متجاهلاً سخريتي ثم أخرج تنهيدة ووضع يديه معاً أمام وجهه : «صدق ، أشعر بأنني الآن أفضل كثيراً» .

- حسناً ، ما دمتا اتفنا ، ما رأيك في طيق من الأوتشازوكي؟

- أوتشازوكي؟ إنك تمزح . إنني أحب الأوتشازوكي .

غلبت بعض الشاي الأخضر وخلطت معه الأرز والحليب والمسم والمليح وبعض أعشاب البحر .

قال جوناثان : «بحسب وجهة نظري ، حيانك ليست بالسيئة» .

كنت أنكن إلى الحائط منتصباً لصوت المطر . «من بعض النواحي بكل تأكيد . لست نعبساً . ولكنني مثلك . أشعر بأنني أفنغد شيئاً . أعيش حياةً طبيعية ، أظن ذلك . إنني أرفض . أعرف الخطوات وأرفض . ولكن من الناحية الاجتماعية ، لم أحقق شيئاً . فأنا في الرابعة والثلاثين ، لست مزوجاً ، لست لدي وظيفة ثابتة ، أعيش حياتي يوماً بيوم . لا يمكنني الحصول على فرض إسكاني . لا أنام مع أحد . ما الذي سأكون عليه خلال ثلاثين عاماً؟» .

- سوف نفلت من الفشل .

قلت : «وحتى لو لم أفعل . من يدري؟ تماماً مثل كل شخص» .

- ولكن بالنسبة لحبائي أنا ، فلا توجد أي نواحي أسمنع بها .

- ربما لا تستمتع ، ولكن يبدو أنك نهضت بفنك بشكل جيد .

هر جوناثان رأسه . «هل الأشخاص الذين يهمنون بأنفسهم بشكل جيد يتدفقون بكل هذا السيل اللانهائي من الشجون؟ وهل يأنون لمضابضك ويفرقونك بكل هذا؟» .



قلت: «أجباتاً يفعلون. إننا نتحدث عن الناس لا عن صفات عامة».

في الواحد؛ والنصف أعلن جوتاندا أنه راحل.

قلت: «يمكنك البقاء إن شئت. لدي فرائض إضافية. بل سوف أعد لك إنطاراً أبشاً».

- لا، سأذهب، لكن أشكرك على العرض. أنا غير شمل الآن ويمكنني العودة للبيت. ولكن ثمة معروف أود أن أطلبه منك أولاً. أعشى أن نعتبره غريباً بعض الشيء».

- تكلم.

- هل يمكن أن نعبرني سيارتك السويارو لبعض الوقت؟ سوف أبادلك المازيراني في المقابل. إن المازيراني نثير البهجة، ولا يمكنني أن أذهب إلى أي مكان بهدوء وعصوفاً حينما أحاول أن أرى زوجتي السابقة.

قلت: «يمكنك استعارة السويارو كما نشاء. ولكن حتى أكون صادقاً لست متأكداً ما إذا كان بإمكانني تحمّل المسؤولية عن المازيراني. إنني أوقف سيارتي في الحرّاب كثيراً، ولذا يمكن أن نعرض للتخريب أثناء الليل. وإذا حدث ذلك، فلي أكون قادراً على دفع ثمن التخريب».

- لا نفلق بهذا الشأن. إذا أصابها أي شيء فسوف نتولى الوكالة العناية بذلك. إنها مؤمنة من مقدمتها حتى مؤخرتها. أنزل بها البحر إن رغبت في ذلك. صدقي. سوف بشنرو لي فيراري بعدها. هناك كاتب أفلام إباحة لديه واحدة يريد أن يبيعها.

قلت بصعوبة: «فيراري؟».

ضحك: «أعرف ما تفكر فيه. ولكن يمكنك أن تهمل ذلك. من الصعب عليك أن تفهم، ولكن في هذا العالم المتهتك الذي أعيش فيه، لا يمكنك أن تحتفظ بذوق رفيع. لأن الشخص صاحب الذوق الرفيع يعتبر شخصاً منحرفاً ومسكيناً. شخصاً ساذجاً بلا مال. سوف نحصل على التعاطف لكن لن يفكر فبك أحد بشكل جيد».

تركني جوتاندا وهو يفود سيارتي السويارو وأدخلت سيارته المازيراني إلى الحرّاب. يا لها من آلة شديدة العدوانية. كلها استجابات وفوه. إن أقل ضغطة على دواسرة السرعة نجعلها نظير عن الأرض.

قلت وأنا أريت على لوحنها الأمامية ربنه حائبة: «مهلاً يا عزيزي، لا حاجة لكل هذا العزم». ولكن المازيراني لم تكن لتتصت لأمثالي. فالسيارات أبشاً أيضاً تعرف عيبتها.

ذلك شيء أخير به، دعني أقول لك. على أية حال، فقد كان ثمة جيون في هونولولو مُدرّجة لديهم. إنها فتاة فلبينية. ولكنها استغالت قبل ثلاثة أشهر.

- قبل ثلاثة أشهر؟

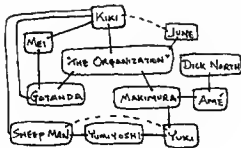
- ذلك ما قالوه.

شكرته ووضعت السماعة. إن ذلك سيحتاج إلى بعض الفهم الشاق.

خرجت أنمشي ثانية

جيون تركت العمل قبل ثلاثة أشهر، ولكنني نمت معها قبل أقل من أسبوعين. أعطتني وفم هانها، ولكنني حينما اتصلت بها لم يرد أحد. كانت هذه هي فتاة الليل الثالثة: أولاً كيكي، ثم ماي، والآن جيون، والثلاثي اختفتن جميعهن. ثمة غيبط يجمعهن بجوناثا وماكيورا وأنا.

دلفت إلى مقهى ورسمت شكلاً توضيحياً في مدوّنتي عن هذه العلاقات. بدت مثل رسم توضيحي للفنوى الأوروبية عشية الحرب العالمية الأولى.



(33)

في الصباح التالي ذهبت لإلقاء نظرة على المازيراتي. كانت لم ترح مكانها ولم يمسسها أحد. مشهد يبعث على الفضول أن تجدوا وافئة حيث اعتادت السويانو أن تكون. ركبتها وغصت في مقعد القيادة ولكنني لم أشعر بالارتياح. تماماً مثلما نستيقظ من النوم فنجد امرأة جميلة لا نعرفها تنام إلى جوارك. ربما يكون رانمأ أن ننظر إليها، ولكن وجودها هكذا يبعث على القلق. ونحتاج إلى وقت حتى نتألم مع الأشياء.

في نهاية الأمر تركت السيارة وحدها في ذلك اليوم. وبدلاً من ذلك ذهبت شيئاً إلى السينما واشترت بعض الكتب.

قبل المساء بقليل اتصل جوناثا. شكرني على ليلة أمس.

قال: «فيما يتعلق بنقطة اتصال هونولولو، فقد اتصلت بالنادي فأكدوا لي أن بإمكانك أن تحجز امرأة في هاواي من هنا. وسائل الواحدة المصرية. سألت أيضاً عن جيون التي قابلتها. قلت لهم إن شخصاً رشح لي هذه الفتاة من جنوب شرق آسيا. ذهبوا وتفحصوا ملفاتهم. إنهم يبذلون جهداً كبيراً حتى تكون معلوماتهم سرية ولكن نظراً لأنني زبون بحظي بمعاملة خاصة، فقد قالوا لي كل شيء. ليس

رحبت أنامل الرسم وأنا ما بين الإعجاب واليأس. ثلاث فتيات ليل وممثل وسيم وسامة أسره وثلاثة فنانين وفاء في بداية المراهقة، وموظفة استقبال متوترة في فندق. لو أن ذلك كان أكثر من شبكة علاقات عادية، فمن المؤكد أنني لم أكن لأفهمها. ولكنها يمكن أن تصنع رواية جيدة من روايات أغاثا كريستي.

لكن من الذي كنت أأعده؟ لست أدري. كرة الخيط نتعدد كلما حاولت فكها. في البداية كانت هناك خيوط كيكبي وماني وجوناندا. أضيف إلى ذلك ماكيمورا وجورون. ثم تبين أن كلا من كيكبي وجورون مرتبطتان برقم الهاتف نفسه. وهكذا دواليك.

فلت مخاطباً منفضة السجائر التي أمامي: «مشكلة عسيرة جداً على الحل، أليس كذلك؟» بالطبع لم تُجِب المنفضة. منفضة ذكية. جربت الأمر نفسه مع فنجان القهوة ووعاء السكر والفاتورة. جميعهم نظاهروا بأنهم لا يسمعون. أحمن أنا. كنت أنا الشخص الذي يجري كالمجنون وسط هذه الأحداث الغريبة. كنت الشخص المهنئ. كم كانت ليلة ربيعية جميلة ولكن بلا أمل في مواعيد غرامية.

ذهبت إلى البيت وحاولت الاتصال بوميوشي. لم بحالفني الحظ. هل لديها دوام عمل في الصباح الباكر؟ أم ربما لديها موعد ليلي في نادي السباحة؟ كنت أشعر بحاجة ماسة لرؤيتها. كنت أفندد تمنيتها المتوترة ورشافة حركاتها. الطريقة التي ترفع بها نظارتها على أنفها، ملامحها الجادة حينما تستل إلى الغرفة. أحببت الطريقة التي تخلع بها سترتها قبل الجلوس بجواري. كنت أشعر بالدفء لمجرد التفكير فيها. كنت أشعر بانجذاب نحوها. ولكن هل يمكن أن نستقيم لنا الأمور يوماً ما؟

كان عملها خلف مكتب الاستقبال وذهابها إلى نادي السباحة بمنحائها الرضا. بينما كنت أجد اللذة في سيارتي السويارد

وتسجيلاتي القديمة وناول طعام جيد حينما أقوم بعملية الجرف. هكذا نحن الاثنين. ربما ينح ذلك وربما لا. بيانات ناقصة. أو الشخص مستحيل. أم أن الأمر سوف ينتهي بأن أُلجئ بها إلى هي الأخرى كما فعلت مع كل امرأة التفتينا؟ مثلما قالت زوجتي السابقة.

كلما فكّرت في بوميوشي. ازدادت رغبتي في الطيران إلى سابورو لاستكمال البيانات الناقصة. على الأقل يمكنني أن أبوح لها بمشاعري. ولكن لا. يجب عليّ أولاً أن أفك بعض العقد الخرجة. هناك أشياء لم ننته. لم أكن أرغب في أن أظل أجرجرها أينما ذهبت. هناك ظل نصفه رمادي سوف يخيم على طريقي بقية حياتي. ليس مثالي تماماً.

المشكلة تكمن في كيكبي. لم أستطع أن أنقلب على الشعور بأنها في قلب كل ذلك. كانت نحاول الوصول إلّي. في أحلامي. في فيلم سينمائي في سابورو. في وسط مدينة هونولولو. ظلت نطلع عليّ طريقي، نحاول أن نقودني إلى مكان ما وأن نترك لي رسالة. كان كل ذلك واضحاً للغاية. ولكن لا شيء. آخر.

كيكبي. ماذا كنت تريدني؟

ماذا يجب عليّ أن أفعل؟

ليس باستطاعتي غير الانتظار حتى يظهر شيء. ليس هناك فائدة من الاندفاع. هناك شيء من المرجح أن يحدث. شيء من المرجح أن يظهر. ليس عليك سوى أن تنتظره حتى يظهر. يمكنك أن تسميه درساً من التجربة.

حسناً. إذاً سوف أنتظر.

كنت ألتقي جوناندا كل بضعة أيام بعد ذلك. بعد فترة أصبح

ذلك عادة. وفي كل مرة نلتقي، كان يعتذر لاحتفاله بالسويارو لفترة طويلة جداً.

قال مازحاً: «ألم نمطر البحر بالمزياري بعد؟».

وكننت أجيب: «لأسف لا، لم يكن لدي وقت للذهاب إلى البحر».

جلست أنا وجواندا إلى البار نحسني الفودكا والتونيك. كان إبهامه في الشراب أسرع مني فليلاً، قال وهو يرفع الكأس نحو شفبه: «أراهن أنه سيكون شعوراً رائعاً، أن نغذف بها في البحر».

قلت: «مثل نسيم عليل. ولكنك بعد ذلك سوف نحصل على فيراري».

- سوف أؤذف بها هي الأخرى.

قلت: «وبعد الفيراري؟».

- من يدري؟ ولكن إن أجلاً أو عاجلاً، سوف نستدعيني شركة التأمين.

- أي شركة تأمين؟ ومن يأبه لشركة التأمين؟ يجب أن تفكر بشكل أكبر. اذهب إلى الغمة. هذا فيلم فانتازيا، وليس واحداً من أفلامك المنخفضة الميزانية. الفانتازيا لا نحدد لها ميزانيات، فلماذا نكون وسطاً في ذلك؟ اذهب لأعلى من ذلك. لاميورغيني، بورش أو جياغوار! اجعل السماء سفنك! والمحبط من الانساع بما يكفي لأن يبتلع آلاف السيارات. اجعل خيالك يؤدي وظيفته يا رجل.

ضحك: «لقد بددت فلفي».

قلت: «وأنا كذلك، خصوصاً أنها ليست سبارني، وأنه ليس غيالي». ثم سأله عن أحواله مع زوجته السابقة

أخذ رشفة من كأسه ونظّل في المطر بالخارج. كان البار قد خلا

من وواده فيما عدا نحن الاثنين. لم يكن أمام النادل من عمل سوى إزالة الزجاجات.

قال بوداعة مصحوبة بإهتامة هائلة: «الأمور تسير على ما يرام. لقد وضعنا في الحب. حب تم تأكيده وإتمامه بالطلاق. أمر وومائسي، أليس كذلك؟».

- أليس كذلك؟ ربما تُغشى علي.

ضحك.

قال: «ولكن ذلك صحيح».

قلت: «أعرف».

هكذا كان ينحرف حديثنا في كل مرة أرى فيها جواندا. ما كنا نتكلم بشأنه كان على درجة من الخطورة لا يمكن معه إلا الاستخفاف به. لم تكن معظم النكات جيدة. لكن ذلك لم يهم. كان يكفينا أن نفعل النكات وأن يكون هناك نكات متبادلة بيننا. لم يكن كلانا يدرك إلى أي مدى كنا جادين.

إن الرابعة والثلاثين هي عمر حرج. نوع آخر من السن الحرج بخلاف عن سن الثالثة عشرة، ولكن أكثر حرجاً. أنا وجواندا كنا في الرابعة والثلاثين وكلانا يقترب من أواسط العمر. كنا نجهز لجعل نفسنا أكثر دناً في الأيام الأكثر برودة التي ننتظرنا.

جواندا عبّر عن ذلك بنوع من البلاغة: «الحب، ذلك هو ما أحتاج إليه».

قلت: «لقد لمست ونراً لدي». لكن الحفيضة هي أن ذلك ما أحتاج إليه أيضاً.

توقف جواندا حتى يفكر في ما قال. فكرت فيه أنا أيضاً.

فكرت أيضاً في هومبوشي. كيف شربت كل ذلك الهلودي ماري في تلك الليلة الثلجية.

قال جوناثان بعد فترة: «لقد نمت مع نساء كثيرات جداً. بصعب علي أن أحصيهن. لكنك حينما تنام مع واحدة، فكأنما نمت معهن جميعاً. شحناً، إنك تجد نفسك تقوم بالحركات الآلية المملة نفسها. إن ما أريده هو الحب. ها أنا ذا أعري لك روحي العاطفة مرة ثانية. ولكنني أقسم إن المرأة الوحيدة التي أرغب في النوم معها هي زوجتي السابقة».

طفطفت أصابعي. «مدهش. بحب عليك أن ندعو لمؤتمر صحفي. وليكن: أرغب في النوم مع زوجتي السابقة فحسب هي التصريح الرئيسي. سوف يتأثر الجميع حتى ندمع عيونهم. بل ربما ستلقى توبخاً من رئيس الوزراء».

- لا، يستحق المرأة جائزة نوبل على ذلك. لبس هذا بشي؟ يمكن لأحد من عامة الناس الغفام به».

- سوف نحتاج إلى معطف طويل لأسفل الركبتين حتى نحضر به حفل الجائزة».

- سوف أشر به. يمكنك أن نضبه إلى حساب مصروفاتي.

- حساب معفى من الضريبة المفلسة.

استطرد جوناثان: «سوف أفد على المسرح مع ملك السويد سوف أعلنها صراحة أمام كل العالم حتى يسمع. سيداتي سادتي، إن المرأة الوحيدة التي أرغب في النوم معها هي زوجتي! ستحدث ذلك موجات من الانفعال، سحب العاصفة تنفث، والشمس تخترق».

«الثلج القطبية تذوب والفايكنغ يهتزون والهوريات يبنين».

آه، إنه الحب. لا ذ كل منا بالصمت ورحنا نتأمل في غظمته

كان لدي الكثير مما أفكر به. كان علي التأكد من أنني أخذت بعض الفودكا وعصير الطماطم واللبون.

قلت: «أو حينئذ، ربما لن نلتقي جائزة. ربما سوف يلغون الفيش عليك باعتبارك منحرفاً جنسياً».

أطرق جوناثان بفكر في ذلك وقال: «ربما. إننا نتحدث عن ثورة جنسية جديدة. ربما تنتفض الجماهير ونسحقني بأقدامها حتى الموت. سوف أكون شهيداً جنسياً».

«أول سئل يستشهد في سبيل الثورة الجنسية الجديدة».

«استشهد ولن ينام مع زوجته السابقة أبداً».

حان الوقت لجولة أخرى من الشراب.

كلما وجد لديه لحظة فراغ، كان جوناثان ينصل فنخرج معاً أو يأتي هو إلى شقتي أو أذهب أنا إليه في شفته. ومرت الأيام، وفررت ألا أعمل على الإطلاق. لم أكن أشعر بأي قلق. كان العالم يسير بنحو جيد جداً بدوني. وفي أثناء ذلك كنت أنتظر.

أرسلت لهراركو ماكيجورا ما بنفى من المال والإبصالات الخاصة بالرحلة عبر البريد.

في اليوم التالي تلقت اتصالاً من بوي فرايداي بروجوني أن أخذها كلها.

كان أمراً مضميناً لي أن أمر بكل هذا الكو والغفر، لذا فقد استسلمت. إذا كان ذلك سيجعل السيد سعيداً، فمن أنا حتى أجادل؟ وقبل أن تقول «المال في البنك» كان ماكيجورا قد أرسل لي شيكاً بثلاثمائة ألف بن. كما ضم المظروف أيضاً إيصالات لخدمات تم نأديتها. وقّعت وختمت وأرسلته بالبريد. إنها عودة إلى العالم الرائع لحسابات المصروفات.

وضعت الشبك ذا الثلاثمئة ألف بن على سطح مكتبي من دون أن أمسسه حتى تراكم عليه الغبار.

جاءت عطلة الأسبوع الذهبي وانتهت.

انصلت بيومبوشي عدة مرات. كانت هي دائماً الطرف الذي يحدد مدة المكالمة. أحياناً كنا نكلم لوقت طويل، وفي مرات أخرى كانت نقول ببساطة «مشغولة، يجب أن أذهب الآن» ونضع الساعة. أو إذا خيم صمت طويل بيننا أثناء المكالمة، كانت نضع الساعة من دون سابق إنذار. لكننا على الأقل كنا نكلم. نبادل المعلومات أحياناً. وفي أحد الأيام أعطتني رقم هاتفها المنزلي. إنه تقدم.

كانت نذهب إلى نادي السباحة مرتين في الأسبوع. وهو ما نبين لي أنه لا يزال بشعري بلحظات من الغيرة. من بعض المدربين الوسيمين وكل من في النادي. كنت أغار مثل طالب في المدرسة الثانوية. وكان أخشى ما أخشاه هو أن تعرف هي ذلك. أغار من نادي سباحة؟ أمر مثير للسخرة. إنك غير ناضج. كنت أخشى أن ترفض أن نراني ثانية.

لذا حينما أثير الموضوع، أمسكت لساني. بالرغم من أن عدم الحديث عن ذلك قد ضحك من جنون الارتياح لدي. كنت أتخيل المدرب، جوناثان بالطبع بسنيقي بوسوشي يعد المحصة التدريبية من أجل جلسات خاصة مكثفة. يدها تسندان صدرها وبطنها فيما كانت تتدرب على السباحة.

كانت يدها تداعبان نهديها ونمسحان على فخذيها.

«الأمر على ما برام. ألا تعرفين؟ المرأة الوحيدة التي أريد النوم معها هي زوجتي».

ثم يأخذ يد يومبوشي ويضعها فوق منطفة حوضه. ويندأ في ندليها له. انتصاب تحت الماء، مثل الشعاب المرجانية. يومبوشي نصل إلى النشوة.

«الأمر على ما برام. ألا تعرفين؟ المرأة الوحيدة التي أريد النوم معها هي زوجتي».

كم أنا أحمق، كان ذلك هو ما يخاطر بيالي كلما ذكرت يومبوشي. مع مرور الوقت كان الخبال يصبح أكثر تعقيداً حيث يدخل فيه طافم كامل من الشخصيات. كيكبي وماي ويوكي يدخلون كضيوف شرف. بينما كانت أصابع جوناثان تُمدد جسدها، يومبوشي أصبحت كيكبي.

ذات ليلة قالت لي يومبوشي: «اسمع، إنني شخصية صريحة وبسيطة». كانت تبدو منهكة جداً بعد يوم طويل من العمل الشاق. «الفارق الوحيد بيني وبين أي شخص آخر هو اسمي. أما غير ذلك فأنا مثل كل الناس. إنني فقط أعمل خلف مكتب الاستقبال لفندق يوماً بعد يوم، وأبلي جاني بلا طائل. لا تتصل بي مرة أخرى. لست أساوي حتى ثمن المكالمة».

- ولكنني كنت أثقك نجيب العمل الفندق.

- نعم أجي.

- ولكن؟

- العمل جيد. ولكن أحياناً أعنفد أن الفندق سوف يلتهمني. فقط أحياناً. أسأل نفسي، لو أنني لم أكن هنا، أي فرق سيكون؟ سوف يظل الفندق هناك. ولكن لست أنا. إنني خارج الصورة. ذلك هو الفرق.

سألها: «ألا ترين أنك تأخذين العمل في الفندق بجدية أكبر من

اللازم قليلاً؟ الفندق هو الفندق وأنت هو أنت. أفكر فيك كثيراً وأحياناً أفكر في الفندق. ولكن لم أفكر فيكما معاً أبداً. أنت هو أنت، والفندق هو الفندق».

- وهل نظن أنني لا أعرف ذلك؟ أعرف ذلك ولكن الناس يربكون. لقد تم جرحه جرحاً خاصاً وهو يني في عالم هذا الفندق ثم بعد ذلك تم ابتلاعهما.

- إن ذلك يحدث لكل شخص. أن يتم استدراجك نحو شيء ما ثم تفقد السبيل فيكون ذلك نهاية شيء وبداية لآخر. لسبب الوحيدة في ذلك. إنه يحدث لي أيضاً.

فالت: «إذ لم يس شيء نفسه أبداً».

- لا، ربما لا. ولكنني ما زلت أتعاطف معك. لأن فيك شيئاً جاذباً جداً.

لأدت بوميوشي بالصمت خلال الفراغ الهائلي.

ثم قالت وهي على وشك التحبب: «إنني... إنني خائفة. إنني خائفة من تلك الظلمة. خائفة من أنها سوف تحدث ثانية في وقت قريب».

- مهلاً، ماذا أصابك؟ هل أنت على مايرام؟

بدأت تنتحب بوضوح الآن: «أنا على ما يرام. ماذا تظن؟ إذا كنت أبكي، هل في ذلك خطأ».

- لا، لا شيء، على الإطلاق. كنت فقط قلقاً.

- هل يمكن أن نصمت؟

فعلت مثلما طلبت مني، وراحت بوميوشي يبكي حتى لم تعد قادرة على البكاء، ثم وضعت السماعة.

في الساع من مايو اتصلت بي بوكي

فالت: «لقد عدت. ما رأيك أن نخرج معاً بالسيارة؟».

استقبلت سيارة المازيراتي إلى بيتها في أكازاكا. ولكن حينما رأنها بوكي، انقبضت ملامح وجهها بعدم رضا.

- ماذا فعل بهذه؟

- لم أسرفها. لا تغلبي. لقد سقطت سيارتي في بئر مسجورة، هل نعرفين ثم ماذا؟ ظهرت لي جنبه البتو تشبه إيزابيل إدجاني وسألتي: هل كانت مازيراتي ذهبية اللون أم بي لم دبليو فضية؟ فقلت لها، لا هذه ولا تلك. كانت سوبارو نحاسية... .

فالت بوكي: «مهلاً. كف عن نكاتك السخيفة. أنا أسأل سؤالاً جاداً. من أين لك بذلك الشيء».

- لقد نبادلناها مؤمناً مع صديق. كان يريد استعارة السوبارو لأسباب شخصية.

- صديق؟

- ربما لا تصدقين ذلك، ولكن نعم، لدي صديق واحد على الأقل.

صعدت إلى جانبي وألقت نظرة على داخل السيارة ثم علمت ملامحها علامات الاستغراب. قالت: «سيارة غريبة. حمقاء».

- الآن وقد قلت ذلك، فقد قال مالكها الشيء نفسه. بالرغم من أن كلماته كانت مختلفة بعض الشيء.

أسكتها ذلك.

وجهت المازيراتي جنوباً صوب شونان. لم تنطق بوكي بكلمة. فمت بتشغيل شريط ستيلي دان وخففت الصوت وفدت بحذر. كان العلقس صافياً ودائماً، لذا كنت أرتدي قميص ألوانا وأضع نظارة سوداء

فيما كانت بوكي شرندي فميص بولو فرمزيًا. كان الحو بوحي بأننا عدنا إلى هاواي. أمامنا كانت هناك سيارة محملة بالخنازير، وعبونهم الحمراء نحملون من خلال الأفصاص نحونا. هل يمكن للخنازير أن نميز بين المازيراتي وسويارو.

سألناها أخيراً: «كيف كانت هاواي بعد أن تركناها؟».

هزت بوكي كفتها

- هل سارت الأمور على مايرام مع والدتك؟

هزت كفتها مرة أخرى.

- هل ركبت الموج؟

للمرة الثالثة هزت كفتها.

- نبدن في صحة جيدة. بشرتك أصبحت برونزية نماماً. مثل فهوة بالحليب. ناعمة وجميلة.

مرة أخرى هزت كفتها.

- هل نمرن بدورك الشهيرة أو شيء من هذا القبيل؟

هزة الكفتين نفسها.

لذا فمت يهز كفتي أنا أيضاً.

قالت بوكي: «أريد العودة إلى البيت. أرجع بنا».

- هذا طريق سريع. وحتى نكي لودا لا يمكنه أن يفهم بالنعاطة للخلف.

- إذاً أخرج بنا من الطريق.

استندرت نحوها. بدت مرعفة فجأه عيناها زائفتان وخاليتان من الحياة. ربما كانت شاحبة اللون بعض الشيء أيضاً. كان صعباً أن أعرف ذلك بسبب اللون البرونزي.

- هل ترعدين أن تنوقف ونرتاح بعض الوقت؟  
- لا أريد واحة. أريد العودة إلى طوكيو الآن!

خرجنا من الطريق السريع عند بوكوهاما ثم عدنا في الاتجاه المعاكس. حينما وصلنا إلى أكازاكا، سألتني بوكي إن كان بإمكاننا أن نجلس في مكان ما. أوقفت المازيراتي في المرآب ومشينا نحو ضريح نوجي حيث وجدنا مقعداً.

قالت بوكي وهي تحاول أن تكون معتدلة: «أسمعت كنت أشعر بالإعياء. لم أكن أريد أن أقول أي شيء. لذا كنت الأكم».

- لا ينبغي أن تكنم. أعرف كيف نشعر الفتيات. إنني معناد على ذلك

صرخت: «ليس ذلك. هذا ليس له علاقة! إن ما ضاهفتي هو وكوب مثل هذه السيارة. تلك السيارة الغبية!».

- ما العيب في المازيراتي؟ ليست سيارة سيئة لهذه الدرجة. إنها تسير بشكل جيد وفادتها سهلة أيضاً. نعم إنها مبهرجة كثيراً مقارنة بذوقي البسيط. حتى لو كنت أحتمل سعرها أعظم أنني لن أشترى مثل هذه السيارة».

- لا يهمني من أي طراز هذه السيارة. المشكلة هي السيارة. ألا تشعر بذلك؟ إنها سيئة. إنها خائفة. أشعر بضغط على صدري ومعدتي أيضاً. ألم تشعر بذلك؟

قلت: «لا. لكنني لا أشعر بواحد في الممتة من الراحة وأنا في هذه السيارة. أعتقد أن ذلك لأنني معناد على السويارو. نعرفين أن المرء يحب ما اعتاده. ولكن لا علاقة لذلك بالضغط الذي نتحدثين عنه».



هزت رأسها: «لا، إنه ليس كذلك على الإطلاق. هذا شيء غريب حقاً».

«هل ذلك بسبب...؟» لم أكمل الجملة. لم أكن أريد أن أقول أي شيء يبدو أن فيه تنازلاً.

- نعم. إنه بسبب ذلك. شعرت بشيء غريب.

- حسناً، ما هو؟ كيف شعرت داخل هذه السيارة؟

هزت بوكي رأسها مرة أخرى، ولكن في هذه المرة تحدثت.

«سوف يكون سهلاً لو استطعت أن أشرح. ولكنني لا أستطيع. لا يمكنني وضعه في صورة. إنه مجرد شعور. كتلة ثقيلة ومظلمة ومزعجة من الضغط داخلي. إنه...». بحثت بوكي عن الكلمة وبدأت في حجبها. «هناك خطأ! لا أعرف أين هو. ولكن هناك شيء خطأ. لا يمكنني التنفس هناك. حاولت أن أتجاهله، ظننت أنه صعوبة في التنفس أو شيء من ذلك. ولكنه بعد ذلك أصبح أسوأ فأسوأ. لا أريد أن أركب هذه السيارة مرة ثانية، هل تسمعني؟ أعد سيارتك السويارو».

تمتمت: «إنها لعنة المازيراتي».

قالت بحدّة أشد: «لست أمزح. يجب ألا أغود هذه السيارة».

استسلمت ميتسماً: «حسناً حسناً. أعرف أنك لا تمزحين. سوف أحاول ألا أغود المازيراتي أكثر من اللازم. أو ربما سأذهب وأغرقها في البحر».

قالت بوكي بجذبة: «إذا أمكن».

احتاجت بوكي إلى ساعة حتى تستيقظ من هذه الصدمة. جلسنا على الأريكة فيما أسندت ذنبا إلى ذنبا وأغمضت عينيها. كان

الناس يمرون من أمامنا. أناس كبار في السن. أمهات بصحبن أطفالهن. سباح أجانب بكاميراتهم المعلقة حول رقابهم. من وقت لآخر كان موظف أو شخص بهيئة مسؤول مبيعات يتوقف ويأخذ فسطاً من الراحة على مقعد مجاور لنا. فيحدث فينا بذلك السوء. بعد عشر دقائق يستأنف طريقه على الرصيف مرة أخرى. حسب معظم المعايير فإن أي بالغ طبيعي يجب أن يكون في محل عمله في هذه الساعة وأي طفل طبيعي يجب أن يكون في مدرسته.

سألنا: «كيف حال والدتك؟ هل عادت معك؟».

- نعم. إنها في هاكوني مع ذلك الشخص ذي الذراع الواحدة.

نفرز صورها الخاصة بكاتماندو وهاواي.

- وأنت أتم ترغبي في الإقامة في هاكوني؟

- لم أحبها. لا يوجد ما أفعله هناك.

قلت: «أخبريني، ما الذي هناك بالضبط في طوكيو يمكنك أن تفعله بمفردك؟».

هزة أخرى من هزات كتفها المعتادة. «يمكنني الخروج معك».

- حسناً، ليس هناك شيء أفضل من ذلك. ولكن حتى أكون واقعياً سوف يكون علي أن أعود لعملي. لا يمكنني تحلّل أن أظل أنجول هكذا معك إلى الأبد. كما أنني لا أريد أي إحسان من والدك أيضاً.

قالت ساخرة: «يمكنني أن أفهم عدم رغبتك في أخذ مساعدات من والدي، ولكن لماذا نصر على تضخيم هذه المسألة؟ كيف نظن شعوري حينما أخرجرك إلى مكان مثل ذلك؟».

- إذا أنت تريدني أن أقبل المال؟

- لو فعلت. فلن أشعر بلذت كبير

قلت: «لم نفهمي يا بوكي. أنا لا أريد مالاً مقابل صداقتي لك. لا أود أن يتم تقديمي في حفل زفافك باعتباري مرافق العروسة منذ أن كانت في الثالثة عشرة. سوف يتندر كل الحضور بذلك. أريد أن أقدم باعتباري صديق العروسة حينما كانت في الثالثة عشرة».

احمرت بوكي حجلاً: «أنت أحمق. أنا لن أجيب حفل زفافك».

- رائع أنا لا أحب حفلات الزفاف. وكل هذه الكلمات العشيبة وفتح عكة الزفاف التي يفترض أن تأخذها معك إلى البيت وكل أنواع المجاملات. ولكن كل ما أريد أن أفعله هو: لا نشعري الأصدقاء. وخصوصاً بأموال حساب المصروفات.

- ذلك يمكن أن يكون الدرس المستفاد لفصحة من فصص الجنيات.

- مدهش. أخبراً أصبح لديك موهبة المزاح. مع الممارسة يمكننا أن نشكل ثنائياً كوميدياً رائعاً.

هزت كنفها.

نحنحت متطفلاً حنجري: «ولكن بكل جذبة يا بوكي، إن كنت تريدني التناول كل يوم، فأنا جاهز لذلك تماماً. ومن يرغب في العمل؟ إنه مجرد عملية جرف لا طائل من ورائها. ولكن ينبغي أن يكون هناك شيء واحد واضح: لن أنبل أي أموال مقابل البقاء معك. هاوأي كانت مسألة مختلفة. أخذت مالاً مقابل ذلك. بل حتى قبلت المرأة التي أنفي بها إلي. بالطبع. كنت أظن أنك لن تتحدثي معي مرة ثانية. لقد كرهت نفسي لقبولي الحصول على المال مقابل خدمات. من الآن فصاعداً، سوف أفعل الأشياء بطريقتي. لا أريد أن أجيب على أي شخص، كما لا أريد أن أعيش عائلة على أي شخص. أنا لست ديك نورث ولست خادم أيبك ولكن اسمه ما يكون. لا ينبغي أن نشعري بالذنب».

ابتهجت بوكي: «هل نسي أنك ستخرج معي؟» ثم نظرت إلى أسفل حيث أصبح قدمها اللامعة.

- هل تراهنين؟ أنت وأنا يمكن أن نكون نموذجاً لشخصين متبوزين. يمكن أن نكون موضوعاً، لذا دعينا نستجم ونستمتع بأوقاتنا.

- لماذا أنت تطيف إلى هذا الحد؟

- لست لطيفاً.

صنعت بوكي شكلاً من الأشكال في الطين بطرف حذائها. شكلاً لولياً.

- إذا أنا لست عيثاً عليك؟

- ربما تكونين عيثاً وربما لست عيثاً. لا تشغلي رأسك الصغير بذلك. أنا أريد أن أكون معك لأنني أحبك. أحياناً حينما أكون معك أنذكر أشياء افترضتها حينما كنت في مثل سنك. مثلاً أنذكر صوت المطر ورائحة الرياح. وهو أمر رائع أن نستعبد مثل هذه الأشياء. حتى لو ظننتي أنني شخص فريب، ربما نتركين ما أقصد يوماً ما.

- أنا أدرك بالفعل ما تقصد.

- حقاً؟

قالت بوكي: «أعني أنني افترضت الكثير من الأشياء في حياتي أيضاً».

قلت: «إذا لقد فهمت».

لم تقل شيئاً. استدارت وفي تتطلع إلى زوار الضريح.

قالت بوكي: «لبس لدي أي شخص أنحدث إليه إلا أنت. صدقتي».

- وماذا عن ديك نورث؟

أخرجت بوكي لسانها: «إنه أبله».

- ربما يكون كذلك وربما لا . لكنني أعتقد أن عليك أن تعرفي أنه إنسان طيب ولا يفاخر بذلك . وهذه النوعية نادرة جداً . وربما لا يكون من مستوى والدتك وربما لا يكون شاعراً موهوباً . ولكنه يعتني بوالدتك بإخلاص . الأرجح أنه بحبها . إنه طاه ماهر ويمكن الاعتماد عليه وشخص مراخ لمشاعر الآخرين .

- هو أبله مع كل ذلك .

بدأ أن مشاعر بوكي نحوه نهائية . لذا غيرت الموضوع . نحدثنا عن الأوقات الممتعة التي أمضيناها في هاواي . الشمس والموج والنسيم الاستوائي وشراب الـهينا كولاذا . قالت بوكي إن ذلك جعلها تشعر بالجوع ، لذا ذهبنا لتناول بعض الفطائر والحلوى . ثم ذهبنا إلى السبما بعد ذلك .

في الأسبوع التالي مات ديك نورث .

(34)

كان ديك نورث يقوم بالتسوق في أحد مسارات الأتشن في هاكوني وما كاد يخرج من السوبر ماركت بحقيبة مملوءة بالمشتريات بحملها أسفل ذراعه حتى صدمته شاحنة كانت مسرعة . اعترف سائق الشاحنة بأنه لا يعرف ما الذي دفعه لأن يسير بهذه السرعة رغم عدم وضوح الرؤية في الطريق . كما أن ديك نفسه ارتكب خطأ فائلاً . لقد نظر إلى يساره لكن لم يسعفه أجله للنظر عن يمينه أيضاً . وهو خطأ شائع بين الأشخاص الذين عاشوا في الخارج لفترة ثم عادوا لنوهم إلى البابان . إنك لم تتعود بعد على السيارات التي تفود على الجانب الأيسر من الطريق . لقد دفعت الشاحنة ديك إلى المسار المعاكس من الطريق حيث صدمته شاحنة أخرى قادمة من ذلك الاتجاه . ومات على الفور .

حينما بلغتني الأخبار ، كان أول ما خطر ببالي هو أنني صحبت ديك للتسوق من سوبرماركت مشابه في ماكاها . كم كان خبيراً في اختيار مشترياته بعناية ، كان يفحص الفاكهة والخضراوات ويلا حرج كان يضع صندوقاً من التين في عربة التسوق . يا له من مسكين . غير محظوظ حتى النهاية . فقد ذراعه في قبتنا حينما داس الشخص

المجاور له على لعم. كان بمصفي الليل والنهار بعلهم سجاائر آمي المشتعلة. والآن مات على الأسفلت وهو بحمل حافية من المشتريات.

جعلته جنازته يعود إلى أسرته الشرعية، زوجته وطفله. لم نحضر آمي أو بوكي الجنازة وكذلك أنا.

استعرت السوبرارو من جوناثان وأوصلت بوكي إلى هاكوني في ظهيرة ذلك الثلاثاء. كان ذلك بناء على نوسل بوكي. «آمي لا يمكنها أن تعتمد على نفسها. بالتأكيد هناك الخادمة ولكنها عجوز ولا تفكر على عمل شيء» كما أنها تعود إلى بيتها ليلاً. لا يمكننا أن نترك آمي وحيدة هناك».

قلت: «نعم» ربما يكون من الأفضل أن نمضي معها بعض الوقت».

قالت بوكي وهي تقلب خريطة الطريق. «هل تذكر حينما حدثت لك عنه بشكل سيئ؟».

- من؟ ديك نورث؟

- نعم. قلت: «وصفني بأنه أبله».

دست بوكي الكتاب في جيب الباب وأستندت كوعها إلى النافذة ومذت بصرها نحو المشهد الخارجي. «ولكن هل تعرف إنه لم يكن سيئاً. كان لطيفاً معي. لقد أمضى وقتاً بعلمني كيف أركب الموج حتى من دون تلك الذراع. كان أكثر امتلاء بالحياة من كثير من الأشخاص ممن لديهم ذراعان. وفوق ذلك كان يعتني بآمي».

- أعرف.

- ولكنني تحدثت عنه بشكل سيئ.

- لم يكن بوسمك نحنب ذلك. هذا ليس ذنبك.

كانت تمد بصرها طول الطريق أمامها. لم تستدر حتى تنظر إلي. كان التسيم الذي بهت من خلال النافذة يذاعب شعرها المتسدل على جبينها.

قلت: «إنه أمر محزون، لكنني أظن أنه كان من تلك النوعية من الأشخاص. كان شخصاً لطيفاً. وربما حديراً بالاحترام. ولكنه عومل كأنه سلة مهملات. كان الناس دائماً يمترونه مكياً لثياباتهم. ربما ولد بهذا العيب أن تكون شخصاً عادياً هو شيء، مثل بقعة على قميص. لا تمنحي أبداً».

- هذا ليس عدلاً

- كفاعدة، الحياة ليس فيها عدل.

- نعم، ولكنني أظن أنني قلت أشياء سيئة عنه.

- عن ديك؟

- نعم.

وجهت السيارة وصعدت إلى حافة الطريق ثم أوقفتها.

قلت وأنا أوبخها بنظرتي: «إنه عين الحمق مثل هذا النوع من التفكير. بدلاً من التدم على ما فعلت، كان يمكنك أن تعامله باحترام من البداية. كان ينبغي أن تكوني نزيهة. لكنك لم تفعلي. ليس من حقد حتى أن تشعرني بالأسف».

نظرت إلي مصدومة وقد شعرت بحرر.

- ربما أكون فاسداً عليك. ولكن اسمعي، أنا لا أهتم بما يفعله الآخرون. لا أريد أن أسمع مثل هذا النوع من الكلام منك. لا ينبغي أن تقول مثل هذه الأشياء ببساطة وكان مجرد قولها سوف يحل أي شيء. إنك نظنين أنك تشعرين بالأسف نحو ديك، ولكنني لا أظن أنك تشعرين حقاً بالأسف. لو كنت في مكان ديك، فلن أقبل تدمك

السهل. لا أحب أن يقول الناس «آه» لقد نصرت بشكل شنيع» إنها ليست مسألة أخلاق، بل مسألة إنصاف. ذلك شيء ينبغي أن تتعلميه. لم تُحر بوكي جواً، صعدت بأصابعها على جانبي رأسها وأغمضت عينيها في صمت. بدا وكأن سنة من النوم قد أخذتها، لولا حركات رموشها الخفيفة وإرنعاشات شفتيها. كانت نيكبي في داخلها من دون لحبيب أو ذموع. هل كان عليّ أن أتوقع الكثير من فناة في الثالثة عشرة؟ من أنا حتى أعتمد أنني أقوم أخلاقاً من الآخرين؟ لكن سواء كانت في الثالثة عشرة أو لا، وسواء كنت نموذجاً يحتذى أم لا، لا يمكنك أن تدع الأشياء تنزلق هكذا. القباء غباء. لا يمكنكني أن أنسامع معه

لم تتحرك بوكي. مدت يدي نحوها ولمست ذراعها. قلت: «لا بأس. إنني قنبل الإدراك للغباية. لا، حتى أكون منتصفاً، لقد فعلت أفضل ما يمكن أن يُطلب منك». سألت دموعاً على وجتها وسقطت في حجرها. كان ذلك هو كل شيء. جميلة ونبيلة. طففت تنحدث بعد دقيقتين من ذلك: «إذاً ماذا بوسعي أن أفعل الآن؟»

قلت: «لا شيء». فقط فكري في الكلمة قبل أن تلتفتني بها. إنك مُدبنة لهذا الحب. مع مرور الزمن، سوف تفهمين. ما يدوم، يدوم، وما لا يدوم لا يدوم. الزمن كليل بعلاج معظم الأشياء. وما لا يستطيع أن يعالجه الزمن، ينبغي عليك أن تعالجه بنفسك. هل يصعب عليك ذلك؟»

أجابت وهي تحاول أن تبسم: «بعض الشيء». قلت وأنا أحاول أن أبسم أيضاً: «بالطبع يصعب عليك. أشك

في أن يكون معظم الناس بهمون ذلك ولكي أعتمد أني على صواب. إن الناس يموتون في كل وقت. الحياة أكثر هشاشة مما نظن. لذا ينبغي أن نعامل الناس بطريقة لا نخلف وراءها ندماً. بطريقة زبينة وإن أمكن مخلصه. من السهل جداً ألا نحاول ذلك، ثم تبكين وتعددين نفسك بعد أن يموت الشخص. أنا شخصياً لا أقنع بمثل ذلك».

اتكأت بوكي على باب السبارة.

قالت: «لكن ذلك شاق فعلاً، أليس كذلك؟».

قلت: «شاق فعلاً، ولكنه يستحق منك المحاولة. انظري إلى بوي جورج: حتى شخص بدين ومثلي الجنس، ولا يستطيع أن يغني، أمكنه أن يصبح نجماً».

ابنسمت: «حسنًا»، ولكن لماذا أنت دائم التنظر إلى حالة بوي جورج. أراهم أنك تحبه حقاً ومن كل قلبك». قلت: «دعيني أفكر في ذلك بعض الوقت».

كان منزل والدة بوكي يقع في مجمع منمنح سكني كبير. كانت له بوابة كبيرة وفيه حمام سباحة وثمة مقهى مجاور له. كما كان يوجد أيضاً مركز تسوق يمتلئ بأنواع الوجبات السريعة. لا يوجد مكان يمكن لشخص مثل ديك نورث أن يشتري منه مواد غذائية. وكذلك أنا. مع انعطافة الطريق وضوءه نحو المجمع كانت سيارتي السويارو قد بدأت تلهث.

في منتصف الطريق نحو التل كان يقع منزل أمي، أكبر بكثير من أن يكون بيتاً لأم وطفلة. أوففت السبارة وحملت حقائب بوكي وصعدت باتجاه جسر حجري أسفل المنحدر، كان بإمكانني رؤية

المحيط عند أودولوارا من خلال صعوف شجر الأرز. كان الحو غائماً والبحر باهتاً.

كانت أمي تذرغ غرفة المعيشة الواسعة جيئةً وذهاباً وثمة سبجارة مشتملة في يدها. كانت توجد منفضة سجائر كبيرة من الكريستال تفيض منها أعقاب سجائر شليم، فيما كان سطح المنضدة معطى بالرماد. فذقت بآخر غيب في المنفضة وحامت تحبب يوكي ممرة أصابع يدها خلال شعرها. كانت تردني كنزة واسعة وينظالا من الجبتر الباهت. شعرها كان غير مصفف وعيناها غنمتين.

فالتت أمي: «كان أمراً رهيباً. لماذا دائماً نفع هذه الأشياء الرهية».

عبرت عن مواساتي لها واستفسرت عن تفاصيل الحادث. أخبرني أنها فجأة شعرت بأن كل شيء أصبح خارج السيطرة واعترتها حالة من الاضطراب والضياع. «وحتى نكمل الصورة، فقد أصيبت الغادمة اليوم أيضاً بالحمى ولئن نأني. بعد كل هذا الزمن، لم نصبها الحمى إلا اليوم! أكاد أجن. الشرطة تأتي، وزوجة ديك تتصل، لست أدري ماذا ينتظرون مني».

- وماذا قالت زوجة ديك؟

- لم أفهم منها شيئاً. كانت تبكي. وحينما تنوقف عن البكاء، نغمغم بشكل لا أكاد أفهم منها ماذا نقول. وفي موقف كهذا، ماذا يمكنني أن أقول؟ ماذا يمكنني أن أقول؟

هزرت رأسي.

- أبلغتها أنني سوف أرسل لها أمثلة ديك في أقرب وقت ممكن، ولكن عوبلها كان يزداد حبيذاً. إنها حالة متبوس منها. أخرجت تنهبة عبيقة ثم عثرت جالسة على الأريكة.

سألتها إن كانت نود أن نشر شيئاً، فطلبت فهوة. وزيادة من عندي فمت بتنظيف منفضة السجائر ورفعت أكواب الكاكاو ونظفت المنضدة. كان حوض المطبخ يقطع بالأطباق المنسخة. فيما كنت أنتظر أن يغلي الماء قمت بترتيب المطبخ. كان ديك نورث بحرس على أن تكون خزانة الأطباق مرتبة، ولكن القوضى كانت تسودها في ذلك الوقت. ألباق منسخة مكومة في الحوض. كانت يفع الكاكاو على سطح الموقد. السكاكين ملقاة هنا وهناك وعليها آثار الجبن، وكل شيء آخر يرد بخاطرك، وغطاء وعاء السكر كان مفقوداً.

فيما كنت أعد الفهوة، فكترت في ديك، ذلك المسكين. كان يحاول أن يحافظ بجذبة على النظام في هذا المكان. والأن وفي يوم واحد، راح كل شيء. الأمر كذلك تماماً. الناس يخلقون وراءهم آثاراً حينما يشعرون بالراحة وبأن المكان يستحق العناية. مع ديك، كان ذلك المكان هو المطبخ. ولكن حتى هذا الوجود غير واضح المعالم كان في سبيله للتلشي.

باله من مسكين.

حصلت الفهوة فوجدت أمي وبوكي نجلسان على الأريكة. كانت أمي تستند رأسها إلى كتف ابنتها. كانت تبدو مخدرة ومنهكة. أما يوكي فبدا عليها الإعياء على الأقل. كم كان المشهد يبدو غريباً وهما معاً. يختلف تماماً عما كان حينما كانا مفترقين. معاً لا يمكنك الاغتراب منهما.

نظفت أمي الفهوة بكلتا يديها وراحت ترتشف منها ببطء وكأنها عثرت على شيء ثمين. اعترت عنبها النعاعة خفيفة.

سألت يوكي: «هل ترغبين في شراب شيء يا يوكي؟»

هزرت رأسها من دون أن تتواء بكلمة.

سألتُ أمي: «هل انتهيت من الإجراءات الخاصة بالحادث والإجراءات القانونية وكل ذلك؟».

- نعم. لم تكن هذه الإجراءات في واقع الأمر صعبة أكثر مما ينبغي. لقد كان حادثاً عرضياً جداً. جاني شرطي إلى المنزل ليلغني بالخبر. فطلبت منهم أن يتصلوا بزوجة ديك فنزلت هي كل شيء. أعني أنه لم تكن تربطني بديك أي علاقة قانونية أو حتى مهنية. وبعدئذ اتصلت الزوجة بي هنا. لم نقل أي شيء. كانت تبكي فقط، بل حتى لم تكن تصرخ. حادث عرضي جداً.

لم يكذب يمضي ثلاثة أسابيع حتى لم نعد أمي تذكر أن هناك شخصاً اسمه ديك كان في حياتها. كانت أمي من النوع كثير النسيان ونسوه الحظ كان ديك من النوع الذي يمكن أن يُنسى. سألتُ: «هل هناك شيء يمكنك أن أساعد فيه؟».

غمضت: «نعم، أمتعة ديك. أخبرتك أنني سوف أعيدها إلى زوجته، أليس كذلك؟».

- نعم.

- ليلة أمس حُزمت أمتعت ووثقتها. مخطوطاته وألته الكاتبة وكتبه وملاپسه. لقد انسعت حقيبته واحدة لكل ذلك. لم يكن لديه أمتعة كثيرة. حقيبته واحدة ممثلة فحسب. إنني أكره أن أسأل أحداً شيئاً، لكن هل بوسعك أن توصلها لزوجته؟

- بكل تأكيد. أين تسكن أسرته؟

- لست أعرف على وجه الدقة. مكان ما في جونوكوجي. هل يمكنك أن تجد أين ذلك من أجلي؟

أرشدتني بوكي إلى المكتب الذي يضم أمتعة ديك. في الطابق

المعوي كانت هناك غرفة طويلة وصيقة في نهاية الردهة، والتي كانت في الأصل غرفة الخادمة. كان ديك قد رتب كل شيء في نظام محكم. على سطح المكتب كانت توجد خمسة أفلام وصابون ومبراة وممحاة. وكان يوجد تقويم، وعليه كتابات يدوية دقيقة، معلقاً على الحائط.

انكأنت بوكي إلى الردهة وراحت ننفض ما بداخل الغرفة في صمت. كل ما كان بوسلك سماعه هو صوت الطيور في الخارج. تذكرت البيت الريفي في ماكاهوا في هاواي. يخيم عليه الهدوء نفسه وفيه طيور أيضاً.

كانت بطاقة الحقيبة تحمل اسم ديك وعنوانه مكتوبين بخط يده. حملتها إلى أسفل. كانت الحقيبة وفيها كتبه وأوراقه أثقل كثيراً مما بدت. كان الوزن شيئاً آخر بذكوري بمصير ديك نورث. قالت أمي: «لبس لدينا شيء للطعام. كان ديك قد خرج للشسوق ومنذئذ حدث كل ذلك».

قلت: «لا تقلقي. سوف أذهب إلى المنحرف».

نفحصت محتويات الثلاثة لأرى ما فيها. بعد ذلك فذت السيارة إلى المدينة حيث السوبرماركت الذي أمضى فيه ديك لحظاته الأخيرة، واشترت ما يكفي لأربعة أو خمسة أيام.

وضعتُ البقالة وشكرتني أمي. كنت أشعر بالرغبة في استكمال المهمة التي نركها ديك غير مكتملة.

ودعني أمي ويوكي من فوق الحسر الحجري المجاور للمنزل. تماماً كما حدث في ماكاهوا، فيما عدا أنه في هذه المرة لم يكن أحد يلوح بذراعه. كان ذلك دور ديك. وقفت الاثنان لا تحركان ساكناً

وهما نجدفان في. مشهد ميولوجي تقريباً، مثل أيقونة. حملت الحفنية الرمادية إلى المغعد الخلفي للسيارة وانزلت خلف المغود. كانت الأم وابنتها لا نزالان نغنان مكانهما حينما انعطفت بالسيارة وبدأت أخرج عن مجال رؤيتهما. كانت الشمس قد بدأت بالمعجب في البحر البرتغالي. ترى كيف ستمضيان الليلة؟ نسألت.

وضع الآن أن ذلك الهيكل ذا الذراع الواحد الذي كان في الغرفة المظلمة المخفية في هونولولو كان ديك نورث. إذاً من يا ترى يمكن أن يكون الخمسة الآخرون؟ لنفل إن صديقي القديمه فقط واحد. مات منذ سنوات عدة في هوكايدو. ثم ماي هيكل آخر. إذاً يبقى ثلاثة.

ماذا كانت كيهكي تفعل؟ لماذا كانت تريد أن تربني هؤلاء المورثي السنة؟

انطلقت نحو أوداوارا وصعدت إلى طريق طوكيو ناغويا. خرجت عند سانغنايا، ثم اجتزت ضواحي سيناغايا بالاسماعة بالخريطة حتى وصلت إلى منزل ديك نورث. كان منزلاً عادياً مكوناً من طابقين وصغيراً جداً. كان الباب والنوافذ وحتى صندوق البريد وأضواء المدخل وكل شيء آخر يظهر عليه أشكال من التمننعات. كانت الأنوار مضاءة داخل المنزل وبعض أصوات مسموعة. كانت نهضة جثة ديك لدنفها نسير على قدم وساق. على الأقل كان لديه مكان يأوي إليه.

أخرجت الحفنية من السيارة ووضعتها أمام الباب. صعدت على جرس الباب فظهر لي رجل في أواسط العمر. أوضحت له أنني

أحضرت أمتعة ديك. كانت ملامحي تقول إنني لا أعرف أي شيء أكثر من ذلك. نظر الرجل إلى الشرط الذي يحمل الاسم واسنوع الموقف على العور.

قال الرجل بلهجة جامدة وإن كانت وذية: «أنا شاكر لك كثيراً». ثم عدت أدراجي إلى شغتي في شيبويا وأنا لا ألوي على شيء. فلت في نفسي. إذاً يبقى ثلاثة.

في ضوء هذه الأحداث، ماذا يمكن أن يعني موت ديك نورث؟ فيما كنت في غرفتي وحيداً رححت أفكر في ذلك وأنا أحتمي كاساً من الويسكي. كيف يمكن أن يكون هناك معان؟ كل تلك البنع غير المفهومة التي يتألب منها اللغز وهذا الحدث الأخير لا يقدم أي حل. اطوء وضعه جانباً فما زال غير مهبد. هل يمكن أن تكون هذه الوفاة متصلة بمكان آخر؟

حتى لو لم يكن لموت ديك أي مغزى في حد ذاته. فإن نظيراً كبيراً في الطروف بدا حتماً. ولكنه ليس للأفضل أبشاً، هكذا يخبرني حدسي. ديك نورث كان شخصاً ذا نواها طيبة. بطريقته الخاصة كان يحافظ على الأشياء مناسكة. لكن أما وإنه قد انتهى، فسوف بطراً تغيير ما على الأشياء وستصبح أكثر صعوبة. مثلاً؟

مثلاً أنا لم أهتم بملامح بوكي الخالية من أي تعبير حينما كانت مع أمي. كما لم أحب تحديد أمني المكتبي في الفراغ وهي مع بوكي. كان هنالك خلل ما. كنت أحب بوكي. إنها طفلة لطيفة ذكية. ربما تكون عتيبة في بعض الأوقات ولكنها حساسة في حقيقتها. وفي الحفنية، لم أكن أحمل أي صعيبة إزاء أمي. كانت جذابة وملهمة وغير عدائية. ولكن ضع كليهما معاً وسوف يكون المزيج مدمراً.



كانت هناك طاقة تتصاعد من كلتا الأثنين معاً.

كان ديك نورث هو المنطقة المازلة بينهما بعد ما كيمورا. ولكن  
لما وقد انتهى، لم يبق إلا أنا لأعامل معهم.

اتصلتُ بيوميوشي مرات قليلة. كانت هادئة كما هي دائماً،  
بالرغم من أنني كنت ألح قليلاً من السرور في صوتها. على ما يبدو  
لم أكن أسبب لها الكثير من الضيق. كانت تنوجه إلى عملها كل يوم،  
والى نادي السباحة مرتين أسبوعياً وتواعد من وقت لآخر. أخبرتني أن  
شخصاً ما قد اصطحها في نزهة إلى حديقة الأحد العاظمي.

- إنه صديق لبيس إلا. زميل دراسة قديم والآن يعمل في  
سابورو. هذا كل ما في الأمر.

قلت لها إنني لا أمانع ولا أتوقف عند الأمر. ما كان يهمني  
بالعمل هو نادي السباحة.

قالت: «لكن على أية حال، كنت أريد أن أخبرك فحسب. أكره  
أن أعني عنك شيئاً».

كررت قلبي: «لست أمانع. كل ما أهتم به هو أن أعود إلى  
سابورو حتى أراك ثانية. يمكنك الخروج مع من نشائين. ليس لذلك  
علاقة بنا. كنت دائماً في بالي. مثلاً قلت لك سابقاً، أشعر بأن ثمة  
رباطاً يجمع بيننا».

مرة ثانية سألتني ماذا أعني بذلك. ومرة ثانية كنت أتكلم من قلبي  
ولكن تفسيري لم يكن مفهوماً. وهذا هو فنيذني.

تلى ذلك صمت ممتد. صمت ما بين محايد إلى إيجابي بعض  
الشيء. نعم الصمت ما زال صمماً فيما عدا حينما تفكر فيه أكثر من  
اللازم.

كان جوتاندا يبدو منعياً حياً ألتني. كان يكتف موعيد لفاءاته  
مع زوجته السابقة لتصبح جدول عمل مزدحماً.

قال وهو يهرج تهيدة عميقة: «كل ما أعرفه هو أنني لا أستطيع  
أن أستمع في ذلك إلى الأبد. لست مخلوقاً للعيش على الهامش  
هكذا. أنا شخص «بنوني». وهذا هو السبب في أنني مرهن إلى هذا  
الحد. أشعر بأنني منهك القوى».

قلت: «ينبغي أن تذهب إلى هاواي لبعض الانسجمام. أن تذهب  
معاً».

قال وقد أرسمت على وجهه ابتسامة باهنة «وهل هذا شيء لا  
أحب؟ ربما خمسة أيام من الانسجمام على الشاطئ من دون أن أفعل  
شيئاً. بل حتى ثلاثة أيام ستكون رائعة».

في ذلك المساء ذهبت إلى منزله في أزابو، وجلست على أريكنه  
الأنيفة وفي يدي الشراب حيث أشاهد مجموعة من الإعلانات التجارية  
عن الأدوية المضادة للمحموضة التي قام بها. كانت هذه هي المرة  
الأولى التي أشاهدها.

أربعة مصاعد لبنانية مكتوبة بلا جدران أو أبواب نسمد وتنزل  
بأعلى سرعة. جوتاندا يرندلي بللة سوداء ويحمل حقيبة في يده، كان  
كل ما به بوحى بأنه رجل أعمال من الطراز الأول. كان يروح جبنة  
وذهاباً من مصعد لآخر، يتناش مع رئيسه في واحد، وبواعد سكرتيرة  
شابة جميلة في آخره. ويحمل حزمة من الأوراق هنا ويهرع لإرسالها  
هناك. هاتف برن. كل هذا الغفغف ما بين هذا المصعد وذاك ليس  
بالأمر الهين، ولكن جوتاندا لم يفقد قناع هدوته مع ذلك. كانت نعلو  
وجهه علامات الجدية أكثر فأكثر.

كان الصوت يقول: مع كل يوم بنراكم فيه القلق داخل معدنك،  
تخلص من ضغوطك من خلال هذا العلاج الناجع.

ضحكت: «هذا مضحك»

قال: «أظن ذلك أبشعاً، إنه بئس ولكنه مرح. كل الإعلانات التجارية هراء، ولكن هذا الإعلان نم تصويره بشكل جيد. مشهد واحد لكنه أفضل من معظم أملامي، يوسفني أن أنزل ذلك. الفاعلون على الإعلانات لا يترددون في الإنفاق على التفاصيل، خصوصاً أن تلك المؤثرات الخاصة والتجهيزات تكلف كثيراً».

- كما أنه يعكس السيرة الذاتية على نحو جيد.

ضحك قائلاً: «ها أنت قلتها. ولكن دعني أخبرك، إن هذه المادة لا تقيد في أي شيء. لقد أعطوني عشرات من اللعب لأجربها، فتعجبت من أن تأثيرها محدود للغاية».

قلت وأنا أعيد الشريط بالريموت كنترول لمشاهدة الإعلان من جديد: «ولكنك تبدو مؤثراً حقاً. إنك لا تغل عن الكومبيين بأسر كيون. يبدو أنك اهتديت إلى طريقك من خلاله».

ارتسمت ابتسامة على شفني جوناثان. «سوف أكون سعيداً. إنني أحب الفكاهة. هناك شيء يمكن قوله حينما يستطلع شخص مستقيم مثلي أن يستخرج المرح من مثل هذه المشاهد الروتينية. المرح يحاول أن يبعث مستهزئاً في عالم مجنون وملتبز ويغزر بالاضطراب. ذلك هو المضحك. هل تعرف ما أقصد؟».

أجبت: «نعم أعرف».

- لا ينبغي عليك حتى أن تفعل شيئاً مضحكاً. فقط تصرف بشكل طبيعي. ذلك في حد ذاته يبدو غريباً ومضحكاً. إن التمثيل بمثل هذه الطريقة يثير اهتمامي. ذلك النوع من الممثلين ببساطة لا يوجد في اليابان اليوم. إن الناس دائماً يبالغون حينما يتعلق الأمر بالكوميديا. ما أريد أن أفعله هو العكس. ألا أمثل». أخذ رشفة من

شرابه ومد بصره نحو السفن. «لكن لا أحد بأنني بأدوار مثل تلك. إن الأدوار الوحيدة التي دأبوا على الإنفاق بها لوكالتي هي أدوار أطباء ومدرسين أو محامين. لقد حدثت في ذلك من قبل، ودعني أقول لك إنني أشعر بميل قاتل. أريد أن أرفضها، لكن لست في وضعية تزهني أرفض أي شيء. وعلى معدتي أن تتحمل ذلك».

لافي الإعلان الأول لجوناثان عن المادة المضادة للحموضة استحسننا وإسأل. وفام ببعض إعلانات مكمل. كانت الوبيرة واحدة. إذا لم يكن يروج ويحيي ما بين الفطارات والحافلات والطائرات في جزء من الثانية من الوقت، نجده يصعد إلى ناطحة سحاب وهو يتأبط حزمة من الأوراق أو يسير سيراً حثيثاً بين المكاتب. خلال كل ذلك كان جوناثان يحافظ على وجه جامد خالي من أي تعبيرات.

- في البداية طلب مني المخرج أن أرسم على وجهي علامات التعجب. كما لو كنت سبخشي عني من الإرهان. ولكنني أخبرته أن الأمر سيكون أفضل من دون ذلك لو أنني نصرفت بشكل طبيعي. بالطبع، كلهم حمقى. لكنني لم أستسلم وأصررت على موقعي. لست أؤدي هذه الإعلانات لمجرد المرح، ولكنني أعرف بفناً الطريفة الصائبة لتأديتها. لذا نم تصوير الإعلان بالطريقتين، وقد رافقت طريقتي للجمع. وبعد أن حقق الإعلان النجاح، ذهب كل الشاء إلى المخرج. بل لقد فاز ببعض الجوائز. لكن ليس ذلك ما يهمني. إن ما يؤلمني هو كيف أنهم يتصرفون كما لو كانوا قد ابتكروا الموضوع كله. إن الأشخاص الذين ينفقون الخيال هم أول من يبادرون إلى التعبير لأنفسهم.

أطفا جوناثان الفيديو ووصع نجلاً ليل إيفاز.

«كل هؤلاء الحمقى يعتقدون أنهم ينتمون بذكاء حاد، ويجعلونني أرفض فوق رؤوسهم تعال إلى هنا، اذهب إلى هناك».

افعل هذا، افعل ذلك. فم بفيادة هذه السبارة، اخرج مع هذه المرأة. إنه فيلم مضجر عن حباء مضجرة. حتى متى يمكن أن يستمر ذلك؟»

- ربما ينبغي عليك التخلص من ذلك والبدء من الصفر. إذا كان بوسع أي شخص أن يقوم بذلك، فبإمكانك أنت أيضاً. اترك وكالك، وخذ وقتك حتى يمكنك مداد ديونك.

قال جوتاندا بانيسامة يانسة: «هل نظن أنني لم أفكر في ذلك؟ إذا بدأت العمل بشكل مستقل، فهذا هو ما سأفعله. سوف أعود للمربع رقم واحد وألتحق بمجموعة مسرحية. أنا لا أمانع في ذلك صدقني. ولكن إن فعلت فسوف نيلذي زوجتي السابقة على الفور. لقد كبرت تحت الضغط- ضغط النجومية وهي بحاجة لأن يكون من يحبط بها من الأشخاص بشعرون بذلك الضغط. إذا تغيرت هذه الأجواء فلا يمكنها أن تنففس. لذا إن كنت أريد أن أكون معها، فلبس أمامي غبار. دعنا نتحدث عن شيء آخر. يمكنك أن تستمر في ذلك حتى الصباح ولن أصل إلى أي شيء».

لذا استنصر كيكبي.

كانت كيكبي هي السبب في أنني وجوتاندا أصبحنا صديقين، بالرغم من أنه لم يسمع من فمي كلمة عنها إلا قليلاً. هل أجد صعوبة في الحديث عنها؟ لو كان الأمر كذلك، لما ألخ هو.

أخبرته أنني وكيكبي التفتنا مصادفة وأتينا عشنا معاً بعد ذلك مباشرة. لقد أصبحت جزءاً من حياتي من دون أدنى نغفل من جانبها، حتى إنني لم أكن أصدق كيف أنها لم تكن في حياتي من قبل. «في البداية لم ألحظ ما هو غير عادي فيها. ولكن حينما أمنت التفكير فيها لاحقاً، بدا لي أن السباربو يجعله غير حقيقي تماماً. وحينما حاولت أن أعبر عن ذلك، بدا سخيفاً. وهذا هو السبب في أنني لم أبلغ أحداً بذلك».

أخذت رشقة من الكأس ثم وضعت بعض التلج فيها.

- في تلك الأيام كانت كيكبي تعمل كموديل لعروض المجوهرات ورأيت تلك الصور لأذنها ويكل صراحة اعترائي هوس بهما. كانت أذناها مستظهران في ذلك الإعلان الخاص ب...، نسبت عن ماذا، وكانت وظيفتي هي أن أكتب كلمات الإعلان. نسلمت صوراً ثلاثاً لأذنها، صوراً مفترية بما يكفي لأن نرى زغب الوجه ووضعنا على الحائط في شفتي. بدأت أحدى في هذه الصور يوماً وراء يوم. كنت أبحث عن بعض الإلهام أو عن عبارة جاذبة تكون شعاراً للمنتج، ولكن بعد ذلك أصبحت الأذنان جزءاً من حياتي. حتى بعدما انتهيت من كتابة كلمات الإعلان، احتفظت بالصور. كانت الصور مدعشة وعالية الإنفان وساحرة. الصورة الحلم للأذن. لكن مع ذلك تحتاج إلى رؤية الأذنين الحقيقيين. لقد كانا...».

- نعم، أذكر أنك قلت لي شيئاً عن أذنها.

- اعترائي هذا الهوس النام. لذا اتصلت لأعرف من تكون وفي نهاية الأمر وصلت إليها وراققت على أن تراني. في اليوم الأول، التقينا في مطعم حيث أرثني أذنها بشكل شخصي. أعني ليس بطريقة مهينة وكاننا أكثر إدهاشاً مما هما عليه في الصورة. كانتا فانتينين! والتعنين! أخبرتني أنها كانت حينما نمرضهما كموديل فأنها نخذهما، حتى نهبجان أكثر بهاء وإنارة ولكنهما كانتا مختلفتين هما كانت نديهما لي. وكانت حينما نعمل، يبدو كأن العالم كله قد اعترته عطية نحول. أدرك أن ذلك يبدو مثاراً للسخرية، ولكن لا أعرف كيف أعبر عن ذلك.

طفن جوتاندا بفكر بجدة في ما قلت. «ماذا تعني بقولك إنها كانت نخدر أذنها؟»

- تعزل أذنها عن وعيها - تنفد وعيها بأذنها.

- آه .

- توصّل نيّاراً كهربيّاً بهما .

- حقّاً؟

- يبدو جنوناً، لكنه حقيقي .

- أصدفك، إنني فقط أحاول أن أفهم . لست أمزح .

اعتدلت في جلستي على الأريكة ورحت أنظر إلى لوحة على الحائط .

- كانت هناك قوى خاصة تنبعث من أفئذها . كانتا مثل دوامة كبرى من الغدّر نجذبني . وكان بإمكانهما أن نفودا الناس إلى المكان الصحيح .

فكر جوناثان في كلماتي مرة أخرى وقال: «وهل فادتك كبكي لأي مكان؟ أعني إلى المكان الصحيح؟» .

أومأت ولكن لم أقل شيئاً عن ذلك . هذا موضوع شرحه بطول .

فقلت: «والآن» نحاول أن نفودني إلى مكان ما مرة ثانية . استمر ذلك بضع ساعات . على مدى الأشهر القليلة الماضية كان يتباني ذلك الشعور المزيج ، وشيئاً فشيئاً بدأت أتعثر في الخبط . إنه خبط «فين» للغاية . لقد انقطع مرثين ، ولكنه أوصّلني إلى هذا الحد البعيد . أوصّلني بأشخاص كثيرين . أنت أحدهم . أنت إحدى الشخصيات الرئيسية في هذه الدراما . صحيح أنا ما زلت غير قادر على إحكام السيطرة على ما يجري . فقد مات شخصان كنت أعرفهما مؤخراً . أحدهما كان ماي . والآخر شاعر ذو ذراع واحدة . لست أدري ما الذي يحدث ، ولكن ما أعرفه هو أن ثمة شيئاً يحدث» .

كانت كل قطع الثلج في الكأس قد ذابت ، لذا أحضر جوناثان بعضاً من الثلج من المطبخ لتجديد شرابنا .

استطردت: «إذا أنت نرى أنني ناه . مثلك تماماً» .

قال جوناثان: «لا» هنا جانبك الصواب . أنا وأنت لسنا منمائلين . أنا واقع في حب امرأة واحدة . وهو نوع من الحب محكوم عليه بالفشل . وأنت لست كذلك . ربما تكون مرئيكاً وتدور في مناهة ولكن مقارنة بذلك المستنقع الذي أدخلت نفسي فيه فأنت أفضل حالاً بكثير . لديك ما تسترشد به أحياناً . لديك أمل . هناك إمكانية لأن نجد محرراً . ولكن ذلك ليس متوفراً في حالتي مطلقاً . ذلك هو الغارق الكبير بيني وبينك» .

حسناً ، ربما ، ربما . «مهما يكن» فإنني متعلق بهذا الخبط من كبكي . ذلك كل ما أستطيع فعله في الوقت الراهن . كانت ترسل لي هذه الإشارات والرسائل . لذا أمضي وقتي محاولاً أن أسمع الإشارات» .

استأنف جوناثان بحدس: «هل نظن أن هناك احتمالاً أن نكون كبكي قد فنلت؟» .

- مثل ماي؟

- نعم . لقد اختفت فجأة . حينما سمعت أن ماي قد فنلت ، فكرت مباشرة في كبكي . وربما وقع لها الشيء نفسه . لم أكن أريد أن أقول ذلك قبل الآن .

لكنني رأيتها في وسط مدينة هونولولو في وقت الغسق الغائم . لقد رأيتها حقاً . ويوكي عرفت ذلك .

قال جوناثان: «مجرد شيء خطر ببالي . لست أقصد أي شيء بذلك» .

- بالتأكيد ، احتمال قائم . لكنها ما زالت ترسل لي الرسائل . رسائل واضحة وعالية الصوت

وضع جوثاندا ذراعيه متقاطعتين أمام صدره وهو شارد البال . بدا أنه مرهق للغاية . ظننت أنه ربما يغشى عليه . كان الليل ينسلل إلى الغرفة ويثقل جسمه الأبيض بظلال سائلة .

وضعت الثلج في كأسه مرة ثانية ثم أخذت رشفة .

كان ذلك حينما لاحظت وجود شخص ثالث في الغرفة . شخص آخر كان يوجد في الغرفة بالإضافة لي وجوثاندا . كنت أستمع حرارة جسم ، وثقاساً ، ورائحة . لكن ذلك لم يكن لبشر . نجمدت . فلبت نظري بسرعة في جوانب الغرفة ، لكنني لم أر شيئاً . لم يكن هناك سوى الشعور بوجود شيء . شيء صلب ، لكنه غير مرئي . تنفست بعمق . أرففت السمع حتى أسمع .

كان ينتظر رايضاً ويحبس أنفاسه . ثم اختفى .

شعرت بالارتياح فأخذت رشفة أخرى .

بعد دقيقة أو اثنتين ، فتح جوثاندا عينيه وأبسم نحري . «معلدرة»

يدو أننا جعلنا من الليلة أسبغة كثيفة .

قلت : «ذلك لأننا شخصان مكتئبان بالأساس» .

ضحك جوثاندا ، من دون أن يعقب .

(35)

في نهاية مايو ، قابلت ويمحض الصدفة ، على حد علمي ، واحداً من المحققين اللذين استجوباني حول مقتل ماي . إنه بوكيش . فبينما كنت خارجاً من مركز نسوق «طوكيو هاندرز» الذي يضم كل ما نحتاج إليه للمنزل ، إذا به أجد نفسي في مواجهة لدى باب الخروج . كان الطقس أشبه بأواسط الصيف ، ومع ذلك كان يرتدي معطفاً ثقيلاً من الصوف ، غير عابئ تماماً بالحرارة . ربما ينلغي رجال الشرطة تدريجاً يجعلهم عديمي الحس . كان يحمل كيساً من «طوكيو هاندرز» مثلي . نظارته بأشني لم أره وحاولت أن أتجاوزها فإذا بالمحقق المقدم يتحدث إلي مباشرة .

- هل تعرف ، لا يجب أن تكون رسمياً إلى هذه الدرجة . كما لو كان كل منا لا يعرف الآخر .

«أنا في عجلة من أمري» ، كان ذلك هو كل ما قلته .

قال : «أوه» ولم تنظلي عليه الحيلة ولو للمحظة .

تعمت : «بنيين علي أن أعود للعمل» .

قال : «أنفهم ذلك . ولكن بالتأكيد شخص مشغول مثلك يمكنه أن يوفر عشر دقائق من وقته . اسمح لي بأن أشعري لك فجاناً من

الفهوه. كنت أرغب في الحديث إليك، في موضوع ليس له علاقة بالعمل. صدقني، فقط عشر دقائق من وقتك.

نبحته إلى مفهى مزدحم برؤاده. لا تسألني عن السبب. كان بوسعي أن أعتذر بأدب وأعود إلى بيتي. لكنني لم أفعل. دخلنا المفهى وجلسنا بمحاذاة أسر ومجموعات من الطلاب. كان مذاق الفهوه شبنماً والأجواء سيئة. سحب بوكيش سيجارة وأشعلها.

قال: «حاولت أن أفلح عن التدخين. ولكن ثمة شيء في عملنا هذا. حينما أكون في عملي، يجب أن أدخن».

لم أقل أي شيء.

- إن عملنا مرهق للأعصاب. الجميع يكرهك. وكلما أمضيت وقتاً أطول في جربمة فتل، وازدت كراهيتهم لك. نظرتك يضعف ويشترتك نهداً بالتجمد. لن يمكنك أن تقدر عمرك. بل حتى الطريقة التي نتحدث بها بعنبرها التغيير. لبست بالطريقة الصحية للعيش.

أضاف ثلاث ملاعق من السكر والكريمه لفهوته وأذابها جيداً وشربها كما لو كان خبيراً في شرب الفهوه.

نظرت إلى ساعتي.

قال بوكيش: «هه، نبهنني للوقت. ما زال لدينا خمس دقائق؟ حسناً. سوف أكون مختصراً. إذاً عن تلك الفناء الماثولة. ماي».

«ماي؟» نسألت. ليس بوسعي أن نوقع بي بهذه السهولة.

لوى شغبني بطريقة لبقه. «أو». حسناً. بالتاكيد. الفناء الفتنبله اسمها ماي. ليس اسمها الحقيقي بالطبع. كان الاسم الحركي. نبين أنها فناء لبل. تماماً مثلما نوقعتم. لم تكن تبدو محترفة ولكن كان بوسعي الجزم بذلك. تعودت على معرفة فنيات الليل من مجرد نظره. الملابس والزينة وملامح الوجه. ولكن في هذه الأيام نمثر على فنيات

لا يمكنك أبداً أن تصدق أنهم في هذه المهنة. إما أنها الحاجة إلى المال أو أنهم مدفوعات بالفضول. لا أنفيل تلك المهنة. إنها محفوفة بالمخاطر. أم لعلك تعتقد غير ذلك؟ الالتقاء برجال لا نعرفهم خلف أبواب مغلقة. هناك توجد كل الأنواع. نجد المنحرفين جنسياً أو المخبولين».

أومأت مرعماً.

- ولكن الفتيات الشابات لا يدركن ذلك. بحسبن أن كل شيء جيد. معذورات. حينما نكون شاباً نظن أن بإمكانك أن نتعامل مع كل شيء. ولكن حينما ندرك الحقيقه، يكون ذلك مناعراً للغايه. ونفاجأ بجووب يلف حول عنك. يا له من شيء مؤسف.

- إذاً هل اكتشفت الفاتل؟

هز بوكيش رأسه وعلت وجهه نكشيره. «ليس بعد» لسره الحظ. اكتشفنا بعض الحقائق المثيرة للاهتمام. لكننا لم ننشرها في الصحف. لأن التحضيي ما زال جارياً. مثلاً، نبين لنا أن اسمها المهني كان ماي، لكن اسمها الحقيقي كان آووه، لكن أي فائده من اسمها الحقيقي. لقد ولدت الفناء في كومامونو. والدها موظف عام. كومامونو ليست المدينة الكبيره. ولكنه كان موظفاً كبيراً. الحالة المأدبة للأسره كانت جيداً جداً. الأم كانت تأتي إلى طوكيو مرة أو مرتين في الشهر للتسوق. لم تكن لديهم مشكلات ماليه. كانت الفناء تحصل على مصروف جيد منها. كانت نخبرها أنها نعمل في مجال الموضه. لديها أخت أكبر منها متزوجه من طبيب، وأخ أصغر يدرس القانون في جامعه كيوشو. إذاً كيف لفناء مثل هذه من بيت كريم، أن تبني مؤخرتها؟ ثمة صدمه كبيره بانتظار الأسره. لم ننصح لهم عن تفصيل كونها فناء لبل، ولكن حقيقه أن ابنتهم العزيزة خُففت حتى الموت داخل غرفة فندق كانت أمراً مقلعاً للغايه.

لم أنس بكلمة وتركته بواصل.

«لقد تفحصنا شبكة الدعارة التي كانت تعمل بها. لم يكن أمراً هيناً، لكننا نمكنا من نغفها. كيف برأبك استظنا أن نفهم بذلك؟ رافينا أبهاه بعض الفناوق حول المدينة واستدعينا بعض النسوة اللاتي على قائمة الأشياء، بالمعمل في التجارة غير القانونية. أرباعهن الصورة نفسها التي أريناك إياها ووجهننا لهن بعض الأسئلة. إحداهن أفشت بعض المعلومات. لست كُلهن مثلك بحاولن جاهدات إخفاء المعلومات. على أية حال، تبين أن القنبلة كانت تعمل حصراً لذلك المنظمة أو النادي ذي بطاقة العضوية المرتفعة الثمن جداً. لا يمكن لشخص مثلك أو مثلي أن ينضم إليها. أعني، هل بوسعك أن تدفع سبعين ألف بن لفنتية شراب؟ أعرف أنني لا أستطيع. بذلك المبلغ يمكنني أن أبني زوجتي وأشرني دراجة جديدة للطفل». قال وضحك بعصبية. «لكن لو فرضنا أن بوسعني دفع المبلغ، فلن يكون ذلك كافياً لحصولي على العضوية. إنهم يدفعون في خلفيتي الشخص، هل نعرف. الأمان أولاً. لا يمكنهم احتمال أي حماقة من العملاء. ولكنهم أيضاً يفضلون طبقة بعينها من العملاء. لا يمكن بحال لمحفز أن يحصل على العضوية. ليس معنى هذا أن كونك تعمل في تنفيد القانون يحول بينك وبين ذلك. إذا كنت من عتبة القوم، عتبة القوم الحفيبين، فذلك قصة أخرى. ربما يمكنك الدخول يوماً ما. ولكن بالنسبة لشروطي محفز مثلي، فلا مجال».

انتهى من قهره وأشعل سيجارة أخرى.

«لذلك طلبنا من التفتيش مذكرة تفيتيش. استغرق الأمر ثلاثة أيام. ما إن وصلنا إلى المكان، حتى كانت قد نمت إزالة كل شيء». أصبح خائلاً. لا شيء. ولا ذرة نواب. كان هناك نسريب. من أين جاء ذلك النسريب؟

- لست أدري.

- ماذا دعاك يا رجل. أنت لست أبلة. إن الترسيب جاء من الداخل. أعني من داخل الشرطة. شخص في رأس الهرم. بالطبع لا يوجد دليل. لكننا نجوب الشوارع ونعرف أن ثمة جريمة داخلية قد ارتكبت حينما نفع واحد. لكن مؤسسة مثل تلك تكون معناة على مثل هذه الأشياء. يمكنهم ضبط كل شيء في وقت أقل من ذاك الذي نستغرقه لاستخدام الحمام. لقد تلاشوا. إنه بسناجرون مكاناً آخر، ويشيرون خطوط هائف جديدة وبهذه الطريقة يعودون لمزاولة أعمالهم. لا يتركون أي أثر. لكنهم يظلون محتفظين بقائمة المشتركين لديهم. ونظّل صفوف الفتيات منتظمة، وتادرا ما يعرفهم عائق. وليس هناك من سبيل لافشاء أرحم. يتم قطع الخيط. مع تلك الفناء القنبلة، لو كان لدينا أدنى فكرة عن نوعية الزبائن الذين هم من اختصاصها، لأمكنا أن نفعل شيئاً. ولكن في ظل هذا الوضع. بنمبن علبنا أن نفرض أهدينا.

قلت: «لا ننظر إلي».

- هل أنت متأكد أنك لا تعرف أي شيء؟

- لو أنها كانت جزءاً من شبكة فيزيات الليل الحصرية للنادي كما نقول، فلا بد أنهم عرفوا منذ أول لحظة نلت فيها، ليس كذلك؟

قال بوكيش: «بالضبط. لذا فإن الاحتمال هو إما أن العائل ربما لم يكن مدرجاً على قائمة الزبائن. أو كان العاشق الشخصي للفناء، أو أنها كانت تعمل لحسابها بعيداً عن النادي. لقد نشنا شفنها، فلم نعر على شيء».

- اسمع. أنا لم أظنلها.

قال بوكيش: «أعرف ذلك. لقد أخبرتك بذلك بالفعل. لست

من النوع الذي يقتل . يمكنني الحزم بذلك من مجرد النظر إلى وجهك . شخص من نوعك لا يقتل أحداً أبداً . ولكنك تعرف شيئاً ، ذلك هو ما أعرفه . إنك تعرف أكثر مما تبوح . لكن لماذا لا تبوح بما لديك ؟ ذلك هو كل ما أود معرفته . لن أشتد معك . أعطيك كلمة شرف .

قلت : « لا أعرف أي شيء » .

نتم بوكيش وهو ينفث الدخان : « هذا لن يقودنا إلى أي شيء » . في الواقع إن عليّ القوم لا يبدوون اهتماماً بهذا التحقيق . في نهاية الأمر إنها مجرد فتاة ليل وقتلت في فندق . ليس هذا بالأمر الكبير . تلك هي نظرتهم . ربما يفكرون في أن موت فتاة ليل أمر غير مؤسف على أية حال . إن عليّ القوم نادراً ما يلتقون ولو نظرة على جثة . ليس لديهم أدنى فكرة عما يعني أن يروا فتاة جميلة ، عارية ومخوفة مثل ذلك . يمكنهم أن ينخلعوا إلى أي مدى يثير الرثاء ذلك . ويمكنك أن تراه من أن عليّ القوم في الشرطة ليسوا وحدهم في ذلك الفكر . دائماً نوجد قلة من الموظفين العائنين البارزين الذين يضعون أصابعهم في الكمكة أيضاً . يمكنك أن ترى الأزوار الذهبية على الصدور تلمع في الظلام . إن المحققين يكنسون قدرة على ملاحظة هذا النوع من الأشياء . إننا نرى أبسط وميض ، فنمد أعناقنا مثل السلحفاة . شيء نتعلمه من رؤسنا . تلك هي الطريقة التي يسير بها الأمر . أحياناً يكون النوجه هو أن مقتل الأنسة ماي سوف يتم إخفاؤه . يا له من شيء مؤسف » .

دفعنا النادلة فنجان قهوة بوكيش . كان فنجان قهوتي ما زال نصف ممتلئ .

قال بوكيش : « إنه شيء غريبه ولكنني أشعر بأنني قريب من هذه الفتاة ماي . لماذا أنا كذلك ، لست أدري . ولكن حينما رأيته مخنوقة

وعارية على سرير ذلك الفندق ، مست وترأ بداخلي . فقررت وتمهدت أمامها أن أصل إلى ذلك الوغد الذي فعلها . لقد رأيته من الجثث ما لا يحصى . إذاً ينبغي أن تكون هذه مجرد جثة من الجثث ؟ لكن هذه كانت من نوع خاص . غريبة وجميلة . كان ضوء الشمس ينصب عليها صباً من خلال النافذة فيما كانت هي ترقد وقد نجمدت . عينها جاحظتان . ولسانها بارز من فمها والجوارب ملفوف حول عنقها . تماماً مثل رابطة عنق . كانت ساقاها منفرجتين . وقد بالت . حينما رأيته ذلك ، أدركت أن الفتاة كانت تطلب مساعدتي . لا بد أن تلك اللقطة الإنسانية مني قد حازت على إعجابك . أليس كذلك ؟ » .

- لست أدري .

قال المحقق : « يبدو أنك كنت مسافراً لفترة . لونك صار برونزياً من الشمس » .

تمتم بشيء عن عمل في هاواي .

- يا له من عمل جميل . كم أتمنى لو استطعت أن أعمل في مهنتك ، بدلاً من رؤية الجثث ليل نهار . إنها وفقة حقيقية ومرحة . هل سبق أن رأيت جثة ؟

- لاه لم أر أي جثة .

هز رأسه ونظر إلى ساعته . « حسناً إذا أرجو أن تعذرني على إضاعة وقتك . ولكن كما يقولون صغر العالم يجعلني أفاهلك في مكان مثل ذلك مصادفة . ماذا تحمل في حقيبتك ؟ » .

- فكرة تلحم .

- آه ، لدي منظفة أناهب في البيت . لقد سُدَّت البالوعة في البيت .

دفع الحساب . عرضت عليه أن أدفع لنفسي لكنه أصر .



فبما كنا نهم بالخروج ، سأكنه معموة إن كان قتل فنيات الليل أمر شائع .

قال وقد انصعت حذفناه قلبلاً : «أظن أنه ربما يمكنك أن تقول ذلك . ليس كل يوم ، ولكن ليس خلال الإجازات فقط أيضاً . هل هناك من سبب يجعلك مهتماً بجرائم قتل العاهرات ؟» .

- مجرد فضول ، هذا كل ما في الأمر .

ذهب كل منا في طريقه ، ولكن الشعور بالغثيان الذي أصاب معدني لم يغافني حتى الصباح التالي .

(36)

مرّ مايو ببطئاً مرّ السحاب .

انقضى شهران ونصف الشهر من دون عمل . كانت مكالمات العمل التي تردني ثقل شتياً فشتياً . بدأ عالم المهنة بنسائي . وإن أردت الدفعة ، لم يكن بأنيي عمل أو مال . ومع ذلك كان لدي الكثير من المال في حسابي . لم أكن أعيش حياة بلخ . كنت أقوم بطهو طعامي وأعمل ملاسبي ، ولم أكن أنفني الكثير . لا فروض ، ولا أذواق خيالية في الملابس أو السيارات . لذا في ذلك الوقت لم يكن المال يمثل لي مشكلة . حسيت مصروفاتي الشهرية ، وقسمتها على رصيدي في البنك ، فتبين لي أن لدي ما يكفي خمسة أشهر أو أكثر . وسوف بأني شيء ما خلال فترة الانتظار تلك . وإذا لم بأني شيء ، يمكنني حينئذ أن أعيد التفكير في الأمر . وفوق ذلك فإن شيك ماكجورا ذا الثلاثمائة ألف ين كان ما يزال فوق سطح مكتبي . إذاً لن أنضور جوعاً .

كل ما كان عليّ عمله هو أن أحافظ على إيقاع ثابت وأن أنحلي بالصبر . كنت أذهب إلى حمام السباحة عدة مرات في الأسبوع ، وأقوم بالنسوف ، وأعد الوجبات وفي المساء كنت أستمع للنسجلات أو أقرأ .

بدأت أتردد إلى المكتبة وأصنع الأعداد القديمة من الصحف قراءة ما أشر عن جرائم القتل التي حدثت خلال الأشهر القليلة الماضية. الجرائم التي كان ضحاياها من الإناث فقط. كان عدد النساء مقتولات في العالم صاعداً. طعن، ضرب حتى الموت، خنق حتى موت. لم يكن هناك ذكر لأي واحدة تشبه كيكي. لا واحدة تشبه كيكي في أي فضة. بالتأكيد كانت هناك طرق للتخلص من الجثث. مثل تعليق ثقل بها وإلقائها في البحر. حملها ودفنها وسط التلال. مائماً مثلما دفنت القط كبير. لن يمر عليه أحد أبداً.

ربما كانت ضحية حادث؟ ربما دهستها سيارة مثل ديك نورث. فجمعت أخبار النعي لضحايا الحوادث. الضحايا من النساء. مرة ثانية، عدد كبير من الحوادث التي راح ضحيتها الكثير من النساء. ضحايا السيارات والحرائق والغاز. ومع ذلك لا أثر لكيكي.

ضحايا الانحرافات؟ السكنات الغريبة؟ لكن يبدو أن الصحف لم تكن مهتمة. كان العالم مليئاً بطرق الموت، طرق أكثر من أن نغطيها. ينبغي أن تكون حالات الموت التي نستحق النغطية استثناء. إن معظم الناس يذهبون دونما أن يلاحظهم أحد.

لذلك كان كل شيء ممكناً. لم يكن لدي دليل على أن كيكي ماتت، أو دليل على أنها حية.

كنت أنصّل بيوكي بين حين وآخر. لكن دائماً كانت إجابتي حينما أسألها عن حالها إجابة غير واضحة.

- لست بحال جيدة، ولست بحال سيئة. لا شيء مهماً.

- وماذا عن والدتك؟

- إنها لا تهجد نفسها، فلا تعمل كثيراً. تمضي اليوم كله جالسة هنا أو هناك. شيء من هذا القبيل.

- هل يمكنك مساعدتك في شيء؟ كالسوق أو أي شيء آخر؟ قالت: «الخدمة تقوم بالسوق، لذا فنحن على ما يرام. والمتجر يقوم بإبصال المشتريات. أنا وهي تمضي الوقت مغلوتين. الحياة هناك كما لو أن الزمن قد توقف. هل الزمن يمر حقاً؟».

قلت: «لننظر للحظة، فإن الساعة تدق، والساعات نمر مع هذه الدقات. الماضي يتزايد، والمستقبل يتراجع. الإمكانيات تنضال، وأسباب الندم تتصاعد».

لم تعلق بيوكي على ذلك.

قلت لها: «يبدو أن ليس لديك الكثير من الخبرة والنشاط».

- أوه حقاً؟

- أوه حقاً؟

- ماذا أصابك؟

- ماذا أصابك؟

نوفت عن السخريه مني.

- من الذي يسخر منك؟ أنا مجرد صدى ذهني، جزء من خيالك. إنه رد لإثبات اكتمال حديثنا.

قالت بيوكي: «أبلة كالعادة. أنت تتصرف كما لو كنت طفلاً».

- لا، هذا ليس صحيحاً. لدي تأملات داخلية عميقة وروح براغماتية. أنا عميق مثل الصدى. ولست كما نظنني.

- هه. هه. هه.

- هه. هه. هه.

ساحت بيوكي: «كعب عن ذلك. إنني جادة».

قلت: «حسناً، سأكف. دعينا نعيد الأمر من البداية ثانية. يبدو أن ليس لديك الكثير من الحيوية والنشاط، بيوكي».

نهضت تنهيدة وقالت: «حسناً، ربما لا أكون كذلك، حينما أكون مع أمي، ينتهي بي الأمر بحالة المزاجية. كما لو كانت تملك قدرة على توجيه مشاعري، كل ما تفكر فيه هو نفسها، إنها لا تفكر أبداً في أي أحد آخر، ذلك هو ما يجعلها قوية للغاية. هل تعرف ما أقصد. لقد رأيت ذلك بنفسك، حينما تشعر بالاكتمال، أشعر بالاكتمال. حينما تنهض، أُنهض».

سمعت صوت فداحة.

قلت: «ربما أتى لزيارتك».

- هل يمكنك ذلك؟

- هل بتأبئك غداً؟

قالت بوكي: «رائع، إنني أشعر بتحسّن الآن».

- إنني سعيد لذلك.

- إنني سعيدة لذلك.

- نوقفي عن ذلك.

- نوقفي عن ذلك.

«إذاً غداً موعدنا»، قلت ذلك وأنا أضع السماعة قبل أن تتمكن من تردّد ما قلت.

كانت أمي بالفعل «نوعاً من ذلك». كانت تجلس على الأريكة وتضع ساقاً على ساق، وهي تحديق شاردة في مجلة تصوير تضعها على حجرها. كان مشهداً من لوحة انطباعية. النافذة كانت مفتوحة، ولكن لم يكن هنالك أي نسيم يحرك الستائر أو الصفحات. نظرت نظرة خفيفة لأعلى وابسّمت حينما دخلت الغرفة. بدا أن الهواء بهز

حول إبنسامنها، ثم رفعت إصبعاً بحفاً خبطة ستمنونات وأشارت إليّ بالجلوس على الكرسي المواجه. أحضرت الخادمة لنا شايًا.

قلت لها: «سلمت الحفية إلى عائلة ديك».

سألني أمي: «هل رأيت زوجته؟».

- لا، لقد سلمتها فقط للرجل الذي فتح لي الباب.

- شكرًا لك.

- العفو.

أغمضت عينيها ووضعت راحتيها مضمومتين على وجهها. ثم فتحت عينيها وجلت بظرفها في الغرفة، لم يكن هناك سوى أنا وهي. رفعت فتجاني ورحلت ارتشف الشاي.

لم تكن أمي ترتدي قميصها الجينز كعادتها. كانت ترتدي بلوزة بيضاء ونورة خضراء باهتة. كان شعرها مصفواً بعناية، وفمها يزدهن بأحمر الشفاه. كانت قد حلّت محل حيوبنها المعتادة هشاشة أحاطت بها مثل موجة من الضباب. كانت الأجواء معطرة بمطريرة مطبوخة نوشك على الثلاثي. جمال أمي على النقيض تماماً من جمال بوكي. كان النقيض المملون، جمال الخبرة، كانت لديها مقدرة تامة على التحكم فيه، ونعرف كيف تستخدمه، فيما كان جمال بوكي جمالاً بلا غاية، وغير موجه، ويفتقر إلى اليقين. امرأة جذابة في أواسط العمر هي واحدة من أعظم متع الحياة.

«لماذا أنا...؟؟» تساءلت أمي بصوت عالٍ، لكن كلماتها انقطعت. انتظرنا حتى تكمل.

«لماذا أنا...؟؟» بدأت ثانية، «أنا مكتبة للغاية؟».

قلت: «لقد مات شخص مغرب. أمر طبيعى أن ننتابك مثل هذه المشاعر».

قالت بغور : «أظن ذلك» .

نطلعت آمي في وجهي، ثم هزت رأسها . «أنت لست أحسن .  
إنك تعرف ما أود أن أقول» .

قلت : «لماذا لم يكن الأمر الصدمة القوية لك؟ هل هذا ما نودين  
فعله؟» .

- نعم، شيء من هذا القبيل .

حتى لو أنه لم يكن ذلك الرجل العظيم . حتى لو لم يكن موهوباً  
لذلك الحد . فإنه كان على صواب . لقد أوفى بواجباته بنيل وامتياز . لقد  
ضحى بما يملك وعمل بجد حتى ينتج . ثم مات .

إن قيمته لم تتكشف إلا بعد موته . كنت أود أن أقول ذلك ،  
ولكنني لم أفعل . ثمة أشياء لا يمكنني أن أحمل نفسي على التلطف  
بها .

«لماذا يحدث ذلك؟» قالت مخاطبة نقطة في الفراغ . «لماذا تتهمي  
الحال بكل الرجال إلى ذلك؟ لماذا يسلكون جميعهم مسالك غريبة؟  
لماذا دائماً يتركوني؟ لماذا لا يمكنني أن أصنع هذه الأوضاع؟» .

حدثت في باقة بلوزتها . كانت تبدو مثل طبات نظيفة تمت إزالة  
فذاثرها . أحشاء باعنة لكائن حي من فصيلة نافذة .

ثمة عمود من الدخان الخفيف كان ينصاعد من سبجارتها  
الموضوعة على منفضة السجائر ، متداخلاً مع أجواء الصحة .

ظهرت بوكي ، كانت قد غبرت ملابسها ، بما يوحى أنها تريد  
الخروج . نهضت وأخبرت آمي أننا سنخرج بعض الوقت .

لم تكن آمي منصته إلي . فصاحت بوكي : «أمي ، سنخرج الآن» ،  
لكن آمي أومأت إيماءة خفيفة وهي تشعل سبجارة أخرى .

تركنا آمي جالسة بلا حراك على الأريكة . في البيت كان ما زال  
بخيم شبح ديك نورث . كان ديك نورث ما زال بداخلي أنا أيضاً .  
تذكرت ابنسامته ، ودعشته حينما سألته إن كان قد استخدم قدميه في  
تفطيم الخبز .

بالله من رجل مشير للاهتمام . لقد أصبح أكثر حياة منذ موته .

قالت بوكي: «لا خيار أمامي، لكن ذلك أشبه بمرحلة عليّ أن أعرضها. ليس مهماً أين أقيم، لكنني سوف أظل هكذا».

- هل ذلك يسبب أن دبك نورث مات، وأن أمك على هذه

الحال؟

- ربما. ولكن ذلك ليس على هذا النحو. مجرد الابتعاد عن أمي لن يحل لي أي شيء، لا يمكنني أن أعتد على نفسي في أي شيء. لكن هكذا أشعر. كما لو أن رأسي وجسمي لا يوجدان معاً. كما لو أن إشاراتي ليست جيدة جداً في الوقت الحالي.

استدردت وعقدت بصرتي نحو البحر. كانت السماء مذهلة. كان ثمة هواء دافئ يداعب الأعشاب المنتشرة على الرمال.

سألتها: «إشارتك؟».

ابتسمت بوكي: «إشارات النجوم». تعرف، إنها صحيحة. إن الإشارات تتحول إلى الأسوأ. بالنسبة لي ولأمي. أنا وهي على الموجة نفسها. إننا متصلتان بهذه الطريقة، حتى لو كنت بعيدة عنها.

- متصلتان؟

فالتفت بوكي: «نعم، متصلتان ذهنياً. أحياناً لا يمكنني احتمال ذلك وأحاول أن أنومه. وفي أحيان أخرى أكون متعباً للغاية وأستسلم ولا أباقي. الأمر يشبه كما لو أنني لست حقاً مسيطرة على نفسي. كما لو أنه يتم تحريكني من خلال قواها. لا أستطيع احتمال ذلك. أريد أن أكون بأكمل شيء من النعفة. أريد أن أصرخ وأستعطف، أريد أن أكون بأكمل شيء من النعفة. أريد أن أصرخ وأستعطف، أريد أن أكون بأكمل شيء من النعفة».

فيل أن يأخذك بالوقت. أخذت بوكي بالسيارة إلى البيت وعدت أدراسي إلى طوكيو. طابعت مني أمي أن أبقي لنناول العشاء، كما

(37) www.rewity.com

بعد ذلك، ذهبت لأرى بوكي مرات قليلة. ثلاث مرات إن شئت الدقة.

لم يبدأ أن إقاسها مع أمها في جبال هاكوني فذراقت لها على الإطلاق. لم تكن سعيدة هناك، لكنها لم تكن كذلك أيضاً. كما أنها لم تشعر بأنها مضطربة لأن تعني بأمرها. إن بوكي تدع نفسها تدفع كما تشتهي الرياح. كانت موجودة في الحياة ولكن من دون حماسة لأي من جوانبها.

بدأ أن الفروج يجعلها تنسج حبسها. كانت نكاتي السخيفة قد بدأت تستفزها، وكان صوتها قد استعاد حيويته. ولكن ما إن تعود إلى البيت حتى تتحول مرة أخرى إلى كائن خشبي. فيصبح صوتها رخواً وينطفئ التوهم في حبيها. بل، وكأما لو أنها صرخت طائفتها، يتوقف عالمها الصغير عن الدوران.

سألتها فيما كنا جالسين على الشاطئ: «أليس من الأفضل لك أن تعودتي إلى طوكيو وتعيشين بمفردك هناك لفترة؟ فقط تغيير بيئة الحياة ثلاثة أو أربعة أيام. تعيد لشعرك بعض المعجزات. البقاء هنا في هاكوني لن يزيديك إلا سوءاً. لست الشخص نفسه الذي كان في هاواي».

كانت تفعل عادة، ولكنني رفضت. إنه شيء لا يبعث على الشهية على الإطلاق أن تجلس لتناول طعام مع أم مكتبة وابنتها الشاردة، وكلاهما على طول الموجة نفسها وما زالت ذكرى شخص مبت تخشم على المكان. كان الهواء مفعماً بالموت. والصمت. كان الليل ساكناً حتى إنه باستطاعتك أن تسمع أي هس. مجرد التفكير في ذلك كان يهذف بهجر في معدني. ربما كان حفل شاي «مات هاتر» بالفدر نفسه من العبيذ، ولكنه كان على الأقل أكثر حيوية

كنت أشغل موسيقى الروك إند رول في مستجلة السيارة طوال الطريق إلى البيت. احسنت البيرة وأنا أعد العشاء وأكلت بمفردي في هدوء.

لم أكن أنا ويوكي نفعل الكثير. كنا نسمع للموسيقى أثناء قيادة السيارة، أو نتمشى ونحن نحذف في الغيوم، أو نتناول الأيس كريم في فندق فيرجيا، أو نسنأجر فارياً في بحيرة أشينوكو. وفي أغلب الأحوال كنا تكفي بالحديث، ونمضي كل فترة الظهيرة ونحن نفرج على اليوم وهو يمر. حياة المتعاقدين.

ذات مرة وبناء على افتراح بوكي بأن نشاهد فيلماً، قدنا السيارة حتى وصلنا إلى أوداورا. فحسنا فائمة الأفلام المعروضة فلم نجد شيئاً لافتاً للأنباء. كان فيلم جوتاندا «حب من طرف واحد» يعرض في إحدى دور السينما وحينما ذكرت أن جوتاندا كان زميل دراستي في المدرسة الثانوية، وأنني ألتقه من وقت لآخر، أتاد ذلك فضول بوكي.

- هل شاهدته؟

قلت: «نعم، شاهدته». لم أقل كم مرة.

سألني بوكي: «هل كان جيداً؟».

- لا، كان سخيفاً. مصيبة للسينما على أقل تقدير.

- وماذا يقول صديقك عن الفيلم؟

ضحكت: «يقول إنه سخيف ومضيق للسينما، إذا كان الممثل نفسه يقول ذلك، فبمكتك التأكد من أنه سيء».

- ولكنني أريد أن أشاهده على أية حال.

- كما نشائين.

- ألا تمنع؟

قلت: «حسناً، مرة أخرى لن نصبرني».

في يوم عادي من أيام الأسبوع، كانت دار السينما خاوية من الرواد. كانت المقاعد صلبة، ونفوح في المكان راتحة كما لو كانت خزانة ملايس. اشتريت يوكي قطعة من الشوكولاته من المصنف فيما كنا نتظر أن يبدأ عرض الفيلم. انطلقت قطعة لي. حينما أخبرتها أنني لم أتناول الشوكولاته منذ عام، لم تصدق ذلك.

- ألا نحب الشوكولاته؟

قلت: «ليست مسألة أحب أو لا أحب. أظن فقط أنني لست مهتماً بها».

- مهتماً؟ يا لك من شخص غريب. من سمع عن شخص لا يحب الشوكولاته؟ هذا غير طبيعي.

- لا، ليس كذلك. هناك أشياء مثل ذلك. هل نحبين الدلاي لا ما؟

- أي شيء ذلك؟

- إنه ليس شيئاً، إنه شخص. إنه الزعيم الوحي للتيث.

- كيف لي أن أعرف ذلك؟

- حسناً، هل تحبين فناء بنما؟

- نعم، لا، لست أهتم.

- حسناً، وماذا عن النسبة التقريبية بين محيط الدائرة ونصف قطرها؟ أو الحقبة الجوراسية؟ أو النشيد الوطني السنغالي؟ هل نحبين أو نكرهين الثامن من نوفمبر 1987؟

روت فائلا: «اسكت، هل يمكنك ذلك؟ كيف يمكنك أن تخرج كل هذا الهراء بهذه السرعة؟ فهمت أنك لا تحب ولا نكره الشوكولاته، وأنت فقط غير مهتم بها. هل أنت سعيد إذا؟».

كان الفيلم قد بدأ في ذلك الوقت. كنت أعرف قصة الفيلم حتى النهاية ولذا لم أعره الكثير من الاهتمام. لم تكن بوكي نهم بالسينما أيضاً، إن جاز أن يكون ما نتمتع به لنفسها دليلاً على ذلك.

على الشاشة كان المعلم الوسيم جوناثان يشرح في الصف كيف يتنفس أحد الحيوانات الرخوية. ببساطة وبصبر وللمسة مرح. فيما كانت الفتاة البطلة تحدق فيه.

سألتي يوكي: «هل هذا الشخص صديقك؟».

- نعم.

قالت بوكي: «يبدو شخصاً خفيفاً بحز».

قلت: «أنت قلتيها، ولكن في الفيلم فقط. في الواقع هو شخص جيد».

- إذا يتعين عليه أن يشارك في أفلام جيدة.

- ذلك ما يريد أن يفعله. لكن ذلك ليس سهلاً كما تتصورين.

إنها قصة طويلة.

مر الفيلم، القصة واضحة وعادية. السيناريو عادي، والموسيقى عادية. ينبغي أن يغلقوا الفيلم في كبسولة زمنية ويسمونها: «عادية» أواخر القرن العشرين» ثم يدفنوها في مكان ما.

وأخيراً جاء مشهد كيكي. اللقطة الأشد إثارة في الفيلم. جوناثان وكيكي ينامان معاً. مشهد صباح الأحد.

أخذت نفساً عميقاً وركزت على الشاشة. أشعة شمس صباح الأحد تنسلل من خلال السناثرا، الإضاءة نفسها، الوضوح نفسه، الألوان نفسها كما كانت دائماً. لقد نقشت كل تفاصيل هذه الغرفة في رأسي. بل باستطاعتي أن أتفلس هواء تلك الغرفة. الكاميرا تنفرب من جوناثان. يدها تتحرك لأسفل ظهر كيكي. يذاعها بشكل مثير للشهوة بلا حواذ. بدت رعدة خفيفة نسري في جسدها. مثلما بطرف لهب شمعة من أثر تيار هواء صغير لا يمكن لجسم الإنسان أن يشعر به. حبست أنفاسي. الكاميرا تركز على أصابع جوناثان. تبدأ الكاميرا بالدوران. يظهر وجه كيكي. تدخل الفتاة البطلة. تصعد درج الشقة، تفرغ الباب، ثم تفتحه. مرة أخرى أسأل نفسي، لماذا لم يكن مقلداً؟ أمر لا أفهمه. ولكنه لا يجب أن يكون مقلداً. إنه مجرد فيلم، وفيلم عادي. ندخل الفتاة، تفرى جوناثان وكيكي نائمين معاً. بدت الصدمة في عينيها. ترمي بالكلمة نم تركزض. جوناثان يحلس في السرير، وهو يلاحظ بنفور ما حدث.

كيكي تقول جملتها الوحيدة: «ما الذي يحدث؟».

بالطريقة نفسها دائماً.

أغمضت عيني. فظهر لي ضوء صباح الأحد، وبد جوناثان، وظهر كيكي بكل وضوح.

الشيء التالي الذي أعرفه هو أن بوكي كانت متحمية ورأسها على ظهر المفعد الذي أمامها، وهي تلف ذراعها حولها كما لو كانت نحني نفسها من البرد. صمت مطبق، لا بحرك شعرة. لم يكن همسة نفس.

سألنها : «هل أنت على ما يرام؟».

قالت بوكي بصعوبة : «لا، لا أشعر بأنني في حالة جيدة».

- دعينا نغادر هذا المكان. هل تعتقد أن بإمكانك ذلك؟

أومأت بوكي بنصف إيماءة. أخذت بذراعها المنصلبتين وساعدتها على الخروج من السينما. فيما كنا نخترق العمر الفاصل بين الصفوف، كان جوناندا قد ظهر على الشاشة خلفنا وهو يحاضر في الطلاب عن البيولوجيا. في الخارج كانت الشوارع هادئة بسبب هطول الأمطار. كانت رائحة الأمواج المنكسرة نهب من البحر. كنت أسندها من كوعها، مشيت بها ببطء حتى السيارة. كانت بوكي تعض على شفتها ولا تقول أي شيء. لم أقل أي شيء أنا أيضاً. كان مرآب السيارات بعيد حوالى مئتي متر عن السينما، ولكن الوصول إلى هناك استغرق دهرأ.

(38)

أجلسْتُ بوكي في المقعد الأمامي وفنحت النافذة التي بجوارها. كان رذاذ خفيف، لا تدركه العين، بنسافط. ورائحة المطر نفوح في المكان. بعض الناس كانوا يرفعون مظلاتهم، فيما كان آخرون يسبرون وكأن شيئاً لا ينسافط. لو أن يداً أسندت لن نعود إلا ببيل خفيف. كان مطراً لطيفاً.

أسندت بوكي ذراعاً إلى الباب ووضعت ذقنها عليها، فيما كانت انحرافة رقبتها نجعل نصف وجهها خارج السيارة. ظلمت على تلك الوضعية لفترة ولم تكن تتحرك إلا للتنفس. كل ارتفاع طفيف ينبعه انخفاض طفيف. كيف يمكن لأي شخص أن يبدو أكثر هشاشة واستسلاماً من ذلك؟ من المكان الذي كنت أجلس فيه، كان يبدو أن أقل شيء سيكون كافياً لأن يفصل رأسها وكوعها. هل كانت مجرد طفلة، ولم نعد على طرائق العالم، فيما كنت أنا بالغاً أنحملها رغم افتقاري للمهارات؟

سألنها : «هل هناك ما يمكنكني فعله؟».

قالت بوكي وهي تبتلع لعابها ووجهها لأسفل. «لا». بدا صوتها، وهو ينظف حنجرتها، غير طبيعي. «خذني إلى مكان هادئ لا يوجد فيه أحد، ولكن لبس بعداً جداً».



- ما رأيك في الشاطئ؟

- أي مكان. لكن لا نقد بسرعة. فد أنفياً إذا كان في الطريق الكثير من المعطبات.

وفعئها ووضعنا رأسها على مسند الرأس، بعناية كما لو كنت أحمل بهيئة، وأغلقت نافذتها إلى النصف. ثم بعد ذلك توحنا بيده ويحسب ما نسمح به الحركة المروية نحو شاطئ كونينغز. أوقفنا السيارة وسرنا نحو الشاطئ حيث نغبات بوكي على الرمال. كانت معدنها خاوية إلا من الشوكولاته وعصارات الهمسم. كانت تعتبرها نوبات نغتي ولكن من دون أن يخرج منها أي شيء. إنك تدمرين جهازك بأكله حتى تصبح معدتك في حجم قبضة اليد. دلكت ظهرها. كانت الأمطار الخفيفة تتواصل، لكن بوكي لم تلاحظ ذلك. اغرورفت عينها بوكي بالدموع وهي نحاول أن تنفياً من دون جدوى.

حاولت أن أهدئها.

بعد عشر دقائق على ذلك، مسحنا فمها بمندبل، ثم أمالت الرمل على ما نغباته. بعد ذلك مثبت بها وأنا أسندها من ذراعها نحو رصيف ميناء قريب. جلسنا متكئين إلى حائط البحر فيما كان المطر قد بدأ بهطل. رحنا نحلق في الموج والسيارات التي كان يسمع أزيزها في الخلفية وهي تسير على جسر شانون الغربية. كان الأشخاص الوحيدون حولنا ينفون في الماء، أمانا لبصلاؤنا. لم يستديروا ليرونا. كانت بوكي نعد رأسها إلى كنفني ولا تقول أي شيء. كنا نبدو مثل عاشقين.

أغمضت بوكي عينها وراحت تنفص بيده. كان يبدو أنها نائمة. وكان يبدو عليها الإعياء. كنت أمسح الدموع والمطر عن وجهها. ظل المطر بهطل في صمت فوق البحر المزمري الأطراف.

وأخيراً وفيما كانت تسد رأسها إلى كنفني، فمحت عينها ونظرت إلي بتركيز ضعيف. سحبت علبه سجائر «مرجنيا سليم» من جيب بنطالها وأشعلت واحدة. أو حاولت مراراً أن تشعلها. لكن لم تكن لديها القدرة حتى على إشعال عود الثقاب. لم أعطها محاضرة بشأن التدخين، ليس هذه المرة. وأخيراً أشعلتها وألفت بعود الثقاب بعبداً. ثم وبعد سحب نفسين من السجائر، ألفت بها بعبداً هي الأخرى. ظلت مشتتة حتى أطفأها المطر.

سألنا: «أما زالت معدتك تؤلمك؟»

- قليلاً.

- ما رأيك في ألا نطيل البقا هنا؟ هل نشعرين بالبرد؟

- أشعر بنحسن. المطر يبدو جميلاً.

كان الصيادون يحذفون في المحيط الهادئ. شرى ما الذي يجذبهم للصيد؟ لا يمكن أن يكون مجرد الأسماك بالسماك. هل يمكن أن يكون ذلك ذوقاً مكتسباً؟ مثل الجلوس في الخارج على الشاطئ أثناء المطر مع فناء مشدودة الأعصاب في الثالثة عشرة من عمرها؟

«صديقك»، بدأت بوكي بحلر بصوت منهذج.

- صديقي؟

- نعم، الذي في الفيلم.

أخبرتها: «اسمه الحقبني جوناندا. مثل المحطة التي على خط بامانوت. التي بعد محيرو وقبل أوزاكي».

- قتل تلك المرأة.

حملت بوكي بشدة. بدت متعبة. كانت أنفاسها غير منتظمة، مثل روح غارقة. ما الذي كانت تقولها العنا؟

سألها: «فل تلك المرأة؟»

- تلك المرأة التي كان نائماً معها صباح الأحد.

لم أفهم. لم أستطع أن أفهم. عَمَ نتحدث؟ ابتسمت وفلت لها وأنا نصف غائب عن الوعي: «ولكن أحداً لم يمت في الفيلم. لا بد أنك مخطئة».

قالت بوكي وهي تمسك بذواعي: «ليس في الفيلم. في الواقع. لقد فعلها بالفعل. لقد رأيت ذلك. لقد أفرغني ذلك حتى إنني بالكاد أستطيع أن أنفَس». لقد تجشّد في خيالي ما قاله مرة ثانية حتى لو لم أكن أصدقه. «أستطيع أن أرى عملية القتل كلها واضحة وحادة. صدقك فل تلك المرأة. أنا لا أخلق هذا من عندي. صدقي».

نصّلت عمودي الففري، ولم أعد أستطيع أن أنس بكلمة. كان كل شيء بنهاوي من مكانه ويسقط خارج بدّي. لم أستطع أن أمسك بأي شيء.

قالت بوكي: «آسفة. ربما كان ينبغي ألا أقول أي شيء»  
تهدّدت وحلّلت يدها عن فراعي. «الحقيقة الصادقة هي أنني لا أعرف. أشعر أن ذلك حقيقي، ولكن لا يمكنني في الحقيقة التأكد إن كان حقيقياً أم لا. وأعرف أنك ربما سكرهني مثل كل شخص آخر لقولي ذلك. ولكن ليس بوسعي إلا أن أخبرك. سواء أكان ذلك حقيقياً أم لا، فقد رأيته. لا يمكنني أن أظن صامنة بشأنه. أشعر بفزع حقاً أرجوك لا تغضب مني. ليس باستطاعتي التغلب على ذلك. أشعر كما لو أنني أنهار».

فلت وأنا أمسك بيدها: «أنا لست بمجنون، لذا اهدئي وأخبريني بما رأيت».

- إنها المرة الأولى التي أرى فيها شيئاً بهذا الوضوح الشديد.

لقد خففتها، تلك المرأة التي في الفيلم. ووضع الجثة في السبارة وسار مسافة طويلة، طويلة جداً. كانت تلك السبارة الإيطالية التي كنت نغودها ذات مرة. تلك السيارة. إنها له، أليس كذلك؟

قلت: «نعم، إنها سيارته. هل رأيت شيئاً آخر؟ اهدئي وفكري مرة ثانية. أي شيء يرد بخاطرك، مهما كان صغيراً، أخبريني به. أريد أن أعرف».

هزت رأسها بتردد مرتين أو ثلاثاً. ثم أخذت نفساً عميقاً. «في الحقيقة ليس هناك أكثر من ذلك. رائحة الطين. الجاروف. الليل. صوت الطيور. ذلك هو كل شيء». لقد خلق تلك الفتاة حتى الموت، وحملها في تلك السبارة وواراها في التراب في مكان ما. ذلك هو كل شيء. وهذا هو الجزء الغريب حقاً، وهو أن كل شيء لم يكن شريراً أو شنيعاً أو أي شيء. لم تكن تبدو أنها جريمة. كانت مثل مراسم بنم تنفيذها. كانت مثل شيء حصل على نحو هادئ بين القتائل والضحية. ولكنه هدوء غريب، أغرب ما يكون. كما لو أن ذلك كان يجري على حافة العالم أو شيء من هذا القبيل».

أغمضت عيني. لم نذهب أفكاري إلى أي وجهة. الأشياء والأحداث التي كانت في ذهني أخذت تنفكك، وتطير مثل الشظايا خلال الظلام. لم أصدق ما كانت نغوله بوكي، ولكني لم أكذب ما كانت نغوله بوكي. تركت كلماتها تسقط. ما نغوله لا يمثل حقيقة. إنه احتمال. لا أكثر من ذلك ولا أقل، ولكن فو: الاحتمال كانت مزقولة.

كان أقل الغليل الذي عرفته من النظام خلال الأشهر الغليظة السابقة فد انهيار. أصبحت مرتبكاً وغير متيقن، لكن ذلك كان نظاماً جديداً، وقد وجد له موطناً. هذا كل ما في الأمر.

الاحتمال قائم. وفي اللحظة التي اعترفت فيها بذلك، كان ثمة

شيء يبلغ النهاية . حتى وإن كان بشكل خفي ، إلا أنه أكيد . لقد انتهى . ولكن ما هو ذلك ؟ لم أستطع أن أفكر أكثر من ذلك . لا ، ليس الآن . في تلك الأثناء وجدت نفسي وحيداً مرة ثانية . مع فتاة في الثالثة عشرة من عمرها ، على شاطئ مطر ، فتاة تشمر بوحدة قاتلة .

ضغظت يوكي على يدي .

كم مضى على إمسакها بيدي ، لست أدري . يد صغيرة ودافئة جداً ، كانت تبدو تقريباً غير حقيقية ، لمسنتها كانت تبدو مثل شيء خفيف يستعاد من الذاكرة . دافئة مثل الذكرى ، ولكنها لا تعودك لأي شيء .

قلت لها : «ها بنا نذهب . سوف آخذك إلى البيت» .

عدت بها إلى هاكوني . لم يحدث أي منا . حينما أصبح الصمت طامغاً ، فمت بتشغيل مذياع السيارة . كانت هناك بعض الموسيقى ، ولكني لم أنصت إليها . كان تركيزي منصباً على القيادة . يدي وقدمي تغيير السرعة ، والنحكم في المقود . كانت المساحات تروح وتجيء بشكل يهت على الملل .

لم أكن أرغب في أن أضطر لرؤية أمي ، لذا تركت يوكي عند المدخل .

فالت يوكي وهي تنظر إليّ وتضبط على ذراعها وترتعد : «اسمع ، لا ينبغي أن تصدق كل ما أخبرتك به . لقد رأيت ذلك فقط ، ذلك كل ما في الأمر . مثلما قلت ، لا أعرف إن كان ذلك وقع حقاً . أروجوك لا تكرهني . سوف أموت إن فعلت» .

قلت وأنا أرسم ابتسامة على وجهي : «أنا لا أكرهك . ولن أبتلع أي شيء» . ما لم يكن الحقيقة . أحببنا يجب أن يخرج الإنسان مثل هذه الأشياء . الصباب لا بد أن ينشع . أعرف ذلك جيداً . لو تبين أن

ما تقوله صحيح ، فذلك يعني أنني نوصلت إلى لحظة من الحقيقة من خلالك . لا داعي للقلق . إنه شيء عليّ أن أتيته بنفسه .

— هل تنوي رؤيته ؟

— طبعاً . سوف أسأله عن صحة ذلك . ليست هناك طريقة

أخرى .

هزت يوكي كفتها : «أنت غاضباً مني؟» .

— لاء . لست غاضباً منك . بالطبع لست غاضباً . ولماذا أغضب منك ؟ إنك لم ترتكبي أي خطأ .

قالت : «لقد كنت شخصاً جيداً . لم أقابل أحداً مثلك أبداً» .

تساءلت : «ولماذا تستخدمين الزمن الماضي ؟ وأنا أيضاً لم أقابل فتاة مثلك» .

قالت يوكي : «إلى اللقاء» . ثم ألقت عليّ نظرة فاحصة وطويلة . بدت عصبية ومتعلمة . كما لو أنها أرادت أن تضرب شيئاً آخر أو تمسك بيدي أو تقتلني على خدي .

ظلت الصور القلقة للاحتمال تطفو في رأسي خلال طريق العودة للمنزل . تركت نفسي نستغرق في الموسيقى العبيشة ، فيما ركزت انتباهي على الطريق أمامي . توقف هطول المطر بمجرد أن خرجت من الطريق السريع طوكيو-ناجويا ، ولكن لم تستعني قدرتي على إيقاف المساحات إلا بعدما توقفت في مرآب السيارة في شيبويا . كانت القوضى نغريب أطنابها في رأسي . كان عليّ أن أفعل شيئاً . لذا جلست هناك في سيارتي السويارد في المواب ، ويدي ملتصقتان بالمقود .

السؤال التالي: هل قتل جوناندا ماي أبها؟ لماذا؟ وما الذي بدفع جوناندا لقتلها؟

مرة أخرى لم أكن أعرف. فحدثت زناد عقلي، ولكنني لم أستطع التوصل إلى سبب واحد يجعل جوناندا يقتل كيكبي أو ماي.

كانت هناك الكثير من المجهولات.

كان علي أن أرى جوناندا. أن أسأله مباشرة. وصلت إلى الهاتف ولكن لم أستطع حمل نفسي على الاتصال برفعه. وضعت السماعة، وتمددت على السرير وروحت أحدى في السقف. لقد أصبح جوناندا صديقاً. لم أكن أظن أبداً أن يصبح صديقاً لي على هذه الدرجة. لنفترض أنه قتل كيكبي، فما زال صديقي. لم أكن أريد أن أخسره مثل الأشياء الكثيرة التي خسرتها في هذه الحياة. لا، لم أستطع أن أهافه.

لم أكن أرغب في الحديث مع أي أحد.

جلست وحينما رآني الهاتف، تركته برن. لو أنه جوناندا، ماذا عساي أن أقول له؟ لو كانت بوكي أو بوسوشي، فلست أبالي. لم أكن أرغب في التحدث إلى أي شخص.

على مدى أربعة أو خمسة أيام مكثت في البيت وأنا أفكر. لماذا؟ بالكاد كنت أتناول الطعام أو أذوق طعم النوم. لم أقرب الشراب. مكثت في البيت. فقدت الاتصال بجسمي. رغم كل ما ألتزم به بالفعل، كنت لا أزال أخسر. والآن كنت هنا، وحيداً. كان الأمر دائماً أشبه بذلك. من بعض الحواشي كنت أنا وجوناندا من النوع نفسه. ظروف مختلفة، تفكير مختلف، أحاسيس مختلفة، لكن النوع نفسه. كلانا ظل يخسر. والآن كل منا يخسر الآخر.

كان بوسمي أن أرى كيكبي نسأل: ما الذي يحدث؟ ولكن هل

(39)

حاولت أن أعبد ترتيب أفكارني.

السؤال الأول: هل يجب أن أصدق بوكي؟ حللت الأشياء على أساس الاحتمال المحض، منخلفاً من العناصر العاطفية قدر استطاعتي. لم يستدع ذلك مني جهداً عظيماً. كانت مشاعري مخدرة، كما لو كنت ملدوغاً من البلباء. الإمكانية قائمة. كلما فكرت في الإمكانية، تحركت نحو الاحتمال. وقفت في المطبخ لأعد قهوة، ثم صبيت لنفسي فتجاناً وعدت به إلى فراشي. لكن ما إن انتهيت منه، حتى صار الاحتمال يقيناً ناصعاً. نعم، لقد كان نماماً مثلما رآته بوكي. جوناندا قتل كيكبي، ونفل جثتها إلى مكان بعيد وواراها في التراب.

كم هو عبي. لم يكن هناك أي دليل. فقط حلم طفلة في الثالثة عشرة من عمرها وذات حساسية مفرطة بعد أن شاعت فلباً. ولكن ما فالتة قد لا يرقى إليه شك من ناحية ما. كان شيئاً صادماً لي. بيد أن غرازي ما زالت لا نظيله بشكل كامل. لماذا؟ كيف أتجن أكثر؟

لم أكن أعرف.

السؤال التالي: لماذا يقتل جوناندا كيكبي؟

لم أكن أعرف.

مانت كيكبي، وأقبل عليها التراب في باطن الأرض؟ مثل فطمي كبير؟ في نهاية المطاف، كيكبي لا بد أن تموت. أمر غريب ألا أستطيع رؤية الأشياء بأي طريقة أخرى. كان غلاف روحي لم يعد شيئاً. كنت أحاول ألا أشعر بأي شيء على الإطلاق. كان إذعائي مثل مطر صامت ينساقط فوق بحر شاسع. حتى الوحدة كانت فوق طافني. كان كل شيء يتخلل عني، مثل عذم نلدوه الرياح بعيداً.

إذا انضم شخص آخر إلى المجموعة التي نضّمها أغرب غرفة في عالمي. مات أربعة، ويبقى اثنان. عاجلاً أو آجلاً، سوف يتم نقل العظام البيضاء إلى تلك الغرفة عبر بعض الملابس المستحيلة. غرفة انتظار الموت في وسط مدينة هونولولو، والمتصلة بالعربن المظلم البارد للرجل المفلطح في فندق سايبورو والمتصل بغرفة نوم صباح الأحد حيث نام جوناثان مع كيكبي. هل كنت أفقد عقلي؟ أحداث حقيقية، في ظل ظروف خيالية، غير اعتيادية، وملتبسة، وغريبة. أليس هنالك شيء مطلق؟ أليس ثمة حقيقة؟ سايبورو خلال ثلوج مارس يمكن أن تكون بكل سهولة غير حقيقية. لقد كان الجلوس مع ديك نورث على شاطئ ماكاها حقيقياً بما فيه الكفاية، ولكن هل يوجد رجل بذراع واحدة يقطع الخبز إلى شرائح بكل إيفان؟ وياتمة هوى في هونولولو تعطيني رقم هاتف أجدّه لاحقاً في غرفة انتظار الموت التي فادنتي إليها كيكبي؟ لماذا ليس ذلك حقيقياً؟ ما الذي يمكنني أن أفكر من دون أن أنسب في تصدع أركان العالم الذي أعيش فيه.

هل الموضوع كامن هنا أم هنالك؟ هل بهم ذلك؟ ما هو الخيط الآن؟ خذ خطوة وارفع، حتى نحوز إعجاب الجميع. هل مواصلة الخطى هي الحديقة الوحيدة؟ حسناً، لرقص بنفسك على إيقاع الهاتف، انصل بصديقتك جوناثان، واسألها ببساطة: «هل فنلت كيكبي؟».

لا سبيل لذلك. شلل مفاجئ اعترى يدي. أجلس بجوار الهاتف مخدراً، ونعترني هزة كما لو كنت أواجه ربح عكسية. أصبحت أتنفس بصعوبة. كنت أحب جوناثان، أحبته كثيراً. كان صديقي الوحيد، كان جزءاً من حياتي. فهمه.

حاولت الاتصال به. في كل مرة كنت أضرب رقماً خطأ. في المحاولة السادسة، أُنقِبت بالسماعة على الأرض.

لم أتمكن أبداً من الاتصال. في النهاية، كان جوناثان هو الذي جاء إلى بيتي.

كانت ليلة ماطرة. كان يرتدي فيعة واثبة من المطر، والمعطف الأبيض نفسه الذي ارتداه في الليلة التي أوصلته فيها إلى بروكهاما. كان المطر بهطل بغزارة، وكانت فيعته تغطر ماء. لم تكن لديه مظلة تقيه من المطر.

لبسنا جنمنا وأني. لبسنا أنا أيضاً. لبسنا لآرادياً تقريباً. قال: «نبدو متبجاً. اتصلت بك كثيراً، ولكن لم أكن رداً أبداً. لذا فروت المجيء إليك. هل تعرضت لهذا الطقس؟». قلت: «تعرضت لبست هي الكلمة الصحيحة».

حملني في وجهي. «حسناً، ربما أنيت في وقت غير مناسب. سوف أعود ريثما تصبح أحسن حالاً. آسف على المجيء بهذه الطريقة من دون أن أخطرك مسبقاً».

هزرت رأسي وأخرجت زفيراً. لم تسعفني أي كلمات. انتظر جوناثان بصبر. أكدت له: «لست مريضاً أو أي شيء. كل ما في الأمر أنني لا أأكل ولا أنام. أظن أنني أحسن حالاً الآن. على أي حال، كنت أرغب في الحديث معك. دعنا نذهب إلى مكان ما. لم أتناول وجبة كاملة منذ زمن».

ركبنا المازيراتي باتجاه الشوارع المضيفة المغارة في المطر. كانت قيادة جوتاندا دقيقة وناعمة كما هو دائماً، ولكن السيارة الآن أصبحت نصيبي بالنزول. كانت السيارة المعزولة عن الصوت تشق قناة وسط الضجيج الذي يحيط بنا.

سألني جوتاندا: «إلى أين نريد الذهاب؟» كان كل ما يهمني هو الوصول إلى مكان هادئ يمكنني الحديث فيه والحصول على طعام جيد دون مغالبة زحام الرولكس. نظر إليّ ولكنني لم أفل شيئاً. على مدى ثلاثين دقيقة كنا ندور بالسيارة. وعيناي مركزتان على البنايات التي نمر بها.

حاول جوتاندا مرة ثانية: «لا أستطيع التفكير في أي مكان. ماذا عنك؟ أي أفكار؟»

«لا أستطيع أنا أبشأ». كنت حفاً لا أستطيع. كنت شارو الذهن. قال مبتهجا: «حسناً، إننا، لماذا لا نأخذ الاتجاه المعاكس؟»

- الاتجاه المعاكس؟

- أعني مكاناً مزدحماً وملبئاً بالضجيج. يمكننا الاستجمام بهذه الطريقة.

- حسناً، ولكن أين؟

- هل لديك رغبة في البيئز؟ دعنا نذهب إلى شاكيس.

- ليس لدي مانع. لست ضد البيئز. ولكن أكن يراك الناس إن ذهبت إلى مكان مثل ذلك؟

ابتسم جوتاندا ابتسامة باهتة، مثل الوهج الأخير للشمس الصيف حينما يتخلل أوراق الشجر؟

كان شاكيس بغض برود نهاية الأسبوع. ازدحام وضوضاء. كانت هناك فرقة من أربعة أشخاص يرتدون قمصاناً عليها خطوط

بيضاء وحمرات ويمزفون موسيقى الجاز على أنغام أغنية «تايجر راج» فيما راج يردد وراءهم مجموعة من الزملاء بحسبون البيرة. كانت واحة البيئز تملأ المكان. لم يكن أحد بعير الآخر انتباهاً.

سجلنا طلبنا. ثم وجدنا مائدة تحت مصباح نيفاني مفلد على نحو رديء في مؤخرة المطعم.

قال جوتاندا: «ماذا قلت؟ ليس ذلك أفضل؟»

لم أكن قد اشتبهت البيئز قبل ذلك، ولكن أول فضمة جعلتني أفكر أنها كانت أفضل طعام نلوفته في حياتي. لا بد أنني كنت أنضور جوعاً. كلانا شربنا، وأكلنا وأكلنا وشربنا. وحينما نفذت البيئز، طلب كل منا جولة أخرى من البيرة.

قال جوتاندا: «رائعة، أليس كذلك؟ كنت أشتهي البيئز على مدى الأيام الثلاثة الماضية. بل حتى حلمت بها، ساخنة جداً، وهي تخرج من الفرن. لكن مع ذلك، فإني لم أناولها في الحلم. حدثت فيها وسال لمبابي لها فحسب. ذلك هو كل الحلم. لم يحدث أي شيء. آخر. ماذا يقول بونغ عن أنواع البيئز؟ توقف جوتاندا برهة. ثم قال: «إذاً، ما هو ذلك الشيء الذي كنت تريد أن تحدثني بشأنه؟»

أطرقته. الآن، وإلا فلا. ولكن هل يمكنني الإفصاح عن هذا الشيء؟ لقد كان جوتاندا في منتهى الاستجمام. ويستمتع بالأمسية. نظرت إلى ابتسامته البريئة، ولم أفدر على حمل نفسي على قول ذلك. ليس الآن، على الأقل.

سألته: «ما هي آخر أخبارك؟ عملك؟ زوجتك السابقة؟»

قال جوتاندا: «العمل كما هو. لا جديد، لا شيء جيداً، ولا شيء أريد أن أقوله. يمكنني أن أصرخ حتى يجف حلقتي، ولكن لا أحد يود أن يسمع ما ينبي عليّ قوله زوجتي- هل سمعت ذلك؟ ما

زلت أعينها زوجتي رغم كل هذا الوقت - لقد رأيتها مرة واحدة منذ آخر مرة وأبنتك فيها.

- أما زلت تصطحبها إلى غلاف الحب؟

- تقريباً، لم أعد أقتل.

- أخبرنيك يا رأتنا كنا نلتقي في فنادق الحب الخاصة بالأزواج.

هل تعرف، إن نردك على هذه الأماكن يحدث فيك أثراً. إنها مظلمة، كل التوافيق مظلمة. المكان لا يصلح إلا للمضاجعة، إذاً من يحتاج إلى نوافذ؟ كل ما تحصل عليه هو حجاب وسرير، بالإضافة إلى موسيقى وتلفزيون وتلاجة. ولكن كل ذلك يفقد للمعنى ومصطنع للغاية. في واقع الأمر إنه يخلق لديك إحباطاً وأنت تفقد بذلك وبعد فترة على هذا السؤال، يتناكب الرهاب من الأماكن المغلقة وتتملكك كراهية المكان. ومع ذلك فإن هذه الفنادق هي الملاذ الوحيد لنا.

أخذ جوناندا وشقة من الدرجة وسحب معه بالمطبخ.

نظر نحوي ثم انقسم قائلاً: «لا يمكنني أن أحضرها إلى بيبي. سوف نجد فيها صيف الفضايح هناك إن اقتبست ذلك. ليس لدي وقت للذهاب إلى أي مكان آخر. سوف يمشيتمونها أيضاً على أي حال. لذا نذهب إلى فنادق المضاجعة تلك».

سألني جوناندا: «ما رأيك في نظرية بيتزا أخرى؟ سوف اقتسمها معك.» لا أعرف متى شيءي. ولكني ما أردت جائعاً.

في الحال كنت أنا وهو نأكلون بطيخاً متوسط الحجم كان أطفال المدرسة ما زالوا يبيعون، رغم أن الفرقة الموسيقية كانت قد أنهت معزوفتها الأخيرة. غاد الموصفون المسرح.

انتهينا من البيتزا الإضافية، ولكن بطريقة ما لم نستطع أن نرفع

أعيننا عن المسرح الحالي. من دون الموسيقى، كانت أصوات رواد المطعم قد أصبحت بلاستيكية. كانت موجات الصوت تنصلب كلما اقتربت منا، ولكنها تنكسر حينما نهمل إليها. تلف وتدور ببطء لأعلى المرء تلو المرء، فنلمس بعضي البعض. نذهب بعيداً، بعيداً. موجات بعيدة كانت ترتطم بعيني.

سألني جوناندا: «لماذا فلتت كيكي؟» ثم أكن أقصد أن أسأله: لغا ارتبك من السؤال.

حدثتني كما لو كان ينظر نحو شيء بعيد. انفرجت شفاه قليلاً. كتبت أسبانه بصفاء وجميلة. ظل يحدث في مباشرة لوقت طويل. كانت الموجات داخل وشي تدور وتدور، والأنا أصبح صوت الموجة أعلى، ثم أخفض. كنا لو أن الاتصال بالحقيقة كان بفترت وبفراغ. أنلك أحبابه الناضجة وهي مضمومة بأنافة علي المائدة. حينما كنت أفقد الاتصال بالواقع، وكانت تبتدئ لي مثل نقطة قبة.

حينئذ أستمع إنشامة هادئة.

وكرر ببطء: «هل أنا قتلت كيكي؟»

قلت: «مجرد سؤال».

وقعت عينا جوناندا على المائدة وأصابعه «لا، هذه ليست مزحة. هذا أمر هام للغاية. يتعين عليّ حقاً أن أذكر في ذلك. هل أنا قتلت كيكي؟ يتعين عليّ أن أسأل التفكير في ذلك بشكل جاد للغاية».

حسنت فيه. كان شبه مريضاً، لكن عيني لم تكونا كذلك.

سأله: «هل ثمة شيء يجعلك تغفل كيكي؟»

- هل ثمة سبب يجعلني أقتل كيكي؟ أنا نفسي لا أعرف. هل

قتلت كيكي؟ ولماذا؟

حاولت الضحك: «مهلاً، وكيف لي أن أعرف؟ هل فلتت كيكبي أم لم تفعلها؟».

- فلتت لك إنني أفكر في الأمر. هل أنا فلتت كيكبي، أم لم أفعلها؟

أخذ جوناندا وشقة أخرى من البيرة، ونسج كأسه، أسند رأسه على يده. «ليس بمغدوري النيفن. يبدو حقاً مني، أليس كذلك. ولكنني أقصد ما أقول. لست متأكدًا. أظن أنني ربما حاولت أن أختفها. أظن في منزلي. لماذا فلتت كيكبي هناك؟ لم أكن حتى أرغب في أن أكون أنا وهي بمفردنا. لا فائدة، لا يمكنني أن أتذكر. لكن على أي حال، كيكبي وأنا كنا في بيتي - وضعت جسدها في السبارة وأخذتها إلى مكان ما وواريتها في الثراب. في مكان ما وسط الجبال. لست متأكدًا إن كنت حقاً فعلت ذلك. لا أستطيع أن أصدق أنني فعلت شيئاً من هذا الغيبيل. مجرد شعور بأنني ربما فعلتها. لا أستطيع أن أثبت ذلك. لقد نال مني اليأس. الجزء الأكثر أهمية ملتبس. أحاول التفكير إن كان ثمة دليل ملموس، مثل جاروف. لا بد أنه كان ينعين عليّ أن أستعمل جاروفًا. لو وجدت جاروفًا، لعرفت أنني فعلتها. دعني أحاول مرة ثانية. سوف أشتري جاروفًا من متجر حدائق. سوف أسخدم الجاروف في حفر حفرة ودفن كيكبي. ثم أنفي بالجاروف. حسنًا، أين؟».

- كل شيء مفتت، مثل الحلم. الفصحة يمكن أن تأخذ هذا الطريق وذلك. ثم لا تذهب إلى أي مكان. لدي ذكريات لشيء ما. ولكن هل هذه الذكريات لشيء حقيقي؟ أم أنها لشيء اختلقته لاحقاً لينماشى مع ذلك؟ ثمة خلل بي. الأمور تسوء منذ أن وقع الانفصال بيني وبين زوجتي. إنني متعب. إنني ضائع حقاً.

لم أفل أي شيء.

بعد بركة استطراد جوناندا. «حسنًا، ما هو الحففي على أبة حال؟ من أي ناحية يمكن أن يكون كل ذلك رُهاباً؟ أو تمهلاً؟ ظننت أنني إن أصبحت أكثر قرباً منك، فسوف أصبح أكثر سيطرة على الأشياء. فكرت في ذلك منذ أول مرة سألني عن كيكبي. ظننت أنك ربما تزبل عني هذا الالتباس. افتح نافذة حتى يدخل بعض الهواء الطيب».

ثنى ذراعيه ثانية، وراح يحملن فيهما. «الفرض أنني فلتت كيكبي - فري ماذا سيكون السبب؟ أحببتها. أحببت النوم معها. حينما أكون مكتئباً كانت هي وماي منطسي الوحيد. إذا لماذا أفعلها؟».

- هل فلتت ماي؟

حلق جوناندا في يده للحظة، ثم هز رأسه. «لا، لا أظن أنني فلتت ماي. أشكرك با إلهي لأن لدي دليلًا على وجودي في مكان آخر في تلك الليلة. في اليوم الذي فلتت فيه، كنت في الاستديو حتى منتصف الليل، ثم ذهبت مع مديري إلى منطقة ميتو. يا لها من راحة. لو أن أحداً لم يقسم أنني كنت في الاستديو في تلك الليلة، لأساورني الشك في أنني فلتت ماي أيضاً. ولكني ما زلت أشعر بالمسؤولية عن موت ماي. لست أدري لماذا. لم أكن هناك، ولكن الأمر يبدو كما لو كنت قتلها بديدي. يخامرني شعور بأنها ماتت بسبب له علاقة بي».

مر دهر آخر وهو يحرق في أصابعه.

قلت له: «جوناندا، إنك متعب للغاية. ذلك كل ما في الأمر. ربما لم تقتل أحداً. لقد نلشت كيكبي في مكان ما. حينما كنا معاً، اعتادت أن تخنني على هذا النحو. لن نكون هذه هي المرة الأولى. إنك تحثل نفسك فوق طائفتها. لا تفعل ذلك».

- لا، الأمر ليس كذلك. ليس بثلث البساطة. أغلب الظن أنني



فقلت كيكي. لا أظن أنني فلتت ماي، ولكن نعم، أظن أنني فلتت كيكي. ما زلت أستشعر في أصابعي الهواء الخارج من حنجرتها. ما زلت أستشعر ثقل الطين في الجاروف. في واقع الأمر، لقد فلتتها.

- ولكن لماذا فلتت كيكي؟ أمر لا يمكن فهمه.

قال: «لست أدري. ربما انتابني دافع للتعبير الذات. لقد حدث لي ذلك من قبل. حينما أترك فجوة بيني أنا وجواندا وبيننا أنا الممثل، وأخطو خطوة للخلف لألاحظ أنني أحمق. إنني أقف في أحد جوانب هذا الصدع العميق للغابة والمعمم، ثم ومن دون أن أشعر أجدني انتقلت للجانب الآخر، لدي ذلك الدافع لتدمير شيء ما. لنهشيمه إلى شطأها. كوب. فلم. مودبل بلاستيك. بيد أن ذلك لم يحدث قط حينما يكون الناس حولي. فقط حينما أكون وحدي.

حينما كنت في المدرسة الابتدائية، أذكر أنني دفعت صديقاً لي، وسقط على صخرة صغيرة. لست أدري لماذا فعلتها. ولكن الشيء الذي عرفته بعد ذلك، أنه سقط هناك. لم يكن سقوطاً كبيراً، ولذا لم يتسبب له ذلك بأذى كبير. كان يظن أن ذلك حادث عرضي. أعني، ما الذي يجعلني أدفع صديقاً لي من فوق الحافة عن عمد؟ كان ذلك هو ما شغل الجميع. لم أكن متنبئاً تماماً. ثم في المدرسة الثانوية، أشعلت النيران في صناديق البريد. فعلت ذلك أكثر من مرة، ولم يكن مجرد مزحة طلاب. كنت كما لو أنني مضطر لعمل ذلك. كما لو كان ذلك هو الشيء الوحيد الذي يوقظني. كان ذلك هو ما أفكر فيه لإيراداً. ولكن بعد ذلك كنت أنذكر الإحساس بالأشياء. ما زلت أستشعر أثر ذلك في يدي. ولن أكون قادراً على إزالة ذلك عن يدي. يا إلهي، كم هي رهيبة هذه الحياة. لست أدري كيف يمكنني أن أحملها».

هز جواندا رأسه

استطرد جواندا: «كيف لي أن أتأكد ما إذا كنت قد فلتت كيكي؟ ليس ثمة دليل. لا جثة. لا جاروف. لا أثر للزراب على بنطالي. لا ثورمات جلدية في يدي. ليس معنى ذلك أن حفر حفرة سوف يسبب لك تورمات في يديك. لا أنذكر حتى أبني واريثها. افترض أنني توجهت للشرطة واعترفت، من سيصدقني؟ إذا لم يكن هناك جثة، فليس هناك جريمة فعل. لقد اخففت. ذلك ما أنا متأكد منه. مرت أوقات كنت أريد أن أخبرك، ولكنني لم أستطع. ظننت أن ذلك سوف يحمو أي تقارب بيننا. حينما أكون معك، أشعر براحة كبيرة. لا أشعر أبداً بثلث الفجوة. أنت لا تعرف ما فيهمة ذلك. لا أريد أن أخسر صداقة مثل صداقتنا. لذا ظننت أرجح إخبارك حتى نسال كما سألنا الآن. كان ينبغي عليّ حقاً أن أظهر من ذلك».

- تتطهر؟ لكن ليس هناك دليل على أنك فعلت أي شيء؟

- الدليل ليس هو الغضبة. كان ينبغي أن أخبرك أولاً. ولكنني أخفيت الأمر. تلك هي المشكلة.

- مهلاً، حتى لو كان ذلك صحيحاً، حتى لو أنك فلتت كيكي، فإنك لم تكن تقصد فعلها.

رفع كفيه أمامه، كما لو أنه سوف يقرأهما.

- «لا. لم أكن أفصد. ليس لدي سبب. كنت أحبها، وإلى حد ما كنا صديقين. كنا نتكلم. كنت أستطيع أن أحدها عن زوجتي، وكانت نصغي لما أقول بصدق. ما الذي يجعلني أرغب في فعلها؟ ولكنني فعلت، أظن، بهذه اليمين. ربما لم أفعلها عامداً. ولكنني فعلتها خفياً. ولكنني لم أكن أخفيها. كنت أخفي ظلي. أنذكر حينما كنت أفكر، لو استطعت التخلص من ظلي، لأصبحت أفضل حالاً. لكنه لم يكن ظلي. كان ظل كيكي.

كل هذا حدث في ذلك العالم المظلم. هل نعرف ما أُنحِث عنه؟ ليس هنا في هذا العالم. وكانت كيكي هي التي قادني إلى هناك. نخلصني، هكذا طلبت مني كيكي. هيا افلتي، أنا موافقة. لقد دعيتي لذلك، سمحت لي بذلك. أفسم بكل صدق أن ذلك هو ما حدث. من دون دراية مني. هل يمكن لذلك أن يحدث؟ كانت أشبه بحلم. كلما فكرت في الأمر، بدا غير حقيقي. ما الذي يجعل كيكي تطلب مني أن أفعلها؟

ازهرت آخر ما نبغي من البيرة الدافئة. كانت هناك طبقة كثيفة من دخان السجائر قد طفت فوقنا كما لو كانت كالنار أثيراً.

سأله: «هل ترغب في مزيد من البيرة؟»

«نعم، بمكتني شراب واحدة أخرى».

ذهبت إلى البار وعدت بكأسين شرباهما في صمت. كان المكان مزدحماً ازدحام محطة أكهياوا في ساعة الذروة. كان الزبائن بجيشون ويروحون بشكل متواصل. لم يكن أحد باهٍ للاستماع إلى حديثنا. بل إن أحداً حتى لم ينظر إلى جوناثان.

«ماذا أقول لك؟» نصت جوناثان ابتسامة وهو يتحدث. «لا أرى حتى نجمة واحدة»، قال جوناثان وهو يرفع كأسه التي أصبح ثلثها فارغاً كما لو كان ينظر في أنبوب اختيار.

فلت يهدوء: «دعنا ننسى ذلك. أستطيع أن أنساها. اتسها أنت أيضاً».

«هل نظن أن يوسعي أن أنساها؟ سهل أن تقول، فأنت لم تفلها بيديك».

«مهلاً، هل نسمعني؟ ليس هناك دليل على أنك فلتت كيكي. نوقف عن لوم نفسك على شيء، ربما لم يحدث حتى. إن اللاشعور

لذلك يستخدم مسألة اختفاء كيكي كطريقة ملائمة لنحميلك الذنب. أليس ذلك ممكناً؟

قال جوناثان وهو يمسك كأسه على الطاولة: «حسناً، دعنا نتحدث عن الاحتمالات. لم أكن أفهم بأي شيء ولكنني فكرت في الاحتمالات لاحقاً. كافة أنواع الاحتمالات، مثل احتمال أنني سوف أقتل زوجتي. هل أنا على ما يرام؟ ربما كنت سأقتلها إذا سمحت لي بذلك، مثلما فعلت مع كيكي. الاحتمالات مثل السرطان. كلما فكرت فيها، تكاثر بشكل أكبر ولا يكون هناك سبيل لإيقافها. أصبحت الأمور خارج سيطرتي. أنا لم أحرق صناديق البريد فحسب. فلتت أربع فقط. كنت أُلقي بالحجارة على نافذة الجيران. لست أستطيع التوقف عن افتراف مثل هذه السخافات. ولم أخبر أحداً بها على الإطلاق، حتى هذه اللحظة. يا إلهي»، ننهد بعمق، «كم هو مريح أن أقضي إليك بذلك».

«يا له من شيء ملعون الذي سأفعله لاحقاً؟ تلك الفجوة - إنها كبيرة جداً، عميقة جداً، خطرة، أليس كذلك؟ كلما انسعت الفجوة، زادت غرابية ما أجد نفسي أفترفه من حماقات. هل هذا شيء بعيش في جيباني؟ يا إلهي، أخاف أن ينتهي بي الأمر لأن أقتل زوجتي. ليس لدي أي سيطرة على ذلك. لأنه سوف لن يحدث في ذلك العالم».

فلت وأنا أنصنع إنسانة: «إنك قلتي أكثر مما ينبغي. انس هذا الهواء بشأن الجينات. ما نحتاج إليه هو إجازة بعبداً عن العمل. نوقف عن رؤية زوجتك لفترة. تلك هي الطريقة الوحيدة. ألق بكل شيء إلى الريح. تعال معي إلى هاواي. نمدد على الشاطئ، اشرب بنينا كولا، اصبح، اركب الموج، اصبح الموسيقي. وإذا ما زالت لديك رغبة في الفلق، يمكنك ممارسة الفلق لاحقاً».

قال وعيناه تظرفان وهو بينسم: «فكرة ليست بالسيئة. سوف نحضر فنانين، ويمكن لأربعتنا أن ننسج حتى الصباح مرة أخرى. كان ذلك باعثاً على المرح».

جرف تلك التلوج الجبلنا.

قلت: «أنا جاهز للسفر في أي وقت. ماذا عنك؟ كم سنحتاج من الوقت للانتهاء، مما تقوم به؟».

ابنسم جوتاندا نحوي أعرب ابتسامه. «إنك لا تفهم شيئاً، أليس كذلك؟ ليس هناك شيء اسمه الانتهاء، في عملي هذا. كل ما يمكنك عمله، هو أن ترمي الشيء برشته. وإذا فعلت ذلك، فعليك أن تتأكد أنني لن أعمل مرة أخرى. سوف يتم إقصائي من الوسط بشكل دائم. وسوف أفقد زوجتي بشكل دائم».

ارتشف آخر شرابه.

- ولكن ذلك جيد. العودة إلى اللاشيء، أمر جيد. في هذه النقطة، أنا مسعد لأن أسميها استقالة. إنني منعب. حان الوقت لأن أذهب إلى هاواي وأتعذّر. حسناً، دعنا نخلص من كل شيء، يمكننا أن نعبد التفكير في الأشياء، لاحقاً، لكن الأمر يستحق المحاولة. سوف أعهّد لك بكل شيء، أثنى بك، ونفت بك منذ أن اتصلت بي أول مرة. نبدو شخصاً جديراً بالاحترام. تماماً مثلما كنت أريد دائماً أن أكون.

اعترضت محتجاً: «لا يوجد مثل هذا الشخص الجدير بالاحترام هنا. إنني فقط... أواميل الخطي وأرفض. ليس هناك معنى لذلك على الإطلاق».

فرّد جوتاندا يديه بعرض جسمه على المائدة. «وأين هو المعنى في حياتنا؟ أروجو فلّني عليه. أين هو في حياتنا؟ ثم ضحك.

«ولكن، لا بهم على الإطلاق. إنني مدعن لذلك. سوف أبيع مثالك. سوف أخرج من مسعد لمصعد. ليس ذلك بمستحيل. أستطيع القيام بأي شيء، إن وضعت عقلي فيه. إنني جوتاندا الذكي، الوسيم، حلو المعشر على أبة حال. إذأ، انتفضنا، هاواي. سوف نشترى التذاكر غداً. درجة أولى. سوف تكون درجة أولى. بي إم دبليو، رولكس، وأزايو. سوف نغادر بعد غد ونصل إلى هناك في اليوم نفسه. هاواي!! إنني أبدو جميلاً في قميص ألواها».

- سوف يبدو جميلاً في أي شيء.

- أشكرك على دغدغة. بهي من ذاتي.

نظر إليّ جوتاندا نظراً فاحصة وطويلة. «هل نظن حقاً أن باستطاعتك أن ننسى أنني فلتت بكبي؟».

- أوه، ماذا؟

- حسناً، ثمة شيء آخر لا نعرفه عني. هل نذكر أنني أخبرتك أنني وضعت بالحبس لمدة أسبوعين؟

- نعم.

- كانت كذبة. لقد بحث بكل شيء، وأطلقوا سراحني على الفور. لم أكن خائفاً. كنت أسمى بطريقة مرعبة أن أفعل شيئاً جباناً. كنت أريد أن أكره نفسي. إنني سبتج جداً. لعلك لم تعرف أنك حينما التزمت الصمت لتحفظ ماء وجهي، قد حفظت أيضاً الجزء المثلث الذي أخفيه. لقد فعلت شيئاً لي، لم أكن لأفعله لنفسي - أزلت وماخاني. هل تعرف، كنت مبهجاً بذلك. لقد منحني ذلك الفرصة لأن أكون أكثر صدقاً مع نفسي. أشعر أنني أخيراً أصبحت نظيفاً. صديقي، أراهن أن ذلك لم يكن أمراً نيت مشاهدته على السرور.

قلت: «لا نغلق بشأن ذلك». كنت أريد أن أقول له، إن ذلك

فَارَبَّ المسافة بيننا. ولكني لم أفعل. قررت الانتظار حتى تصبح الكلمات ذات مغزى أكبر. لذا اكتفيت بتكرار نفسي. «لا تغلق بشأن ذلك».

أخذ جوتاندا فيته الوانية من المطر التي كانت على ظهر كرسيه، ونفخس إلى أي مدى كانت مبتلة، ثم أعادها. قال: «أود أن أطلب منك جمبلاً كصديق. أود في مزيد من البيرة، ولكن ليس لدي القدرة على النهوض وإحضار واحدة».

قلت: «لا مشكلة».

نهضت وافقاً وذهبت إلى البار. كان هناك طابور من الأشخاص، لذا استغرق مني بعض الوقت. حينما عدت إلى الطاولة، وفي يدي الكأس، كان جوتاندا قد اختفى وكذلك فيته. ولم تكن هناك مازيراتي في المرآب أيضاً. رانع، هزأت رأسي. رانع فحسب. لم يكن ثمة ما يمكنني عمله. لقد اختفى.

(40)

في ظهيرة اليوم التالي استخرجوا المازيراتي من خليج طوكيو. كما توفعت. لا مفاجآت. بمجرد أن اختفى، استبصرت ذلك أنبأ. جثة أخرى. الفط، كيكبي، ماي، ديك نورث، والآن جوتاندا. خمس. بقيت واحدة. والآن، من التالي الذي سيموت؟ ليست بومبوشي، لن أستطيع احتمال ذلك. بومبوشي لا يفترض أن تموت. إذًا، يوكي الطفلة؟ ما زالت في الثالثة عشرة. لا يمكنني السماح بأن يحدث لها ذلك. كنت أنفخس الفاتمة، كما لو كنت إله الموت، أصدر أوامر الفناء.

توجّهت إلى قسم شرطة أكازاكا لأبلغ بوكيش أنني ظلمت مع جوتاندا حتى الليلة قبل موته. بطريقة ما ظننت أنه من الصواب أن أفضل ذلك، بالرغم من أنني لم أبق على ذكر كيكبي بطبيعة الحال. ذلك كان كتاباً مغلفاً. بدلا من ذلك، تحدثت عن كيف كان جوتاندا منهكاً، وكيف أن ديونه كانت نشراتهم، ومشاكلاته مع العمل، والضغط التي يواجهها في حياته الخاصة.

ذوّن بوكيش ما قلته. على عكس ما سبق، لم يكن سوى إفادة بسيطة. وقّعت عليها. لم يستغرق الأمر ساعة. قال: «الناس يموتون عن بيمينك ويسارك، ما هذا؟ بهذا المعدل، لن يمكنك أن نفهم

صداقات ولن يكون لك تأثير على الناس . سوف يكرهونك ، وقيل أن تعرف ذلك ، سوف يضعف بصرك ، وتترهل بشرتك . ليس ذلك بالاحتمال الجيد .

ثم أخرج شهيدا عتيقة .

« حسناً ، على أية حال ، كان انتحاراً . قضية تُفتح وتُغلق . بل وهناك شهود . لكن يا لها من خسارة . لا أبالي إن كان نجماً سينمائياً ، ولكنه ما كان ينبغي أن يشق البحر بالمازيرواتي ، أليس كذلك ؟ كانت هوندا سيفيك أو نوبونا كورولا عادية ستؤدي الغرض .

« كانت مؤمنة .

« لا سيدي ، التأمين لا يغطي الانتحار أبداً » ، ذكرني بوكيش .

« على أي حال ، يمكنك الانصراف الآن . بسفني موت صديقك . وشكراً على تجشمتك الصعاب والحضور إلى هنا » . قال وهو يودعني لدى الباب . « قضية ماي لم يتم حلها بعد ، ولكن التحقيقات ما تزال سارية » .

لماذا طوبله بعد ذلك ، رحلت أتجول على قدمي ولدي شعور كما لو كنت قد قتلت جوناثاندا . لم أستطع أن أخضع نفسي من هذا العبث ، استرجعت كل الأشياء التي تحدثنا عنها في تلك الليلة . كم كنت أتمنى لو أعطيت الإجابات التي كان يحتاج إليها لينفذ نفسه ، لربما كان كل منا الآن مسترخياً على شاطئ هاواي .

لا سبيل . حزننا كان قد عقد العزم من البداية . كان يفكر في أن يشق البحر بالمازيرواتي كل ذلك الوقت . كان ينتظر حُجبة ، كان ذلك هو مخرجه الوحيد . كان يضع يديه بالفعل على مقبض الباب ، المازيرواتي كانت تفرق في رأسه ، والمياه تملأها ، وتختفه ، المرة تلو المرة .

لقد تركني موت ماي مزعزعا ، وأصابني موت ديك بالاكتئاب والازدراء . أما موت جوناثاندا فقد ألقي بي في صندوق من اليأس مغلق بالرصاصة . إن موت جوناثاندا لا يعوّض . لم يحدث أن وجد جوناثاندا نفسه في انسجام مع دوافعه الداخلية . كان يدفع نفسه قدر استطاعته إلى حافة وعيه – ثم مباشرة ، عبر الخط إلى ذلك العالم الآخر المظلم . لقد جعلت المجلات والتلفزيون وصحف التابلويد من موته وليمة عاشت عليها لفترة . مثل غنائس تنهش في جيفة . كانت المناوين وحدها تكفي لجعبي أنفياً . كنت أرغب في خنق كل مرؤجي الفضائح في المدينة .

صعدت إلى السرير وأغمضت عيني . تنأى إلى سمعي صوت ماي أتياً من ظلمات سحيقة .

أوقد هناك ، وأنا أكره ، كل شيء . عمليات الموت كانت فوق الفهم ، ومذاقها كان مقزراً . عالم الأحياء أصبح فاحشاً . كنت عاجزاً عن عمل أي شيء . جاء الناس وذهبوا ، ولكن بمجرد أن يذهبوا ، لا يعودوا أبداً . كانت رائحة الموت تفوح من يدي . لم أعد قادراً على التخلص منها ، مثلما قال جوناثاندا .

مهلاً ، أيها الرجل المقتنع ، هل هذه هي الطريقة التي تربط بها بين عالمك ؟ تربط موتاً بموت ؟ قلت ربما يكون قد فات الأوان لأن أكون سعيداً . لن أمانع في ذلك ، ولكن لماذا هذا ؟

عندما كنت صغيراً ، كان لدي كتاب العلوم . كان هناك فصل عن « ماذا سيحدث للعالم لو لم يكن هناك احتكاك ؟ » الإجابة : « كل شيء على الأرض سوف بطير في الفضاء ، من قوة الطرد المركزي للدوران » . تلك كانت حالتي المزاجية .

- حسناً، ربما يكون ذلك أفضل.

- رأيت الصحف. ذلك الشخص، صديقك، مات، أليس كذلك؟

- نعم، إنها لعنة المازيراتي. صدق تحذيرك لي.

لم نجب بوكي. كان الصمت يسري خلال الأسلاك. نقلت الساعة من الأذن اليسرى إلى اليسرى.

سألته: «ما رأيك في الخروج للطعام؟ أعرف أنك لا تأكلين سوى الوجبات السريعة، أليس كذلك؟ أنا نفسي لم أكن أتناول طعاماً جيداً. دعنا نتناول طعاماً أفضل.»

- لذي موعد مع شخص في الثانية، ولكن قبل ذلك ليس لدي شيء.

نظرت إلى الساعة. كانت قد تجاوزت الحادية عشرة بغلبل.

قلت: «حسناً. سوف أجهز الآن. إذاً سوف أراك خلال ثلاثين دقيقة».

غبرت ملاهسي، أخذت جرعة كبيرة من عصير البرنغال، ووضعت حافظة النقود والمفاتيح في جيبتي. اليوم عطلة، أم ليس كذلك. هل نسيت شيئاً؟ حسناً، دائماً أنا في عطلة. نسيت أن أحلق ذفتي. أجريت ماكينة الحلاقة سريعاً فوق لحييتي، ثم ضبطت هتافتي قبالة المرأة. هل يمكن أن يبدو عليّ أنني فتى في العشرين؟ ربما. وربما لا. ولكن هل بأبه أحد لذلك؟ غسلت أسناني مرة ثانية.

كان الطقس مشمساً في الخارج. الصيف على الأبواب. لو أن موسم المطر يمكن إضافته. وضعت النظارة الشمسية، وسرت بالسيارة نحو بيت بوكي. ضغطت على حرس مدخل بيتها. كانت ترندي ثوباً بنصف كم وتنتعل صندلاً، وتحمل حقيبة كتف.

(41)

بعد ثلاثة أيام من شق جوناثان البحر بالمازيراتي، اتصلت ببوكي. وحتى أكون صادقاً، لم أكن أرغب في الحديث مع أي شخص، ولكن من بين جميع الناس، كان لزاماً عليّ أن أتحدث إليها. كانت بها هشاشة ما وتعاني من الوحدة. مقلقة. وكنت أنا ربما الشخص الوحيد في العالم الذي سوف يصغي إليها. وفوق ذلك، فإن بوكي لا تزال حية. وثمة واجب، عليّ أن أحافظ عليها كذلك. كان هذا هو على الأقل ما أشعر به.

لم تكن بوكي في هاوني. كانت آمي المرنبكة هي من ردت على الهاتف وقالت إن بوكي غادرت قبل يومين للعودة إلى المنزل الواقع في أكازاكا.

انصلت بهاتف منزلها في أكازاكا. انتزعت بوكي الساعة على الفور. لا بد أنها كانت بجوار الهاتف مباشرة.

سألته: «هل الأفضل لك أن تكوني بعيداً عن هاوني؟»

- لا أدري. لكنني كنت بحاجة لأن أكون وحدي. والفتى امرأة بالغه، أليس كذلك؟ ينبغي أن تكون قادرة على الاعتماد على نفسها. كنت أريد أن أفكر في نفسي. ما الأشياء التي يجب أن أفعلها من الآن فصاعداً. أظن أن الوقت قد حان لأن أعزم بحباتي.

قلت: «تبدين البروم هي غاية الأناقة».

اجابت: «أخبرتكَ أنني سألتُني شخصاً ما في الثانية، أليس كذلك؟».

- الثوب يليق بك. جذاب، ومناسب للياقات.

ابتسمت من دون أن تقول شيئاً.

كانت الساعة الثانية عشر: إلا قليلاً، لذا كان المطعم لنا وحدنا. أخذ كل منا شوربة ومعكرونة وبعض السمك وسلطة. عندما حان موعد وصول رجال الأعمال، كنا قد غادرنا المكان.

سألناها: «إلى أين؟»

قالت: «ليس هناك مكان معين. فقط نخدني في جولة بالشوارع».

قلت: «هذا ضد النظام الاجتماعي. ومضيفة للوقود». لكن يوكي تجاهلت ما قلت وكأنها لم تسمع.

بدلاً من ذلك فامت بتشغيل الاستريو. أغنية توكنج هيلز، الخوف من الموسيقى. متى وضعت هذا الشرط؟

قالت: «لقد قررت أن أستمع بمعلمة. إنها هي التي سأقابلها البروم. أخبرت أبي أنني أريد أن أدرس، وهو الذي وجدها لي. إنها تبدو شخصية جيدة بحق. أمر غريب، ولكن مشاهدة ذلك الغيلد جعلني أريد أن أدرس».

- أي فيلم؟ «حب من طرف واحد»؟

- نعم. يبدو غريباً لك، أعرف. إنه حتى غريب بالنسبة لي. ربما أداء صديقك لدور المدرس جعلني أشعر بالرغبة في الدراسة. في

البداية كنت أظن أنه فيلم سحيف. لكن يبدو أنني قد أصبحت أسيرته. ربما كانت لديه موهبة.

- نعم، كانت لديه موهبة. باستطاعته أن يمثل. إذا كان خيلاً، لكن ليس حفيقة، إن فهمت ما أقصد.

- أظن ذلك.

- كان ينبغي أن تشاهده كطبيب. أخبرني أنه كان يمثل. على أية حال، مجرد الرغبة في عمل شيء هو علامة جيدة. لا يمكنك حقاً مواصلة العيش هكذا من دون أن تدرسي. أعتقد أن جوتاندا سيسرّ أن يسمع ذلك.

- هل رأيته؟

قلت: «نعم. رأيته وتحادثنا. تحدثنا لوقت طويل. حديثاً صادقاً للغاية. ثم بعد ذلك مات. كان يتحدث معي، ثم شقّ الخليج بالمازيرواتي».

- بسببي؟

هزئت رأسي: «لا، ليس بسببك. ليس خطأك. ليس خطأ أحد. للناس أسبابهم الخاصة للموت. ربما يبدو أمراً بسيطاً، لكنه ليس كذلك أبداً. إنه أمر أشبه بالجذر. ما يظهر فوق الأرض هو جزء صغير فقط منه. ولكن إن رحلت تجذبه، فسوف تظل تسحبه وتسحبه. إن عقل الإنسان يعيش في ظلمات سحيقة. لا يعرف السبب الحقيقي سوى الشخص نفسه، بل ربما حتى الشخص لا يعرف».

كان ينتظر مبرراً. كان بالفعل يضع يده على مقبض الباب، لا، لم يكن خطأ أحد على أية حال.

قالت يوكي: «ما زلت أظن أنك نكرهني من أجل ذلك».

- لست أكرهك

- ربما لا تكرهني الآن، ولكنك سوف تفعل لاحقاً.

- ليس الآن، وليس لاحقاً. لست أكره بهذه الطريقة.

قالت هامسة لنفسها: «ربما لا تكرهني» ولكن شيئاً سوف يتلاشى. أنا أعرف ذلك.

حملت فيها: «غرب. لقد قال جوناثان الشيء نفسه»

- لاحقاً؟

- نعم. قال إن لديه إحساساً بأن أشياء سوف تتلاشى. لست أعرف أي نوع من الأشياء قصدتها. ولكن أباً كانت، سوف تذهب في وقت ما. إننا في حالة دوران، لذا فإن الأشياء لا يمكنها إلا التلاشي حينما يحدث ذلك. تزول حينما يحين وقت زوالها. ولا تزول إلا حينما يكون قد آن أوان زوالها. مثل ذلك الثوب الذي ترندينه. قبل سنتين، لم يكن يلين بك، وكنت تفكرين آنذاك أن فرقة توكنج هيدز الموسيقية هي شيء قديم لا قيمة له. ربما لم تكوني ترغبين حتى في أن اصطحبك في جولة بالسيارة. هذه أمور لا يمكن تحاشيها. كما يقولون، أصبح مع التبار. ولا تسبح ضد.

- سوف أظل أحبك دائماً، وليس لهذا علاقة بالزمن.

- بسعدني أن أسمع ذلك، لأنني أود أن أظن ذلك. لكن وحتى أكون نزيهاً معك يوكي، فإنك ما زلت لا تعرفين الكثير عن الزمن. يحسن بك ألا تأعدي قرارات في أمور أكثر مما ينبغي الآن. الناس تعثرهم تغيرات بشكل لن تصديقه.

لأذنت بالصمت. انقلب الشريط على الوجه الآخر ذاتياً.

الصفوف. أبنينا فليت وجهك، كان كل شيء في المدينة يوحى بالصيف. رجال الشرطة وطلاب المدارس وسائقو الحافلات كانوا

جميعهم يلبسون زيّاً بأكمام قصيرة. بل كانت هناك بعض النساء بشباب من دون أكمام. لكن ومع ذلك فقد كانت تثلج قبل وقت ليس بطويل.

- لاحقاً أنك لا تكرهني؟

قلت: «بالطبع لا. في هذا العالم المنفطر إلى اليقين، ذلك هو الشيء الوحيد الذي أنا عليّ بفن منه».

- بشكل مطلق؟

- بشكل مطلق وبمقدار 2500 في المئة.

ابتسمت. «ذلك ما كنت أود سماعه» ثم سألت: «كنت تحب جوناثان، أليس كذلك؟».

قلت: «كنت أحبه بكل تأكيد». فجأة نحتج صوتي. اغرورنت عياني. بالكاد استطعت مقاومة الدموع وأخذت نفساً عميقاً. «في كل مرة قابلته كان حبي له يزداد. ذلك لا يحدث كثيراً، خصوصاً في سني».

- هل فعل المرأة؟

مددت بصري إلى أفق السماء المصاحب لنباشير الصيف لبرهة.

- من يدري؟ ربما فعل ذلك، وربما لم تفعل.

كان ينتظر مبرراً.

اتكأت بوكي إلى نافذتها وراحت تنظر إلى الخارج وتستمع إلى توكنج هيدز. بدا أنها كبرت قبلها عما كانت حينما التفتت لأول مرة، قبل شهرين ونصف فقط.

سألتني: «ماذا ستفعل الآن؟».

قلت: «نعم، ماذا سأفعل؟ لم أقرر بعد. أفكر في العودة إلى سابورو. غداً أو بعد غد. هناك توجد الكثير من النهايات المفككة»



يومئوشي. الرجل المُنْعَج فندق الدولفين. مكانٌ كنت جزءاً منه. حيث كان ثمة شخص يبكي لأجلي. ينبغي لي العودة حتى أغلق الدائرة.

عرضت على بوكي أن ألقها إلى حيث نشاء. «أقسم لك، أنني متفرغ اليوم»

ابتسمت: «أشكرك، ولكن باستطاعني أن أندبّر أمرى. الطريق طويل جداً، سوف يكون الفطار أسرع».

قلت وأنا أرفع نظائني الشمسية: «هل سمعك نغولين شكرآ؟»  
- هل لديك أي مشكلة مع ذلك؟

- لا.

كنا في محطة بوحوي هاتشيمان حيث كانت مستنقل خط قطار أوداكيو. نظرت إليّ بوكي لمدة عشر أو خمس عشرة ثانية. لم يكن ثمة تعبير محدد على وجهها، فقط تغير تدريجي في وهج عينيها، وشكل فمها. ولأول مرة بدت شفتاها أكثر بروزاً، وأصبحت نظرتها أكثر حدّة وجراءة. مثل جزء من شعاع شمس الصبغ ينعكس على الماء.

أغلقت الباب، ونزلت من السيارة من دون أن تنظر خلفها. علّفت بصري بشكلها وهو بغيث وسط الزحام عندما أصبحت خارج رؤيتي، انتابني شعور بالوحدة، وكان علاقة حب قد انفرط عقدها للنور.

عدت بالسيارة إلى أرياما للسوق في كينوكونيا، ولكن مرآب السيارات كان ممتلئاً ثم فكرت، أليس ذاهباً إلى سايبورو غداً أو بعد غداً؟ ثم أدركت السيارة وتوجهت نحو البيت. إلى شقتي الخاوية. حيث استلقيت على السرير ورحت أحلق في السقف

أطرفت: لقد أوجدوا اسماً لذلك. الخسارة. الغقدان. آه ليست هذه بالكلمات اللطيفة  
تأهلى إلى سمعي صوت واقواق  
وتردد الصدى في فضاء بيتي الخالي.

الغرفة الكبيرة، غرفة الموت الخالية في وسط مدينة هونولولو. بدا أن الوقت نهائياً. وقت الظهيرة، على ما ينبغي الضوء الكثيف الغادم من الخارج. كانت ذرات الغبار تتراصف خلال أشعة الضوء هذه، ساطعة كشمس جنوبية وحادة مثل جروح سببها سكين. بيد أن مكونات الغرفة من دون إضاءة كانت كثيفة وباردة. كان التباين رهيباً. كانت مثل فاع المحيط.

أجلس على أريكة هناك في الغرفة، والسماعة على أذني. كان سلك الهاتف يمتد بعيداً على الأرض، ويصل إلى منطفة مظلمة، عبر الضوء، ليختفي ثانية في الظلام. سلك طويل للغاية أطول من أي سلك رأته. وضعت الهاتف على حجرتي ورحلت أنطلق في الغرفة. كان أثاث الغرفة مثلما كان. القطع نفسها في الأماكن نفسها. السرير، المائدة، الأريكة، الكرسي، التلفزيون، لمبة الأرضية. كانت نفس الرائحة نفوح من الغرفة مثلما كانت الحال قبل ذلك. آسنة وعفنة، هواء منكس. بيد أن الهياكل العظمية السنة قد اختفت. لبسوا على السرير، لبسوا على الأريكة، لبسوا على الكرسي أمام التلفزيون، ولبسوا على مائدة الطعام. لقد اغتفوا جميعاً. وكذلك اغتفى ثبات الطعام والأطباق من على المائدة. وضعت الهاتف على الأريكة ونهضت. أشعر بصداق خفيف. النوع الذي يبتاهك حينما تشعر بطنين في أذنك. جلست مرة أخرى.

استشعرت بحركة فادمة من ناحية الكرسي الأبعد في الظلام حذقت بعيني، ثمة شخص أو شيء ما قد نهض وأسمع خطاه فادمة نحوي. إنها كيكي. إنها تخرج من الظلمة وتعبّر نحو النور وتتخذ كرسياً من المائدة. كانت ترتدي الثياب نفسها التي ارتدتها قبل ذلك. ثوباً أزرق وحقيقية يد بيضاء.

كانت تجلس هناك وتحملني في. كانت هادئة وتغشاها السكينة

(42)

رأيت كيكي في الحلم. أظن أنه كان حلماً. إما أنه حلم أو شيء أشبه بالحلم. ربما تسأل: وما هو الشيء الأشبه بالحلم؟ لست أدري. ولكن يبدو أنه موجود. مثل أشياء أخرى كثيرة جداً ليس لدينا أسماء لها، ومع ذلك فهي موجودة في اللابفين وراء حدود الإدراك. ولكن دعنا نسميه حلماً، ذلك أبسط وأسهل. ذلك تعبير هو الأقرب إلى شيء حقيقي بالنسبة لنا.

كان الوقت فحراً حينما حلمت بكيكي.

وفي الحلم كان الوقت فحراً أيضاً.

أنا على الهاتف مكالمة دولية. قمت بالاتصال بالرغم الذي تركته لي كيكي على ما يبدو على حافة نافذة تلك الغرفة في وسط مدينة هونولولو. باستطاعتي سماع خطوط الهاتف تتواصل. إنني أنصل. أو هكذا ظننت. كانت الأرقام تتواصل بالترتيب. فاصل قصير، نفحة رنين قصيرة. صعلت بالسماعة على أذني وقمت بعد التفاوض المكنومة خمس، ست، سبع، ثماني وثات. في الرنة الثانية عشرة رد شخص ما. في تلك اللحظة، وجدني في تلك الغرفة تلك

لم يكن جلوسها في الضوء، أو الظلام، وإنما بالضغط فيما بينهما.  
أوشك أن أنهض وأذهب نحوها، ولكنني تراجعت. كنت ما زلت  
أشعر بالهم خفيف في جانبي رأسي.

سألت: «هل ذهبت الهياكل في مكان ما؟».

نقول كيكي ميتة: «أظن ذلك».

- هل تخلصت منها؟

- لا، لقد تلاشوا من أنفسهم. ربما أنت تخلصت منهم؟

حينما رأيت الهاتف بجاني، ضغلت بأصابعي على جانبي  
رأسي.

- ماذا تعين؟ تلك الهياكل؟

نقول كيكي: «إنها أنت. هذه هي غرفتك. كل شيء هنا هو  
أنت. نفسك. كل شيء».

رددت بعدها: «غرفتي. حسناً، وماذا عن فندق الدولفين؟ ماذا  
يوجد هناك؟».

- ذلك مكانك أيضاً. بالطبع. هنالك يوجد الرجل المقنع. وأنا  
هنا.

لم تهتز أشعة الضوء، إنها صلبة ومتسقة. الهواء وحده يهتز قليلاً  
من خلالها، ألاحظ ذلك من النظر حفاً.

أقول: «يبدو أن لدي غرفة في أماكن كثيرة. تعرفين، لقد ظلمت  
أرى تلك الأحلام. عن فندق الدولفين. وهناك شخص ما يبكي من  
أجلي. يترامى لي الحلم نفسه في كل ليلة تقريباً. فندق الدولفين يمتد  
بشكل طولي وضيق وهنالك شخص يبكي من أجلي. كنت أحسبه  
أنت. لذا كان علي أن أراك».

نقول كيكي بصوت شديد النعومة يهدئ الأعصاب المهترئة:

«الكل يبكي من أجلك. على أي حال، ذلك المكان برومته لك. وكل  
شخص هناك يبكي من أجلك»

- ولكنك كنت تنصلي بي. ولذلك السبب عدت إلى الفندق  
لأراك. ومن هناك بدأت أشياء كثيرة. تماماً مثلما حدث في السابق.  
فايلت كل أنواع الناس. أشخاصاً ماتوا. ولكنك اتصلت بي، أليس  
كذلك؟ إنه أنت من أرشدتني عبر كل ذلك، أليس كذلك؟

- لم أكن أنا. إنه أنت الذي اتصلت بنفسك. أنا مجرد  
انعكاس. أنت أرشدت نفسك من خلالي. أنا شريكك الشبح  
الرافض. أنا ظلك. لست أي شيء أكثر من ذلك.

لكني لم أكن أختفيها، كنت فقط أخلق ظلي. لو أنني كنت  
أستطيع أن أنفي على ظلي، لأمكنتي أن أصبح أفضل حالاً.

- ولكن لماذا يبكي من أجلي كل هؤلاء؟

لم تجب. نهضت ويخطى خفيفة نحرمت ووقفت أمامي. ثم  
ركعت وحاولت أن تلمس شفتي بأناملها. أصابعها رشيقة وناعمة. ثم  
تلمس جانبي رأسي.

تهمس كيكي: «إننا نبيكي على كل الأشياء التي لا يمكنك البكاء  
عليها». وبيطه وكأنها تريد أن تشرح. «نحن نذرف الدمع على كل  
الأشياء التي لم تدع نفسك أبداً تذرف عليها الدمع، نحن نبيكي كل  
الأشياء التي لا نبيكيها أنت».

- أما زلت أذكاك كما كنا؟

بدت عليها ابتسامة: «أذناي . . . إنهما في أحسن تقويم. تماماً  
مثلما كنا».

سألت: «هل يمكنك أن تروني أذنك ثانية، مرة واحدة أخرى  
فحسب؟ كان شعوراً لم أعرفه من قبل. كما لو أن العالم كله قد وُلد

من جديد. في ذلك المطعم، في ذلك الوقت، حزت على إعجابي.  
لم أُنسها أبداً.

نهر رأسها. ونقول: «ربما يوماً ما. ولكن ليس اليوم. إنهما  
ليستا شيئاً يمكنك أن تراه في أي لحظة. إنهما شيء يمكنك أن تراه  
في الوقت المناسب فقط. اليوم ليس مناسباً. يوماً ما سوف أريكما  
مرة ثانية، حينما تكون بحاجة إلى ذلك حقاً».

نراجعت للخلف ووقفت أسفل شعاع عمودي من الضوء فادم من  
أعلى. ظلت واقفة هناك وكاد جسمها يتحلل بين ذرات الضوء القوي.

سألها: «كبي، أخيراً، هل أنت مينة؟».

استدارت في الضوء لتصبح في مواجهةي.

نقول كبي: «جواندا يظن أنه قلتي».

- نعم، إنه يفعل. أم أنه فعل.

- ربما قلتي. بالنسبة له يبدو الأمر كذلك. هو يرى أنه قلتي.  
ذلك ما كان يحتاج إليه. لو أنه لم يفلني، لظل مضطرباً. يا له من  
رجل مسكين. ولكنني لست مينة. انخفضت فحسب. انتقلت إلى عالم  
آخر، عالم مختلف. مثلما نستغل فطاراً يسير بمحاذاة فطارك. هكذا  
يكون الاختفاء. ألا نرى ذلك؟

لا، لست أرى.

- إنه أمر بسيط. انظر.

ينلك الكلمات، مثل كبي صوب الحائط. لم تنبأنا  
خطواتها، حتى حينما وصلت إلى الحائط. ابتلعها الحائط، نلأش  
وفع خطواتها أيضاً.

ظللت أراقب الحائط الذي ابتلعها. إنه مجرد حائط. ساد  
الصمت العرفة. لم يكن هناك سوى ذرات الضوء تتسرب خلال

الهواء. كان رأسي يؤلمني. صمطت بأصامي على جانبي رأسي مثباً  
عيني على الحائط. حينما أفكر في ذلك، وفي تلك المرة التي كانت  
في هونولولو حينما ثلاث داخل الحائط أيضاً.

أسمع صوت كبي: «الأمر أبسط مما ننصو، أليس كذلك؟  
الآن يمكنك أن تحاول».

- هل تظنين أنني أستطيع؟

- قلت إنه بسيط، أليس كذلك؟ هيا أبداً، وحاول. امش  
مستقيماً كما أنت. لا تتوقف. وسوف تصل إلى هذا الجانب. لا  
تخف. لا يوجد ما نخشى منه.

أجذب الهاتف وأنهض قائماً، ثم أسبر، وأسحب السلك،  
مباشرة نحو الحائط حيث اختفت. بنابني القلب كلما لاح لي الحائط،  
ولكنني لم أبطن من إيقاع خطواتي. حتى حينما لامست الحائط، لم  
أناثر. اخترق جسمي الحائط كما لو كان جيباً شفافاً من الهواء. يبدو  
أن الهواء قد اعتراه بعض التغيير. ما زلت أحمل الهاتف وأنا أمر من  
خلال الحائط وأعود إلى غرفة النوم في شغني. أجلس على السرير  
والهاتف على حجري.

أقول: «الأمر بسيط. بسيط جداً جداً».

وضعت السماعة على أذني، ولكن لم تكن هناك حرارة.

هكذا انتهى الحلم. أو أيما كان.

لم يكن هناك أي ذكر لحواندا أو ماي. مع ذلك كانت هناك جرائم قتل أخرى وبعض عمليات الانحار. أثناء فرائتي، كنت أأمل أن أجد يومبوشي تقف خلف المكتب حينما أعود إلى الفندق.

لست محظوظاً إلى هذا الحد.

هل تكون ولسبب مجهول قد تلاشت هي أيضاً بشكل مفاجئ؟  
اخترفت حائلاً؟

الثنائي قلق رهيب. حاولت الاتصال بها على هاتف بينها، لكن لا جواب. وفي النهاية، اتصلت بفسم الاستقبال أسألهم. يومبوشي في إجازة. سوف تعود للعمل بعد غد. فكرت، لماذا لم أنصل بها قبل مجيئي؟

أوصلت نفسي إلى هذه الحالة. لم يخطر ببالي أن أفوم بشي. بسيط مثل هذا. كم أنا غبي! ومنى كانت آخر مرة هانضها على أبة حال؟ ولا مرة واحدة منذ أن مات جوتاندا. ومن يدري منى كانت آخر مرة حتى قبل موته. ربما لبس منذ أن نغبات بوكي على الشاطئ. منذ متى كان ذلك؟ كنت قد نسبت يومبوشي. لبس لدي أدنى فكرة عما قد يكون ألم بها.

اعترتني هزة مفاجئة. ماذا لو أن يومبوشي قد تلاشت في حائط، وأنني لن أراها أبداً مرة أخرى؟ نعم، هناك جثة أخرى يجب أن تذهب. لم أكن أرغب في التفكير في ذلك. بدأت ألثت. كنت أجد صعوبة في التنفس. شعرت بقلبي يتضخم لدرجة أنه سينفجر في صدري. هل هذا يعني أنني كنت وافعاً في غرام يومبوشي؟ كان علي أن أراها وجهاً لوجه حتى أتأكد من ذلك. اتصلت بشفنها المرة نلر المرة حتى أكتفي أصابعي. لا جواب.

(43)

عندما رجعت إلى فندق الدوفين، كانت هناك ثلاث قنات يفرن خلف مكتب الاستقبال. كما هي الحال دائماً، كن بوندين ستوات مكونة بناية، ويلوزة ناصعة البياض. استقبلتني بابتسامة. لم تكن يومبوشي بينهن. وهو ما أثار غيبي. أو بدلاً من ذلك، هو ما فؤس كل آمالي. كنت أهول كثيراً على أن أراها في الحال إلى حد جعلني غير قادر على النطق باسمي حينما طلب مني. لذلك ترددت موظفة الاستقبال من وراء ابتسامتها ونظرت إلى بطاقة الائتمان الخاصة بي مشككة وهي تجري بحثاً في الكمبيوتر.

أعطيت غرفة في الطابق السابع عشر. أفرغت حفييني وأخذت حماماً ونزلت إلى البهو. ثم جلست على الأريكة ونظارت بآني أفرا مجلة، فيما كنت ألقي نظرات خاطفة على المكتب بين الفينة والأخرى. ربما تكون يومبوشي في فترة راحتها. اتفقت خمس وأربعون دقيقة من دون أن تظهر. ما زالت الفتيات الثلاثة اللاتي لا يمكن تمييزهن عن بعضهن، وذوات الترسبات المتماثلة، في عملهن. بعد ساعة، كان اليأس قد تملكني.

خرجت للتحول في المدينة واشترت صحيفة المساء. ثم دلفت إلى مقهى حيث قرأتها من أولها إلى آخرها وأنا أشرب فنجاناً من القهوة والأمل يحدوني في أن أجد رسالة تثير الاهتمام.

وعيناي مخمضتان، وأنا أحاول أن ألتصق المكان القديم. شكل الباب الأمامي، السجاد المهنئ، المفاتيح النحاسية المشمخة، زوايا النوافذ المعبأة بالخيار. لقد مشيت في تلك الردعات، وفنتحت تلك الأبواب، ودخلت تلك الغرف.

لقد اخنفتي فندق الدولفين القديم. ومع ذلك ظل حضور، جاثماً. أسفل فندق الدولفين هذا، الممتد عبر الغارات، ووراء، ويداخله. كان باستطاعتي أن أغمض عيني وأتمثله. الصوت الصادر عن المصعد الأشبه بصوت كلب يعوي. كان ما زال هنا. لا أحد بدري بذلك، لكنه كان هنا. هذا المكان كان نقطة الربط حيث يلتقي كل شيء. هذا المكان هنا من أجلي، فلت لنفسي. كان على بومبوشي أن تعود. كان كل ما علي فعله هو أن أجلس ساكناً وأنتظر.

كانت خدمة الغرف تأتيني بالمشا، الذي كنت أتناوله مع ببرا. أخذها من بار الغرفة. في الساعة الثامنة حاولت الاتصال برزم بومبوشي مرة أخرى. لكن لا جواب مرة أخرى.

فنتحت التلفزيون وشاهدت مباراة بيسبول مع وضع الصوت على الصامت. كانت مباراة مملة. لم أكن أرغب في مشاهدة البيسبول بأي شكل من الأشكال. كنت أود أن أرى أجساداً بشرية حافية تنحرك. بادمتوث، كرو، ما، أي شيء، كان سهلي بالفرض.

في الساعة التاسعة جريت الاتصال مرة أخرى. في هذا المرة وقعت الساعة بعد رنة واحدة. في البداية لم أصدق أنها بالفعل هناك. تجمدت الكلمات في حلق. بومبوشي هناك بالفعل.

قالت بومبوشي بهدوء: «عدت للمنو. ذهبت إلى طوكيو لزيارتي بعض الأقارب. اتصلت ببيتك مرّتين، لكن لم يرد أحد على الهاتف».

جافاني النوم. كنت أرفد في سريري في الفندق وأنا أنصب عرقاً. أضأت الأنوار ونظرت إلى الساعة، الثانية، الثالثة والرابعة. بعد ذلك تملّكتني الهأس. جلست بجوار النافذة فيما كان ضوء الصباح يزحف على المدينة على وقع ضربات قلبي.

بومبوشي، لا تتركيني وحيداً. أحتاج إليك. لا أريد أن أكون وحيداً أكثر من ذلك. من دونك سوف يُلقي بي في أفاضي الكون. أرجوك، أريني وجهك، اجعليني أزم مكاناً ما. شذي وثاني إلى هذا العالم. لا أريد أن ألتصق بالأشباح. لست إلا شخصاً طبيعياً. أنا بحاجة إليك.

من السادسة والنصف صباحاً، رحت أنصل بشفتي مرّتين كل ساعة. لكن من دون جدوى.

في سايدرو يكون يونبو وثناً رائعاً من أوقات السنة. فند ذاب الثلج منذ وقت طويل، والسهول التي كانت منجمدة قبل شهر فلبلة أصبحت الآن خصبة. الحبا، تنبع في كل مكان. الأشجار أصبحت كثيفة الأوراق، والأوراق تتمايل مع النسيم. السماء عالية وصافية. يا له من فصل يبعث على الإلهام. مع كل ذلك كنت أقيم في فنتني وأنا أواصل الاتصال برزم بومبوشي ونحتريني حالة من الجنون. سوف نمود غداً - فعلام العجلة؟ كنت أردد ذلك على نفسي كل عشر دقائق. لم يكن باستطاعتي الانتظار. لكن من يضمن أنها ستعود غداً؟ جلست بحوار الهاتف ورحت أطلب رزم هانف منزلها. وبعد ذلك تمددت على السرير ورحت أحرق في السف.

ها هنا حيث كان فندق الدولفين. كانت بقايا فندق. حيث أقام آخرون لا أحصيهم عدداً، ووطأوا نشقات أرضياته وروا آثار البقع التي تغطي الحوائط. جلست في مفعدتي، وفدماي على الطاولة،

- أنا هنا في سايبورو وكنت أنصل بك مثل المجنون.

- إذا كل منا كان تقريباً يفتقد الآخر.

«تقريباً يفتقد الآخر»، كان ذلك كل ما استطلعت أن أدوله وأنا أفيض بشدة على السماع وأحملك في شاشة التلفزيون الصامت. لم تسمعي الكلمات. فاجأني ردّها. نملّكني أربناك شديد.

- هل ما زلت على الخط؟ هل تسمعي؟ هل تسمعي؟

- أنا هنا وعلى ما يرام.

- صوتك يبدو غريباً.

شرحت لها: «أنا... أنا متوتر. يجب أن أراك وإلا لن أستطيع

الكلام. كنت متوتراً طوال اليوم. يجب أن أراك».

فالتت بعد تفكير لبرهة: «أعتقد أن بإمكانني أن أراك ليلة غدا».

كان باستطاعتي أن أتأملها وهي ترفع نظارتها فوق جسر أنفها. جلت بحسبي نحو أرضية الغرفة وأنا أحكم قبضتي على السماع وأسند ظهري إلى الحائط. «غداً موعد بعيد للغاية. أعتقد أنه سيكون من الأنصل لو التقيتا الليلة. في الحال، في واقع الأمر».

تخللت صونها علامات الرفض. حتى لو لم يقل عذا الصوت أي شيء بعد، فقد شعوت فيه بالرفض. «أنا متعبة للغاية الآن. إنني منهكة. عدت لنوي. ولأن لدي نوبة عمل صباح غد، فلست أرغب الآن إلا في النوم. غداً بعد أن انتهني من عملي، ستلتقي. ما رأيك في ذلك؟ أم أنك لن تكون موجوداً غداً؟».

- لا، سوف أكون هنا لغشّة. يؤسفني أنك متعبة. لكن صدقيني، ثمة شعور بالقلق يملّكني. كما لو أنك وبحلول الغد سوف تختفين.

- أخفني؟

- نخفين. تتلاشين

ضحكت بوميوشي. «أنا لا أخفني بسهولة. لن أذهب إلى أي مكان».

- لا، الأمر ليس كذلك. إنك لا تفهمين. إننا لا ننوف عن التنقل. وفيما نقوم بذلك، ثمة أشياء حولنا نخفي. أعرف أن كلامي لبس واضحاً بشكل كاف، ولكن ذلك هو ما يفلفني. بوميوشي، أنا بحاجة إليك. أعني أنني احتاج إليك حقاً كما لم أحتاج إلى شيء من قبل أبداً. رجاء، لا تحفني.

توقفت بوميوشي لبرهة. قالت: «ماذا؟ أعذك بأنني لن أخفي. سوف أراك غداً. لذا رجاء انتظر حتى ذلك الوقت».

قلت: «موافق». لم يكن أمامي إلا النظائر بالاعتناع، مع أنني لم أكن كذلك رغم كل تأكيداتها.

«ليلة حاتة إذا». قالت، ثم وضعت السماع.

أخذت أروح وأجيء في الغرفة، ثم ذهبت إلى استراحة الطابن السادس والعشرين، الاستراحة التي رأيت فيها بوكي أول مرة. كان المكان مزدحماً. كانت هناك شابتان نشربان على البار، كلاهما نلّسان وفق أحدث الصيحات، وكانت سافا إحداهما جميلتين. جلست أحسني الفودكا وأنا أتابعهما من دون أن أعيرهما انتباهاً خاصاً. ثم أدورت ناظري نحو خط الأفق في الليل. ضغطت بأصابعي على جانبي رأسي، بالرغم من أنني لم أكن أشعر بصداق. شعرت بشكل جمجمتي، وبيوطه، يأخذ شكل العظام التي أسفل الجلد، وأنا أتخيل الهيكلين العظيمين للغنائين الواقفين لدى البار. جمجمة، مقاريات، عظمة الفص في الصدر، الحوض، الذراعان، الساقان، المفاصل، عظام بيضاء جميلة بداخل هاتين الساقين الجميلتين، ناصعتان،

ببضائون مثل السحاب، وغير قادرين على التعبير. نظرت الفتاة صاحبة الساقين الجميلتين نحري، لا بد أنها تنهت لنحديقي. كنت أود أن أشرح لها أنني لم أكن أنظر إلى جسمها، بل كنت فقط أتأمل عظامها!

احسنت ثلاث كؤوس، ثم عدت إلى غرفتي. بعدما وصلت أخبراً إلى يوميوشي، نمت كما لو كنت في حلم.

حضرت يوميوشي في الثالثة صباحاً. دق جرس الباب، أضأت المصباح المجاور للسريـر ونظرت إلى الساعة. ثم بعدما ارتديت رداء الحمام، توجهت صوب الباب خائلاً من أي أفكار، وشبه نائم. فتحت الباب بشكل جزئي، فكانت هي في سترتها فأنحة الزرفة. دلفت إلى الغرفة من خلال هذه الفتحة الضيقة نماماً معلماً كانت تفعل دائماً.

وففت وسط الغرفة وراحت نتنفس بعمق. من دون أن تحدث صوتاً خلعت السترة وطلوها بنائية على ظهر الكرسي. نماماً كما كانت تفعل.

«حسنًا، أنا لم أختبئ، أليس كذلك؟» كان ذلك أول شيء نطقت به.

شعرت بصوني وكأنه أت من مكان سحيق: «لا، لا يبدو أنك اختبئ». لم أكن أستطيع الجزم إن كان ذلك يحدث بالفعل أم لا. قالت عن عمد: «الناس لا يختفون بسهولة».

– إنك فقط لا تعرفين. هناك الكثير من الأشياء التي يمكن أن تحدث في هذا العالم.

– ربما، ولكنني هنا. لم أختف. أنت تُفَرِّهنا، أليس كذلك؟ قلبت ناظري في الغرفة ثم نظرت في عين يوميوشي. كانت هذه

حقيقة ماثلة في عالم اللفظة «نعم، أفر بذلك. لا يبدو أنك اختبئ». ولكن ما الذي يجعلك تأتي إلى غرفتي في الثالثة فجراً؟

قالت: «لم أستطع النوم. ذهبت إلى الفراش مباشرة بعد انصالك، ولكنني استيقظت بعد الواحدة بقليل ولم أتم لحظة بعد ذلك يبدو أن ما فعلته قد ترك أثراً في. لذا اتصلت بسيارة ناكسي وجئت إلى هنا»

– ألا يمكن أن يعير منك إلى هنا في الثالثة فجراً أمراً غريباً؟

– لم يلاحظ ذلك أحد. الكل نائم. الفندق يعمل على مدى الأربع والعشرين ساعة، والأشخاص الوحيدون الذي يكونون مستيقظين في الثالثة صباحاً هم موظفو قسم الاستقبال وخدمة الغرف. لا أحد يراقب مدخل الموظفين. ولا أحد يحتفظ بسجل لذلك. يمكنك دائماً أن تقول إنك جئت لتنام في غرفة النوم. لقد فعلت ذلك سابقاً مرات ومرات.

– فعلت ذلك سابقاً؟

– نعم، حينما لا يمكنني النوم. أجيء إلى هنا وأنجول بالفندق. أعرف أن ذلك يبدو غريباً، ولكنه مريح لي للغاية. وأنا أحب ذلك. لم يسبق أن لاحظني أحد. لبس ثمة مشكلة. بالطبع، إن وجدوني في هذه الغرفة، فذلك قصة أخرى. ولكن لا تغلق، سوف أظل هنا حتى الصباح ثم أخرج خفية للعمل. هل يناسبك ذلك؟

– بالطبع يناسبني. في أي وقت يجب أن تكوني في عملك؟

قالت: «في الثامنة. بعد خمس ساعات».

خلعت يوميوشي ساعتها بشكل متوتر ووضعتها على الطاولة. ثم شددت طرف نورنها. كنت أجلس على زاوية السريـر منذ أن صحوت من نومي على طرقاتها.



قالت: «والآن، سمعناك نقول إنك نحتاج إليّ، أليس كذلك؟».

فلت: «أحتاج إليك مثل المجنون. لقد ذهبت إلى كل مكان. فمت بدورة كاملة. وعدت إلى حقيقة أنني أحتاج إليك».

كزّوت، وهي تشد طرف ثورتها، بغولي: «مثل المجنون».

- نعم، ذلك صحيح. مثل المجنون.

- ولكن إلى أي الأماكن ذهبت؟

- لن نصدفي إن أخبرتك. لقد نجحت في العودة إلى الحقيقة -

ذلك هو أهم ما في الأمر. لقد درت دائرة كاملة. وما زلت أف على قدمي وأرفض.

نظرت إليّ في استغراب.

- لا يمكنني الدخول في التفاصيل. لكن صدقني، أنا بحاجة إليك. ذلك هو الأهم بالنسبة لي على أي حال. أرجو أن يكون ذلك مهماً بالنسبة لك أيضاً.

قالت يوميوشي من دون أن تغير تعابير وجهها: «إذاً ماذا تريد مني أن أفعل؟ هل أفع بين ذراعيك؟ أفرف الدمع تأثراً؟ أخبرك كم هو رائع أن تشعر بأنك مرغوب؟».

«لا، لا، لا شيء من ذلك»، فلتت على الفور، لكنني لم أجد الكلمات المناسبة لمواصلة الكلام. وكان هناك كلمات مناسبة. «ماذا يمكنني أن أفعل لك؟ إنني أعرف ذلك منذ البداية ولم أشك فيه لحظة. كنت أعرف أننا سوف ننام معاً. لم تكن نستطيع ذلك في أول الأمر. لم يكن الوقت مناسباً. كان عليّ الانتظار حتى يحين الوقت المناسب».

- إذاً الآن يُفترض بي أن أنام معك؟ هكذا هو الأمر؟

- أعرف أن حلاً أصاب حديثنا. وأعرف أن نلك هي أسوأ

طريقة ممكنة لإفناك. ولكن حتى أكون صادقاً هذه هي الحقيقة. لا يمكنني التحكم في الكلمات التي تصدر عني. أعني، أنه لو كانت هذه الظروف طبيعية، لحاولت أن أقوم بالأشياء على النحو الأمثل. لست بهذه الدرجة من البله. ولكن الأمر بسيط للغاية، وهذه الطريقة هي الأكثر صدقاً. أعرف ذلك. وهذا هو السبب الذي يجعلني لا أستطيع أن أعتبر عنها بأي شكل آخر. كنت دائماً أعرف أننا سوف ننام معاً. كان أمراً مفروضاً، إنه واقع. ولا يمكننا الدخول في جدل حول ذلك. ربما يدور ذلك كل شيء. صدقني.

نظرت يوميوشي إلى ساعتها وقالت: «هل ندرك أن ما نقوله غير مفهوم بشكل كامل؟» ثم راحت تفك أزوار قميصها. «لا تنظر».

استلقيت على ظهري وأنا أصدق في زاوية السقف. هناك عالم آخر في مكان ما، ولكني الآن هنا، في هذا العالم. خلعت يوميوشي ملابسها ببطء. كان باستماعني سماع الصوت الناعم للأنسجة وهي تلامس جلدها، ثم صوت الطي. ثم صوت نظارتها وهي نضعها، صوت مشير جداً للفراتز. ثم بعد ذلك أصوات المصباح الجانبية للسرير ثم انزلت أسفل الغطاء بجواري. بالهدوء نفسه الذي تسلمت به إلى غرفتي.

فلاصنا. جسدي وجسدها. تلامساً ناعماً، ولكن بجاذبية. نعم، كان هذا حقيقياً. على التنبض مما حدث مع ماي. ماي كانت حلماً وغيباً ووهماً. صوت وفواق. ولكن يوميوشي توجد في العالم الحقيقي. كان الدفء المنبعث منها وتغلغلها وحيرتها أشياء حقيقية. داعبتها وأمسكت بها.

كانت أصابع جوناندا وهي نمشد ظهر كيكي وخمماً أيضاً. كان تمثيلاً مجرد صور على الشاشة. شبح يعيش بين عالم وآخر. لم تكن واقعاً. صوت وفواق.

كانت أصابعي الحقيقية، نمسّد حشد بومبوشي الحقيقي.

دفنت بومبوشي وجهها في صدري. شعرت بملمس أنفها. استكشفت كل جزء من جسدها. الكتف، الكوع، المرفق، راحة اليدين، أنامل الأصابع العشرة. كانت أصابعي تستكشف وشغناي تطبعان الضيالت. على نهديها، بطنها، جنبها، ظهرها، ساقها، كل استمارة كانت مسجلة ومختومة. كنت بحاجة إلى اليدين. مررت أصابعي على متلطف عانتها. نزلت لأسفل وفيلتها. صوت وفوق. لم تكن نتكلم. كان كل منا يسك بالآخر. أنفاسها كانت دافئة ورطبة. الكلمات التي لم تكن كلمات ظلت عالقة في الهواء. ضاجعتها. كنت صلياً، صلياً للغة، وأبيض بالرغبة.

قبل الوصول إلى النشوة، عشت بومبوشي فراعني، بحيث أسألت منه دماً. كان الألم حقيقياً. أمسكت بفخذها ورحمت أقذف بشكل سلس. يبطء غير مسبوق، حتى لا نفوتني أي خطوة.

في السابعة أبقيتها. قلت: «بومبوشي حان وقت استيفاطك».

فنتحت عينيها ونظرت نحوي. ثم انسلت من الفراش مثل السمكة ووقفت عارية في ضوء الصباح. بدت ممثلة بالحباة الجديدة والحوية. استندت رأسي إلى الوسادة وأنا معجب بها. هذا هو الجسد الذي سجلته وخمنته قبل ساعات قليلة.

أخذت بومبوشي دوشاً، ومشعلت شعرها بفرشاني وارندت ملابسها. شاهدتها وهي ترتدي كل قطعة من ملابسها. لاحظت العناية التي تضع بها كل زر في عروته. ارتدت فيصها بعد ذلك، ثم تفحصت ملابسها في المرآة بحثاً عن أي نجميدات. كانت تأخذ هذه الأشياء ببائع الحذية. كان مظهرها بوحى بالصباح. قالت: «أدوات زيتي في خزانتي الخاصة في الأسفل».

قلت: «أنت حميلة بما أنت عليه».

- شكراً، ولكن الزينة جزء من عملي. ليس لدي خيار.

عانتقت بومبوشي. كان جيداً للغاية أن أعانفها وهي تلبس قميصها ونضع نظارتها.

سألت: «أما زلت ترغب في حتى الآن رغم طلوع الصبح؟».

قلت: «ما زلت أرغب فيك. أرغب فيك أكثر مما كنت أرغبك بالأمس».

- لم أجد أحداً يرغب فيّ بهذا، الدرجة من قبل أبداً.

- لا، هناك شخص كان يرغب فيك.

قالت: «ليس إلى هذا الحد الذي أشعرني به يبدو كأنني في غرفة دافئة وجميلة. لطيفة ونبتت على الاسترخاء».

- ابقِي هنا إذًا. لا داعي لأن تغادري أبداً.

نظرت إليّ.

سألت: «هل ستبقين هنا؟».

- نعم، سوف أبقى هنا.

نراجعت بومبوشي للخلف قليلاً. «هل يمكنكني فضاء، لبله أخرى معك؟».

- بكل تأكيد. ولكن ألا نخطرين بذلك؟ أليس من الأفضل أن نذهب إلى شقتك أو نزل بفندق آخر؟

قالت: «لا. أحب ذلك هنا. هذا هو مكانك، ومكاني أيضاً».

أرغب في ممارسة الحب معك هنا. ذلك إن كنت لا نمانع».

- أرغب في أن أمارس الحب معك أينما يروق لك.

«حسنًا، سوف أراك هذا المساء هنا». وعندئذ فنتحت الباب

بشكل جزئي وانسلت خارجة.

شعرت بالسعادة . نعم، شعرت بالسعادة . وعندئذ تساءلت إذا  
كان الوقت قد حان لأن أفلح عن عادة جرف الثلوج ، وأن أكتب بعض  
الأشياء من أجلي أنا كنوع من التغيير . بعداً عن مواعيد التسليم . شيئاً  
لنفسى . ليست رواية أو أي شيء . ولكن شيء لنفسى .

(44)

عادت يوميوشي في السادسة والنصف . كانت ما زالت ترتدي  
زي الفندق بالرغم من أن قميصها كان مختلفاً . لكنها أحضرت معها  
حقيبة ملابس ومسايق وأدوات للزينة .

قلت : «لست أدري ، ولكنهم سيكتشفون ذلك يوماً ما» .

فالت : «لا نفلق» ، لست مستهتره» . ثم ابتسمت وعلفت السريرة  
فوق ظهر الكرسي .

ثم جلسنا على الأريكة وأمسك كل منا بالآخر بشدة .

قالت : «كنت أفكر فيك طوال اليوم . تعرف ، ألن يكون رائعاً أن  
انتهي من عملي خلال النهار ، ثم أنسل إلى غرفتك في الليل ؟ فتعصي  
الليلة معاً ، ثم في الصباح أذهب للعمل مباشرة» .

قلت مازحاً : «بيت ملائم لمكان عملك» .

- لكن لسوء الحظ أنه لا يمكنني أن أنردد إلى هذه الغرفة بشكل  
متواصل . وأجلاً آم عاجلاً سوف يكتشفون أمرنا .

- لا شيء يمر بسهولة في هذا العالم .

- أوافقك الرأي تماماً في هذه النقطة .

- ولكن سيكون الأمر على ما يرام إن أمضينا بضع ليال معاً ،

ألبيس كذلك؟

- اعتقد أن ذلك هو ما سيحدث.

- حسناً سوف أكون سعيدة بذلك الأيام القليلة. ما رأيك في أن

نظل في هذا الفندق؟

ثم بذلت ملاحظاتها، وموت كل قطعة بعناية فائقة. خلعت ساعتها ونظارتها ووضعتهما على الطاولة. بعدئذ استمنعنا بالحب على مدى ساعة حتى وصل كل منا إلى حالة من الإنهاك. ليس هناك نوع من الإنهاك أفضل من ذلك.

«إمم» كان ذلك تعبير بومبوشي عن الرضا. أسندت رأسها إلى ذراعي لننال فسطاً من النوم. بعد فترة، استيقظت وأخذت دوشاً واحسنت البيرة. جلست وقد حاز وجه بومبوشي النائم إعجابي. كان نومها لطيفاً للغاية.

قبل الثامنة بقليل استيقظت جائعة. طلبنا ساندويشاً ومكرونة من خدمة الغرف. أثناء ذلك وضعت متعلقاتنا في الخزانة وحينما دق جرس الباب، اخبأت في الحمام.

كانت السعادة نفسانا.

بدأت وأنا استكمل محادثتنا السابقة. «كنت أفكر في ذلك طوال الظهيرة. ليس لدي أي شيء في طريقي على الإطلاق. يمكنني الانتقال إلى هنا والبحث عن عمل».

- زويد أن نعيش هنا؟

قلت: «نعم، سوف أعيش هنا».

- سوف أسأجر شقة هنا وأبدأ حياة جديدة هنا. يمكنك المجيء حينما نرغبين. يمكنك أن تعضي الليلة إن رغبت في ذلك. ويمكننا أن نجرّب ذلك خارج الفندق لفترة. ولكن لدي شعور بأنها ستجرح. سوف نعبديني إلى الواقع. سوف نمنحك فضاء يمكنك الاستجمام فيه. وسوف نجعلنا معاً.

ايتسمت بومبوشي ومنحتني قبلة كبيرة. «رائع».

- ماذا سوف يحدث لاحقاً، لست أدري. ولكن لدي شعور جيد بشأن ذلك. مثلاً قلت.

- لا أحد يعرف ما بخبته المستقبل. لست فلقاً حيال ذلك. في الوقت الحالي، إنه رائع. بل أفضل أنواع الروعة.

طلبت كبساً من الشلج من خدمة الغرف وجعلت بومبوشي نخسين في الحمام مرة ثانية. وفيما كانت بداخله، أعددت كأسين من البيلودي ماري بعدما مزجت فنية من الفودكا وعصير الطماطم اللذين اشترينهما من المدينة في تلك الظهيرة. لم يكن هناك ليمون، لكن البيلودي ماري مع ذلك كان جيداً. شرب كل منا في نخب الآخر. فمت بتشغيل معزوفة من الموسيقي الهادئة. وعلى الفور استمنعنا بمعزوفة مانتوفاني «غرياء في الليل».

قالت بومبوشي: «إنك تفكر في كل شيء. كنت أشتهي بلودي ماري لتزّي. كيف علمت ذلك؟».

- لو أنك نثنتين بعناية، لأمكنتك سماع هذه الأشياء. ولو نظرت بعناية، لأمكنتك رؤية ما تسعين إليه.

- كلمات من الحكمة؟

- لا، هذه مجرد كلمات. طريقة حياة في كلمات.

- ينبغي أن تخصص في الكتابة الإلهامية.

تناول كل منا ثلاث كؤوس من البيلودي ماري. ثم نجرّدنا من ملابسنا ومارسنا الحب مرة ثانية.

عند نقطة ما، وفي وسط ممارستنا للحب، ظننت أن بورسعي أن أسمع صوت مصعد فندق الدولفين القديم وهو يحثك بالعمود. نعم، هذا المكان كان هو المعقدة نقطة التقاطع. هنا حيث يلتقي كل شيء.

وكننت أنا جزءاً من كل ذلك. هنا كانت الحقيقة، التي يجب ألا  
أناؤها. كنت بالفعل هناك. كل ما كان عليّ فعله هو العثور على  
العقدة حتى يتم وصل كل شيء. هذا ما كنت أبحث عنه على مدى  
سنتين. وما كان الرجل المفعّج بجمعه معاً.  
مع انصاف الليل، ذهبنا في نوم عميق.

كانت يومبوشي نهزني. قالت بلفظ: «استيقظ». كان الظلام قد  
حلّ بالخارج. كان وأسي نصف ممتلئ بالراواسب الدافئة للاومي.  
كان المصباح المحاور للسريبر مضاء. وكانت الساعة تجاوزت الثالثة  
بقليل.

كانت ترتدي زي الفندق وتمسك بكففي ونهزني وهي في غابة  
الجديدة. كان أول ما خطر ببالني هو أن مديرها قد اكتشف أمرنا.

قالت: «استيقظ. وجاء. استيقظ».

قلت: «أنا مستيقظ. ماذا هناك؟».

- أسرع وابتدع ملاسك.

سارعت بارتداء نبي شيرت وبنطالاً من الجينز وسنرت ثم انتعلت  
حذاءي الرياضي. ثم قادني يومبوشي بيديا نحو الباب وفتحت فتحة  
صغيرة بمقدار ثلاثة سنتيمترات أو اثنين.

قالت: «انظر». كنت أسنرف النظر من خلال الفتحة. كانت  
الروعة غارقة في ظلام حالك. لم أستطع أن أرى أي شيء. كان  
الظلام كثيفاً وهلامياً وبارداً. بدا أنه عميق للغاية حتى إنك لو دسست  
فيه يدك لابتلعها. ثم بعد ذلك كانت تلك الرائحة العفنة مثل رائحة  
الورق القديم. رائحة ثم نعتيقها في هو الزمن السحيقة.

قالت: «إنه ذلك الظلام مرة أخرى».

وضعت ذراعي حول خصرها وجذبني نحوي. قلت: «لبس  
هناك ما يدعو إلى الخوف لا ترتعبي. لن يحدث لأحد سوء. هذا  
هو عالمي. لقد كانت المرة الأولى التي نحدثني فيها إليّ بسبب هذا  
الظلام. تلك هي الطريقة التي نعرفنا من خلالها. صدّقيني، كل شيء  
على ما يرام».

لكن مع ذلك لم أكن متيقناً تماماً. في واقع الأمر، كنت أرنجف  
من الخوف. كنت كمن مشه جنون، بالرغم من كلامي الذي يبدو  
عليه الهدوء. كان خوفاً ملموساً وأصلياً، كان عالمياً وتاريخياً وجينياً.  
ولأن الظلام برعب، فهو ينعلك، ويحبك بك، ويلغبك. من يا ترى  
من الأحياء يمكنه أن يضع ثفته في الظلام؟ في الظلام لا يمكنك أن  
ترى. الأشياء يمكن أن تلتوي، وتدور وتلاشي. إن جوهر الظلام -  
العدم- يغلف كل شيء.

قلت وأنا أحاول أن أفتح نفسي الآن: «الأمر على ما يرام الآن.  
لبس ثمة ما يُخشى منه».

سألتني يومبوشي: «إذاً ماذا سنفعل؟».

ذهبت بسرعة وأحضرت كشفاً صغيراً كنت قد أحضرته خصيصاً  
نحسباً لحدوث ذلك.

قلت: «هجب أن نمر معاً خلال ذلك. عدت إلى هذا الفندق  
لأرى شخصين. أنت واحدة والآخر هو شخص يقف في مكان ما  
هناك في الظلام. إنه بانتظاري».

- الشخص الذي كان في تلك الغرفة؟

- نعم.

قالت يومبوشي وهي ترتعج: «أنا مرتعبة. أنا مرتعبة حقاً.  
ومن يحن له أن بلومها؟»

طبعته قبلة على جبينها. «لا نخافي. أنا معك. أعطيني يدك إذا لم تتمكن من الخروج، فسوف نكون في أمان. مهما حدث، يجب ألا نفرق. هل تفهمين؟ علينا أن نبقي معاً. وعدتد خرجنا إلى الرعدة.

سألت بنوتر: «أي طريق نسلك؟».

قلت: «صوب البمين. دائماً صوب البمين».

سلطنا الكشف على أقدامنا ومشبنا ببطء متعمد. مثلما حدث سابقاً، لم تكن الرعدة في فندق الدولفين الجديد. السجادة الحمراء كانت بالية، الأرضية كانت رخوة، فيما كان ملاط الحوائط مليناً بالبقع. كان أشبه بفندق الدولفين القديم، بالرغم من أنه لم يكن الدولفين القديم. بعد السير قليلاً، وكما حدث في السابق، انعطفت الرعدة يميناً. انعطفنا، ولكن ثمة شيء كان مختلفاً الآن. لم يكن هناك ضوء أمامنا، ولم يكن ينسرب من الباب أي ضوء للشمعة. أطفأت كشافي الصنوبر حتى أناكد. لا ضوء على الإطلاق.

كانت بومبوشي تبهض على يدي بشدة.

قلت وصوتي يبدو جافاً ومبتأ، بكاد لا يكون صوتي: «أين ذلك الباب؟ قبل ذلك، كنت أرى باباً».

- وأنا أيضاً. رأيت باباً في مكان ما.

وقفنا هناك عند انعطافة الرعدة. ماذا حدث للرجل المذئع؟ هل كان نائماً؟ ألم يترك الأشياء مضافاً؟ كمنارة؟ أليس ذلك السبب الذي هو من أجله هنا؟ ما الذي يحدث هنا بحق الجحيم؟

قالت بومبوشي: «هيا بنا نعود. لا أحب الظلام. باستطاعتنا أن نحاول مرة أخرى. لا أود أن نخاطر بشفة زائدة».

كان كلامها سطوفاً. لم أكن أحب الظلام أيضاً وكان بنابني شعور منذر بأن ثمة خللاً قد وقع. ومع ذلك رفضت الاستسلام.

قلت: «دعينا نواصل السير. ربما يحتاج إلينا الرجل. ذلك هو السبب في أننا ما زلنا مرتبطين بهذا العالم». أضأت الكشف مرة ثانية. اخترق شعاع صغير من الضوء الأصفر الظلام. «أمسكي بيدي الآن. أنا بحاجة لأن أدرك أننا معاً. ليس ثمة ما نخشى منه. إننا باقبان، لن نذهب بعيداً. سوف نعود آمنين سالمين».

خطوة بخطوة، بل ربما أكثر ببطناً من ذلك، مشبنا. كان العطر الهادئ المنبعث من شعر بومبوشي ينفوح خلال الظلام، فبهذغذغ حواسي بشكل لطيف. كانت يدها صغيرة ودافئة وصلبة.

بعد ذلك وأيتاه. كان الباب الذي يؤدي إلى غرفة الرجل المذئع قد تُرك موارباً فلبلاً ومن خلال الفتحة كان باستطاعتنا أن نشعر بالبرد القديم وأن نشم الرائحة الرطبة على نحو مزعج. فرعت الباب. كما في السابق، بدت فرعة مدوية بشكل غير طبيعي. فرعت ثلاث مرات.

ثم انتظرنا. عشرين ثانية، ثلاثين ثانية. لا جواب. أين هو؟ ماذا يحدث؟ لا تقل لي إنه مات! نعم، كان الرجل لا يبدو في صحة جيدة في آخر مرة التقينا فيها. ليس باستطاعته أن يمشي إلى الأبد. هو أيضاً عليه أن يكبر ويموت. ولكن إن مات، من سيجعلني أظل متصلاً بهذا العالم؟

دفعت الباب وجذبت بومبوشي معي داخل الغرفة. أضأت الكشف الصغير في المكان. لم تتغير الغرفة. أكوام الكتب والأوراق القديمة مكوّمة في كل مكان، متفردة صغيرة، وقد وضع فوقها طبق صغير استُخدم كموند للشمعة. استخدمت فداحتي لإشعاله.

لم يكن الرجل المذئع هنا.

هل غادر الغرفة لبرهة؟

سألني يوسوشي: «ومن يكون هذا الرجل؟».

قلت: «إنه الرجل المفتح. إنه يعني بهذا العالم. ويحرص على أن تكون الأشياء في اتصال بعضها مع بعض، ويؤكد أنه قد تم الربط بينها. لقد قال إنه أشبه بلوحة مفاتيح. إنه طاعن في السن، ويرتدي جلد خروف. كان يعيش هنا. مختبئاً».

- مختبئاً من ماذا؟

- من الحروب، والحصارة، والقانون، والنظام، ... الأشياء التي لا تشبه الرجل المفتح.

- بيد أنه ليس هنا. لقد ذهب.

أومأت برأسي. وفيما أنا أفعل ذلك، انحنى ظل ضخم على الحائط. «نعم، لقد ذهب. بالرغم من أنه يفترض أن يكون هنا».

كنا على حافة العالم. ذلك هو ما كان يعتبره القدماء حافة العالم حيث يتحول كل شيء إلى العدم. كنا هناك، نحن الاثنين وحدنا. وحولنا في كل مكان، فراغ بارد وشاسع. كان كل منا ينفخ على يد الآخر بشدة أكبر.

قلت: «ربما يكون قد مات».

قالت يوسوشي: «كيف يمكنك أن تقول مثل هذا الشيء وسط الظلام. فكر في أمر أكثر إيجابية. ربما يكون بالخارج يقوم بالنسوف، أليس كذلك؟ وربما نفذت الشموع التي لديه».

قلت: «وإلا فإنه قد ذهب لجميع الضرائب الخاصة به». حتى في الغرفة الكنيسة المصاة بالشمع، كان باستطاعتي أن أرى ابتسامة يوسوشي. تعانقنا. قلت: «تعرفين، ما رأيك أن نخرج نتجول في الكثير من الأماكن في أيام عطلاتنا؟».

قالت: «مكل نأكبد».

- سوف أشحن سبارني السويارو معي. إنها سبارة قديمة، ولكنها جيدة. إنها تعمل بشكل ممتاز. إنني أحبها أكثر من المازيراتي. أحبها حقاً.

قالت: «بالطبع. دعنا نذهب إلى كل مكان ونرى الكثير من الأشياء معاً».

تعانقنا لفترة أطول قليلاً. بعدئذ انحنت يوسوشي لتلمط كتفياً من كومة الأوراق التي كانت عند قدميها. دراست في طرق التناسل المتنوعة لأغنام بوركشاير. كان الكتيب قد اصفرّ ورفه وغطاه الغبار.

شرحت لها: «كل شيء في هذه الغرفة يتعلق بالأغنام. في فندق الدولفين القديم، كان هناك طابق كامل مخصص لأبحاث الأغنام. كان هناك أستاذ للأغنام، الذي كان هو والد مذهب الفندق، وأظن أن الرجل المفتح قد ورث كل ذلك. إنها ليست مفيدة لأحد على الإطلاق. لن يقرأ أحد هذه المواد أبداً. ومع ذلك، فما زال الرجل المفتح يعني بها».

أخذت يوسوشي الكشاف اليدوي وتصفحت الكتيب. كنت من وقت لآخر لاحظ ظلي وأتساءل أين كان الرجل المفتح حينما دهمني فجأة إدراك مرعب: بأنني سوف أترك يد يوسوشي!

ففز قلبي إلى حلقي. لم يكن ينبغي أن أترك بدنها أبداً. سرت في جسدي حُمي وبدأت أتصعب عرقاً. سارعت بالإمساك بهرفق يوسوشي. إذا لم يترك كل منا الآخر، فسوف نظل آمنين. ولكن كان ذلك متأخراً للغاية. كان السيف قد سبى العادل بالفعل. في اللحظة نفسها التي مددت فيها يدي، كان جسمها قد ابتلع في الحائط. نماماً مثلما أن كيكي قد مرت من خلال حائط غرفة الموت. تماماً مثل الرمال المنحركة. ذهبت، اختفت، ومعها وهج الكشاف.

صرخت: «يوموشي!»

لم يجيب علي أحد. خيم الصمت والبرد، واشتد الظلام

صرخت ثانية: «يوموشي!»

جاء صوت يوموشي عن وراء الحائط: إنه أمر بسيط. في غاية البساطة. يمكنك المرور من خلال الحائط.

ثم نحي: «لا لا نخدعي. نعتقد أن بسيط، ولكنك لن تعودي. الأمر يختلف هناك. ذلك هو العالم الآخر. إنه لا يشبه عالمنا هنا»

لا جواب. وان الصمت على الغرفة، وراح يضغط علي كما لو كنت في أعماق محيط.

غضبي شعور بالحجز والياس. ذهبت يوموشي. بعد كل هذا لن يكون باستطاعتي الوصول إليها مرة أخرى. ذهبت

لم يكن هناك وقت للتفكير. ماذا يجب أن أفعل؟ أسببها، لا يمكنني أن أخسرها. نبهتها داخل الحائط. وجدت نفسي أمر خلال جيب شفاف من الهواء

كان هواء بلا فم برودة الماء. الزمن يتأرجح، ويلتوي بصورة متعاقبة، والجاذبية تفلت فؤنه. والكهربات القديسة مثل البخار تطفو لأعلى. راح يجسدي بتحلل بشكل متسارع. لقد اخترعت الحفلة الضخمة المشابهة للحفوض النووي الخاص بي. اتسمت الأرض. ثم حلت فيها بومبة شديدة ثم انكسرت الأغصان ثم إختفاؤها في الكهف. البحار لم يكن إلا فكرة هائلة. والمطر كان يهطل من دون صوت فوق أنساع الياس الشاسع. كان هنالك أشخاص مجهولو الهوية ينفون على الشواطئ ليحدثون نحو العمق. وأيت شريطاً زمنياً لا نهاية له من الأحداث الماضية يُعرض أمام عيني عبر السماء. كان

ثمة فراغ يملأ هذه الأشكال الشبهية فيما يحيط بهذا الفراغ فراغ أكبر. لقد ذاب اللحم حتى العظام ونظائر مثل الغبار. فال شخص ما: «ماتت بلا رجعة». تحلل جسدي ونظائر مثل الرميم، ثم نحمع ثانية.

من على هذا القوسى، خرجت عارياً، على السرير كانت الصلصة قد جلت، ولكن لبست تلك الظلمة الحالكة التي كنت أعشها. ما زلت لا أستطيع أن أرى. بددت يدي. لم يكن بحاتي من أحد. كنت وحيداً ومتوقفاً على حافة العالم.

سأخت بأعلى صوتي «يوموشي!» ولكن لم يخرج أي صوت. فيما عدا صوت خشن جاء من خلفي. صرخت مرة أخرى. وعندئذ سمعت طلقة خفيفة.

لقد أصبحت الأقوار. كانت يوموشي تبسب وهي جالسة على الأريكة مرادبة قميصها وتوترتها ومتقلبة حذاءها. كانت السترة فائحة الزرقة ملاء على ظهر الكرسي. كنت بدأت تسمكان بملامة السرير. ببطء وحت أوتخي أصابعي واستشرشت بشوئرب من جسي. مسحت البصر عن وجهي. كان الصور الذي يسلا الحرفة ضوئاً خفيفاً.

- يوموشي، قلت بصوت خشن.

- نعم؟

- هل أنت حقا هناك؟

- بالطبع، أنا هنا

- ألم تخفي؟

- لا. الناس لا يلاحظون بهذه السهولة.

- إذاً، كان ذلك حلماً.



- أعرف. كنت هنا طوال الوقت أرقبك. كنت نائماً وتحلم ونردد اسمي. رأيتك في الظلام. تعرف، باستطاعتي أن أراك.

نظرت إلى الساعة. كانت قبل الرابعة بقليل، قبل الفجر بقليل. الساعة التي تكون الأفكار فيها أعمى ما تكون. كنت أشعر بالبرد، وكان جسمي منيبساً، إذاً كان حلماً؟ ذهب الرجل المفلّج، واخترت بومبوشي، ولم يبق إلا الألم والبأس. ولكن باستطاعتي أن أذكر لمسة يد بومبوشي. كنت أشعر باللمسة داخلي. كانت أكثر حقيقة من هذه الحفيفة.

- بومبوشي؟

- نعم.

- لماذا ارتديت ثيابك؟

قالت: «كنت أريد أن أشاهدك وأنا بملابسي».

سألته: «هل نمانعين أن نتجردي من ملابسك مرة أخرى؟» كانت تلك إحدى طرفي للتأكد.

«لا مانع أبداً»، قالت وهي تنزع عنها ملابسها وتُدس جسمها أسفل الغطاء. كانت تشع دفئاً ونعومة ونزول وزن شخص حقيقي.

قالت: «قلت لك إن الناس لا يهتفون بسهولة».

«أحياناً؟» نسألت وأنا أعانقها. لا، كل شيء قابل للحدوث. هذا العالم أكثر هشاشة وضعفه أشد مما نصور.

من كان الهيكل العظمي وفم سنة إذا؟ الرجل المفلّج؟ أم شخصاً آخر؟ أم لعله يكون أنا نفسي؟ أنظر في تلك الغرفة المعتمة والبعيدة، من بعيد، جاذبي صوت فندق الدولفين القديم، مثل قطار في الليل. وصوت المصعد المزعج في نزوله وصعوده ونوقفه. ثمّة شخص كان

يمشي في الردهة، ثمّة شخص يفتح الباب، ثمّة شخص يغلق الباب. إنه فندق الدولفين القديم. يمكنني الحزم لأنني كنت جزءاً منه. وثمّة شخص كان يبكي من أجلي. يبكي من أجلي لأنني لم أكن أستطيع البكاء.

قُبلت بومبوشي فوق جفنتها.

دنت من انحناء ذراعي ونامت فوقها. بيد أنني لم أستطع النوم. كان من المستحيل لجسمي أن ينام. كنت بفقاً مثل بشر جافة. ضمنت بومبوشي بقوة ويكبت. يكبت بداخلي. يكبت كل ما فقدته وكل ما سوف أفدّه. كانت بومبوشي ناعمة مثل دفات الزمن، كانت أنفاسها تترك أثراً داغماً ووطياً فوق ذراعي. إذاً هي حفيفة.

في نهاية المطاف زحف الفجر علينا. كنت أشاهد عرق الثواني في الساعة وهو يبدو في الوقت الحقيقي. شيئاً فشيئاً وإلى الأمام.

كنت أعرف أنني سوف أظل.

دنت الساعة السابعة، ونسلل ضوء الصباح من خلال النافذة واسماً مسطليلاً مانلاً على أرضية الغرفة.

همست: «بومبوشي، إنه الصباح».